



---

# الحوز: الهوية والتراب والفاعلون

— مؤلف جماعي —

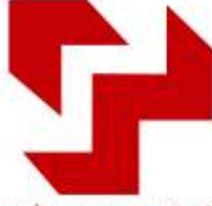
---

تنسيق:

عبد العزيز عبد الصادق

مولاي لحسن الفارسي

2022



مركز تكامل للدراسات و الأبحاث  
YAKAMUL center for interdisciplinary Research and Studies

---

# الحوز: الهوية والتراب والفاعلون

— مؤلف جماعي —

---

تنسيق:

عبد العزيز عبد الصادق

مولاي لحسن الفارسي

2022

# الحوز: الهوية والتراب والفاعلون

تنسيق:

الفارسي مولاي لحسن  
عبد العزيز عبد الصادق

2022

ردمك: 7 - 164 - 40 - 9920 - 978 - ISBN

منشورات مركز تكامل  
للدراستات والأبحاث

الناشر: دارالعرفان للنشر

مطبعة: قرطبة، أكادير

الهاتف: 05 28 23 88 55

البريد الإلكتروني: Lib.kortoba@gmail.com

© جميع الحقوق محفوظة

## اللجنة العلمية

جامعة القاضي عياض، مراكش	حسن المباركي
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان	علي بولرباح
جامعة القاضي عياض، مراكش	عبد الرحيم العلام
جامعة محمد الخامس، الرباط	صديق عبد النور
جامعة القاضي عياض، مراكش	حسن كميل
جامعة شعيب الدكالي، الجديدة	الفارسي مولاي لحسن
المدرسة العليا للتعليم، نواكشوط	محمد المامي محمد عبد الله
جامعة سيدي محمد ابن عبد الله، فاس	السعيد الحاجي
جامعة ابن زهر، اكادير	إدريس بنعبد المالك
جامعة شعيب الدكالي، الجديدة	المصطفى احمامو
جامعة القاضي عياض، مراكش	طارق افلاح
جامعة القاضي عياض، مراكش	هشام صدوا
جامعة ابن طفيل، القنيطرة	عبد العزيز العربي
جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال	احمد بوحامد
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان	عبد العزيز عبد الصادق

مركز تكامل للدراسات والأبحاث

## الفهرس

- 8.....تقديم
- مكانة الرحلة في التوثيق التاريخي للحوز وهوامشه: نموذج "رحلة الوافد لعبد الله بن إبراهيم التاساوتي  
ورحلة إلى المغرب 1910 . 1911 لرينولد لادريت دولا شاربير" ..... 10
- عبد الله ايت وكريم
- الدينامية الحالية لحوض غدات: مقارنة كرطوغرافية ..... 21
- أمزايل إسماعيل، دة. موفق فتيحة
- خطر التعرية المائية على السفوح بدير الأطلس الكبير الغربي: دراسة حالة حوض التوامة بتطبيق نموذج  
EPM ..... 37
- عبد العالي أوبلا، د.حسن مزين، د.عبد اللطيف ارويجا
- تدبير الاخطار الهيدرولوجية ورهانات التنمية المستدامة بعالية حوض غيغاية بإقليم الحوز..... 56
- رضوان الحداوي
- المشهد المائي وتمثلات الندرة بين وادي غدات وتساوت ..... 77
- دة.وديان منعم
- انعكاسات التمدين على قدرة الفلاحة في التشغيل بالحوز الأوسط: حالة جماعات سعادة وتسلطانت  
والسويهلة وتمصلوحت ..... 92
- دة. سناء زعيمي، د. مولاي لحسن الفارسي
- الدينامية المجالية ورهان التنمية المستدامة بضواحي مراكش: حالة جماعات سعادة والسويهلة والأودية  
..... 115
- دة.للانجاة المهداوي
- التحولات الاجتماعية بالأطلس الكبير بين السلطة القايدية والدينامية الجموعية: حالة تزارت كلاوة..... 136
- د.رضوان ايت اعزى
- دور أدوات التخطيط الريفي في التنمية المحلية بالأوساط الجبلية: حالة الحوض النهري لأوريكا ..... 152
- د.عبد العزيز عبد الصادق، د.علي بولرباح
- أي دور للفاعل التراي بالمناطق الجبلية في تحقيق التنمية المستدامة؟ حالة الجماعات الترايبية بحوض  
أوريكة..... 170
- أبودرار مصطفى
- La recomposition et l'émergence des territoires de labellisation : Quelle gouvernance  
territoriale ? Cas de la commune d'Asni- Province d'Al Haouz ..... 193
- Wafaa BENHSAIN et Salima SALHI
- Processus de patrimonialisation dans la province d'Al Haouz : État des lieux et perspectives  
..... 202
- Abderrahim Ait Ben Aalla et Lahoucine Amzil
- La contribution de l'économie sociale et solidaire dans le développement territorial: cas des  
coopératives de la commune de Tahannaout ..... 218
- BENICHOU Hiba et SHIMI Ayoub



## تقديم

يُعدُّ إقليم الحوز تراباً مميزاً بغنى موروثه التاريخي والثقافي والحضاري، وبتعدد موارده (الطبيعية والترابية والتراثية) التي شكلت؛ ولا تزال؛ أهم عوامل الاستقرار والاستثمار ومحور رهانات استراتيجيات التدبير والتدخلات التنموية بالإقليم.

إن الموقع المتميز لإقليم الحوز ضمن التراب الجهوي والوطني، جاء بحكم موضعه الممتد من وادي تساوت في الشرق إلى "وادي أسيف المال" في الغرب على امتداد مهم من سفوح الأطلس الكبير الغربي، وعلى جزء كبير جداً من سهل الحوز الأوسط، وغير بعيد في موقعه من مراكز الحضارة التاريخية والقطب الجهوي والسياحي الدولي.

لقد أتاح موقع وموضع الحوز، بحدوده الإدارية أو الجغرافية، ظروفًا ملائمة لاستقرار بشري قديم يرجع في أجزاء منه إلى ما قبل التاريخ، كما مكن من احتلاله مكانة تاريخية مركزية بادية، من خلال ما تواتر من تشكيلات بشرية وترابية متنوعة كانت محورية في الحضارة المتوسطية ككل. فالمجال نسج علاقات اقتصادية وانفتح على أعرق حضارات العصر القديم (الحضارتان المتوسطيتان الإغريقية والرومانية). كما شكل الحوز بحدوده الإدارية أو الجغرافية محط تنافس سواء على المستوى القطري أو ما بين وحدات ترابية أصغر متشابكة الأهداف (القبائل والزعامات).

ساهمت مختلف التطورات التاريخية في رسم معالم مجتمع ارتكزت معيشتها على اقتصاد رعوي زراعي غابوي، أطرته تنظيمات اجتماعية وضعت أعرافاً لتوجيه استغلال مختلف الموارد المتاحة ولتدبير الندرة والوفرة، ووضع قواعد لتنظيم المجال بشكل يتماشى مع المحددات التكنولوجية. لذلك، فإن ما يتضمنه الإقليم من أنماط استغلال وتشكيلات بشرية وممارسات تعد إسقاطاً مجالياً لتراكمات تاريخية ولتنظيمات اجتماعية ولمعطيات اقتصادية متعددة.

لا شك أن ما ميز إقليم الحوز من نظم تراثية اجتماعية واقتصادية وثقافية اختفت أو على وشك ذلك في كثير من المناطق، فقد لحقت هذا المجال تحولات سريعة خاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. فلقد تم تدعيم وتحديث القطاعات المسقية وتنامت الفلاحة، ومُنحت أهمية للنشاط السياحي وما رافقه من نفوذ لأنشطة واقتصادات أخرى موازية التي امتصت فئة مهمة من النشيطين، ونوعت المداخيل وولدت دينامية متلاحقة أفرزت تحولات عميقة مع تباينات بين الجبل والدير والسهل، وكذا ضمن الوحدة الواحدة.

يعتبر تزايد التمدين كذلك من أبرز تجليات الدينامية المجالية والاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها الإقليم، حيث تزايد عدد الساكنة الحضرية وتوسعت معها دائرة المجالات الحضرية وشبه الحضرية (تحناوت، أمميز، أيت أورير؛ كمراكز حضرية ذات نفوذ إداري واقتصادي، وأوريكا، أسني، سيدي عبد الله غيات، والشويطر؛ كمراكز قوية صاعدة ذات الاستقطاب الاقتصادي والاجتماعي)، حيث تعرف هذه المراكز دينامية سريعة متعددة الأبعاد جعلت إقليم الحوز يحتل مركزاً مهماً ضمن الشبكة الحضرية الجهوية.

ارتبطت هذه التحولات بداية بتدخلات الدولة كفاعل أساسي ومحوري في عمليات التنمية والتي ارتكزت منذ الاستقلال على اختيار الاستراتيجية الزراعية، فاستفاد إقليم الحوز من عدة مشاريع في هذا الإطار كالمشروع الوطني للري PNI (قطاع H2 بسيدي غيات و Z1 بسيدي داوود)، ومن إحداث العديد من المدارات السقوية الصغرى خاصة بالأجزاء الجبلية من الإقليم. كما وازت هذه المشاريع أخرى هدفت

إلى تنمية الموارد الطبيعية (المائية والغابوية على الخصوص)، واعتماد برامج لتحسين الخدمات الأساسية (الكهربة، التعليم، الصحة، الطرق والمسالك...).

لم تعد الدولة الفاعل المحتكر للفعل الترايبي والتنموي، فعلى سبيل المثال يعد الحوز من بين الأقاليم على المستوى الوطني الذي يشهد تعبئة مهمة للمجتمع المدني بحضور وازن للعديد من الجمعيات والتعاونيات النشيطة في شتى المجالات ولبعضها إشعاع يتعدى المستوى الجهوي. يضاف لذلك فاعلون خواص. حيث شكل الإقليم ترابا جاذبا لمشاريعهم ومكان لتوطين استثماراتهم المرتبطة أحيانا برؤوس أموال دولية ضخمة.

يعتبر إقليم الحوز تراب مشاريع بامتياز، بفضل انخراط وتعبئة مختلف الفاعلين المحليين، وهو تراب محبوبك بعدة استراتيجيات ورهانات وتدخلات متناسقة الأهداف تارة ومتشابكة تارة أخرى، وقد تكون انتقائية على المستوى المجال تغيب فيها بعض الأحيان النظرة المتساوية لكل أجزاء الإقليم.

الفارسي مولاي لحسن

عبد العزيز عبد الصادق

## مكانة الرحلة في التوثيق التاريخي للحوز وهوامشه: نموذج "رحلة الوافد لعبد الله بن إبراهيم التاسفتي ورحلة إلى المغرب 1910 - 1911 لرينولد لادريت دو لا شارير"

عبد الله ايت وكريم  
باحث في سلك الدكتوراه  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة ابن زهر - أكادير

### ملخص:

تروم الورقة محاولة استكشاف وتثوير المدونتين أعلاه ومقارنة بعض مضامينهما للوقوف على أثر العمل الرحلي في ترسيخ الهوية، وكتابة تاريخ للذات الفاعلة في تشكيل العمران الجمعي. والرحلات تتجاوز كونها مجرد سير إنسان "من" و"إلى" إلى كونها وثيقة تاريخية لا بد من الاهتمام بها من أجل كتابة تاريخ شامل، وتتجلى أهمية الرحلة في كتابة التاريخ في كونها تفتح عما هو نفسي واجتماعي واقتصادي وثقافي... وتتصل بفعل ووجدان الجماعة وتعكسهما، لأن الرحالة عندما يضع صوب عينيه طبيعة الزمكانية التي ينبغي أن تؤطر عمله فإنه يبدع في التسجيل والوصف الدقيقين.

تفترض هذه الورقة أن الرحلة . أي رحلة . تعد إحدى أهم الركائز التي تقوم عليها حياة الإنسان في إعمار الأرض، واستخلافه فيها، غير أن مما ينبغي أن يميز الرحلات الوصفية التوثيقية علمية العمل الرحلي واستشعارها خصوصية هذا العمل، فالرحلة سفير الفكر والعرف والتقاليد، يعبر بها حدود الزمان والمكان، ويخترق بها آفاق العقل والوجدان، وينسج بخيوطها جسور التعارف بين الشعوب والبلدان، ونبد التناكر والتفرق. وتجد هذه الورقة المسندة بهذا الإطار جدواها ومصداقيتها من واقع الحوز وهوامشه الذي لولا بعض هذه الرحلات . خصوصا الهوامش التي لا تزال تعاني النسيان والتهميش . لكان نسيا منسيا. الرحلة الأولى "تتحدث لنا عن عالم ليست فيه للتاريخ ولا للذين يصنعونه أية صفة خارقة للعادة؛ أناس يصنعون التاريخ لأنهم يمارسون الحياة" [مقدمة محقق رحلة الوافد، علي أزاكو، ص: 9] والثانية تحكي أننا "ونحس أن مغربنا القديم/العجوز المنغلق بدأ يتواري أمام حماية المحضّر الفرنسي" [رحلة إلى المغرب، لشارير، ص: 268].

### الكلمات المفاتيح: الرحلة، الهوية، الحوز، الهامش

### Abstract

The Significance of the Trip in the Historical Documentation in Al-Haouz and its Outskirts : "the Case of Al-Wafid Trip by Ibrahim Al-Tasafiti and the Trip to Morocco 1910,1911 by Reynold Ladreit De La Charriere." This paper is an endeavor to explore and revolutionize the above two accounts and compare between their contents in order to examine the impact of travel narrative in strengthening identity and writing a history of the active self in shaping the collective urbanization.

The trips trespass being a mere walk of a human from a place to another to being a historical document that must be taken care of to write a comprehensive history. Its importance in writing the history lies in its role in displaying the psychological, social, economic and cultural aspects. It relates to and reflects the action and the conscience of the community. As when the traveler emphasizes the space-time nature that should frame his work, he invents in the subtle description and documentation.

This paper assumes that the trip is one of the important pillars on which humans depend to live, succeed in the earth and reconstruct it. However, what distinguishes the descriptive and documentary trips is their knowledge and awareness of the privacy of the work. And the traveler is the envoy of thought, custom and traditions through which he crosses the borders of time and space, penetrates the horizons of the mind and conscience, binds the bridges of acquaintance between peoples and countries and rejects denial and division. This paper stems its significance and credibility from the reality of Al-Houz and its outskirts that, without these trips, would be prone to negligence and marginalization. The first trip "discusses a world in which neither history nor those who make it have any supernatural quality: people who make history because they practice their daily activities" ( Introduction of the Examiner of Al-Wafid Trip). The second trip states that "we feel that our old and close-minded Morocco starts to disappear thanks to the protectorate of the civilizing French" ( Trip to Morocco, La Charriere, p. 268 ).

## مقدمة:

تكمن في إقليم مراكش وأحوازه كثير من المؤهلات الخصبة التي تثري المشهد التاريخي له، وتغني المكتبة الرحلية والتاريخية، مؤهلات تحتاج إلى مزيد من الاعتناء والاهتمام لتبوح بسر مكنوز في رفوف المعرفة العامة والخاصة، وفي تضاريس المعرفة الشفهية للمنطقة.

وحين الحديث عن الرحلة أي رحلة فإننا نتحدث عن التاريخ والعكس صحيح؛ لأن التاريخ في الجزء الأكبر منه تصنعه الرحلة وتكتبه بقلمها السيلال، وتصف أحداثه ومشاهده بأدواتها، وتبدي محاسن البلاد والعباد ومساوئهما، وإذا كان علم التاريخ يعكس وجه العمران الجمعي فإن الرحلة هي التي تجلو هذه المرآة وتكسو وجه التاريخ وصفا وتشخيصا دقيقين.

واخترنا لهذه المقالة البحثية حول الحوز وهوامشه رحلتين اثنتين؛ واحدة بعيون مغربية "رحلة الوافد لحظات من تاريخ أدرارن . درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري / 18 الميلادي" لعبد الله بن إبراهيم التاساوتي. وأخرى بعيون أجنبية، عنوانها "رحلة إلى المغرب 1910 . 1911 خلال مسالك: الشاوية وسوس والحوز وفاس" لرينولد لادريت دو لا شاربير.

ومن الأسباب الموضوعية الدافعة لاختيار هذين العمليين:

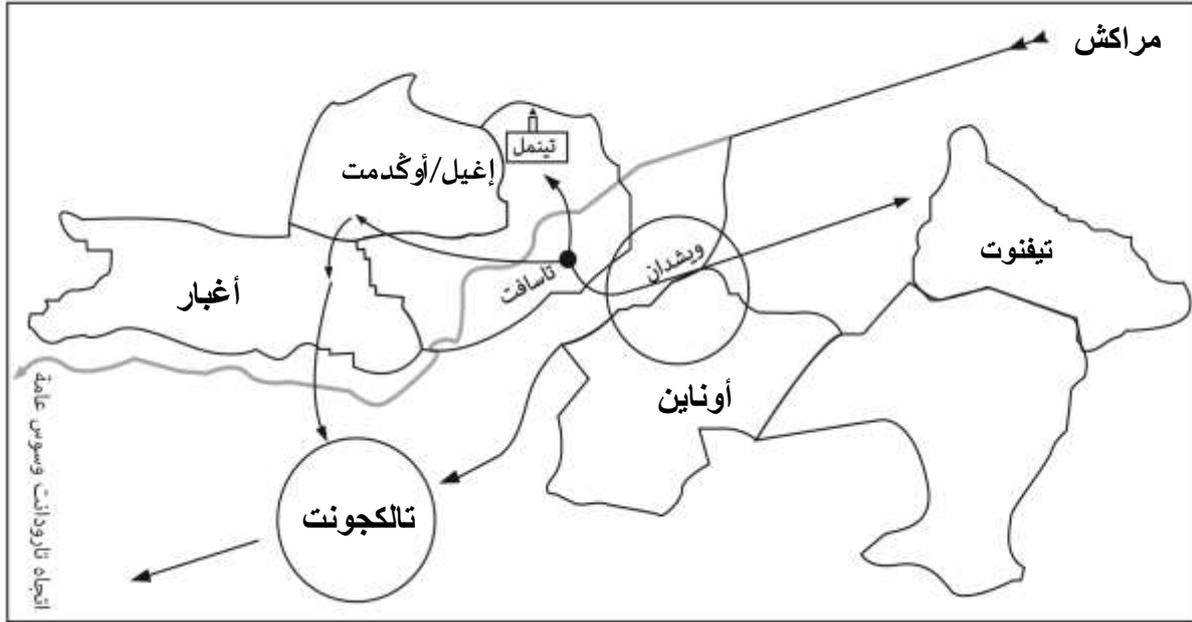
. الاشتراك في موضوع الدراسة: الرحلة الأولى، وجزء من الرحلة الثانية وهو الحوز وهوامشه؛

. تقاربهما الزمني: القرن 18 / 20؛

. الاعتناء الأكاديمي الجامعي بهما من شخصيتين علميتين بارزتين؛ الدكتور: علي صدقي أزايكو والدكتور: محمد ناجي بن عمر، وكلاهما له اهتمام بالتاريخ المغربي والثقافة المغربية الرسمية والهامشية؛

. التكامل بين الرحلتين من حيث طهونومية مراكش وأحوازه كما يتبين ذلك من الخريطة التالية<sup>(1)</sup>:

<sup>1</sup>- من موقع الخرائط (غوغل) مع تصرف كبير، وإدخال تعديلات كثيرة بغية التقريب لمكان التقاء "رحلة الوافد" وجزء من "رحلة إلى المغرب".



### مفتاح الرسم

●	منطلق رحلة الوافد/موطن المؤلف
◄◄	منطلق كتاب رحلة إلى المغرب
—	طريق تيزي نتاست
○	بعض الأماكن التي تتلاقى فيها الرحلتان
—	حدود القبائل/الجماعات

## 1. نظرة أولية على الرحلتين

الرحلة الأولى عبارة عن رحلة قام بها المؤلف في جبال واد نفيس أو كما سماها لحظات من تاريخ أدرار ن درن أطلس سوس ومراكش، يقول المؤلف بشأنها: "...وبعد فهذه ورقات مشتملة على نبذة قليلة مما تمس إليه الحاجة" (2)، ونجد فيها حديثا عن المهدي بن تومرت ومعمل دعوته تينمل كأنك ترحل في جبال واد نفيس مع مؤلفه.

أما الرحلة الثانية فهي في الواقع تتكون حسب مؤلفتها من رحلتين اثنتين، تقول المؤلفة: "عبرنا المغرب مرتين سنة 1910 . 1911، فكانت الرحلة الأولى استكشافا للمناطق الموجودة شمال الأطلس، بدءا من الشاوية " المحتملة" في اتجاه مراكش، إلى حدود مشارف الأطلس الكبير... قادتنا رحلتنا الثانية بحماس إلى

<sup>2</sup>- عبد الله بن إبراهيم التاسافتي (رحلة الوافد لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري / 18 الميلادي)، تحقيق: علي صدقي أزيكو، 1993، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 1، ص 43.

المناطق البكر انطلاقا من سوس، وانتهاء بفاس"(3). علاوة على اشتغالها على أربعة فصول في القسم الأول، وستة فصول في القسم الثاني.

## 1.1 الدافع إلى كتابة الرحلتين

إن كل عمل إلا وتحته أسباب تقف وراء ظهوره، وتختلف هذه الأسباب باختلاف الخلفيات والمنطلقات وكذا الأهداف والغايات، والعمليين أعلاه تتباين المحركات التي حركت كلا من الرحلتين؛ إذ كان صاحب "رحلة الوافد" رحالة بدون سابق علم بأدوات الرحلة، ولا له هدف معين لرحلته سوى أنه أعجله السفر، فكما يقول: "...وبعد فهذه ورقات مشتملة على نبذة قليلة مما تمس إليه الحاجة من أخبار ما جرى على والدنا رحمه الله تعالى من أول مبدأ سبب هجرته والخروج عن وطنه إلى وفاته بها"(4). ولم يكن مستعدا استعدادا وافيا، وليس هناك ارتسام لخريطة طريقة الرحلة بالمعنى العلمي للكلمة كما يقول Klozih Rinih رينيه كلوزيه: "لم تعد الجغرافيا عبارة عن تصنيف وحذقة علمية في خدمة التاريخ، مثلما لم تعد مجموعة من معارف عملية وتعدادا مرتبا نوعا ما لأسماء جبال وأنهار أو مدن حسب أسلوب عفا عنه الزمن، هذا كما لم تعد خليطا من أسماء وأرقام شأن التاريخ الذي هو عبارة عن تجميع لتواريخ. فبعد أن اشتد عودها بالتماس مع العلوم الطبيعية، وانتعشت بقصص المستكشفين، وتشجعت بتقدم علم الجيولوجيا، بدأت تحتل مكانها بين البحوث العلمية، ولم تعد تقنع بالوصف والجرد فحسب، بل أصبحت ترمي إلى المحاكمة وإلى التفسير"<sup>5</sup>. فالرحلة خصوصا في بلد أو إلى بلد أفريقي تحتاج ترتيبا خاصا يليق بالموضوع المقصود، يقول kamm josephin جوزفين كام: "أنا مقتنع بأن السفر إلى إفريقيا ينبغي أن يلقى عناية خاصة، ليس في محاولة تحقيق السرعة، ولكن ينبغي التقدم ببطء، كما ينبغي أن نتحسس طريقنا، ونؤمن أنفسنا ضد أي مفاجأة surprise، فعلينا أن نقلل ونحدد مناطق استكشافنا كي نسجل المسائل بصدق كلما أمكن ذلك، ويمكن أن ننجز السفر في إفريقيا بنجاح لو تم خطوة خطوة، فهنا بعض الشيء، وهناك البعض الآخر..."<sup>(6)</sup>. فهذه التدقيقات والتحريات يحتاجها الرحالة قبل مباشرة عمله.

أما الرحلة الثانية فقد أبانت مؤلفتها عن سبب رحلتها، وعن ترتيباتها السابقة واللاحقة لها، فقد صرحت بكونها مبعوثة هي وزوجها تقول: "ها نحن من جديد مقبلون على الحياة الجميلة، ومدعوون للتخليق في سماء البلاد، فقد قررت اللجنة المغربية أن تجدد من جديد بعثة زوجي... مدعوما هذه المرة من وزارة التعليم العربي " قسم الجغرافيا"<sup>7</sup>.

من خلال هاتين الفقرتين نتبين الفروق الجوهرية التي تكمن بين العمليين "رحلة إلى المغرب" و"رحلة الوافد"، فرغم الإطالة على تكوين صاحب رحلة الوافد الذي غالبا ما يكون تكوينا عتيقا؛ أي يتم في مدارس التعليم العتيق خصوصا التي ذاع صيتها آنذاك مثل ابن يوسف بمراكش والمدرسة الناصرية بتمكروت وغيرهما حسب نظرتنا في استشهادات صاحب الرحلة على نص الرحلة بالقرآن والسنة والشعر العربي، واستنتاجات محقق الرحلة، إلا أنه يُبَيَّنُّ تكوين صاحبة "رحلة إلى المغرب" فهي تقول بالحرف: "فقد

<sup>3</sup>رينولد لادريت دو لا شاربير (رحلة إلى المغرب 1910 - 1911)، ترجمة محمد ناجي بن عمر، 2016، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر - أكادير، ص 16.

<sup>4</sup>رحلة الوافد، ص 43.

<sup>5</sup>رينيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافي، تعريب عبد الرحمن حميدة، 1982، ط1، دار الفكر، دمشق - سوريا، ص 115.

<sup>6</sup>جوزفين كام، المستكشفون في أفريقيا، ترجمة يوسف نصر، 1983، دار المعارف - القاهرة، ص 176.

<sup>7</sup>رحلة إلى المغرب، ص 100.

قررت اللجنة المغربية أن تجدد من جديد بعثة زوجي...، مدعوما هذه المرة من وزارة التعليم العربي (قسم الجغرافيا)<sup>8</sup>. فهذه الجمل تحدد مدى علمية رحلة إلى المغرب نوعا ما، بالإضافة إلى عمل تقاسم المهام بين الأفراد، ومعرفة الخريطة التي ستتبعها الرحلة، يقول زوج المؤلف: "قسمنا المهام بداية، فبينما كنت أدرس المسار الذي ستتبعه الرحلة وجمع كل المعلومات كانت زوجتي تتولى تدوين كل ما تراه"<sup>9</sup>. وعلى هذا المسار تخطو الرحلة في إيرادها للمعلومات الرحلية مسارات متعددة، وتتوجه بتوجيهات المنطلقات المتحكمة في أدواتها.

## 2.1 مكانة الرحلتين في تاريخ الحوز

كانت مراكش وهوامشها ولا تزال مثار إعجابٍ لكثير من الزائرين، ومحط اهتمام وتَهَمُّمٍ لكثير من الباحثين سواء في المجال الأدبي أو البيئي أو السياحي بفروعها كلها، كما ذكر غير واحد من الباحثين أمثال صاحب كتاب "الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ"، وتنوعت المقاربات بتنوع المقاصد والغايات، فكان للتاريخ والرحلة نسبة كبيرة في الأطاريح والبحوث العلمية حول مراكش والحوز، انبرى كل قلم لمجاله، وعم مداده كل ورقات موضوعه فكانت هاتان الرحلتان جزءا من هذا الزخم الهائل حول مراكش والحوز وهوامشهما، وواسطة عقد تربط بين الشمال / مراكش والجنوب / سوس، فإذا كانت الكتب التاريخية تعنى بالعلاقة بين السلاطين وبين شعوب المنطقة من خلال التركيز على المركز، منشأ السلطة وموقع القرار، حيث يكثر المؤرخون والإخباريون من ذكر الدول المتعاقبة على المغرب، وذكر البطولات التي قاموا بها هناك مع إخلاء الفضاء التاريخي من الفاعلين فيه والمكونين لهوية المغرب قديما وحديثا، ونادرا ما تعنى بمتلقي القرارات والأوامر المخزنية، يقول علي أزيكو: "تعتبر الرحلة ( يعني رحلة الوافد) مصدرا متميزا؛ لأنها تختلف إلى حد كبير عن أدب التاريخ التقليدي في المغرب، فتتميز عنه بصفة خاصة على مستوى الموضوع والمضمون وموقع مؤلفها تجاه الأحداث التي يرويها، وتجاه صانعيها"<sup>10</sup> وهذا ما يجعل الرحلتين خصوصا رحلة الوافد التي عنيت بهذه النقطة من جبال درن الرابطة بين مراكش وتارودانت عبر فج تيزي نتاست تعتبر علقاً<sup>11</sup> (11) نفيسا توازي ما قام به العلامة المختار السوسي في معسوله وغيره من كتبه التي أعلى بها هيبة منطقة السوس، وأحيا ذكر العلم والعلماء، وجعل السوس تنازع فاسا لقب العلم، فصارت عندنا بإزاء العاصمة العلمية فاس سوس العالمية، والتاساوتي رحمه الله قام بعمل جبار يحسب له في كثير من المجالات لإقليم الحوز، ونص الرحلة يحتاج نهضة علمية وبحثية وقراءات مختلفة تنجي عنه سربال الإجمال وتفصل عليه زي التفصيل. أما الرحلة الثانية فلخصت المؤلفة مكانتها في التأريخ للحوز بقولها: "ونحس أن مغربنا القديم/العجوز المنغلق بدأ يتوارى أمام حماية المحضّر الفرنسي"<sup>12</sup> مغرب منسي يحتاج إلى تحديث وتشبيب وانفتاح.

<sup>8</sup>- نفسه، ص 100.

<sup>9</sup>- نفسه، ص 16.

<sup>10</sup>- علي أزيكو، (تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة)، 2002، ط1، مركز طارق بن زياد الرباط، ص 255.

<sup>11</sup>- قال في القاموس: "والعلق بالكسر: النفيس من كل شيء، جمع: أعلق وعلق، والجراب، ويفتح فيهما" أي العلق "القاموس المحيط، مادة العلق.

<sup>12</sup>- رحلة إلى المغرب، ص: 268.

## 2 مكانة الرحلتين في التوثيق للحوز وهوامشه

نستهل هذه النقطة باقتباسين عميقين من الرحلتين، الأول: "وعلى هذا ترادفت الرسل إلينا من عند الأمير المؤيد بالله ﴿ ليقضي الله أمرا كان مفعولا ﴾<sup>(13)</sup>، ويظهر في الغيب ما كان مجهولا، حسدا منه ومكرا، حين قص الدهر أجنحة عزمنا وقصرت عن القدوم لبساط الملك أقدامنا، ولذلك اشتعل نار أفواه غوغاء العدو، حتى ساق من بهذه النواحي للردى، ونعوذ بالله من دعوة السلطان التي تدع الديار بلاقع"<sup>(14)</sup> الثاني: "ونحس أن مغربنا القديم/العجوز المنغلق بدأ يتوارى أمام حماية المحضّر الفرنسي"<sup>(15)</sup>.

كانت مراكش والحوز وهوامشهما مسارا محبذا للرحالة خصوصا في عهد الحماية وما بعد الاستقلال، وإلى يومنا هذا، وتشكل الأماكن التي تؤثث فضاء إقليم الحوز وجهة للنزهة وقضاء أوقات ممتعة بين جبالها الشاهقة، وأوديتها المتزينة بأنواع الشجر المختلف الثمار، وتعد كذلك مكانا آمنا من حيث الموقع الجغرافي، ولذلك اختارها الموحدون مركزا لدولتهم كما عبر غير واحد من المؤرخين والإخباريين، وكل ما كتب حول هذه المنطقة لن يعوض هاذين الأثرين على بساطة أسلوبهما، لغناهما بمعلومات يندر وجودها في غيرهما، كما عبر محققا الرحلتين عن ذلك، يقول علي أزيكو: "حاولنا أن نعطي نظرة جد موجزة عن أهمية الرحلة ومضمونها، وهذا لا يغني بحال من الأحوال عن القراءة المتأنية للنص الأصلي، إذا كان المرء يريد أن يلمس من خلال نص بسيط وكثيف واقعا متحركا مليئا بالحياة، وجوانب جذابة، يندر العثور عليها في أماكن أخرى"<sup>16</sup>. ويقول محمد ناجي بن عمر: "...كما أن المؤرخ سيجد في هذا المتن الرحلي وصفا عاما لأجواء مغرب ما قبل الحماية، وبعض الترجمات لشخصيات أغفلتها كتب تاريخية متخصصة، كما سيجد فيها المهتم شهادات مادية، ومعلومات عن الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها"<sup>17</sup>.

يهمنا من تصدير هذه النقطة بالاقتباسين المذكورين التدليل على أثر العمل الرحلي في التوثيق لمنطقة مراكش وأحوازها؛ إذ يصور النص الأول مغرب ما قبل الحماية، والتباعد الكائن بين المركز (مكناس) والهامش (أحواز مراكش) يقول الناصري: "... وكان أخوه المولى إسماعيل بمكناسة الزيتون خليفة على بلاد الغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه ثم قدم عليه أعيان فاس وأعلامها وأشرفها ببيعتهم، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادي كذلك بهداياهم وبيعاتهم إلا مراكش وأعمالها فإنه لم يأت منها أحد"<sup>(18)</sup>. وهو قول مؤلف الرحلة نفسه: "لأن أهل جبل درن لم تجر عليهم أحكام الأمراء والسلطين كلهم من مدة الإمام المهدي فيما أخذناه عن الثقات"<sup>19</sup>، ثم ما كانت عليه المناطق البعيدة من المركز من اطمئنان نسبي في مجالات عدة، التي تصورها عبارة الرحالة بقوله: "حتى ساق من بهذه النواحي للردى"<sup>(20)</sup>. فالمنطقة بمعزل عن الصراعات التي تتخبط فيها المدن، وتنبئ كذلك عن الاستقلالية فيما يتعلق بلوازم الحياة خصوصا الزراعة والرعي وغيرهما من المقومات التي تجعل السكان

13-سورة الأنفال، الآية 45.

14-رحلة الوافد، ص 46.

15-رحلة إلى المغرب، ص 268.

16-رحلة الوافد، ص 15.

17-رحلة إلى المغرب، ص 9.

18-أحمد بن ناصر، (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى)، 2010، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج/3، ص 32.

19-رحلة الوافد، ص 59.

20-نفسه، ص 46.

يعيشون حياة آمنة، مما جعل السياسة المخزنية تتغير ضدّهم بفعل الوشاة الذين ينقلون الأخبار، ويكيّدون لهم المكاييد للإيقاع بهم وجرهم إلى مناخزة السلطة التي لا يقدرون على مجاراتها حسب قول المؤلّف "وقصرت عن القدوم لبساط الملك أقدامنا، ولذلك اشتعل نار أفواه غوغاء العدو"<sup>(21)</sup>.

أما الاقتباس الثاني من "رحلة إلى المغرب" فيزيكي أن المنطقة كانت بمنأى عن الظهور والشهرة، بل صيرتها صاحبة الرحلة مغربا قديما عجوزا منغلقا بقولها: "ونحس أن مغربنا القديم/العجوز المنغلق بدأ يتوارى أمام حماية المحصّر الفرنسي"<sup>(22)</sup>. وهذا الحكم ختمت به الرحالة رحلتها حول جميع المناطق التي زارتها.

وبالعودة إلى النقطة المركزية لهذا البحث في مكانة الرحلتين في التوثيق نجد أنهما تتباينان في الشرح والوصف، وذلك راجع إلى السبب الذي استصدرنا به في التأليف، ويظهر ذلك جليا من خلال تصوير المشاهد، حيث نجد في رحلة الوافد عدم الاكتراث بالتفاصيل الجزئية التي تؤسس للهوية الشخصية والجمعية الفاعلة في تأنيث فضاء النص الرحلي، ولما كان المحرك للرحلة هو الخوف، لا غرو أن نجد الرحالة ينصرف إلى تدوين ما له علاقة بشيخ الزاوية (أبيه) والاعتناء بالأخبار التي ترد من كل حذب وصبوب اتقاء شر الوقوع بين يدي السلطة المخزنية، ومحاولة إيجاد مخرج لكل عقبة تعترض سيرهم، لذلك انساب الحكيم انسياب الرحالة بين الجبال والوديان والقبائل التي تحتضنه كلما مر بها نتيجة العلاقة الروحية التي تربط الناس بشيوخ الزوايا والعلم، وهي علاقة يطبعها الود والاحترام والتقدير التي تعتبر من مخلفات الفكر الصوفي حيث "ارتبط تصوف النصف الأول من القرن العاشر للهجرة بالأوضاع السياسية والاقتصادية التي عاشتها البلاد المراكشية؛ فقد دفع غياب الأمن بالسكان إلى الالتفاف حول رجال اعتقدوا فيهم الصلاح، بدافع البحث عن الحماية، كما تسبب انهيار الاقتصاد وعدم قدرة فئات عريضة من المجتمع على توفير قوتها، في انتشار ظاهرة إطعام الطعام"<sup>(23)</sup>. فالخوف أثر سلبا على أحداث النص، ما قرّبه أكثر من التأريخ لأحداث وقعت في منطقة الحوز وهوامشه إلى مشارف داخلية في نفوذ مدينة تارودانت، ويرجح كون الرحلة مكونا أساسيا من مكونات التاريخ والعكس صحيح.

ولما كان دافع مؤلفة "رحلة إلى المغرب" اكتشاف المجهول وسبر أغوار مغرب ما قبل الحماية الملية بالتحديات، وكون طريق الرحلة مؤمنة ومحاطة بهالة من الوسائل التي جعلت الرحالة تقف بثبات في تسجيل وتقييد أي جزئية تتراءى لها وفقا لما حُطّط له من قبّل فريق الرحلة، يقول زوج الرحالة: "قسمنا المهام بداية، فبينما كنت أدرس المسار الذي ستتبعه الرحلة وجمع كل المعلومات كانت زوجتي تتولى تدوين كل ما تراه"<sup>(24)</sup>. فكل "المعلومات" وكل "ما يرى" علامة فارقة في توصيف وتشخيص الحالة التي كان عليها المجتمع في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها، بل حتى في تصوير الحياة البرية للحيوانات التي تظهر من حين لآخر في أحداث الرحلة، وبذلك يمكننا بيان بعض المجالات التي كان

<sup>21</sup>-نفسه، ص 46.

<sup>22</sup>-رحلة إلى المغرب، ص 268.

<sup>23</sup>-عبد الخالق كلاب، (مراكش وأحوازها من القرن 7 هـ / 13 م إلى القرن 10 هـ / 16 م التاريخ المنسي)، تقديم زولبخة بنرمضان، 2017، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش، ص 294.

<sup>24</sup>-رحلة إلى المغرب، ص 16.

للرحلتين دور بارز وفعال في إبرازها للوجود وإبقائها حية في نصوص المؤرخين والرحالة، ولئن حييت مراكش بتاريخها وجغرافيتها فإن أحوازها لا تزال تعيش نسياناً وتهميشاً.

## 1.2 المجال الديني

كان للعامل الديني أهمية كبرى وشهود قوي في الرحلتين خصوصاً رحلة الوافد التي تنبض بمصطلحات دينية، وأثت تراجعها أعلام بارزون في المجال الديني الذي يعد المهدي بن تومرت الرجل الأول والملهم الروحي لكثير من علماء المنطقة، ومنهم أبو المؤلف " إبراهيم التاساوتي " شيخ زاويتها في جبل درن التي تسامت من جهة القبلة قليلاً مسجداً تينمل، وكانت المنطقة مذ وفاة المهدي تهتم بالعلوم الشرعية اعتناء كبيراً، وفي مقدمتها حفظ القرآن الكريم، يقول المؤرخ أحمد التوفيق: " كرس البرابر أعمارهم لحفظ القرآن وإتقان قراءته كجزء أصيل من ثقافتهم، وشطر من زمنهم، ومقوم من انتسابهم للإسلام وللكون من خلاله، للكلمات القرآن جرس خاص قد تلتقي بمعاني ألفاظ لغتهم... لك أن تتصور في مسجد واحد عدداً من أولاد القرية من الصبيان والشبان والكهول وقد طراً عليهم طلبة من الشبان ومن متوسطي الأعمار، قادمين من مختلف القبائل، وبعضهم خلف وراءه زوجة وأولاداً، والكل تحت سطوة معلم مقصود مشهور بمعرفة القراءات، ومشيخته في كل ما يرتبط بالقرآن من الإمداد المعتبر في هذا الانتساب"<sup>25</sup>. وقد كانت المنطقة تعيش على نفس المنوال من الاعتناء بالعلوم الشرعية خصوصاً تحفيظ القرآن الكريم، وقليل من يتجاوزه إلى غيره من العلوم خصوصاً بعد فترة الموحدين، وهي من الأسباب التي أسهمت في تهميش المنطقة خصوصاً من الناحية الثقافية. ودونت الرحلة كثيراً من أسماء رجالات الدين بالمنطقة، وكذا دور العبادة كالمدراس العلمية مثل ابن يوسف وتمكروت وكذلك الزوايا ومنها زاوية تاسافت التي لا تزال تحتفل بموسمها المعروف "بموسم تاسافت" قرب سوق أربعاء ثلاث نيعقوب.

واقفت رحلة إلى المغرب أثر رحلة الوافد، إذ لم تخف المؤلفة اهتمامها برسم صورة لما تراه من الحياة الدينية والطقوس التعبدية بالمنطقة، بل سجلت كثيراً من الملاحظات التي تهتم هذا الجانب حتى مع المرافقين الذين يرافقونها في ترحالها، وهذا بعض منها: "بينما شرع مرافقونا في أداء صلاتهم، كنا نتناول وجبة الغداء بعيداً عنهم"<sup>26</sup>. ومنها اهتمامها بالأماكن والمواسم مثل "زاوية مولاي إبراهيم" و"زاوية بحلول" وعيد المولد النبوي الشريف"، بل لم تخف سخريتها من بعض المواقف التي قلنا إنها كانت سبباً في تهميش المنطقة<sup>27</sup> حين وصفت بعض رجال الدين "الفقيه/الطالب"<sup>28</sup> الذين تناط بهم مهمات كثيرة منها الفصل في النزاعات، وقسمة التركات، ومعرفة الأوقات، وكتابة الرسائل وقراءتها للناس، تقول الرحالة: "وتكلف الطالب بأن يقرأ الرسالة بتفنن، ولم يستطع مضيفنا أن يكبح ضحكه"<sup>29</sup>. وغالبا ما يكون الفقهاء/الطلبة بمثابة من يتولون الديوان المخزني لدى القياد وشيوخ القبائل.

25- أحمد التوفيق، والد وما ولد طفولة في سفح الظل، 2011، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ص 129 - 130.

26- رحلة إلى المغرب، ص 57.

27- هذا الوصف ليس على إطلاقه كما قد يفهم، وإنما الغرض أن الناس في لاحق الأزمان تكثف بحفظ القرآن الكريم، ولا تتعداه إلى غيره من العلوم التي تساعد على فهمه، وتكوين شخصية قادرة على التأريخ للأحداث والانتصار للذات ضد الجهل والحرمان.

28- كان لهذا المصطلح وزن ثقيل، ولأصحابه مكانة اجتماعية هامة، قبل أن تزاحمه الألقاب الأخرى ليصير مثار سخرية واستهزاء، كما نلاحظ من هذا الموقف الذي حكته المؤلفة.

29- رحلة إلى المغرب، ص 65.

## 2.2 المجال البيئي/الجغرافي

رسمت الرحلتان بتصويرهما خريطة دقيقة من مراكش حتى عاصمة سوس تارودانت، واعتنتنا بذكر كثير من المؤهلات البيئية للمنطقة، فمن حيث البدء المكاني كما رأينا في الخريطة قبل، رسمت "رحلة إلى المغرب" طريقها نحو تارودانت بعناية تامة للأماكن التي مرت منها، بحيث بدأت بمراكش بقولها: "وكنا مضطرين لنطلب منهم أن ينقصوا من روعهم، فمراكش في عيونهم الجنة"<sup>30</sup>، فالمجال البيئي لمراكش شكلته أشجار النخيل "المدينة لا تكاد تُرى لكثافة أشجار النخيل الملقمة"<sup>31</sup>. التي صارت مراكش تحمل اسمها (مدينة النخيل)، الحمراء بألوانها ولهيب حرها، المنيعة بأسوارها، والمحصنة بمدارسها وعلمائها، والفاطنة بساحتها الجذابة التي تعرض بهلوانيتها وثقافتها المتنوعة، وتأسر لب الزائرين لها "يا له من إحساس جميل عندما رأيت حلمي يتحقق، نبضات قلبي متسارعة، وتقاسيم وجهي تنقبض لأكف الدموع التي تترقق في عيني فرحا"<sup>32</sup>.

كانت الرحالة ذكية وعالمة بالعوامل الجغرافية التي تؤثر سلبا أو إيجابا على البيئة، والتفريق بين تقاليد الشعوب، مثل قولها: "لأننا الآن في بلاد الشلوح، وتمتد أمامنا منطقة جرداء كثيرة الحصى انغرست أرجل بغلتي في التراب، واضطرت للمرور من فوق، وكان هذا مؤشرا جيدا على دخولنا أرضا جديدة"<sup>33</sup>. واستمرت الرحالة تصف الغطاء النباتي لكل مكان تحل به، وكذلك جاء وصف الجو وما يتميز به كل قطر عن غيره، وتتميز الرحلة بكونها تأخذ صورا بانورامية لكل منطقة على حدة وتكون قبل الدخول أو بعد الخروج منها كأنما تصورها من عل.

وجاءت رحلة الوافد راسمة المسار ذاته، وأتمت الطريق من حيث انعرجت "رحلة إلى المغرب" من جبل درن وويشدان، غير أن صاحب "رحلة الوافد" توسعت رحلته لتشمل كثيرا من المناطق التي لم تمر منها الرحلة لما يقتضيه مقام الاستشهاد عند المؤلف حين يعرّف له أمر بعيد عن مكان ترحاله، وتبقى شاهدة صادقة عن الأماكن المذكورة فيها خصوصا الجبال مثل أوكدمت وأغبار وأونان وغيرها، إذ لا تجد في الكتب التاريخية ذكرا لهذه المناطق ولا لكثير من رجالات العلم والصلاح، وكذا بعض ما يتعلق بها بهذه الصورة، وقد أبلى المحقق بلاء حسنا في تحقيقه وإخراجه للوجود(34)، وقد حظيت البيئة الجغرافية للمنطقة بسرد أهم الملامح على الأقل التي ستشكل نقطة الانطلاق لمن يروم إتمام مشروع التاساوتي، وكان عند المنطقة إلى عهد قريب اكتفاء ذاتي في كثير من مجالات الحياة بالاعتماد على العامل البيئي وما توفره المنطقة من

<sup>30</sup>-نفسه، ص 49.

<sup>31</sup>-رحلة إلى المغرب، ص 49.

<sup>32</sup>-نفسه، ص 50.

<sup>33</sup>-نفسه، ص 64.

<sup>34</sup>-ونتمنى إسدال الستار عن المخطوطة التي أشار إليها التاساوتي في نهاية الرحلة بقوله: "أردت بحول الله أن أذبله بخاتمة أسرد فيها ما أمكن من الفوائد العجيبة ونكت جلييلة غريبة" علق عليه المحقق قائلا: " هنا تنتهي الرحلة ويبدأ ذيل تناول فيه المؤلف مواضيع أخرى ارتأينا عدم إدماجها في الكتاب، وسيكون موضوع دراسة أخرى مستقبلا" رحلة الوافد، ص 244. ولا ندري ما إن كان المحقق قد قام بهذا فعلا، وهناك رحلات قامت بها فرق خصوصا من فرنسا في هذه الجبال كل جمعة من الأسبوع ويربطون منطقة تينمل بأكدمت مروراً بأغبار ونزولا بتيزي نناست، ولم تعد هذه الرحلات اليوم منذ 2008 إلى الآن.

إمكانات كثيرة منها وفرة المياه، وتنوع الزراعات، ووجود أماكن للرعي الجبلي، وتوفير الغطاء الغابوي بشكل كبير خصوصا شجر البلوط الذي لا يزال شاهدا إلى يومنا هذا.

### 3.2 المجال الاجتماعي:

تميزت الرحلتان بغزارة المادة في المجال الاجتماعي الذي يكون ترجمة عن الهوية الشخصية والمجتمعية لسكان المنطقة، وكانت رحلة الوافد منصرفة أكثر إلى الأحداث السياسية التي أثرت فيها، وإلى الأشخاص الفاعلين في هذه الأحداث وبخاصة رجال الدين بحيث ترجمتهم ترجمة موجزة تكتفي بذكر الأسماء والألقاب، وكذا العلوم المنتشرة في المنطقة التي يتدارسها الناس آنذاك، أما المكان . مسرح الأحداث . فيوازي ذكر الأشخاص فيها، وقد كان للعامل الديني والسياسي أثرهما الفعال؛ إذ يتجسد الأول في شيخ الزاوية وابنه ومعارفهما، والثاني في مطاردة الأحداث ومحاصرتها دون السماح لها بالسيلان والانسياب، ما حجر على المؤلف عدم الاهتمام أكثر بتقاليد المنطقة وعاداتها الاجتماعية، اللهم ما يزيك البعد السلوكي للمجتمع المحافظ والذي يعد صاحب الرحلة جزءا منه، وكأن المسألة كلها جد لا هزل فيها ولا مرح ولا تسلية نظرا للخطر المحذوق بهم، وتعد الرسائل والوثائق المذكورة في الرحلة أثرا هاما لدارسي تاريخ مراكش والحوز عامة في القديم والحديث.

أما الرحلة الثانية فقد غطت الأحداث ذات البعد الاجتماعي نسبة مهمة منها، وذلك راجع إلى ما ذكرناه سابقا عن صاحبها؛ إذ احتفلت بكل ما عن لها عن هذا الإنسان في خلقته ولباسه وعاداته وأكله وشربه حتى وصفت كثيرا من الناس بدقة متناهية كالغلاوي والگندافي والعديد من عامة الشعب، ما أعطاها تصنيفات كثيرة تمثلت في الفرق بين لباس أهل الجبل وأهل الحضر، والحرائر والإماء، والأسياذ والعبيد، وملاحظتها للمستوى التعليمي للأشخاص، وكذا الجانب الطبي لديهم، ومستوى الوعي بأهمية العمل الطبي.

### خاتمة

نخلص في خاتمة هذه الأسطر إلى أن الأثرين اللذين حاولنا تقريبيهما بمقارنة بعض مضامينهما يشكلان قاعدة متجذرة في تاريخنا العميق، وتكمل إحداها الأخرى، وهذا شأن العلوم والمعرفة عامة، فإذا كانت "رحلة الوافد" قد كتبها مؤلفها في لحظات حرجة؛ لحظات متسمة بقلق الذات الساردة والفاعلة في مشهد الرحلة، "فالرحلة إلى المغرب" عكسها؛ إذ خلا لها الجو من كل ما شأنه أن يعكر صفوها ويكدر مزاجها، لتلتئما معا في صناعة صورة مشرقة وناصعة في معرض المكتبة الرحلية والتاريخية بالمغرب عامة، ومراكش وأحوازها بصفة خاصة.

وقد حاولت الورقة إبراز بعض المعالم التي تلتقي فيها الرحلتان، سواء من حيث دياكرونيتهما أم من حيث ساكرونيتهما، ما مكن من ربط علاقة تبدو علاقة تقارب وتجاور خدمة لتاريخ المنطقة، وإرساء لأسس وقواعد البحث، تاريخيا كان أو غيره؛ إذ تعتبر الرحلتان كما رأينا مرجعا خصبا في إعادة تشكيل وصوغ قاعدة المعلومات الغزيرة التي من شأنها أن تستثمر في هذا العمل قصد إبراز ما همشته صروف الزمان المختلفة، وتجاوز النمط التقليدي الذي هيمن طويلا، وهي دعوة جريئة إلى إعادة استكشاف المنطقة ( مراكش وأحوازها) من وجهات نظرية جديدة ومتنوعة.

## قائمة المراجع:

- أزيكو علي، 2002، تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، ط 1، مركز طارق بن زياد الرباط.
- التوفيق أحمد: والد وما ولد طفولة في سفح الظل، 2011، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .المغرب.
- بن إبراهيم التاسافتي عبد الله، 1993، رحلة الوافد لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش وسوس في القرن 12 الهجري / 18 الميلادي)، تحقيق علي صدقي أزيكو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل-القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 1.
- بن ناصر أحمد، 2010 الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- جوزفين كام، 1983، المستكشفون في إفريقيا، ترجمة: يوسف نصر، دار المعارف .القاهرة.
- رينولد لادريت دو لا شاربير، 2016، رحلة إلى المغرب 1910 . 1911، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، ط 1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر.أكادير.
- رينيه كلوزيه، 1982، تطور الفكر الجغرافي، تعريب: عبد الرحمن حميدة، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- كلاب عبد الخالق، 2017، مراكش وأحوازها من ق 7 هـ / 13 م إلى ق 10 هـ / 16 م التاريخ المنسي، تقديم: زوليخة بنمضان، ، ط 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.

## الدينامية الحالية لحوض غدات: مقارنة كرطوغرافية

أمزائل إسماعيل  
د.ة. موفق فتيحة  
كلية الآداب والعلوم الانسانية  
جامعة القاضي عياض-مراكش

### ملخص:

بعد تطبيق نموذج Programme d'Activité Prioritaire/Centre d'Activités Régionales (PAP/CAR) تبين أن حوض غدات يعاني من تدهور أوساطه الطبيعية، إذ نجد غلبة التعرية القوية والقوية جدا بفعل هشاشة التركيبة الصخرية، بالإضافة إلى ضعف التغطية النباتية التي تساهم بشكل كبير في حماية السطح من التعرية، فالسلوك الهيدرولوجي لهذا الحوض يعرض المجال إلى فقدان كميات هائلة من الأتربة التي تعد الركيزة الأساسية للاستقرار البشري، مما يدفع به إلى الضغط المستمر على الموارد الطبيعية لتلبية حاجياته المعيشية.

**الكلمات المفتاحية:** (PAP/CAR)، الحوض ، التعرية ، الموارد الطبيعية

### Abstract

After applying the Priority Action Program/Regional Activity Centre model (PAP and RAC), the analysis shows that, the Ghaddat Basin is affected by deterioration of its natural environment. Erosion is predominant in this environment because of its Rock composition fragility, as well as its vegetative cover shortage, which would lead to protecting the surface from deterioration. The hydrological behavior of this basin contributes to the loss of huge amounts of its soil, which is the backbone of human stability. As a result, people are pushed to put constant pressure on natural resources to meet their living needs.

**Keywords:** (PAP and RAC), Basin, Erosion, natural resources

## مقدمة

تعد دراسة الأحواض النهرية من بين الدراسات الأساسية التي لقيت اهتماما كبيرا من طرف الباحثين، باعتبارها مجالات حيوية تتداخل فيها مجموعة من العناصر التي تحدد سلوكها الهيدرولوجي، الذي ساهم بشكل كبير في تشكيل هذه الأوساط الطبيعية، فحوض غدات هو جزء من هذه الأوساط التي تعرف تغيرات مهمة بفعل التعرية المائية التي خلقت أشكالاً مختلفة نتيجة تداخل مجموعة من المؤثرات التي عملت على خلق مجال هش، وترتكز هذه الدراسة على تحديد أهم العوامل المتحكمة في التعرية المائية، وكذا المناطق التي تعرف تدهورا كبيرا مع المناطق التي تعرف استقرارا مهما.

## 1. الإشكالية

- يشهد حوض غدات تطورات مهمة نتيجة ترابط مجموعة من العناصر التي تساهم بشكل كبير في تدهور المجال، من خلال التدخلات غير عقلانية للإنسان عن طريق الرعي الجائر والاجتثاث مما يجعل المجال عرضة لعنف التساقطات المطرية وفجائيتها التي تعمل على التقطيع والتخديد خاصة فوق الأراضي العارية، ثم ضعف التركيبة الصخرية التي تبقى هي الأخرى ضعيفة أمام الجريان السطحي، بالإضافة إلى ضعف التغطية النباتية التي تلعب دورا مهما في حماية التربة. وانطلاقا من هذا كله يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية:

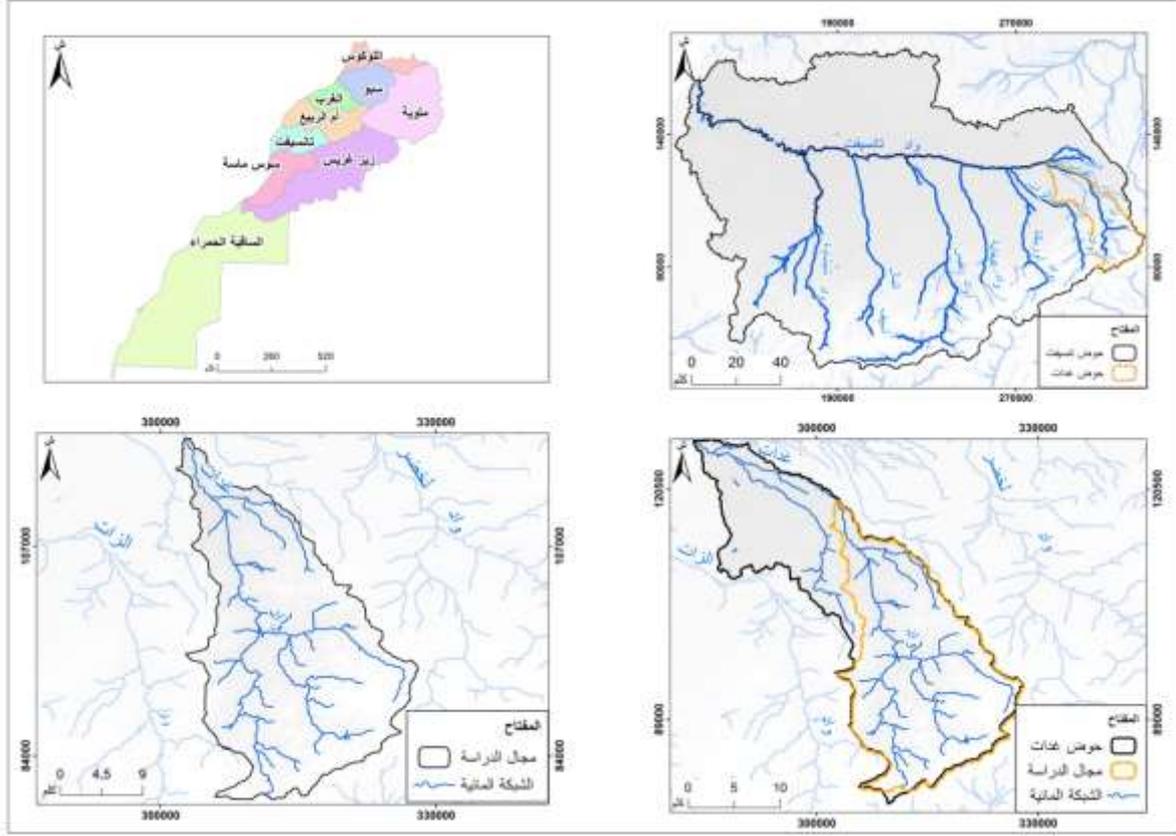
- ما مدى مساهمة العوامل الطبيعية والبشرية في التعرية المائية بحوض غدات؟

- ما مدى نجاعة نموذج PAP / CAR في التقييم النوعي للتعرية المائية بحوض غدات؟

## 2. تقديم مجال الدراسة

يعتبر حوض غدات من بين الأحواض المغربية وهو جزء من حوض تنسيفت، يحده شرقا حوض لاغ وغربا حوض الزات وأما من الناحية الشمالية سهل الحوز وجنوبا حوض إميني، وينتمي بنيويا إلى أطلس مراكش، وأما من الناحية الإدارية فهو ينتمي إلى جهة مراكش آسفي خاصة إقليم الحوز وبالضبط جماعة تزارت- التوامة وزرقطن.

### الخريطة 1: تقديم مجال الدراسة



المصدر: المؤلفون 2021

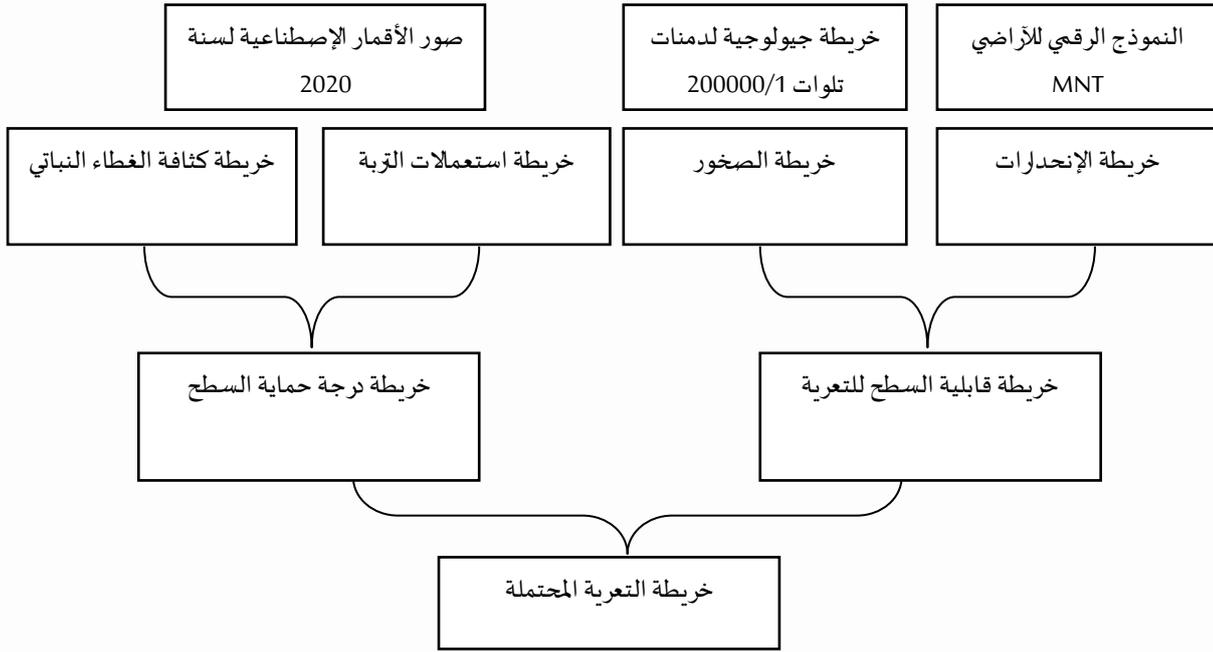
### 3. منهجية البحث

شهدت نظم المعلومات الجغرافية تطوراً مهماً خاصة في الآونة الأخيرة، مما أتاح الفرصة لابتكار مجموعة من المناهج غير المباشرة لدراسة التعرية المائية، ولعل أبرزها نموذج PAP/CAR الذي أستخدم من طرف منظمة التغذية والزراعة FAO، والذي سيتم من خلاله تطبيق مقاربتين:

المقاربة التنبؤية: التي تعتمد على تحديد وتقييم وإدماج العناصر الأساسية والمتكاملة في التعرية كالانحدار والصخرة والتربة والغطاء النباتي، لتحديد فرضيات أولية والمتعلقة بخطر التعرية المحتملة.

المقاربة الوصفية: التي تعتمد على الوصف والتقييم النوعي لأساليب التعرية الحالية وتصنيف المجال المدروس، كما تسمح هذه المقاربة بعد الإدماج بإنجاز خريطة تركيبية لوضعيات التعرية وديناميتها. (جمال شعوان 2015). ولبسط هذا كله تم الاعتماد على منهجية التي أدرجتها في خطاطة رقم (1).

### خطاطة 1: منهجية نموذج PAP / CAR



المصدر: المؤلفون 2021

- نبذة عن نموذج PAP / CAR

ابتدأ العمل بتطبيق هذا النموذج منذ سنة 1994 بالمجالات الساحلية للبحر الأبيض المتوسط، وتكلفت كل من منظمة التغذية والزراعة (FAO) والمركز العربي لدراسة المجالات الجافة (ACSAD) بجزء من هذا المشروع، وبعد تقسيم هذا المشروع إلى قسمين: قسم خرائطي، وقسم خاص بالقياسات الميدانية. إلا أن التوجهات العامة لهذه المقاربة الخرائطية لتقييم التعرية المائية اعتمدت نتائج خرائطية وقياس التعرية في المجالات المتوسطة الساحلية، (جمال شعوان 2015) فرغم أن هذا النموذج أخرج خصيصا للمناطق السهلية والمنبسطة إلا أنه يعطي فكرة أساسية حول التعرية المائية المحتملة في المناطق الجبلية، وذلك من خلال تحديد المناطق التي تعرف حساسية مهمة للتعرية والمناطق التي تعرف استقرارا مهما، لكن هذا النموذج يستدعي استخدام بيانات مضبوطة لتعطي نتائج قريبة للواقع.

- المرثيات الفضائية

تم الاعتماد على المرثيات الفضائية من أجل استخراج مجموعة من المعاملات التي سنعتمد عليها في تطبيق نموذج PAP/CAR (خريطة استعمالات التربة خريطة كثافة الغطاء النباتي)، وتم تنزيل هذه المرثيات من موقع هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية (USGS) كما يوضح الجدول الموالي .

السنة	القمر	المستشعر	النطاقات	الدقة	تاريخ الالتقاط
2020	لانسات 8	القمر الصناعي Landsat 8: مصور الأرض التشغيلي وجهاز الأشعة تحت الحمراء والحرارية (OLI/TIRS)	النطاق 2	30 متر	2020/25/08
			النطاق 4	30 متر	
			النطاق 5	30 متر	
			النطاق 6	30 متر	
			النطاق 10	100 متر	
			النطاق 11	100 متر	

المصدر: جلال أكرض 2020

#### 4. تطبيق المعادلة ومناقشة نتائجها

##### 1.4 المرحلة الأولى: انجاز خريطة الانحدارات

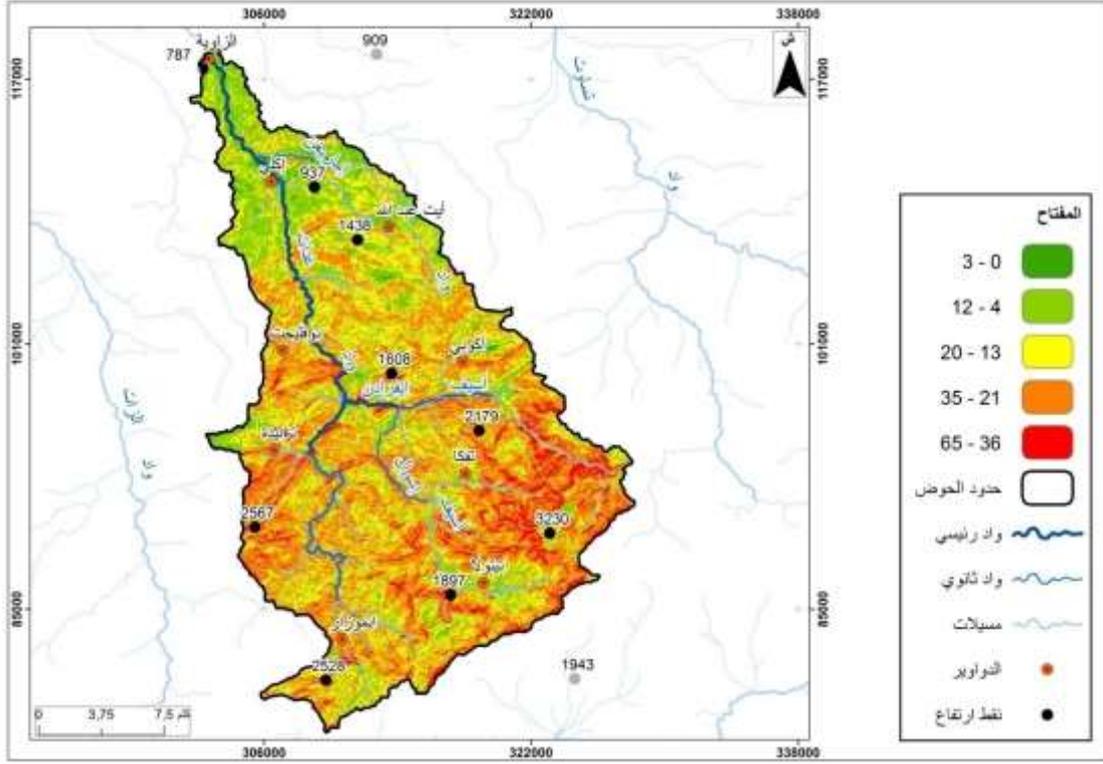
تلعب الانحدارات دورا مهما في دينامية ونشاط التعرية المائية بحيث كلما كان انحدار مهما كلما كانت حركية المواد قوية وسريعة، وذلك من خلال الطاقة المائية التي تعمل على نقل هذه المواد، كما تقوم بعملية التقطيع والتخديد، ولتصنيف هذه الانحدارات تم الاعتماد على نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (1).

الجدول 1: تصنيف الانحدارات حسب نموذج PAP / CAR

الرتبة	الفئة	النوع
1	0 - 3 %	ضعيف جدا
2	3 - 12 %	ضعيف
3	12 - 20 %	متوسط
4	20 - 35 %	قوي
5	> 35 %	قوي جدا

المصدر: Directive PAP/CAR

## الخريطة 2: تصنيف الانحدارات حسب نموذج PAP/CAR



المصدر: المؤلفون بالاعتماد على النموذج الرقمي للأراضي MNT de ASTER (30 M)، 2021

يتبين انطلاقاً من الخريطة رقم (2) أن حوض غدات يعرف تبايناً من حيث توزيع فئات الانحدار إذ نجد الفئة المتراوحة بين 21 – 35 % هي التي تشغل نسبة مهمة بنسبة 44% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في عالية الحوض كما أنها تتوافق مع الارتفاعات المهمة التي تسمح بخلق انحدار مهم، ثم تأتي بعدها الفئة المتراوحة بين 20 – 13 % بنسبة 25% من مساحة الحوض فهي تابعة للفئة الأولى على مستوى الانتشار في الحوض وتتوافق بشكل كبير مع المنخفضات الطي جبلية، وأما الفئة المتراوحة ما بين 4 – 12% لاتشغل سوى 15% من مساحة الحوض وتتوافق هي الأخرى مع المنخفضات خصوصاً بداية السهل، وأما الفئة المتراوحة ما بين 36 – 65 % تشغل 11% من مساحة الحوض وتتوافق بشكل كبير مع المناطق ذات سفوح شديدة الانحدار، بينما الفئة الأقل من 4% تنتشر في سافلة الحوض خصوصاً المنطقة التي يغطيها السهل لا تتجاوز نسبتها 5 % من مساحة الحوض.

### 2.4 المرحلة الثانية: انجاز خريطة تصنيف الصخور من حيث المقاومة

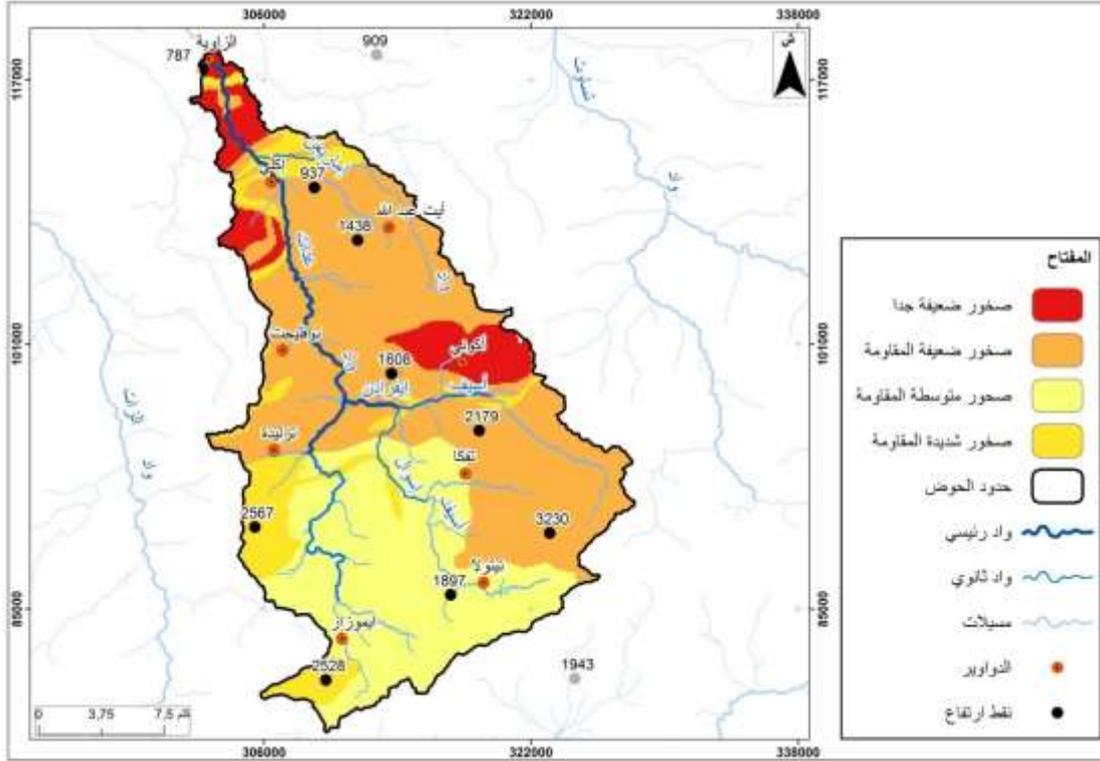
تعتبر الصخرية من بين العوامل الأساسية التي تساعد على نشاط التعرية المائية وذلك من خلال طبيعة التركيبة الصخرية للمجال، ولانجاز خريطة الصخور تم الاعتماد على الخريطة الجيولوجية لدمنات تلوأت ذات المقياس 1/200000 والتي من خلالها تم تصنيف الصخور حسب معايير نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (2).

الجدول 2: تصنيف الصخور حسب نموذج PAP / CAR

النوع	الرمز
صخور صلبة شديدة المقاومة	1
صخور ذات مقاومة متوسطة	2
صخور ضعيفة المقاومة	3
راوسب خشنة وتربات صلصالية	4
رواسب رملية ناعمة وتربات لا مقاومة لها	5

المصدر: Directive PAP/CAR

الخريطة 3: تصنيف الصخور حسب نموذج PAP / CAR



المصدر: المؤلفون بالاعتماد على خريطة جيولوجية لمدنات تلوات 1/20000 .2021

يتضح من خلال الخريطة أن تصنيف الصخور حسب نموذج PAP / CAR يعرف تباينا مهما، إذ نجد صخور ضعيفة المقاومة تستحوذ على 50% من مساحة الحوض وتتوافق بشكل أساسي مع التركيبة الصخرية الهشة من صلصال كلسي وأطيان حمراء بالإضافة إلى الصلصال، وتنتشر بشكل أساسي في الضفة الشرقية للحوض، بينما الصخور المتوسطة تشغل نسبة مهمة تصل إلى 31% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في الجنوب الغربي كما أنها تتوافق تركيبة صخرية متفاوتة المقاومة الشست والشست الحثي، وفي ما يخص الصخور الشديدة المقاومة فهي تنتشر في الحوض على شكل أقواس خصوصا في سافلة ووسط الحوض إذ تتوافق بشكل أساسي مع تركيبة صخرية صلبة من البازلت الدولوريتك والريوليت مما يجعل هذه المنطقة مقاومة لأشكال التعرية، وأخيرا الصخور الضعيفة المقاومة والتي تشغل نسبة ضعيفة

لا تتجاوز 8 % من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في سافلة الحوض وتتوافق مع توضعات رباعية هشة مما يسمح للتعرية المائية بالتقطيع والتخديد.

### 3.4 المرحلة الثالثة: انجاز خريطة قابلية التربة للتعرية

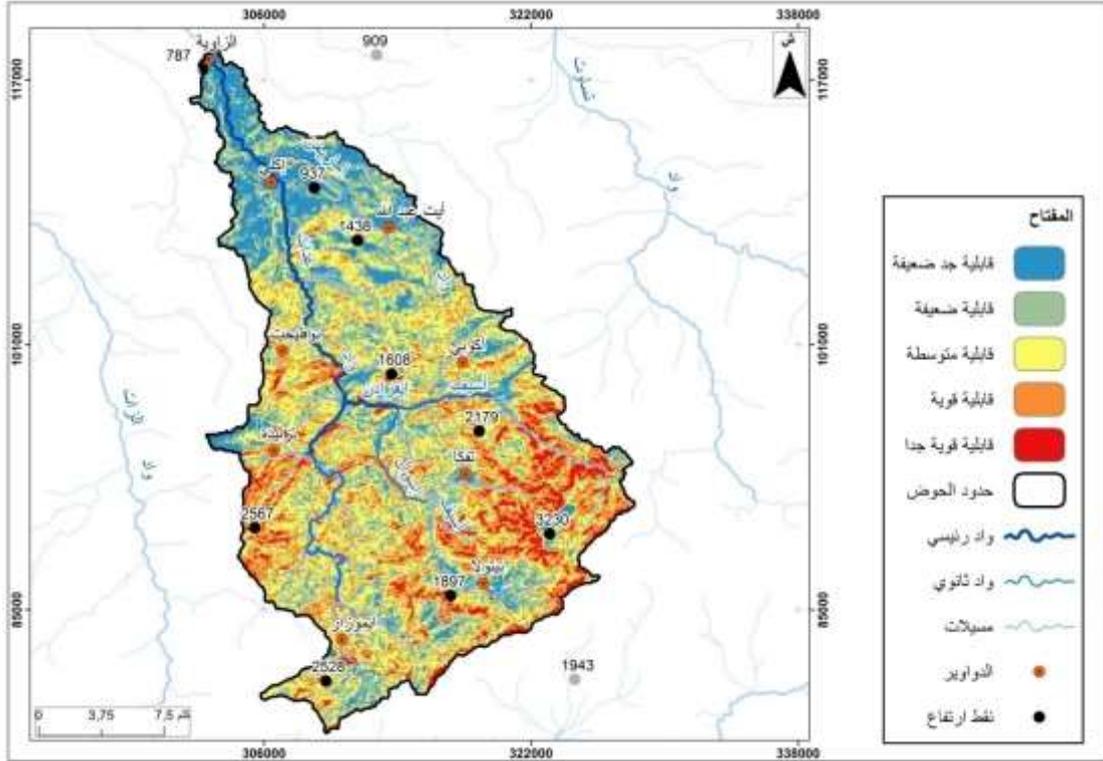
تعتبر خريطة قابلية التربة للتعرية من بين العوامل التي تعطي صورة واضحة على المناطق التي تعرف قابلية مهمة والتي تعرف قابلية ضعيفة ويتم الحصول على هذه الخريطة من خلال تنضيد خريطة الانحدارات وخريطة قابلية الصخور للتعرية وفق نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (3).

الجدول 3: قيم قابلية التربة للتعرية حسب نموذج PAP/CAR

أنواع التربة الصخرية					
5	4	3	2	1	
2	1	1	1	1	1
3	3	2	1	1	2
4	4	3	2	2	3
5	5	4	3	3	4
5	5	5	4	4	5

المصدر: Directive PAP/CAR

### الخريطة 4: قيم قابلية التربة للتعرية حسب نموذج PAP/CAR



المصدر: المؤلفون اعتمادا على الخريطة الجيولوجية دمنات تلوات 1/20000 والارتفاعات الرقمية، MNT d'ASTER (30 M)، 2021

انطلاقاً من الخريطة رقم (4) يتبين جلياً أن معامل قابلية التربة للتعرية يعرف تبايناً مهماً داخل الحوض، إذ نجد قابلية قوية هي التي تشغل نسبة مهمة والتي وصلت 36% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل رئيسي في عالية الحوض كما أنها تتوافق أساساً مع انحدارات مهمة وتركيبية صخرية هشة التي تسمح بنشاط التعرية في هذا المجال بشكل كبير، ثم تأتي بعدها قابلية متوسطة بنسبة 24% من مساحة الحوض حيث مجالياً تهتم جل الحوض ماعدا السافلة وهي تتوافق مع صخرة هشة وانحدارات لأبس بها، وأما القابلية الضعيفة فهي تشغل نسبة تصل إلى 16% من مساحة الحوض وتتركز بشكل أساسي في سافلته وتتوافق مع ركيزة صخرية هشة التي تبقى غير قادرة على مقاومة أشكال التعرية، وفيما يخص الفئتين القوية والضعيفة فهي تشغل نفس النسبة 12% من مساحة الحوض لكل واحدة منهما، فالقابلية القوية تنتشر في عالية الحوض وتتوافق مع انحدارات مهمة وتركيبية صخرية هشة مما يساعد على تحريك المواد ونشاط عامل التعرية بشكل كبير وخلق أساحيل، وأما القابلية الضعيفة تنتشر في كل الحوض كما تتوافق مع المنخفضات الطي جبلية.

#### 4.4 المرحلة الرابعة: انجاز خريطة استعمال التربة

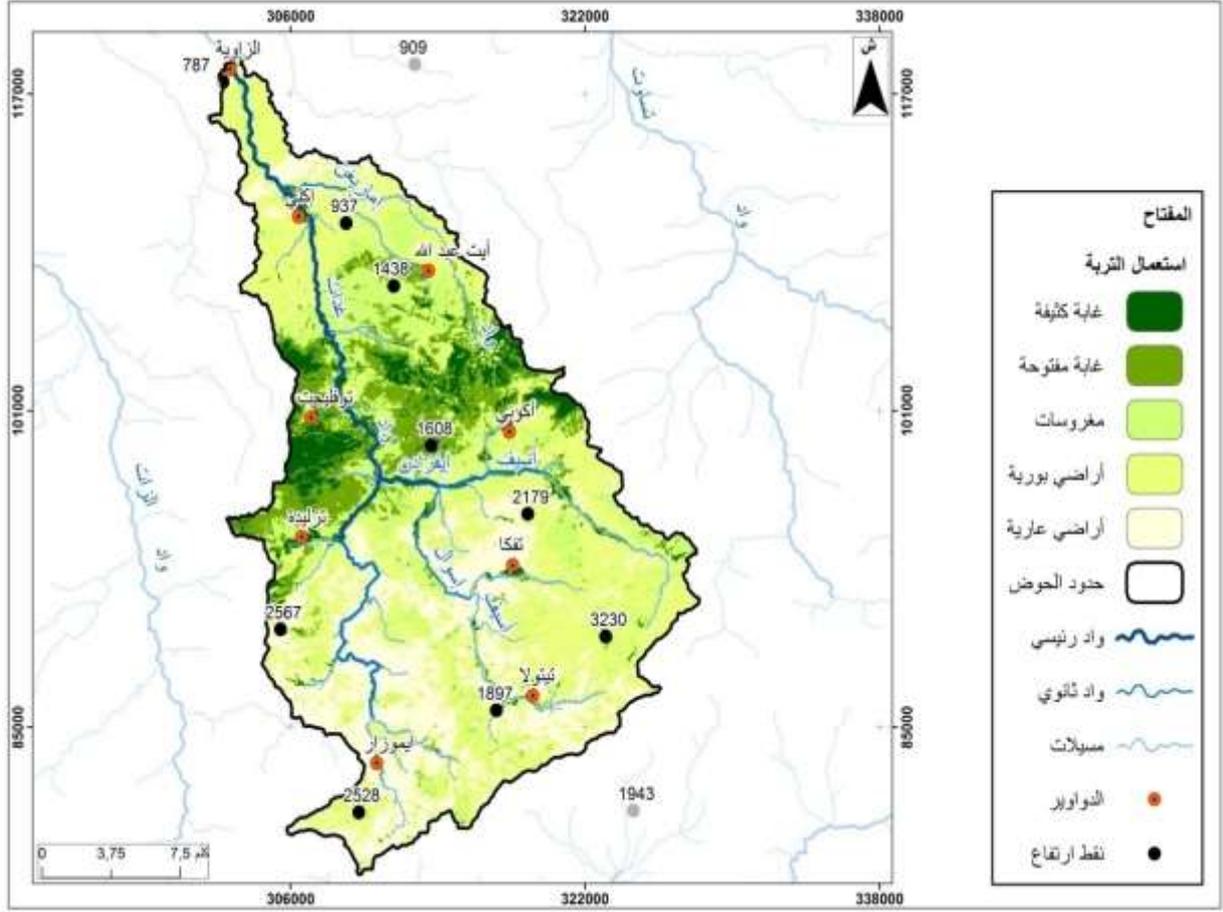
يتم استخراج خريطة استعمال التربة انطلاقاً من تحليل صور الأقمار الاصطناعية ومن خلال الزيارات المتكررة للميدان وفق تطبيق نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (4).

الجدول 4: استعمال التربة حسب نموذج PAP / CAR

نوع الاستعمالات	الرمز
مراعي	1
مغروسات	2
زرعات سقوية	3
غابة	4
أشجار مثمرة	5

المصدر: Directive PAP/CAR

## الخريطة 5: استعمالات التربة حسب نموذج PAP/CAR



المصدر: المؤلفون بالاعتماد على صور الأقمار الاصطناعية 8 LANDSAT OTI بالإضافة إلى العمل الميداني. 2021

يعرف حوض غدات توزيعاً متبايناً من حيث استعمال التربة إذ نجد الأراضي البورية هي التي تشغل نسبة 29% من مساحة الحوض تنتشر بشكل أساسي في سافلة وعالية الحوض، ثم تأتي بعدها المغروسات بنسبة 25% من مساحة الحوض وتنتشر في سافلة الحوض بينما الغابة المفتوحة تشغل مساحة تقدر بـ 18% من مساحة الحوض وتتركز مجالياً في وسط الحوض، وأما الأراضي العارية فهي الأخرى تشغل نسبة 17% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في عاليته.

### 5.4 المرحلة الخامسة: انجاز خريطة كثافة الغطاء النباتي

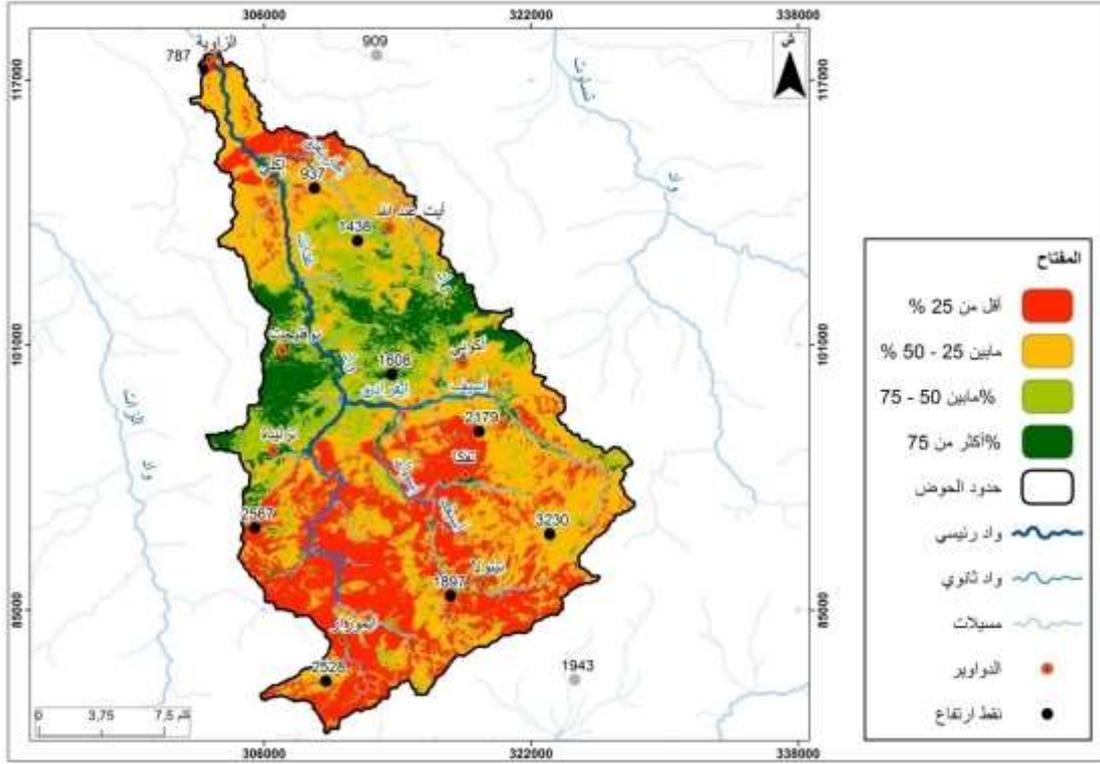
للغطاء النباتي دور مهم في حماية التربة من العنف المناخي سواء التساقطات المطرية الجارفة التي تعمل على التقطيع واقتلاع التربة، أو الحرارة التي تساهم بشكل كبير في تفتيت التربة، لذا فكلما كان مؤشر حماية التربة قويا كلما كان السطح محميا بفعل جذور الأشجار التي تساهم بشكل كبير في تثبيت السفوح وتسمح بنفاذية مهمة، ولحساب هذا المعامل تم الاعتماد على نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (5).

الجدول 5: توزيع كثافة الغطاء النباتي حسب نموذج PAP / CAR

الكثافة	الرمز
> 25 %	1
25 - 50 %	2
50 - 75 %	3
< 75 %	4

المصدر: Directive PAP/CAR

الخريطة 6: توزيع كثافة الغطاء النباتي حسب نموذج PAP / CAR



المصدر: المؤلفون 2021 بالاعتماد على صور الأقمار الاصطناعية 8 LANDSAT OTI 2021

يتبين من خلال الخريطة أن كثافة الغطاء النباتي يعرف تباينا مهما داخل الحوض إذ نجد الفئة ما بين 25 - 50% هي التي تشغل نسبة مهمة وتقدر ب 42% من مساحة الحوض، وتتوافق بشكل كبير مع الأراضي البورية بينما الفئة الأقل من 25% فهي لا تتجاوز 29% من مساحة الحوض والتي تتوافق بشكل أساسي مع الأراضي العارية وتنتشر في عالية الحوض، وفي ما يخص الفئة المتراوحة بين 50 - 75% فهي تشغل نسبة 18% من مساحة الحوض وتتوافق مع الغابة المفتوحة، وأخيرا الفئة الأكثر من 75% التي تشغل نسبة 11% من مساحة الحوض والتي تتوافق مع الغابة الكثيفة.

#### 6.4 المرحلة السادسة: انجاز خريطة حماية التربة

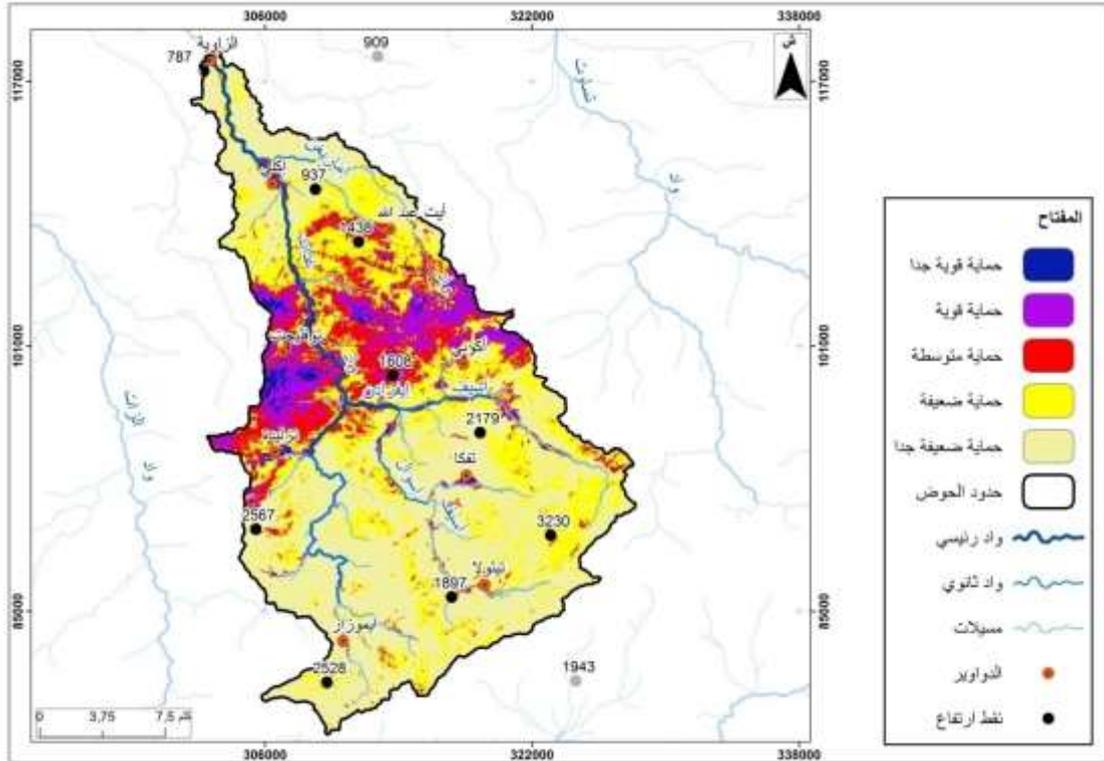
يتم انجاز هذه المرحلة من خلال تنضيد كل من معاملات كثافة الغطاء النباتي واستعمالات التربة والتي تعطي صورة واضحة على مدى حماية السطح من كل عوامل التعرية وذلك من خلال تطبيق نموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (6).

الجدول 6: قيم معاملات حماية التربة حسب كثافة الغطاء النباتي واستعمالات التربة

كثافة الغطاء النباتي					استعمالات التربة
4	3	2	1		
4	4	5	5	1	
4	4	5	5	2	
1	1	2	3	3	
1	2	3	4	4	
2	3	4	5	5	

المصدر: Directive PAP/CAR

الخريطة 7: قيم معاملات حماية التربة حسب كثافة الغطاء النباتي واستعمالات التربة



المصدر: المؤلفون بالاعتماد على صور الأقمار الاصطناعية 8 LANDSAT OTI بالإضافة إلى العمل الميداني. 2021

يمثل معامل حماية التربة من بين المعاملات الأساسية في نموذج PAP/CAR والذي يعرف بدوره تباينا في التوزيع داخل الحوض، فالحماية الضعيفة جدا هي التي تشغل نسبة مهمة والتي تقدر ب 40% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في عاليته وسافلته، ثم نجد الحماية الضعيفة تشغل نسبة 26% من مساحة الحوض، وتتركز بشكل أساسي في وسط الحوض وتتوافق مع مجالات المغروسات، بينما

الحماية القوية لا تتجاوز 10 % من مساحة الحوض وأخيرا الحماية القوية جدا والتي لا تتجاوز 4 % من مساحة الحوض، يتعلق الأمر هنا بالمجالات الغابوية.

#### 7.4 المرحلة السابعة: انجاز معامل التعرية المحتملة

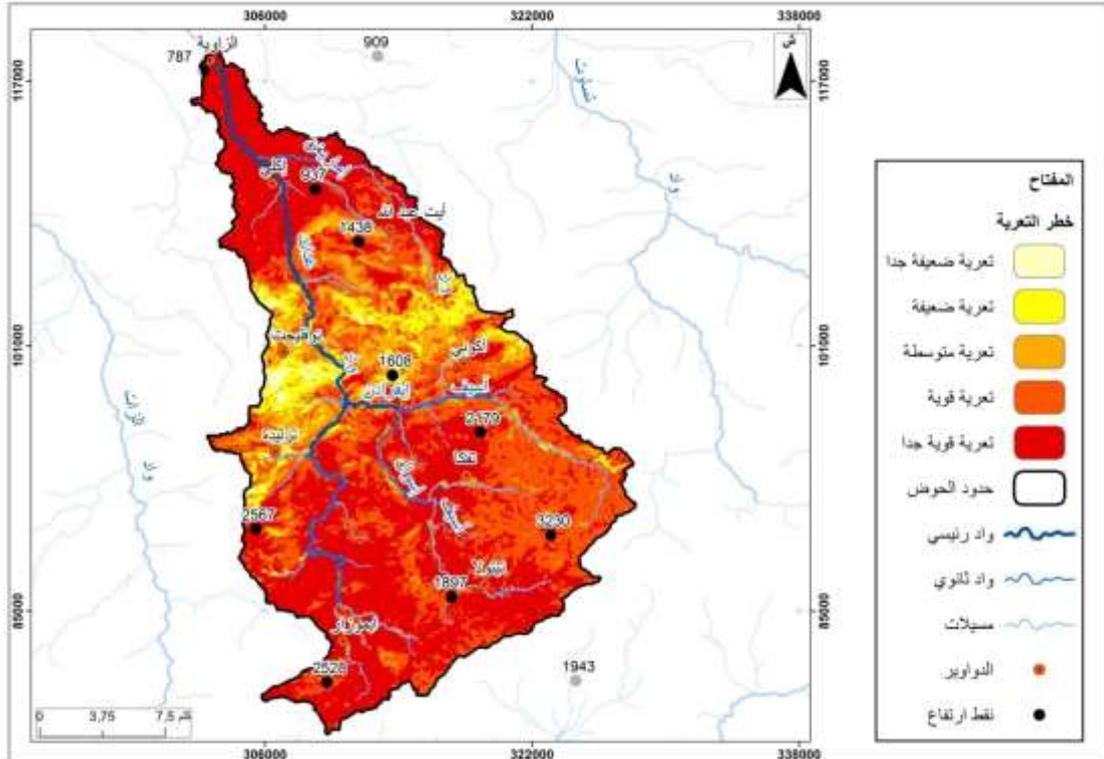
تعد هذه المرحلة بمثابة نتيجة المقاربة التنبؤية التي يتم خلالها تنضيد معاملات قابلية الصخور للتعرية مع معاملات حماية التربة تبعا لنموذج PAP / CAR كما يوضحه الجدول رقم (7).

الجدول 7: قيم معامل التعرية المحتملة من خلال تنضيد معاملي حماية التربة وقابلية السطح للتعرية

قابلية السطح للتعرية						حماية التربة
5	4	3	2	1		
2	2	1	1	1	1	
4	3	2	1	1	2	
4	4	3	2	1	3	
5	5	3	3	2	4	
5	5	4	3	2	5	

المصدر: Directive PAP/CAR

الخريطة 8: قيم معامل التعرية المحتملة من خلال تنضيد معاملي حماية التربة وقابلية السطح للتعرية



المصدر: المؤلفون بالاعتماد على مراحل نموذج PAP / CAR . 2021

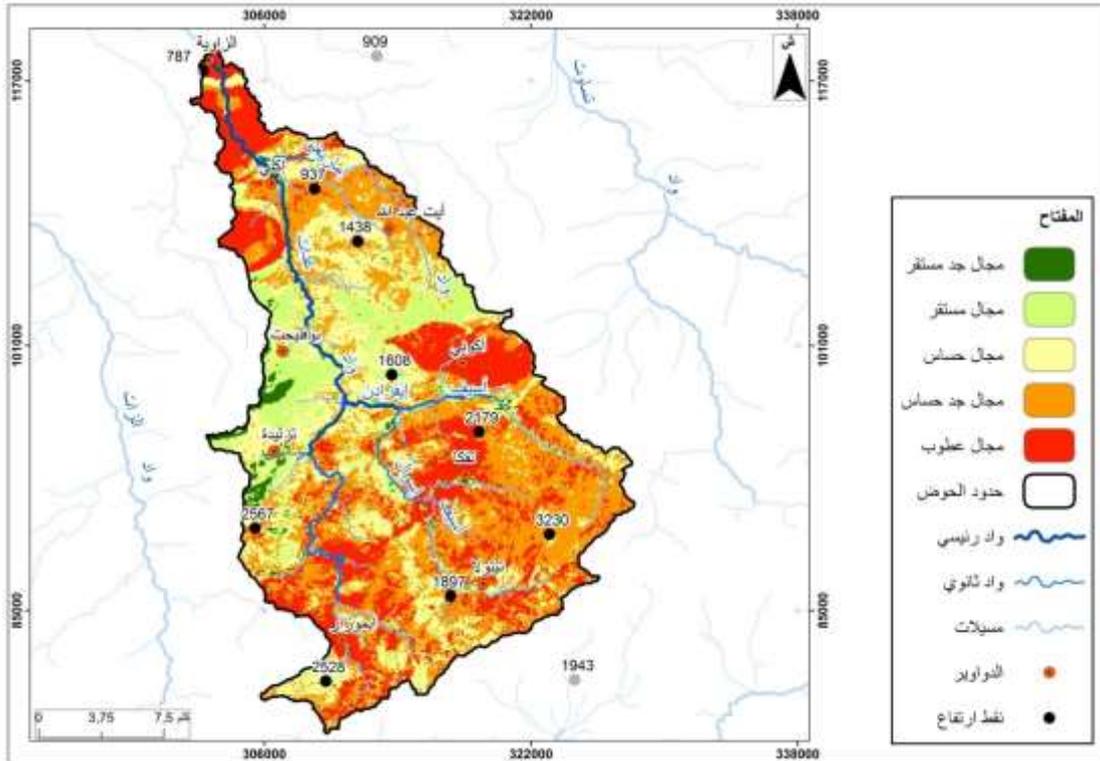
انطلاقا من الخريطة رقم (8) يتبين بشكل جلي أن معامل التعرية المحتملة يعرف تباينا مهما من حيث التوزيع، إذ نجد التعرية القوية جدا تشغل نسبة مهمة وتقدر بأزيد من ثلث مساحة الحوض (35%)

ينشط هذا الصنف التعروي أساسي في عالية الحوض كما أنها يتوافق بشكل كبير مع تركيبة صخرية هشّة مع انحدارات مهمة، بينما الفئة القوية فهي الأخرى تشغل مساحة تقدر ب 34% من مساحة الحوض وتمس فعاليته وسافلته وتتوافق بشكل أساسي مع تركيبة صخرية جد هشّة والتي تتكون أساسا من توضعات رباعية ثم أطيان حمرا وصلصال، بينما التعرية المتوسطة تشغل نسبة تصل إلى 16% من مساحة الحوض وتنتشر بشكل أساسي في الوسط والذي تغطيه مجالات المغروسات، بينما التعرية الضعيفة هي الأخرى تهم وسط الحوض وتتوافق مع الغابة المفتوحة التي تلعب دورا مهما في حماية السطح من آليات مناخية، وأخيرا التعرية الضعيفة جدا والتي لاتتجاوز نسبة 5% من مساحة الحوض والتي تتوافق مع المجال الذي تغطيه الغابة حيث أهمية استقرار المجال نتيجة التغطية النباتية المهمة والتي تعمل على تثبيت التربة بشكل كبير.

## 5. تصنيف الأوساط

بعد دراسة التكميم النوعي للتعرية المائية بواسطة نموذج PAP/CAR قمنا بتصنيف المجالات الحساسة والتي تتطلب التدخل للتخفيف من التعرية ومحاولة تثبيت هذه المجالات وأتربتها من جهة ومعرفة المجالات المستقرة التي يجب أن يولى لها الإهتمام قصد استدامتها كما تبين الخريطة رقم (9).

الخريطة 9: تصنيف الأوساط حسب درجة حساسية التعرية



المصدر: المؤلفون 2021 بالاعتماد على صور الأقمار الاصطناعية والعمل الميداني

النطاق الأول الجد المستقر: هذا المجال لا يتجاوز 2% من مساحة الحوض وتصل فيه الارتفاعات 2281م، كما توازيه انحدارات قوية وصلت إلى أكثر من 22°، و يتوافق مع بنية صخرية هشّة وصلصال أحمر، حث ثم الكونكلوميرا، رغم كل هذه العوامل التي من شأنها تسريع نشاط التعرية في هذا النطاق إلا

أن مؤشر التغطية النباتية قوي، يتمثل بالأساس في الغابة التي تشكل ذرعا واقيا من دينامية السيل ونشاط التعرية، إذ تغيب فيه تدخلات الساكنة باعتبارها محروسة.

النطاق الثاني المستقر: فهذا المجال هو الآخر لا يتجاوز 12% من مساحة الحوض، كما أنه قريب من النطاق الأول طبوغرافيا وصخاريا. بينما الانحدارات لا تتجاوز فيه 20% وبالتالي فهذا المجال يكون مؤهلا بفعل تضافر مجموعة من العوامل بوجود التعرية إلا أنه يبقى مقاوما رغم تدخلات الساكنة سواء على مستوى الرعي أو توسيع المشارات الزراعية بغرس شجر الزيتون الذي يعتبر مفيدا لساكنة الحوض، على عكس الأشجار الأخرى غير المثمرة.

النطاق الثالث الحساس: هذا المجال يشغل حوالي ربع مساحة الحوض 24%، فهو يتوافق بشكل أساسي مع المجاري المائية التي نجد فيها المغروسات على شكل مدرجات، حيث تلجأ الساكنة إلى هذه التقنيات كي تريح مساحة إضافية، فهي تتوافق بالأساس مع انحدار متوسط لا يصل إلى 10% وبنية صخرية جد هشّة عبارة عن طين أحمر صلصال ثم حث، ويرجع سبب هشاشة المجال لضعف التغطية النباتية التي تلعب دورا أساسيا في تثبيت التربة. كما تغيب المتاريس والحواجز الصخرية التي تقف أمام حملات الواد أثناء الفيض.

النطاق الرابع جد حساس: يشغل هذا النطاق مساحة كبيرة وصلت 39% يتوافق من الناحية الصخرية مع الطبقات الهشة صلصال أحمر طين أحمر، بالإضافة إلى توضع رباعية، مع غياب مؤشر التغطية النباتية. كل هذه العوامل تضافرت فيما بينها لتعطي لنا مجالا عطوبا ومتدهور نسبيا، حيث يتوافق مع زراعات بورية التي تكون موسمية وبالتالي يبقى السطح عاريا ومؤهلا لعملية حركية المواد.

النطاق الخامس عطوب: يشغل هذا المجال 23% من مساحة الحوض ويتوافق صخاريا مع طبقات هشّة عبارة عن طين أحمر وصلصال، كما نجد غياب التغطية النباتية التي تعتبر الدرع الواقي بالنسبة للسطح، أمام عدوانية التساقطات ودينامية السيل، وأمام كل هذه العوامل يبقى المجال ضعيفا من حيث المقاومة مما نتج عنه تدهور مهم، حيث نجد الساكنة لم تبدل ولو مجهود في هذا المجال بل سرعت في تدهورها وذلك لما يعرفه المجال من الضغط المتزايد على الموارد الطبيعية، كما أنها لا تنخرط في عملية التشجير وكذا بناء الحواجز التي من شأنها أن تكون عاملا مخففا من نشاط التعرية.

## خاتمة

عموما نستنتج من خلال دراسة التقييم النوعي للتعرية المائية بواسطة نموذج PAP / CAR أن هذا المجال قابل للتدهور بسرعة كبيرة نتيجة تضافر مجموعة من العوامل، وقد تبين أن خطورة التعرية بالمنطقة لا تنحصر فيما هو كمي فقط أي في كمية الانجرافات السنوية بل حتى ما هو نوعي فالمواد المقتلعة تمثل أجود الأراضي وأخصب ما يتوفر عليه السطح، وعليه فقدانها يمثل تفقيرا حقيقيا لهذه المجالات مما يدفع السكان إلى الضغط على الموارد الطبيعية أكثر، وللتخفيف من خطر التعرية لابد من وضع صورة مندمجة لهيئة المجال قصد استدامته.

## قائمة المراجع المراجع

- أبهرور محمد، (2009)، إسهام في التقييم الكمي للتعرية المائية بمقدمة الريف الشرقي (نموذج حوض واد الثلاثاء)، أطروحة لنيل الدكتوراه الجغرافية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.
- أمزائل إسماعيل، (2018)، التقييم الكرطوغرافي لتدهور الأراضي بالحوض الهيدرولوجي غدات "حالة حوض التوامة"، ماستر متخصص دينامية الأوساط وتديير الموارد الطبيعية بالمغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، المغرب.
- أمزائل إسماعيل، موفق فتيحة، بنعلي عبد الرحيم، عزويوي سعيد، حالي كمال، (2019)، "دراسة التعرية المائية بدير أطلس مراكش الأوسط، باستعمال نظم المعلومات الجغرافية حالة "حوض التوامة"، المجلة العالمية للبيئة والمياه، العدد الثامن تحت رقم 205210-3408.
- شعوان جمال، (2014)، "توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التعرية المائية بالريف الأوسط حوض أمزاز أنموذجا"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس.
- فالح علي، (2010)، "التقييم النوعي والكمي لانجراف التربة بالريف الأوسط حوض أكنول نموذجا". منشورات جمعية تطوان أير، ص 183 :
- PAP/CAR (1998), Directives pour la cartographie et la mesure des processus d'érosion hydrique dans les zones côtières méditerranéennes, [Section du livre], [s.l.], PAP 8/PP/GL.1, Split, Centre d'activités régionales pour le Programme d'actions prioritaires (PAM/PNUE), en collaboration avec FAO, 1998.
- CHEGGOUR AOUMATIF 2008 : Mesures de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G, Application au bassin versant de la Rhéraya, Haut Atlas, Maroc. Université Cadi Ayyad Faculté Des Sciences Semlalia – Marrakech.

## خطر التعرية المائية على السفوح بدير الأطلس الكبير الغربي دراسة حالة حوض التوامة بتطبيق نموذج EPM

عبد العالي أوبلا  
د.حسن مزين  
د.عبد اللطيف ارويا  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة شعيب الدكالي- الجديدة

### ملخص:

تعددت مناهج وطرق تقييم التعرية المائية، ويعد نموذج جافريلوفيك (EPM) Erosion Potentiel Méthode من المناهج الخرائطية المعتمدة للتقييم النوعي والكمي للتعرية. وقد مكنا تطبيق هذا النموذج من التوصل إلى إنجاز خريطة معامل التعرية المحتملة Z بحوض التوامة عبر تنضيد الخرائط الخاصة بكل معامل، إذ تراوحت القيمة بين 0,02 و3,05. ويتضح من خلاله أن حوالي 6192 هكتارا أي 71% من مساحة الحوض تقع ضمن نطاقات التعرية المحتملة القوية والقوية جدا التي تتجاوز قيمها 1، وتوافق هذه النطاقات مجالات الانحدارات القوية والمتوسطة والمتسمة كذلك بتدهور الغطاء النباتي وسيادة الصخور الطينية الهشة. أما نطاقات التعرية الضعيفة فتشغل مساحة أقل وتبلغ حوالي 1120 هكتارا بنسبة 12,89%، ويوافق امتدادها السفوح الضعيفة الانحدار وذات الصخور المقاومة كالبازلت والكلس.

**الكلمات المفاتيح:** التعرية المائية -حوض واد التوامة - نموذج EPM -التقييم النوعي للتعرية.

### Abstract

There are many approaches and methods for evaluating water erosion, and the Erosion Potentiel Méthode (EPM) model is considered one of the cartographic methods adopted for qualitative and quantitative evaluation of erosion. The application of this model enabled us to map the potential erosion coefficient Z in the "Touama" basin by typesetting the maps for each coefficient, as the value ranged between 0.02 and 3.05. It is clear from it that about 6192 hectares, or 71% of the basin area, falls within the range of strong and very strong potential erosion whose values exceed 1, and these ranges correspond to the areas of strong and medium slopes, which are also characterized by the deterioration of vegetation cover and the omnipresence of brittle clay rocks.

As for the areas of weak erosion, they occupy a lesser area and amount to about 1120 hectares, or 12.89%, and their extension corresponds to the slopes of weak declination and with resistant rocks such as basalt, and lime.

**Keywords:** Water erosion, Touama Basin, EPM model

## مقدمة

تعتبر التعرية ظاهرة طبيعية يرتبط نشاطها بعوامل متعددة، كالمناخ والصخارة والتضاريس والبيوجغرافية. كما أنها تتطور مع تعدد وتنوع الأنشطة البشرية وتزايد الضغط الديمغرافي على الموارد الطبيعية. تنتشر هذه الظاهرة بأشكال وأحجام مختلفة في كل بقاع العالم، إلا أن المناطق الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة، التي تشكل 41% من المساحات الكلية للأراضي على سطح الكرة الأرضية هي الأكثر تأثراً بالتعرية<sup>1</sup>

كما تشكل التعرية أهم العوامل المساهمة في تدهور التربة بالمغرب وفقدان 20000 هكتار من الأراضي سنويا لخصوبتها<sup>2</sup>. إذ أن ما يزيد عن 11 مليون هكتار من الأراضي في الأحواض المنحدرة فوق السدود معرضة بشكل أكبر لأخطار الانجراف (مديرية إعداد التراب الوطني 2002). وتساهم في توحل السدود بواسطة الرواسب وتراجع حقيقتها بحوالي 75 مليون متر مكعب/السنة، حيث فقدت السدود المغربية مليار متر مكعب من حقيقتها أي ما يعادل الطاقة الاستيعابية لخمسة سدود قائمة، والكمية المائية الضرورية لسقي 5000 إلى 6000 هكتار/السنة<sup>3</sup>. وتشكل التعرية خطراً طبيعياً متعدد الأبعاد وتحدياً بيئياً أمام المنظومة البيئية، كما تندرج التعرية ضمن الانشغالات المطروحة أمام إعداد الأحواض النهريّة لكونها جد معقدة ومرتبطة بعدة عوامل من الصعب السيطرة عليها زمنياً ومجالياً. وتكلف الاقتصاد الوطني 10 مليار من الدراهم سنوياً<sup>4</sup>. وبحكم كون هذه الظاهرة عالمية فقد ابتكر الباحثون العديد من النماذج الرياضية لتقدير كمية فقدان التربة، خاصة المعادلة العالمية لفقدان التربة USLE ونموذج جافريلوفك المعروف اختصاراً بـ (EPM)<sup>5</sup> الذي سنعتمده في هذه الدراسة خاصة في شقه المتعلق بالتقييم النوعي للتعرية، لكونه يتميز عن غيره من النماذج الأخرى بالجمع بين التقييم النوعي والكمي للتعرية، وقابلية استخدامه في المناطق الجبلية المتضررة.

## أ- الإشكالية

يعاني الوسط الجبلي بالمغرب من عدة إكراهات تساهم في تدهور أراضيه وتهدد توازناته البيئية واستدامتها، وترفع من الكلفة السنوية المخصصة لاستصلاح البيئية. ولهذا تشكل التعرية المائية وما ينتج عنها من مظاهر وأضرار بيئية أهم الإكراهات التي يصعب معالجتها على المدى القريب. فجل الدراسات التي اهتمت بمشكلة التعرية وانجراف التربة تؤكد استفحال هاته الظاهرة بعموم الجبال المغربية باختلاف امتدادها وموقعها، فتلال مقدمة الريف أخذت فيها الظاهرة أبعاداً كارثية بفعل تدهور التربة وهشاشة الركيزة الصخرية وهجر الأراضي وارتفاع نسبة الحمولة الصلبة وحجم الرواسب<sup>6</sup>. وبالأطلس الكبير الغربي بينت الدراسة التي قامت بها الباحثة عواطف شكور سنة 2008 لتقييم التعرية بحوض غيغاية، عن

<sup>1</sup>-سعيد عارف وآخرون 2018: التقييم النوعي للتعرية المائية بمنخفض أيت عتاب بالأطلس الكبير الأوسط، مجلة العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية، المجلد الثاني -العدد الثالث، ص 65.

<sup>2</sup>-جمال شعوان 2015: توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التعرية المائية بالريف الأوسط -حوض أمزاز أنموذجاً- أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس ص 15.

3-ALI Faleh (2020), Cartographie des Zones vulnérables à L'érosion hydrique en amont du barrage Allal El Fassi (Moyen Atlas), Edition Universitaires Européennes, P 11.

<sup>4</sup>-بوعزة سلاك 2018: أساليب وأشكال التعرية المائية، توزيعها المجالي بالأطلس الكبير الأوسط حالة منخفض أيت عتاب، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش، ص 9.

<sup>5</sup>-Erosion Potentiel Méthode.

<sup>6</sup>-محمد رزقي 2018: خطر للتعرية المائية على السفوح بالأطلس الكبير الأوسط (المغرب): دراسة حالة حوض تاكلفت، مجلة العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية، المجلد الرابع -العدد الثالث، ص 15.

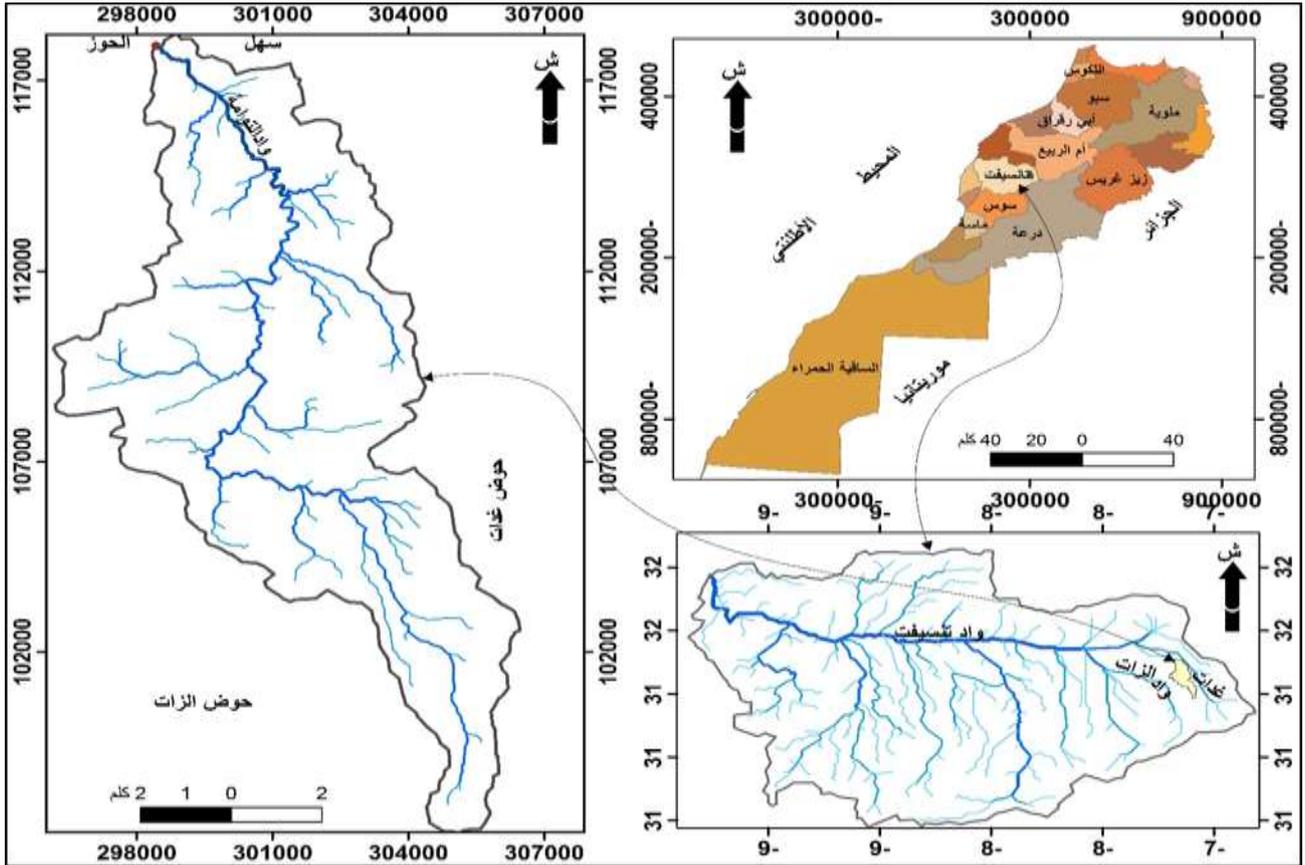
تقدمها الكبير وخطورتها، حيث تراوح حجم المواد المنقولة ما بين 2,1 و 6,5 طن / الهكتار / السنة فقط ما بين 2004 و 2005<sup>7</sup>.

## ب- التوطين الجغرافي لحوض واد التوامة

ينتمي مجال الدراسة بنيويا إلى دير الأطلس الكبير الغربي، وهيدرولوجيا إلى حوض تانسيفت. أما إداريا فيقع هذا المجال بتراب جهة مراكش - آسفي ضمن حدود الجماعتين الترابيتين التوامة وتمكرت. يحده شمالا سهل الحوز وغربا حوض الزات وشرقا حوض غدات وجنوبا حوضي الزات وغدات كما توضح الخريطة (1).

يصنف حوض وادي التوامة ضمن الأحواض الصغرى بحوض تانسيفت، تبلغ مساحته 87 كلم مربع، يتخذ شكلا طوليا (مؤشر تراصه 1,87) يساهم في نشاط مختلف الآليات المورفوتشكالية. يحتضن الحوض شبكة مائية مهمة تشكل روافد متعددة للواد الرئيس التوامة. ويضم هذا الحوض مجموعة من الدواير منها ما ينتمي للجماعة القروية تمكرت، ومنها ما يدخل ضمن تراب الجماعة الترابية التوامة. أغلب ساكنتها تعتمد على الزراعة البورية وتربية الماشية كنشاط اقتصادي رئيسي- إضافة إلى الاعتماد بشكل محدود على الزراعة المسقية.

### الخريطة 1: التوطين الجغرافي لحوض وادي التوامة



المصدر: عمل الباحث

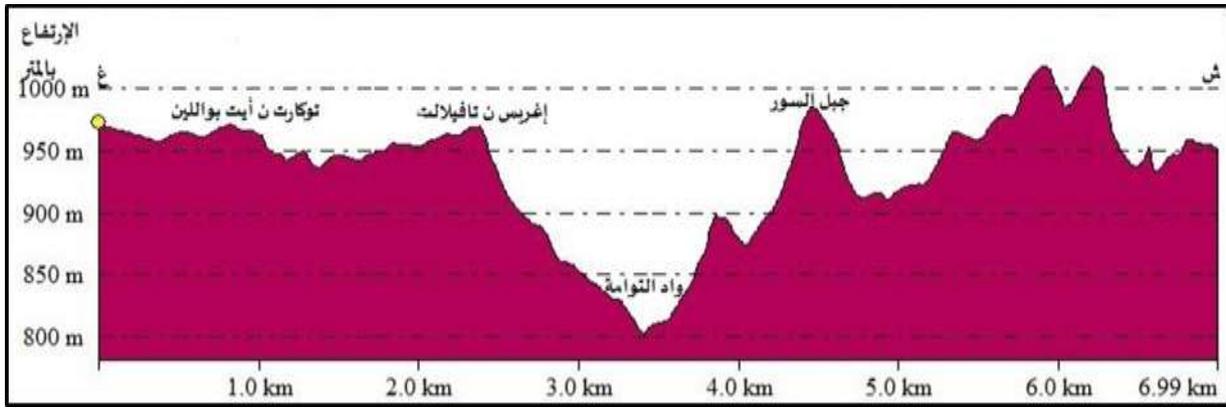
<sup>7</sup>-Aouatif CHEGGOUR 2008: Mesure de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G, Application au bassin versant de la Rheraya, Haut Atlas, Maroc. Thèse pour obtenir le grade de Docteur en géologie, faculté des sciences Semlalia. Marrakech, Maroc, P 8.

يرتبط تنشيط التعرية المائية بشكل مباشر بالخصائص الطبيعية السائدة بالمنطقة، وتنتج دينامية السفوح مجموعة من الأشكال تبعا لنوعية الركيزة الصخرية وطبيعة لغطاء النباتي والتساقطات.

## 1-العوامل الطبيعية ودورها في نشأة ظاهرة التعرية

تتراوح الارتفاعات المطلقة بهذا الحوض ما بين 2290 متر بأدرار إفران و2126 م بأورير، وتخف تدريجيا في اتجاه السافلة، إذ تبلغ في شمال الحوض 653 م. ويتميز الحوض بالتقطع الشديد بفعل الشبكة المائية إلى مجموعة من المتون والتلال. تتسم سفوح الحوض بانحدارات قوية تتعدي  $45^\circ$  بإفران وإغريس ن تافيلالت وواعمو، وتلعب هذه المميزات دورا كبيرا في تنشيط التعرية المائية خاصة مع وجود الركيزة الصلصالية الترياسية الهشة. (الشكل 1)

الشكل 1: مقطع طبوغرافي لحوض واد التوامة الأوسط



المصدر: النموذج الرقمي للأراضي بالاعتماد على برنامج Global Mapper

من الناحية الجيولوجية، يتسم الحوض بتنوع صخاري يتمثل في عدة تكوينات صخرية تنتمي لحقب جيولوجية مختلفة أهمها الترياس المتكون من الحث والطين الأحمر<sup>8</sup>، ويشغل 1232 هكتار بنسبة 14,06% من مساحة الحوض ويتركز بالعالية، ثم اللياس المتكون من الطين والحث الأحمر ومساحته تقريبا 797 هكتار بنسبة 9%، كما تنتشر بسافلة الحوض سحنات ترجع إلى الإيوسين والميوسين وتتشكل من الكلس الحثي والصلصال الفوسفاتي والرصيص. أما الزمن الرابع فيرتبط بمخرج الواد عند السافلة ويتكون من الغرين القديم والحديث. مما يدل على أن الحوض تغلب عليه سمة الهشاشة وتتوفر فيه الظروف الملائمة لدينامية التعرية المائية.

يحتضن المجال المدروس شبكة مائية كثيفة ومتنوعة مع سيادة المجاري المائية الموسمية المتمثلة في مجموعة من الشعاب والمسيلات، التي يشكل واد التوامة مجراها الرئيس. أما الغطاء النباتي بهذا المجال فهو متنوع، ويتكون من البلوط الأخضر- والعصفية بغابة توفليحت<sup>9</sup>، والصنوبر الحلبي بمحمية كروكة، ثم الماطورال مع تسجيل انتشار مهم لنبات السدر، مع الإشارة إلى أن السمة الغالبة هي تدهور هذا الغطاء بسبب الجفاف والرعي الجائر والاجتثاث أو بسبب بعض الأمراض التي قضت على نبات الصبار. وللحفاظ على هذا المورد الإيكولوجي استفاد الحوض من مخطط المغرب الأخضر حيث تم تشجير مئات الهكتارات بالأشجار المثمرة كالزيتون والخروب.

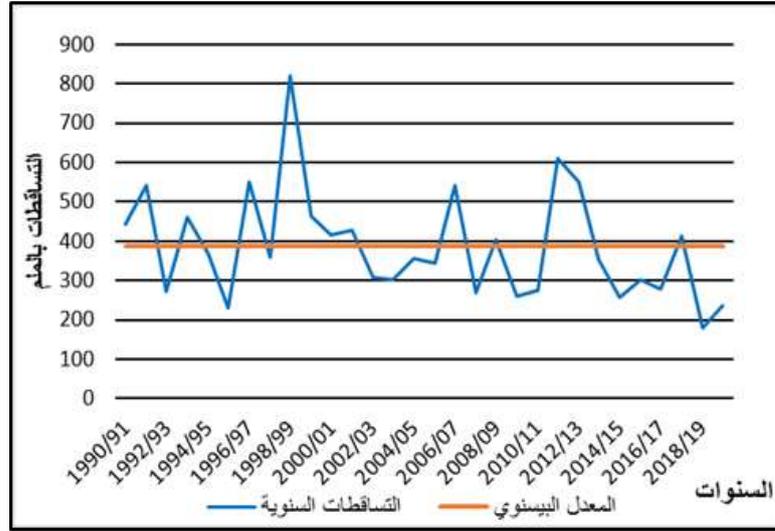
<sup>8</sup>-الخريطة الجيولوجية دمنات تلوات 1/200000

<sup>9</sup>-منوغرافية جماعة التوامة

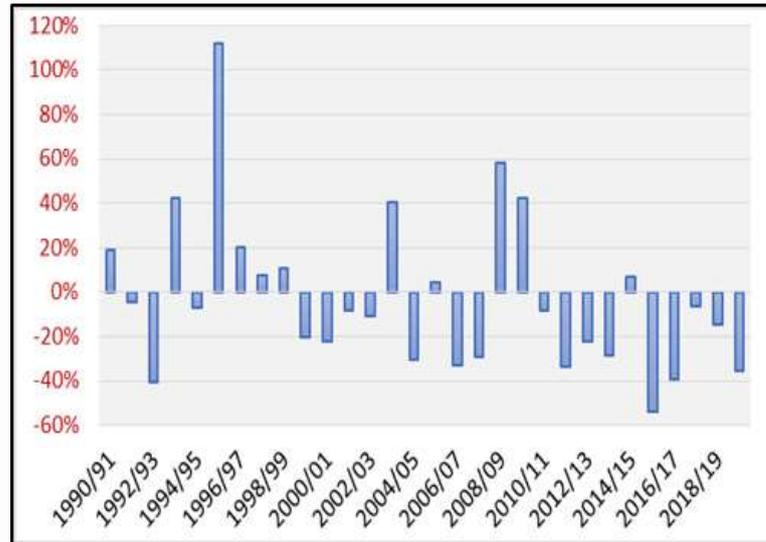
لدراسة خصائص مناخ حوض وادي التوامة وتأثيرها على دينامية التعرية، اعتمدنا على تحليل معطيات التساقطات الخاصة بمحطة المركز الفلاحي التوامة. وقد امتدت الفترة المرجعية من 1991/1990 إلى 2020/2019.

انطلاقاً من تحليل معطيات التساقطات السنوية للمحطة المدروسة، ظهر أن التوزيع السنوي للتساقطات المطرية يعرف تبايناً كبيراً من سنة لأخرى، مع توالي سنوات جافة وأخرى رطبة (الشكل 2). وقد سجلت محطة المركز الفلاحي التوامة خلال الفترة الممتدة بين 1990 و2020 (المبيان رقم 1) أعلى كميات التساقط بـ 818,5 ملم خلال موسم 1996/1995 وأدناها 178,5 ملم في موسم 2016/2015. (الشكل 2).

الشكل 2: التوزيع السنوي للتساقطات المطرية بمحطة المركز الفلاحي التوامة 1990- 2020



الشكل 3: الانحراف عن المعدل بمحطة المركز الفلاحي التوامة 1990- 2020



المصدر: المركز الفلاحي التوامة 2021

يبين الشكل (3) أن معامل الانحراف عن المعدل بمحطة المركز الفلاحي التوامة، يعرف تذبذبا واضحا، يمكن تقسيمه إلى مرحلتين:

-مرحلة من 1990 إلى 2005: سجلت هيمنة واضحة للسنوات الرطبة، إذ تم تسجيل 7 سنوات رطبة، أكبر قيمة للانحراف عن المعدل سنة 1996 بلغت 112%، في المقابل بلغت أدنى قيمة 41% سنة 1993.

-مرحلة ما بعد 2005: عرفت ترددا مهما للسنوات الجافة، إذ تم تسجيل 11 سنة جافة، وشهدت سنة 2009 أكبر قيمة للانحراف عن المعدل ب 58 %، وأدناها ب 54-% سنة 2016.

عموما، تعمل التساقطات على تفعيل آليات التعرية المائية، حيث أن المنطقة تعرف تساقطات مهمة ومركزة أحيانا، يرافقها جريان سطحي قوي يعمل على اقتلاع ونقل الرواسب وتكوين مختلف أشكال التعرية.

## 2-العوامل البشرية ودورها في دينامية التعرية:

عرف حوض التوامة استقرارا بشريا قديما من طرف قبيلة تكانة، واكبه نمو ديمغرافي ملحوظ شهدته الجماعتين الترابيتين المنتميتين للحوض. كما رافقه كذلك ضغط قوي واستغلال مكثف للتربة والغطاء النباتي، وممارسة الزراعة والرعي على السفوح والمساهمة في دينامية وتدهورها.

الجدول 1: التطور الديموغرافي لسكان حوض وادي التوامة ما بين 1994 و2014

الكثافة ن كلم <sup>2</sup> /	المساحة ب كم <sup>2</sup>	معدل النمو		السكان			الجماعة الترابية
		2004/2014	1994/2004	2014	2004	1994	
100	105	0,2%	0,0%	10540	10325	10347	تمكرت
92	122	-0,2%	0,4%	11243	11458	11057	التوامة

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنوات 1994 و2004 و2014

يبدو من خلال معطيات الجدول (1) أن ساكنة حوض التوامة تزايدت بشكل ملحوظ، وتطور معدل النمو، خاصة بجماعة تمكرت التي سجلت 0,2% ما بين 2004 و2014، بفعل الزيادة الطبيعية. بالمقابل سجلت جماعة التوامة نموا سالبا بسبب تراجع الزيادة الطبيعية وتطور ظاهرة الهجرة.

يعتبر القطاعي الفلاحي من أهم القطاعات الاقتصادية بالمنطقة، إلا أن حدة المناخ المتمثل في قلة الأمطار وندرة مياه السقي ساهمت بشكل سلبي في تراجع الإنتاج وإلحاق الضرر بعائدات الفلاحين رغم ما عرفته عدة مجالات سقوية بالمنطقة من إصلاح وترميم للسواقي في إطار مشروع التنمية القروية المندمجة المركزة على قطاع السقي الممول من طرف البنك الدولي.

الجدول 2: توزيع استعمالات الأراضي بجماعتي تمكرت والتوامة

جماعة التوامة		جماعة تمكرت		نوع الأراضي
النسبة %	المساحة (هـ)	النسبة %	المساحة (هـ)	
33.60	3849	50.01	4355	أراضي بورية
2.39	274	4.70	409	أراضي مسقية
2.23	256	5.83	508	الأشجار المثمرة والفواكه
12.99	1488	4.27	372	مساحة الغابات
14.59	1671	8.22	716	المراعي
34.20	3918	26.96	2348	أراضي غير الصالحة للزراعة
100	11456	100	8708	المجموع

المصدر: منوغرافية الجماعتين الترابيتين تمكرت والتوامة

يبين الجدول (2) أهمية الأراضي البورية التي تحتل المرتبة الأولى ب 8204 هكتارا، وهي ذات مردودية ضعيفة بسبب عتاقة الأدوات المستعملة وتوالي سنوات الجفاف. تليها الأراضي غير الصالحة للزراعة والباثرة ب 6266 هكتارا، بالمقابل لا تتعدى مساحة الأراضي المسقية 683 هكتارا، مما يؤدي إلى ضعف المردودية ومداخل الفلاحين وهجر الأراضي. هذا الوضع له وقع خطير عندما تترك السفوح بدون تهئية في مواجهة مباشرة لمختلف آليات التعرية المائية.

### 3-التقييم النوعي للتعرية المائية بحوض واد التوامة باستخدام نموذج EPM

#### 3-1 المنهجية والأدوات

##### 3-1-1 نبذة عن نموذج EPM

تم تطوير هذا النموذج خلال الخمسينات من القرن الماضي من طرف جافريلوفيك، بالأحواض النهرية لواد مورافا بصربيا، وطبق بنجاح بالأحواض الألبية بإيطاليا. ويتجلى الهدف من هذا النموذج في تكميم أخطار التعرية المائية من أجل التقليل من ضياع الأتربة<sup>10</sup>. وما يميزه كذلك أنه يقدر مختلف أنواع التعرية من التعرية السيلية إلى الانزلاقات الأرضية، مما يجعله مختلفا عن المعادلة العالمية لفقدان التربة USLE التي تقتصر فقط على تقدير التعرية الغشائية.

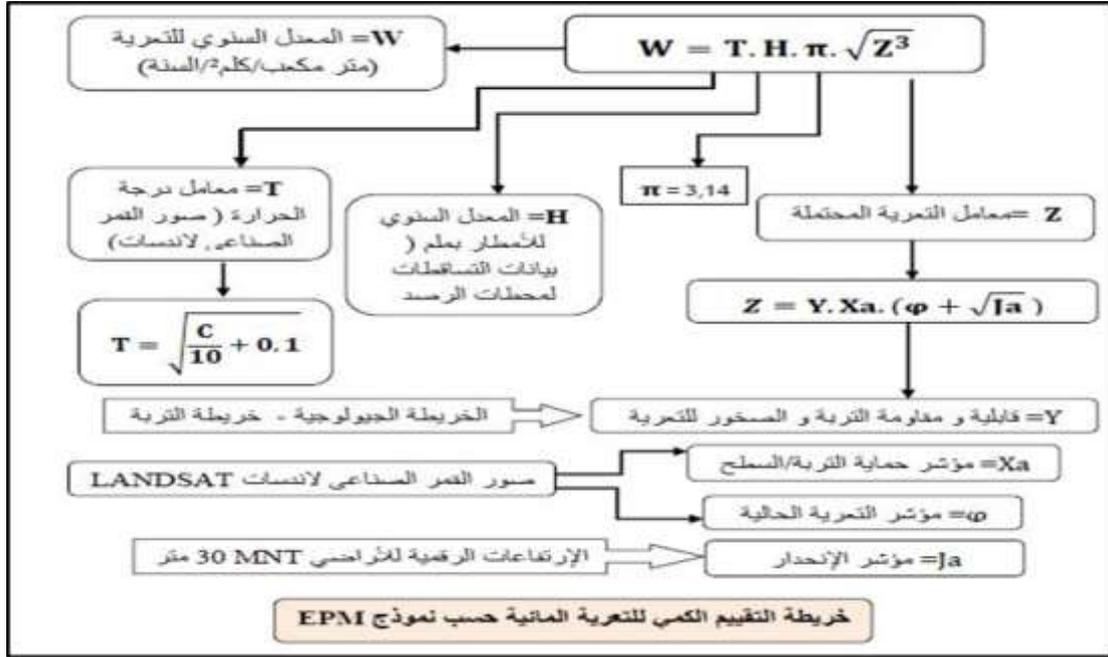
يعتمد في تطبيق هذا النموذج الرياضي مجموعة من المتغيرات التي تأخذ بعين الاعتبار (التركيب الصخري والانحدار وحالة الغطاء النباتي والتربة والتساقطات وكذلك متوسطات الحرارة). وقد اختبرت مصداقية نتائجه في عدد من الدراسات وقورنت بنتائج القياسات الميدانية وتبين وجود توافق كبير بين نتائج هذا النموذج ونتائج القياسات الميدانية على مستوى المشارات التجريبية<sup>11</sup>.

<sup>10</sup>-Jamal AL KARKOURI et Aman Allah Zahnoun, Estimation & Cartography the Water Erosion by Integration of the Gavrilovic "Epm" Model using a Gis in the Mediterranean Watershed: Oued Tleta, European Journal of Scientific Research, P 26.

<sup>11</sup>-جمال شعوان وآخرون (2013)، توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في التقييم الكمي للتعرية المائية بحوض واد أمزاز من خلال نموذج جافريلوفيك، مجلة جغرافية المغرب، المجلد 28 العدد 1-2، الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة ص 75.

### 2-1-3 منهجية تطبيق نموذج EPM

الشكل 4: منهجية تطبيق نموذج EPM للتقييم الكمي والنوعي للتعرية المائية



يتطلب تطبيق هذا النموذج عددا مهما من البيانات تتعلق بطبيعة الصخور والأترية، الانحدار، التساقطات، الحرارة، الغطاء النباتي، بالإضافة إلى المعلومات التي يمكن الحصول عليها من الميدان، والاعتماد كذلك على الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في إنجاز خرائط موضوعاتية لمختلف العوامل ومؤشرات المعادلة، ثم تنضيدها للحصول على الخريطة النهائية التي تبين نطاقات التعرية بمجال الدراسة.

سنقتصر خلال هذه الدراسة على التقييم النوعي للتعرية المائية وفق المعادلة التالية التي تمثل معامل  $Z$  أي مؤشر التعرية المحتملة:

$$Z = Y * Xa * (\phi + \sqrt{Ja})$$

حيث:  $Z$  معامل التعرية المحتملة

$Y$  قابلية التربة / الصخور للتعرية

$Xa$  معامل حماية التربة

$\phi$  معامل تطور التعرية الحالية

$Ja$  معامل الانحدار بالنسبة المئوية

بالنسبة لقيم  $Y$  و  $Xa$  و  $\phi$  فإنها تستخرج اعتمادا على جداول طورت بواسطة جافريلوفيك سنة 1954، ثم عدلت فيما بعد من طرف مجموعة من الباحثين<sup>12</sup>.

<sup>12</sup>-المرجع نفسه، ص 76.

## 2-3 المؤشرات المعتمدة في نموذج EPM

### 1-2-3 مؤشر قابلية التربة للتعرية Y

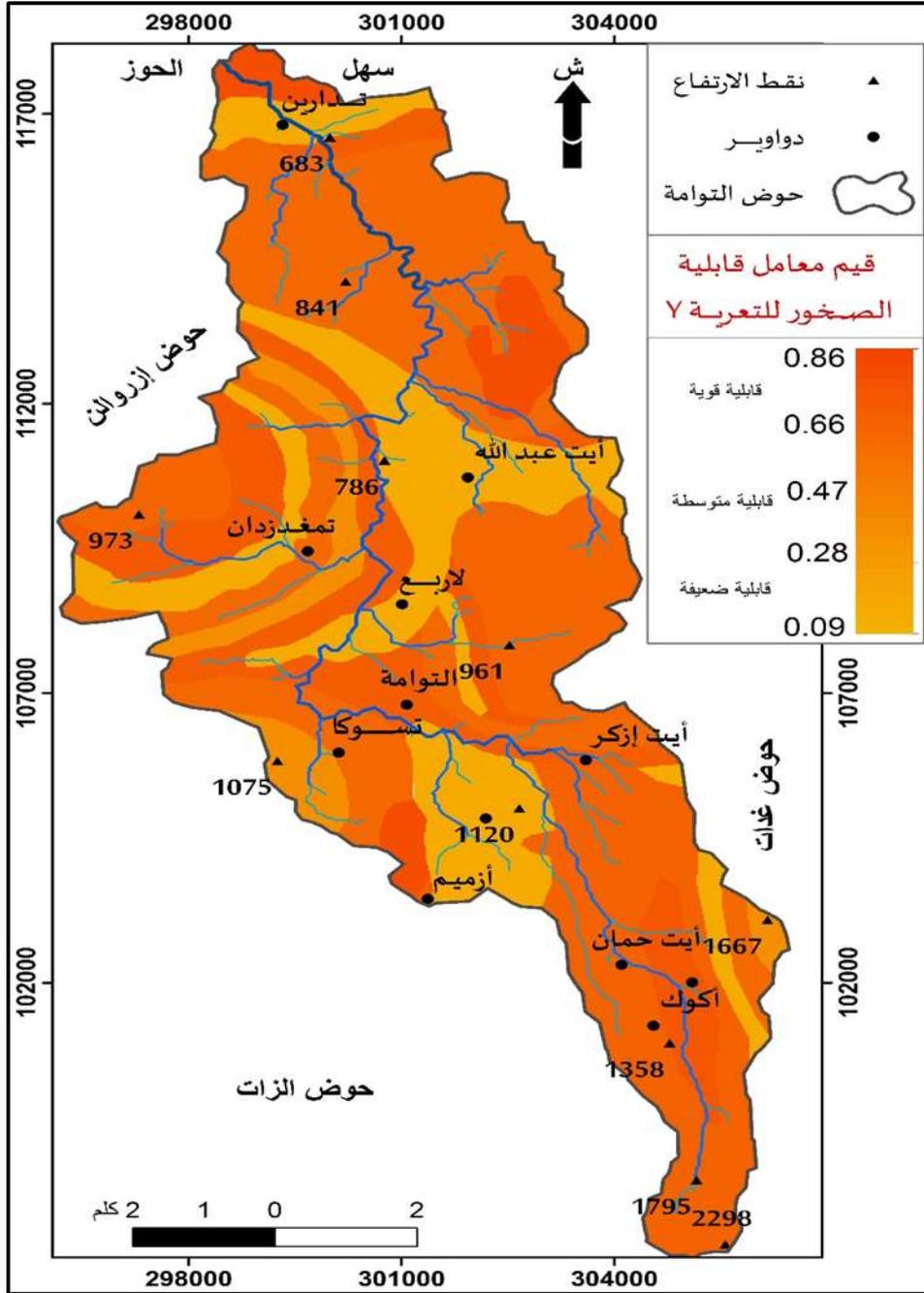
تم الاعتماد في استخراج قيم هذا المؤشر على الخريطة الجيولوجية دمنات-تلوات بمقياس 1/200000 بغية الحصول على معامل قابلية التربة/ الصخور للتعرية اعتمادا على درجة صلابة الصخور. ولإنجاز هذا المعامل حاولنا ملاءمة طبيعة الصخور والتكوينات المتواجدة بحوض واد التوامة مع القيم المحددة في الجدول الوصفي لجافريلوفيك.

الجدول 3: مؤشر قابلية التربة أو الصخور للتعرية وفق أنموذج جافريلوفيك

متوسط القيمة	Y	فئات المقاومة
0,2	0,3 - 0,1	صخور صلبة شديدة المقاومة
0,4	0,5 - 0,3	صخور ذات مقاومة متوسطة
0,55	0,6 - 0,5	صخور ذات مقاومة ضعيفة
0,7	0,8 - 0,6	ركام صخري ورواسب خشنة وترب صلصالية
0,95	1,0 - 0,9	رواسب رملية ناعمة وترب لا مقاومة لها

المصدر: نجاح صالح هادي الزهيري، التقييم الهيدروجيوميورفولوجي لأحوض شمال شرق كلار وأثره في التنمية المستدامة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة ديالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية 2020، العراق ص 181

الخريطة 2: مؤشر قابلية الصخور للتعرية  $\gamma$  وفق أنموذج جافريلوفيك



توضح الخريطة رقم (2) أن قيم المؤشر  $\gamma$  بحوض واد التوامة تتراوح بين 0,1 و0,86، مما يدل على أن الحوض يتكون من صخور مختلفة المقاومة. إذ تشكل الصخور الهشة كالطين الأحمر والغرين والطيني تقريبا 35,6% من مساحة الحوض، وتمثل الصخور المقاومة البازلت والكلس 22,6%، والمقابل تمتد الصخور متوسطة المقاومة على 41,8% من مساحة الحوض. ومنه، يمكن القول أن اختلاف مقاومة الصخور للتعرية بهذا الحوض ينتج عنه تنوع في أشكال التعرية واختلاف في كمية التربة المفقودة من نطاق لآخر داخل حوض واد التوامة.

### 2-2-3 مؤشر الانحدار (Ja)

يلعب الانحدار دورا مهما في الرفع من سرعة الجريان السطحي، أو التقليل منها، إذ أن ارتفاع جريان المياه المتساقطة تتناسب مع الانحدارات القوية وتزداد باتجاه السافلات ما يسمح باقتلاع ونقل التربة، والعكس صحيح، كما أن قوة الانحدار تزيد من حدة التعرية لأن طاقة الجريان تتجاوز طاقة قطرات المطر<sup>13</sup>.

الجدول 4: فئات الانحدارات (Ja) ومساحتها

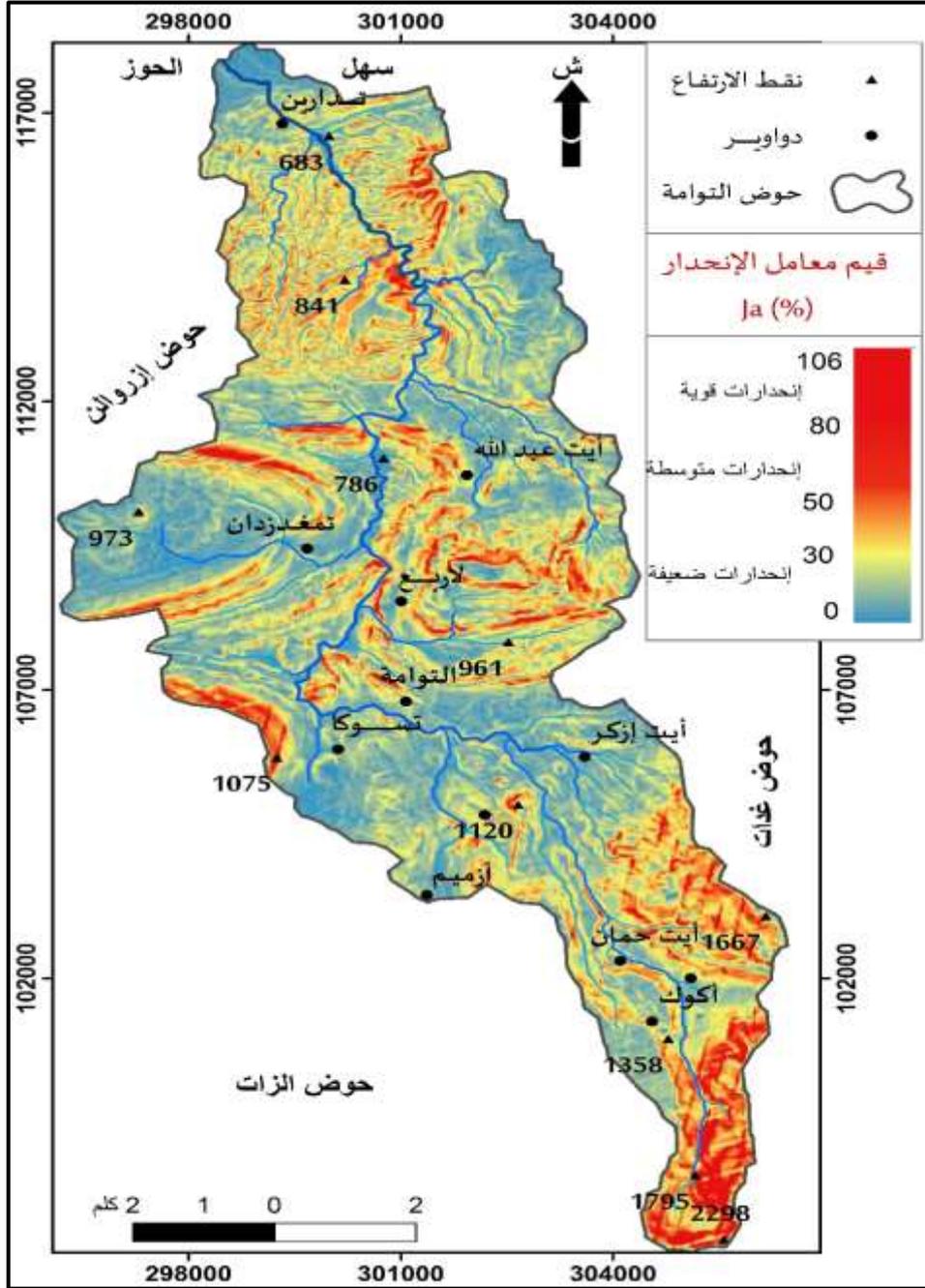
النسبة (%)	المساحة ب (هـ)	طبيعة الانحدارات	فئات الانحدار
24.58%	2147.53	ضعيفة جدا	1
31.71%	2769.98	ضعيفة	2
20.58%	1797.92	متوسطة	3
12.66%	1106	قوية	4
10.47%	914.78	قوية جدا	5

المصدر: عبد العالي أوبلا بالاعتماد على النموذج الرقمي للأراضي MNT

يبرز الجدول (4) والخريطة (3) التوزيع المجالي للانحدارات بحوض واد التوامة، إذ أن الانحدارات الضعيفة جدا والضعيفة تبلغ نسبتهما 56,29% من المساحة الإجمالية للحوض، وتنتشران بوسط الحوض وبسافلته وبمقعر نتايفيلات. أما الانحدارات القوية والقوية جدا فنسبتهما تقريبا 23,13%، وتتركزان بجنوب الحوض وبسفوح واعمو وبجبل السور.

<sup>13</sup>-Jamal AL KARKOURI et Aman Allah Zahnoun, Estimation & Cartography the Water Erosion by Integration of the Gavrilovic "Epm" Model using a Gis in the Mediterranean Watershed: Oued Tleta, European Journal of Scientific Research, P269.

### الخريطة 3: مؤشر الانحدار (Ja) ب % وفق أنموذج جافريلوفيك



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على النموذج الرقمي للأراضي MNT

### 3-2-3 مؤشر حماية التربة (Xa)

يقصد به مستويات كثافة التغطية النباتية التي تساعد في تثبيت التربة والعمل على تقليل سرعة الجريان السطحي وزيادة نفاذية المياه بداخلها والتقليل من انجرافها. ويرتبط هذا المؤشر أيضا بنوع الغطاء النباتي (أشجار، شجيرات وأعشاب....) وعلوه وكثافته. كما يختلف حسب حالة السطح والفصول، وحسب أنماط استعمالات الأراضي من طرف السكان (أراضي محروثة، غراسة....).

وقد تم استخلاص هذا المؤشر عن طريق معامل التغطية النباتية NDVI من مرئيات لاند سات، ثم موازنة نتائجه مع المعايير التي حددها مطوري نموذج جافريلوفيك، وبعد ذلك تمكنا من حساب مؤشر

Xa، الذي تراوحت قيمه بين 0,16 بالنسبة للمجالات ذات الكثافة النباتية المرتفعة و0,79 بالنسبة لمجال الأساحل.

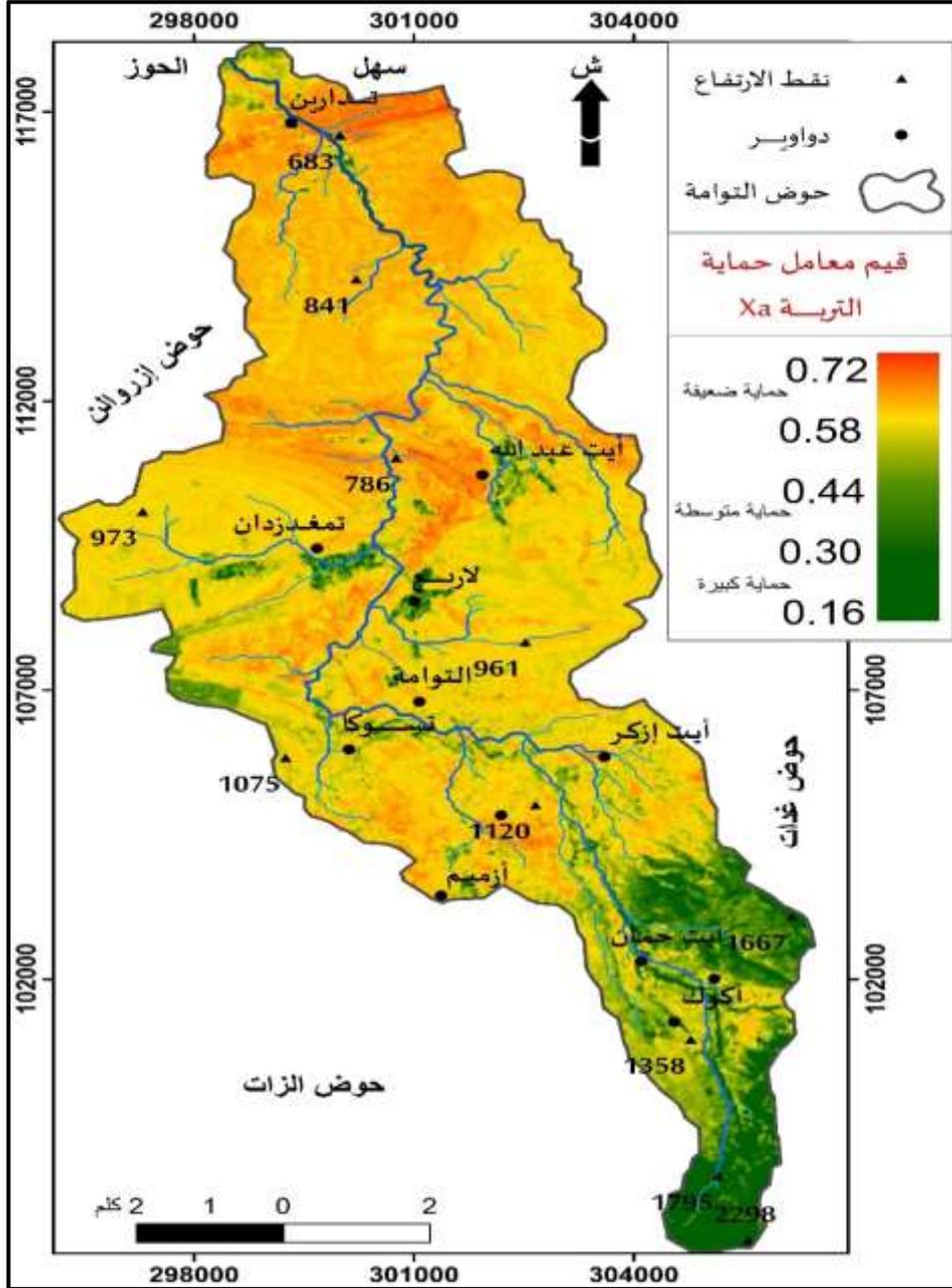
الجدول 5: مؤشر حماية التربة (Xa)

النسبة (%)	المساحة ب (هـ)	درجة الحماية (Xa)	استعمالات التربة
4.27%	373.14	0,2 - 0	ماتورال كثيف وغابات مختلطة
8.89%	775.97	0,4 - 0,2	غابات صنوبرية وبقايا نباتية
42.13%	3678.5	0,6 - 0,4	مراعي وغابات أو ماتورال متدهور
44.66%	3899.21	0,8 - 0,6	مناطق جرداء أو أساحل

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على مرئيات لاند سات 8

يوضح الجدول (5) والخريطة (4) وضعية مؤشر حماية التربة Xa بحوض واد التوامة، إذ تهيمن القيم المتراوحة بين 0,4 - 0,8 ب 7577,71 هكتار أي بنسبة 86,79 % من مجال الدراسة، وتوافق هذه الفئة المناطق الجرداء العارية من كل حماية نباتية لكنها تحتفظ بتغطية بالتكونات السطحية فوق الصخور والصخور العارية، والأساحل أي مجال انتشار التعرية المركزة التي تتعمق داخل الصخور الهشة، مما يعيق أية إمكانية للاستعمال البشري أو الاستصلاح. والمقابل تمتد قيم Xa المتراوحة بين 0,1 و0,4 على 1149 هكتار، وتبلغ نسبة حضورها بالحوض 13,16 %، وتشمل الغابات المختلطة والماتورال الكثيف، وتتركز بالمرتفعات الجبلية بعالية الحوض وبعوض البقع بغربه ووسطه. وانطلاقا من توزيع مؤشر حماية التربة Xa، يظهر أن معظم الحوض يتشكل من أراض عارية وأساحل، مما يوفر الظروف الملائمة لنشاط التعرية ودينامية السفوح.

الخريطة 4: مؤشر حماية التربة (Xa) وفق أنموذج جافريلوفيك



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على مرئيات لاند سات 8

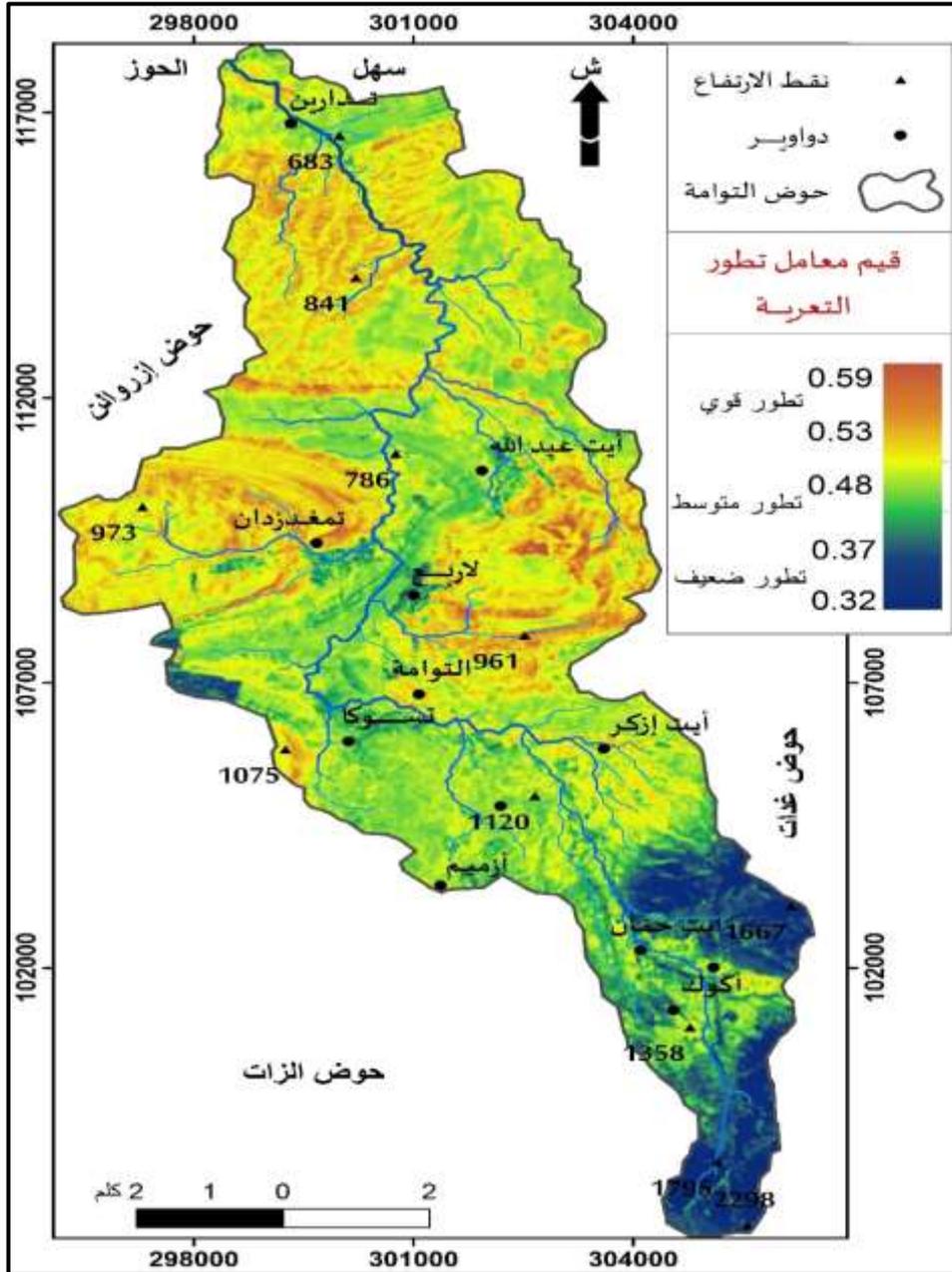
4-2-3 مؤشر تطور التعرية الحالية (φ)

يتطلب استخراج وحساب هذا المعامل عملا ميدانيا مكثفا وشاملا لمجال الدراسة، بالإضافة إلى الاستعانة بالصور الجوية وصور الأقمار الصناعية بدرجة وضوح عالية (1 متر). هذا وتوفير نظم المعلومات الجغرافية إمكانية حساب هذا المؤشر انطلاقا من صور اللاندسات عبر قسمة الجذر التربيعي للنطاق الثالث (TM3) على القيمة القصوى للإشعاع (Qmax) بناء على نتائج المعادلة، فإنه تترجم

النتائج وفقا لنسبة الإشعاع، حيث تزداد النسبة بشكل مضطرب مع حدة التعرية<sup>14</sup>. أي أن أعلى القيم تسجل بالمجالات ذات التعرية القوية والعكس صحيح.

$$\varphi = \sqrt{\frac{TM3}{Qmax}}$$

الخريطة 5: مؤشر تطور التعرية الحالية ( $\varphi$ ) وفق أنموذج جافريلوفيك



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على مرئيات لاند سات 8

<sup>14</sup>-جمال شعوان 2015: توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التعرية المائية بالريف الأوسط-حوض أمزاز أنموذجا-أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سلايس، ص 311.

حسب نتائج المعادلة الخاصة باستخلاص قيم معامل تطور التعرية من صور الأقمار الصناعية بطرق آلية، فقد سجلت أعلى القيم بالأراضي ذات التعرية لارجعية Badlands (0,59) وهي توافق المجالات حيث تطور التعرية قوي أي المجالات ذات التغطية النباتية الضعيفة والانحدارات القوية والصخور الهشة. في حين أن أدنى القيم هي (0,2) بمجالات ذات تطور ضعيف، إذ تتواجد بها انحدارات ضعيفة وغطاء نباتي كثيف وصخرة مقاومة للتعرية. ويدل هذا على توافق كبير بين المعايير الوصفية التي حددها Gavrilovic في الجداول الوصفية للطريقة الكلاسيكية والطريقة التلقائية التي تعتمد على صور الأقمار الصناعية.

#### 4-التعرية المحتملة من خلال معامل Z

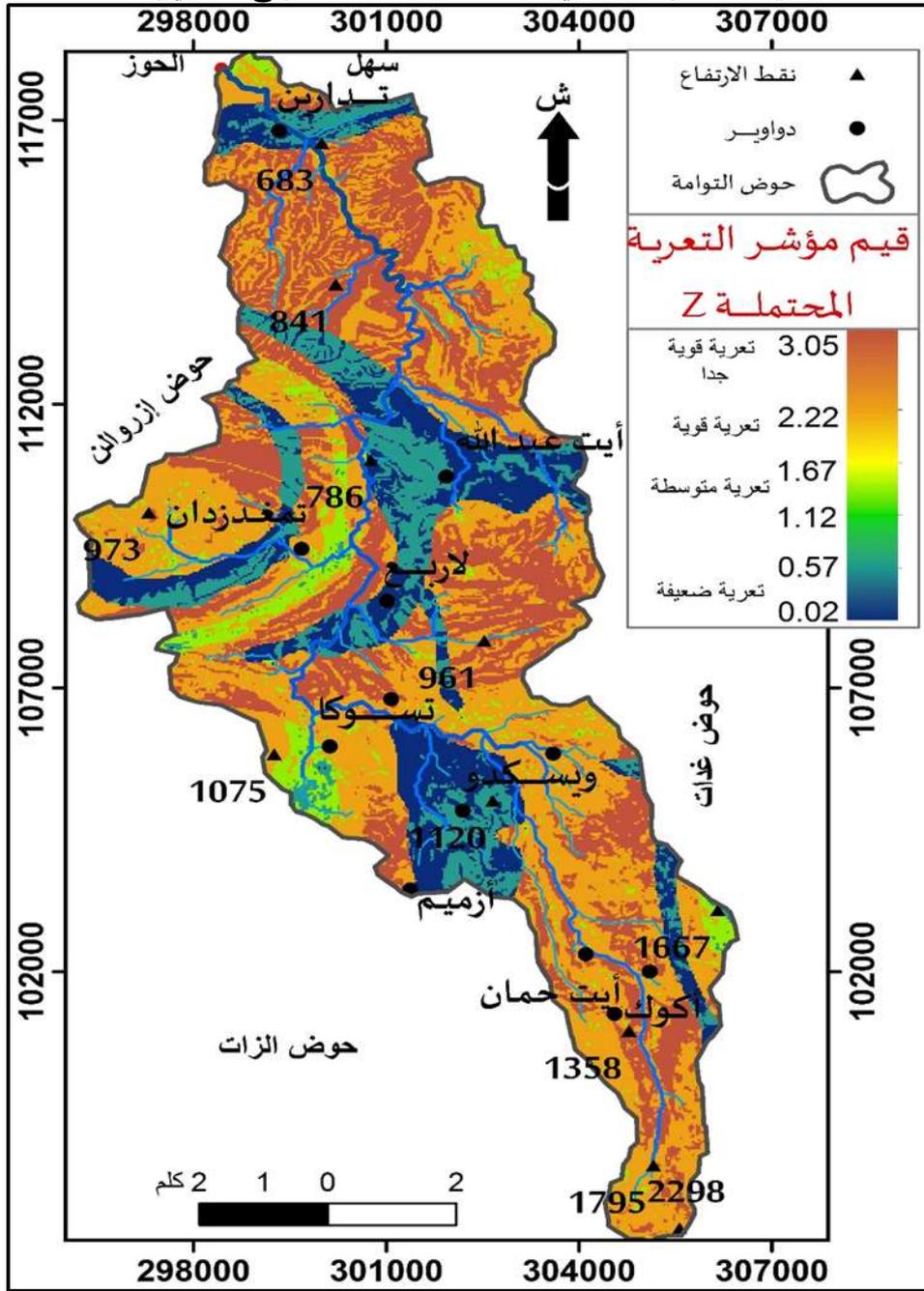
كما هو محدد في معادلة EPM يتم الحصول على هذا المعامل من خلال دمج خرائط المعاملات السابقة في نظم المعلومات الجغرافية، أي دمج خريطة معامل قابلية الصخور للتعرية (Y) ومعامل حماية التربة (Xa) ومعامل الانحدار (Ja) وأخيرا معامل تطور التعرية (p)، وبالتالي فهي انعكاس مباشر لمختلف العوامل المتحكمة في هذه الظاهرة، وعبره يمكن معرفة المجالات الأكثر استقرارا وتوازنا والمجالات الأكثر دينامية ونشاطا. ويعبر هذا المعامل عن التعرية المحتملة في الحوض المائي ويمكن عبره تتبع مستويات التعرية عبر الزمن، وقد صنفت مستويات التعرية المحتملة (Z) حسب نموذج جافريلوفيك إلى عدة فئات:

الجدول 6: قيم مستويات التعرية المحتملة (Z) حسب أنموذج جافريلوفيك

قيمة Z	مستويات التعرية المحتملة
أكبر من 1	تعرية قوية جدا
0,81 – 1,0	تعرية قوية
0,41 – 0,80	تعرية متوسطة
0,20 – 0,40	تعرية ضعيفة
0,19 – 0,01	تعرية ضعيفة جدا

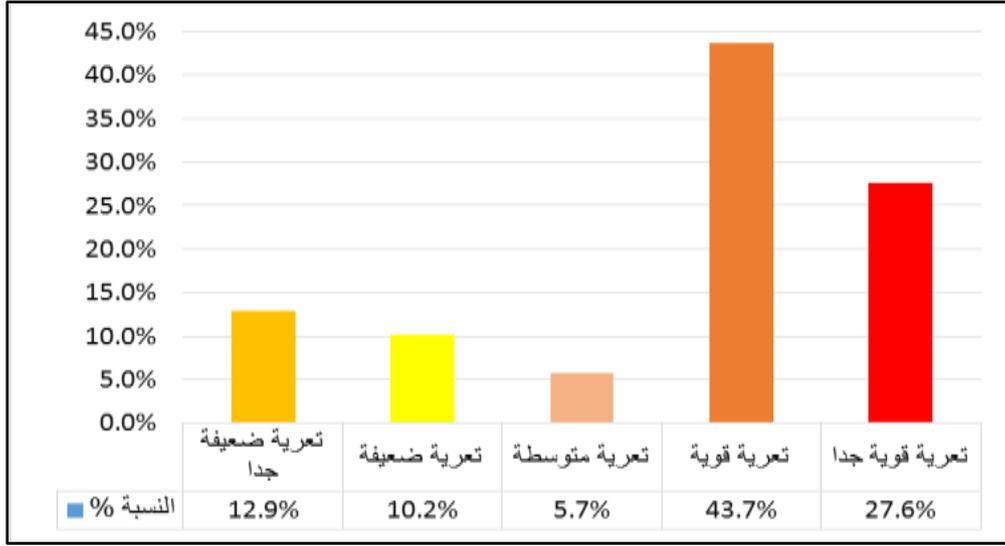
المصدر: جمال شعوان 2014 عن Zorn M et Komac B ,2008

الخريطة 6: مؤشر التعرية المحتملة (Z) وفق أنموذج جافريلوفيك



المصدر: تنضيد مؤشرات EPM

الشكل 5: مستويات التعرية المحتملة (Z) بحوض واد التوامة



المصدر: تنضيد مؤشرات EPM

تم تقسيم مجال الدراسة إلى فئات وفق الخريطة (6) والجدول (6) كما يأتي:

**الفئة الأولى:** تعرية ضعيفة جدا، تبلغ مساحتها 1120 هكتار، ونسبتها 12,9 %، وتسود بالمناطق الضعيفة الانحدار وذات الغطاء النباتي الكثيف والصخور المقاومة للتعرية خاصة البازلت؛

**الفئة الثانية:** تتميز بتعرية ضعيفة، وتمتد على مساحة تقدر ب 883 هكتار بنسبة 10,2 %، وتنتشر بوسط الحوض حيث الانحدارات ضعيفة. وأهمية الغطاء النباتي والركيزة الصخرية الصلبة كالبازلت والحجر الرملي؛

**الفئة الثالثة:** تتكون من التعرية القوية والقوية جدا، وتبلغ مساحتها تقريبا 6192,53 هكتارا ونسبتها 71,3 %، ويوافق امتدادها السفوح الشديدة الانحدار وبطون الأودية، ومناطق تدهور الغطاء النباتي والمتكونة كذلك من الصخور الترياسية الهشة كالطين الأحمر والتكوينات الرباعية الغرينية والطيني.

## خاتمة

من خلال تشخيص خصائص حوض واد التوامة، اتضح أنه وسط ذو هشاشة طبيعية مرتفعة، جعلته عرضة لمختلف ميكانزمات التعرية المائية، عبر توفر الظروف الملائمة لذلك من قبيل عنف التساقطات المطرية، وهيمنة الصخور الهشة غير المقاومة وقوة الانحدارات. بالإضافة إلى مساهمة التدخل البشري في تسريع وتيرة التدهور بفعل الاجتثاث والرعي الجائر وطرق الحرث والاستغلال القوي للأراضي الهشة والسفوح.

مكن تنضيد مختلف مؤشرات (قابلية الصخور للتعرية، مؤشر الانحدار، مؤشر حماية التربة ومؤشر تطور التعرية الحالية) نموذج جافريلوفيك EPM بواسطة برامج نظم المعلومات الجغرافية من التقييم النوعي للتعرية المائية، والحصول على خريطة التعرية المحتملة بحوض واد التوامة. إذ تم تصنيف هذا الوسط إلى مستويات التعرية طبقا لمعامل Z إلى عدة فئات، تشكل فيها التعرية القوية والقوية جدا حوالي 71,3 % من مساحة الحوض، بالمقابل تحضر التعرية الضعيفة جدا والضعيفة والمتوسطة ب 28,7 %.

## قائمة المراجع

- ديدياي محمد 2021: توظيف نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في التقييم النوعي والكمي للتعرية المائية بحوض واد الحاج من خلال نموذج جافريلوفيك EPM، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 51.
- رزقي محمد 2018، خطر للتعرية المائية على السفوح بالأطلس الكبير الأوسط (المغرب): دراسة حالة حوض تاكلفت، مجلة العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية، المجلد الرابع - العدد الثالث.
- سلاك بوعزة 2018: أساليب وأشكال التعرية المائية، توزيعها المجالي بالأطلس الكبير الأوسط حالة منخفض أيت عتاب، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش 207 ص.
- شعوان جمال (2015): توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التعرية المائية بالريف الأوسط -حوض أمزاز أنموذجا- أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس - سايس.
- شعوان جمال وآخرون (2013)، توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في التقييم الكمي للتعرية المائية بحوض واد أمزاز من خلال نموذج جافريلوفيك، مجلة جغرافية المغرب، المجلد 28 العدد 1-2، الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة.
- عارف سعيد وآخرون (2018): التقييم النوعي للتعرية المائية بمنخفض أيت عتاب بالأطلس الكبير الأوسط، مجلة العلوم الطبيعية والحياتية والتطبيقية، العدد الثالث - المجلد الثاني.
- نجاح صالح هادي الزهيري (2020)، التقييم الهيدروجيوميورفولوجي لأحواض شمال شرق كلار وأثره في التنمية المستدامة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة ديالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية العراق، 322 ص.
- منوغرافية الجماعة الترابية التوامة
- منوغرافية الجماعة الترابية تمكرت
- الخريطة الجيولوجية دمنات - تلوات 200000/1
- Aouatif CHEGGOUR 2008 : Mesure de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G : Application au bassin versant de la Rheraya, Haut Atlas, Maroc. Thèse pour obtenir le grade de Docteur en géologie, faculté des sciences Semlalia. Marrakech, Maroc, 231 P.
- ALI Faleh (2020), Cartographie des Zones vulnérables à L'érosion hydrique en amont du barrage Allal El FASSI (Moyen Atlas), Éditions Universitaires Européennes, 118P.
- Jamal AL KARKOURI et Aman Allah Zahnoun, Estimation & Cartography the Water Erosion by Integration of the Gavrilovic "Epm" Model using a Gis in the Mediterranean Watershed : Oued Tleta, European Journal of Scientific Research.

## تدبير الأخطار الهيدرولوجية ورهانات التنمية المستدامة بعالية حوض غيغاية بإقليم الحوز

رضوان الحداوي  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة القاضي عياض-مراكش

### ملخص:

تعد الأخطار الهيدرولوجية إحدى أهم الإشكالات البيئية، لما لها من انعكاسات سلبية على الساكنة والبنى التحتية التنموية، ومن هذه الأخطار نجد الفيضانات.

هذا المقال يهدف إلى دراسة الأخطار المرتبطة بالفيضانات، وانعكاساتها التنموية في إحدى المجالات المغربية الأكثر عرضة للفيضانات "عالية حوض غيغاية"، والوقوف كذلك على مختلف التدخلات والعمليات التدييرية التي تستهدف الحد من أخطارها بهذا المجال. وذلك بالاعتماد على المقاربة النسقية والمنهج الجغرافي بشكل عام من جهة. الذي يجمع ما هو طبيعي بما هو بشري، ومن جهة أخرى المنهج التاريخي، الذي يتجلى في دراسة السيرورة التاريخية للفيضانات بحوض غيغاية.

لقد افرزت هذه الدراسة أن عالية حوض غيغاية، المتسمة بانحدارات قوية وصخور هشة وغطاء نباتي متدهور، تتعرض لفيضانات ينتج عنها خسائر مادية وبشرية فادحة، تبذل الجهات المسؤولة مجهودات للحد والتخفيف منها، لكنها تبقى محدودة. وهو الأمر الذي يحتم تبني استراتيجيات تدييرية محكمة وفعالة لمواجهةها، وكذا لضمان استدامة التنمية وربح رهاناتها بالمجال المدروس.

**الكلمات المفاتيح:** الأخطار الهيدرولوجية – عالية حوض غيغاية – تدبير الأخطار - التنمية المستدامة

### Abstract

Hydrological hazards are one of the most serious environmental issues because of their detrimental effects on the population and developmental infrastructure, and one of these hazards is the issue of floods. This article aims to investigate the risks caused by floods, and their developmental implications in one of the Moroccan areas most susceptible to floods, the "High Ghighaya Basin". It is also the study's prime goal to identify the various interventions and management processes aimed at reducing its risks in this area by adopting a systemic approach and the Geographic Approach which combines what is natural with what is human. On the other hand, the historical method is also adopted as it aids in the study of the historical process of floods in the "High Ghighaya Basin". This study revealed that the height of the "High Ghighaya Basin", which is characterized by strong slopes, fragile rocks and deteriorating vegetation cover, is exposed to floods that result in serious material and human losses. The authorities are making efforts to diminish and mitigate them, but their efforts remain insufficient. This has made it compulsory to adopt solid and effective management strategies to confront the issue of floods, as well as to ensure the sustainability of development and the profitability of its stakes in the field studied.

**Keywords:** Hydrological Hazards - High Ghighaya Basin - Risk Management - Sustainable Development

## مقدمة

منذ ظهور الإنسان على الأرض يسعى أن يعيش حياته في أمن، وأن يحمي نفسه من الطبيعة التي يستغلها لصالحه. والآن يحاول أن يحمي الطبيعة من جبروته، نظرا لاستغلالها بشكل مفرط وغير معقلن، مما يحدث ضغطاً عليها، نجم عن ذلك اختلال التوازن البيئي واستنزاف الموارد الطبيعية وفقدان التنوع البيولوجي...

تعتبر ظاهرة الفيضانات من المخاطر الطبيعية التي تهدد مختلف المجالات سواء الريفية أو الحضرية، وتؤكد التقارير الصادرة عن الاتحاد الدولي للصليب الأحمر أن خسائر الفيضانات تبلغ 60 بالمائة، من مجموع الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الكوارث الطبيعية ما بين 1990 و1999، كما أشارت تقديرات معهد المراقبة العالمية أنه خلال الأشهر الاحد عشر من سنة 1998 تسببت الفيضانات في خسائر اقتصادية تقدر ب 89 مليار دولار مقابل 55 مليار دولار خلال الثمانينيات، وأسفرت عن مصرع 32000 شخص، وتشريد 300 مليون آخرين. وتختلف هذه الأرقام من سنة إلى أخرى، إلا أنها تدور حول متوسط عام يبلغ ربع مليون وفاة سنويا، يصل نصيب العالم الثالث منه إلى 95 بالمائة بسبب عدم توفر البنيات التحتية الأساسية والتجهيزات الضرورية. وكذلك الهشاشة التي تميز هذه الدول بالإضافة إلى هذه النتائج المباشرة من الخسائر البشرية فإنها تزيد من فقر الفقراء والتهميش وتدمير المشاريع الكبرى للتنمية.<sup>1</sup>

ولقد لفت تكرار هذه الكوارث أنظار المنتظم الدولي حيث جعل من هذا الموضوع محور اجتماع له بمقر الأمم المتحدة بتاريخ 22-12-1989 فأعلن يوم 12 أكتوبر يوما عالميا للوقاية من الكوارث الطبيعية، ثم جعل العقد الأخير من القرن الماضي عشية دولية لنفس الغاية، وذلك من أجل دعم الجهود الرامية إلى توفير الحماية من تلك الكوارث في المناطق التي بحاجة إلى ذلك في جميع بقاع العالم. وفي هذا السياق انعقد أول مؤتمر دولي حول موضوع الوقاية من الكوارث الطبيعية بمدينة "يوكوهاما" سنة 1994، ثم تلاه مؤتمر ثاني بمدينة "كوبي" بنفس الدولة اليابان سنة 2006،<sup>2</sup> وقد شارك المغرب فيهما معا، وقدم خلالها التوجهات العامة لسياسة البلاد في هذا الموضوع، وكذلك تقريرا أوليا في إطار الاتفاقية مع الأمم المتحدة في أكتوبر 2001، ولعل أهم ما جاء فيه أن المغرب شهد خلال العقود الثلاثة الأواخر من القرن الماضي بؤاد التحولات المناخية؛ كتردد الجفاف وفيضانات كارثية غير معتادة وتقلص مدة التساقطات الثلجية، وتغيرات في التوزيع المجالي والزماني للتساقطات المطرية.

يعد المغرب بمناخه المتوسطي، وتضاريسه المتنوعة من البلدان المعرضة بشكل طبيعي للأخطار الهيدرولوجية، وذلك ما يؤكد الإرث المرفولوجي والاشارات التاريخية. بالرغم من تردد فترات الجفاف بالمغرب خاصة ما بين 1990 و2006، فقد عرفت مجموعة من المناطق كوارث هيدرولوجية، خلفت حوالي 500 قتيل وخسائر مادية فادحة، وتفاقم الأضرار المتمثلة في انجراف التربة وتوحد السدود. وحاليا تبدو وثيرة الفيضانات والخسائر المرتبطة بها في تزايد مستمر، ويرجع ذلك إلى التغيرات المناخية، وكذا مسؤولية الإنسان الذي يساهم في تنشيط النظم الهيدرولوجية من خلال أشكال تدخله في الوسط الطبيعي.

<sup>1</sup>تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، لجنة الزراعة بروما 2001، الحد من تعرض الزراعة للكوارث ذات الصلة بالعواصف.  
<sup>2</sup>نفسه.

وتشكل الأخطار الطبيعية من أهم المشاكل والتحديات التي تواجه المجالات الجبلية، والأحواض النهرية نموذج عالية حوض غيغاية في السنوات الأخيرة، بسبب تزايد حدة التغير المناخي بفعل الأنشطة البشرية، وهذا ما يعيق تحقيق التنمية المستدامة. كما أن تدبير هذه الأخطار يشكل رهان الفاعلين المحليين، وهذا ما يقودنا إلى طرح الإشكالية التالية:

عالية حوض غيغاية مجال ذو موارد طبيعية متنوعة وأنشطة بشرية مختلفة، وطاقات بشرية مهمة. يتعرض باستمرار لفيضانات تؤثر على الأنشطة والموارد وتهدد حياة السكان، مما يفرض على الفاعلين المحليين التدخل للحد من هذه الأخطار. لكن رغم الجهود المبذولة تبقى عالية حوض غيغاية مجالاً هشاً، مازال يتعرض لفيضانات متواترة، تحول دون تحقيق التنمية المستدامة المنشودة. ومن هنا يمكن طرح الأسئلة التالية:

- ✓ ما المقصود بالأخطار الطبيعية؟
- ✓ ما الخصائص الطبيعية لعالية حوض غيغاية؟
- ✓ هل الأخطار الهيدرولوجية تعيق تحقيق التنمية المستدامة بعالية حوض غيغاية؟
- ✓ وما هي الحلول الممكنة للحد من الأخطار الهيدرولوجية؟

## 1. مفهوم الأخطار الطبيعية:

- الخطر: هو الحادث المحتمل وقوعه، أو الذي قد يقع فعلاً، والذي قد يكون طارئاً في لحظة لا يمكن ترقبها، أو قد يقع ويستمر لمدة قد تقصر أو تطول، فهو لا يمكن اعتباره كذلك، إلا إذا مس مجتمعاً بشرياً ومنشأته بأضرار تتباين حدتها<sup>3</sup>.

- تعريف الخطر حسب منظمة الأمم المتحدة: هو ظاهرة طبيعية خطيرة تحدث بسبب مواد أو أنشطة بشرية يمكن أن تسبب خسائر في الأرواح وتأثيرات أخرى على الصحة واضطرابات سوسيواقتصادية أو تأثير على البيئة.

وباللغة الإنجليزية (Risk)، لا يوجد تعريف ثابت أو مفهوم محدد لمصطلح الخطر، ولكن من الممكن تعريفه بأنه شعور، أو حالة تصيب الشخص عندما يواجه شيء ما يهدده، وقد يحدث له عند سماعه، أو رؤيته، أو شممه، وترتبط فكرة الخطر، مع العديد من المفاهيم الأخرى، ومن أهمها: الخوف، والشك، وعدم القدرة على التأكد وغيرها، وتختلف درجة تأثير الخطر حسب طبيعته، وكيفية تعامل الشخص معه، والأسباب التي أدت إليه.

تُصنّف المخاطر عموماً بأنها أحداث مفاجئة، أغلبها غير متوقع مسبقاً، وتكون خارجة عن سيطرة الأفراد، وخصوصاً أنواع الخطر التي تتصل بحادث ثابت، أو مؤقت، بعكس بعض المخاطر الأخرى، والتي من الممكن التخطيط لها، أو تدارك وقوعها، مثل: الخطر الاقتصادي، والذي يُعالج عن طريق اللجوء إلى

<sup>3</sup>- حسن المباركي، الاتجاه السلوكي في الجغرافيا ودوره في فهم المخاطر الطبيعية وفي إعداد المجال الريفي، حالة المسألة المائية بسهل الحوز، دراسات مجالية، جهة مراكش تانسيفت الحوز، ماي 2007، ص 9.

التفكير السليم، ووضع الحلول التي تساعد في الحد من تأثيره السلبي على الفرد، أو الأفراد الذين يتعرضون له<sup>4</sup>.

أسباب الخطر:

- أسباب طبيعية، مثل: الفيضانات، الزلازل، البراكين، والعواصف.
- أسباب بشرية، مثل: الجرائم، والعنف.
- أسباب مادية، مثل: سقوط عمارة سكنية، أو انفجار في محرك السيارة.
- أسباب مالية، مثل: الخسارة المالية في الاستثمارات، أو فقدان مبلغ مالي.

أنواع الخطر:

الخطر العام: هو الخطر الذي يؤثر على مجموعة من الأشخاص، مثل: خطر حدوث حريق في عمارة سكنية، عند تعطل مولد التيار الكهربائي، وعودة الكهرباء بشكل مفاجئ، نتيجة لوجود عطل في أسلاك التوصيل، أو حدوث هزة أرضية قوية تؤثر على الحي السكني.

الخطر الخاص: هو الخطر الذي يؤثر على شخص واحد بشكل فردي، أو على مجموعة أفراد بشكل خاص، مثل: التعرض للتهديد بالضرب، أو لهجوم عنيف، أو لحادث مروري، أثناء قيادة السيارة، أو الركوب في وسيلة مواصلات عامة<sup>5</sup>.

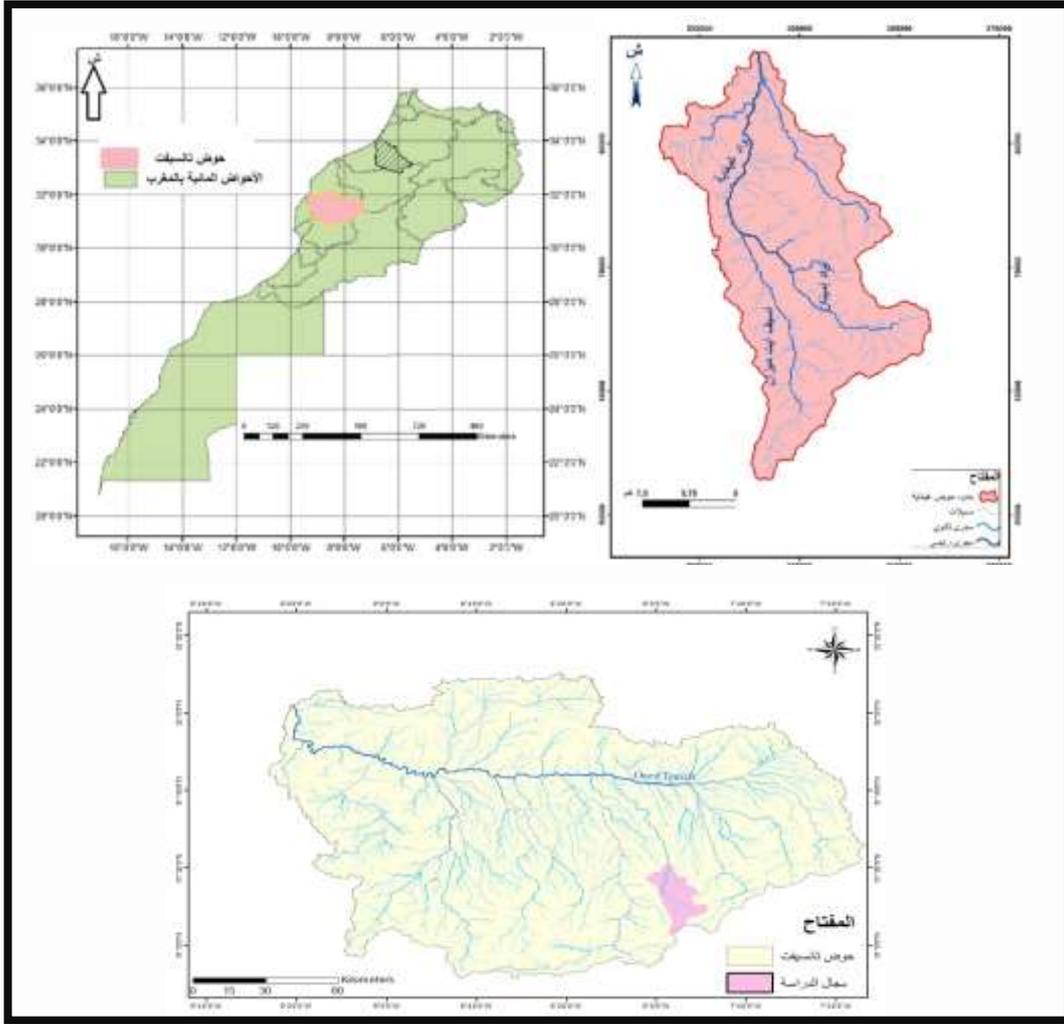
## 2. الخصائص الطبيعية لعالية حوض غيغاية:

### 1.2 مجال موقع مجال الدراسة:

عالية حوض غيغاية مجالاً لممارسة مجموعة من الأنشطة الاقتصادية، نظراً لتنوعه الطبيعي من حيث الموارد، ينتمي طبيعياً إلى جبال الأطلس الكبير الغربي وسهل الحوز، وهو من الأحواض الصغرى لحوض تانسيفت. وتحده منطقة تفنوت جنوباً ثم حوض أوريكاً شرقاً وحوض نفيس غرباً، هذا التنوع التضاريسي انعكس على النشاط الاقتصادي، حيث نجد المزروعات الشجرية والحولية بالمنخفضات (أسني وإمليل)، وزراعة الشعير بالدرجات النهرية العليا أما على السفوح فتستغل في الرعي على هوامش الغابة التي تغطي جل المرتفعات بعالية حوض غيغاية. والخريطة التالية توضح موقع عالية حوض غيغاية ضمن حوض تانسيفت.

<sup>4</sup>-رضوان الداوي 2019، تدبير الأخطار الطبيعية بحوض غيغاية ورهانات التنمية المستدامة "نموذج الأخطار الهيدرولوجية"، بحث ماستر متخصص، دينامية الأوساط والتدبير المندمج للموارد الطبيعية بالمغرب، ص 14.  
<sup>5</sup>- <http://mawdoo3.com> (اطلع عليه يوم 20/08/2021 على الساعة 10:00)

## خريطة رقم 1: توطين المجال المدروس



المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على النموذج الرقمي للأراضي MNT باستعمال برنامج ARCGIS

## 2.2 الخصائص الطبوغرافية

### أ- تضاريس صعبة يغلب عليها الطابع الجبلي

يغلب على عالية حوض غيغاية الطابع الجبلي، إن لم نقل أنها جبلية بأكملها، إذ تغطي الجبال أكثر من 95% من تراب الحوض. ويتمركز بها جبال ذات ارتفاعات مهمة ومنها جبل توبقال 4167 متر (أعلى قمة بشمال إفريقيا والعالم العربي). وبالتالي يعرف حوض غيغاية تساقطات ثلجية مهمة خلال فصل الشتاء مما ينعكس ايجابيا على جريان العيون والأنهار في فصل الصيف<sup>6</sup>.

<sup>6</sup> -رضوان الحداوي، نفس المرجع السابق، ص 28.

## ب-البنية الجيولوجية

تلعب الجيولوجية دورا مهما في العمل الجيومورفولوجي داخل الأحواض النهرية، فالتركيب العيادي للصخر ونظام بنائه من أساسيات تشكيل مختلف مظاهر السطح التي، تتغير بفعل عوامل مناخية من خلال فترات زمنية طويلة.

تتميز جيولوجية المنطقة المدروسة بتأثيرها القوي، بسلسلة من الدورات التكتونية النشيطة والمختلفة، والتي أثرت بشكل كبير على جيومورفولوجية المنطقة. حسب مجموعة من الباحثين الجيومورفولوجيين، مثل (1941) J. Dresch و (1973) P.roust اللذان ميزا بين سلسلة طويلة لهذه المجالات من الشمال نحو الجنوب، وهي المنطقة الشبه أطلسية والمنطقة المحورية لغيغاية<sup>7</sup>.

إذن فالبنية الجيولوجية لعالية حوض غيغاية تتميز بنوع من التعقيد والتنوع. إذ تتشكل من صخور شبه نافذة بنسبة 15% وغير نافذة ب 59%<sup>8</sup>. كالكس والشيست، لهذا ستظل من العوامل المساعدة في تغيير نظام الجريان واتجاهه وكذلك مدة الاستجابة والتغيرات التي تلحق بالصبيب.

### 3.2 مناخ متنوع

تلعب عناصر المناخ من حرارة وتساقطات ورياح دورا أساسيا في النشاط الفلاحي، وبحكم موقع المنطقة بين المرتفعات الجبلية، فإن مناخها يتسم بالبرودة شتاء والاعتدال صيفا. وقد صنفه (أومبرجي Emberger) ضمن النطاق البيومناخي الشبه جاف إلى الشبه رطب شتاء، انطلاقا من محطة أوكايمدن وأرمد وآسني، كما يوضح المبيان التالي ذلك:

<sup>7</sup>-Cheggour A (2008): Mesures de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G, Application au bassin versant de la Rhéraya, Haut Atlas, Maroc, thèse de doctorat, Faculté des Sciences Semlalia, université Cadi Ayyad Marrakech, P38.

<sup>8</sup> - Abourida F (2007): Approche hydrogéologique de la nappe du Haouz (Maroc) par télédétection, isotopie, SIG et modélisation, thèse de doctorat, Faculté des Sciences Semlalia, université Cadi Ayyad Marrakech, P 38.

مبيان رقم 1: الموقع المناخي لأسني وأوكيمدين وأرمد (عالية حوض غيغاية)  
داخل الرسم المناخي ل Emberger



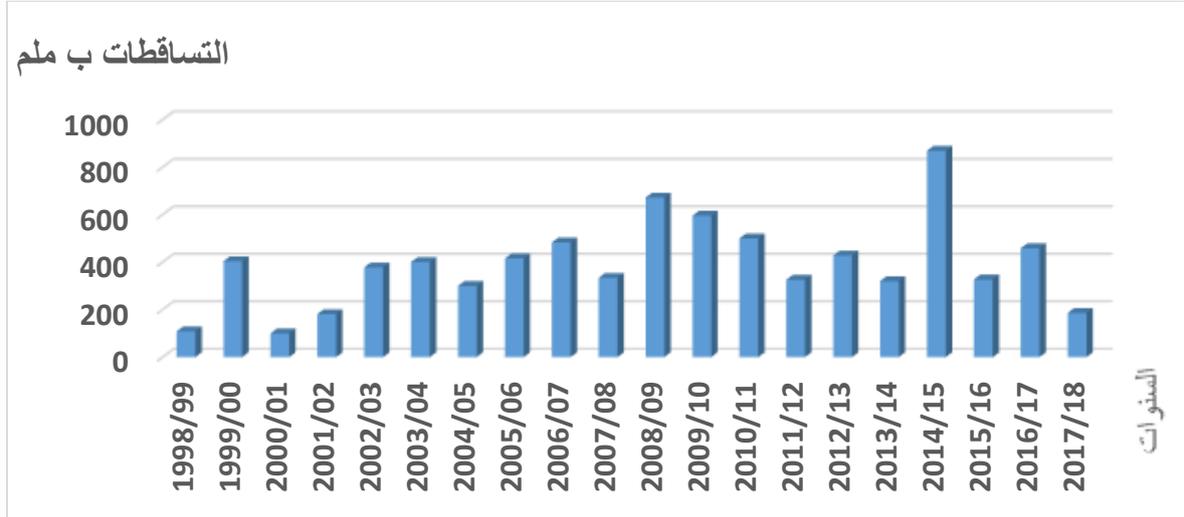
المصدر: CHEGGOUR.A 2008

أ-تساقطات متباينة ومهمة حسب الارتفاع

تعتبر التساقطات بنوعها المطرية والثلجية، المصدر الأساسي للموارد المائية المستعملة في النشاط الفلاحي، حيث تعد مصدرا أساسيا للمياه المغذية للفرشات الباطنية والسطحية. وبحكم موقع حوض غيغاية، فإن التساقطات تسجل تذبذبا متدرجا بين المناطق المنخفضة والمناطق الجبلية؛ إذ يتفاوت معدلها من سنة إلى أخرى. وسنحاول من هذا المنطلق دراسة النظام المطري للمنطقة.

ب-التساقطات المطرية السنوية بعالية حوض غيغاية

المبيان رقم 2: التساقطات السنوية بمحطة أرمد- إمليل



المصدر: إحصائيات مناخية، وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2018 بتصرف

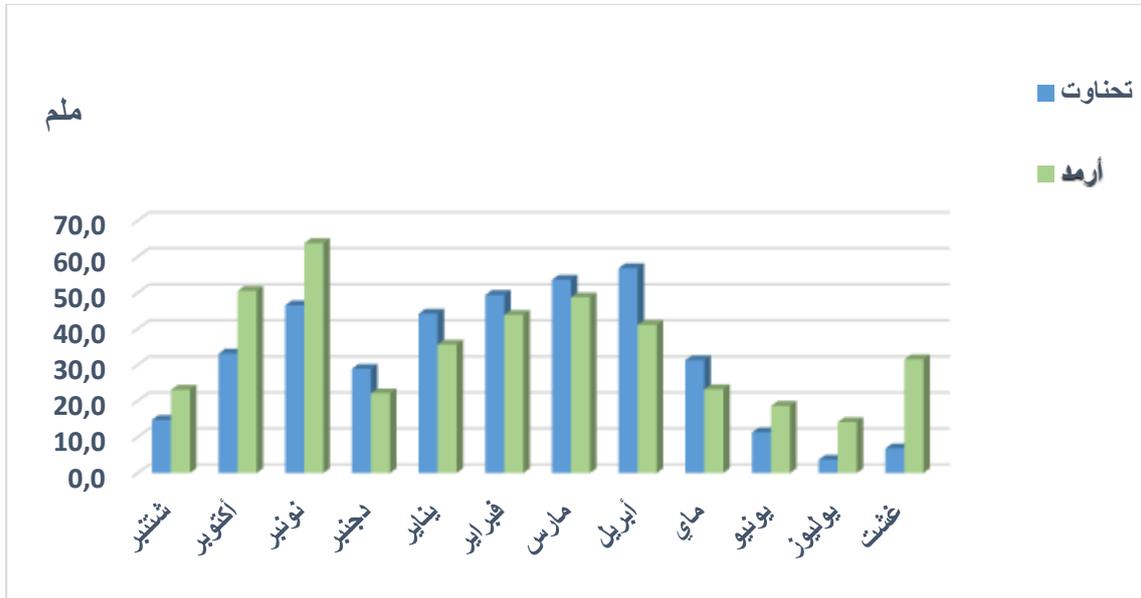
يتضح من خلال المبيان أعلاه أن التساقطات ترتفع كمياتها بشكل عام كلما زاد الارتفاع، ذلك أن الجبال العليا تستقبل أكثر من 500 ملم/سنة، وتتجاوز هذا المعدل بكثير في العلو الأكثر من 4000 متر حيث تصل إلى حوالي 1000 ملم/سنة، في حين تنخفض إلى 250 ملم/سنة في المناطق المشرفة على الدير.

كما تتخذ التساقطات شكل ثلوج (ما يقارب 20% إلى 80% من مجموع التساقطات)، وتطول مدة الثلوج من شهرين إلى خمسة أشهر، بداية من نونبر إلى دجنبر (نموذج سنة 2018)، أو قد تدوم إلى غاية شهر أبريل وقت الذوبان الكلي للثلوج. وتساهم التساقطات الثلجية بنصيب وافر من صبيب وادي غيغاية قد يصل إلى 48.6%.

### ج-التساقطات الشهرية

بالنسبة للتساقطات الشهرية فإنها ترتفع في شهر أكتوبر ونونبر ودجنبر، ومنخفضة في شهر يوليوز وشتنبر بصفة عامة. لكن نجد أن شهر أكتوبر وأبريل هي أكثر الأشهر المطيرة خاصة بمحطة تحناوت بخلاف محطة أرمد التي يشكل بها أكتوبر وفبراير الأشهر المطيرة، حيث أن شهر يوليوز يتميز بالجفاف بمحطة تحناوت، وشهر غشت ويوليوز وماي بالنسبة لمحطة أرمد كما يجسده المبيان الموالي:

مبيان رقم 3: التوزيع الشهري لمتوسط التساقطات بحوض غيغاية من 1969 إلى 2018.



المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2017.

بالإضافة إلى عدم انتظام التساقطات وتباين نوعها بحوض غيغاية، هناك كذلك اختلاف مجالي كبير لتوزيعها مرتبط بعموما بالارتفاع والانحدار، وتموضعها في جبال الأطلس الكبير وكذا ارتباطها بالغطاء النباتي.

### 3. الخصائص الهيدرولوجية لحوض غيغاية

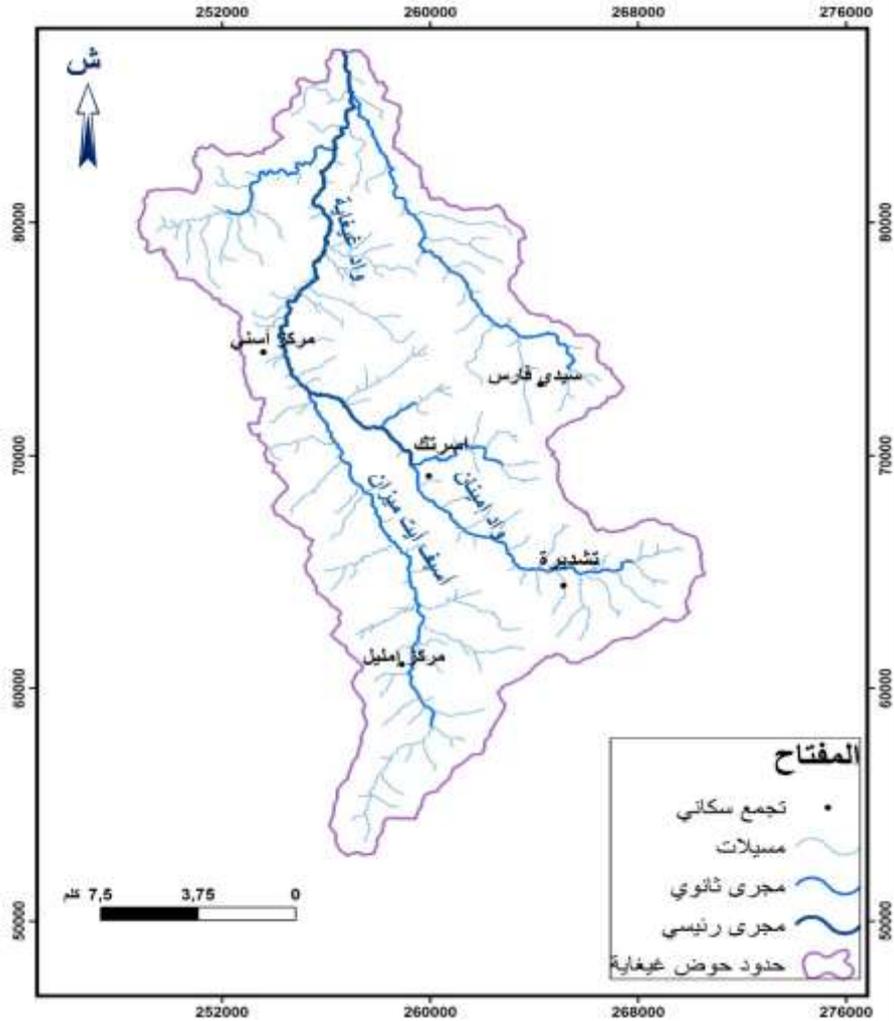
#### 1.3 شبكة تصريف الحوض النهري لواد غيغاية

يتميز حوض واد غيغاية بشبكة هيدروغرافية كثيفة ومعقدة، حيث يدخل واد غيغاية بدوره ضمن الأحواض الثانوية لحوض تانسيفت. ينبع من جبال توبقال حيث تغذيه بالأساس روافد ( ايت ميزان، إمان، إسردان، إسكوان)<sup>9</sup> وغالبا ما تكون موسمية وجافة في الصيف، وعنيفة خلال الفترات المطيرة. ويجتمع الرافدان ايت ميزان وإمان قبل أن يقطع منخفض أسني على واد غيغاية. فالأول يقع شرقا ويتصف بعمق

<sup>9</sup> -مولاي لحسن الفارسي 2016، الدينامية المجالية لأطلس مراکش حالة حوضي غيغاية وأوريكة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية النداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراکش ص 51.

مجراه من جهة لكنه ضيق المصب من جهة ثانية خاصة في اتجاهه العرضي، أما بالنسبة لاتجاهه الطولي فهو يتسم بالاستطالة كما تبين الخريطة التالية:

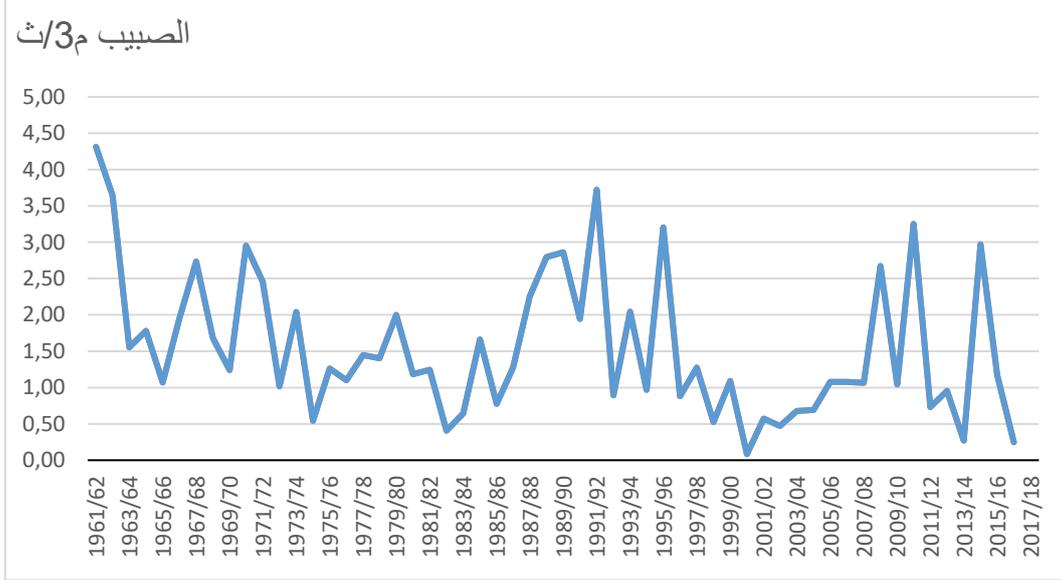
### خريطة رقم 2: الشبكة المائية لعالية حوض غيغاية



المصدر: MNT عمل شخصي باستعمال برنامج ArcGIS

### 2.3-تغيرات الصبيب السنوي السائل

المبيان رقم 4: متوسط الصبيب السنوي لواد غيغاية بمحطة تحناوت (1962/1961- 2018 /2017)



المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت بتصرف

نلاحظ من خلال المبيان أعلاه أن الصبيب السنوي لواد غيغاية يعرف تغيرات وتذبذبات تتراوح ما بين 0.1 م³/ث في موسم 2001-2000 بصبيب ضعيف، و 3.8 م³/ث في موسم 1991-1990 بصبيب مرتفع. وفي موسم 2015-2014 سجل صبيب مهم بمتوسط 3 م³/ث حيث عرف هذا الموسم تساقطات مرتفعة مما أدى إلى فيضان واد غيغاية. وكل هذه التغيرات مرتبطة بالمناخ الشبه الجاف والتغير المناخي العالمي.

### 3.3-الخصائص المورفومترية لحوض واد غيغاية

تصل مساحة حوض غيغاية إلى 225 كلم²، ويبلغ محيطه حوالي 78 كيلومتر، أما طول واد غيغاية يصل الى 32 كيلومتر. وفيما يخص العرض فهو ذو عرض يبلغ حوالي 16.5 كلم. يلعب اتساع الحوض دورا أساسيا في عمليات الفيض التي تعرفها الاحواض النهرية، اذ يساهم الاتساع على جميع كميات مهمة من التساقطات، حيث كلما اتسع الحوض ويميل نحو الشكل الدائري إلا واستفاد بشكل كبير من الكميات المطرية المتساقطة. وبذلك ينتج عنه قمة فيضان عالية وخطيرة.

### 4- الخصائص الشكلية لعالية حوض واد غيغاية

#### 1.4 معامل التماسك

ويقصد به أيضا "نسبة الاستدارة"، ويعبر عن مدى اتخاذ الاحواض المائية للشكل الدائري وعن مدى انتظام خط تقسيم المياه. فكلما اقتربت هذه النسبة من 1 إلا واتخذ الحوض الشكل الشبه الدائري، والعكس صحيح اثناء ابتعاد النسبة من ذلك، حيث يميل الى الاستطالة وبالتالي تكون روافده قصيرة وتمتد على مسافات مستطيلة وغير منتظمة. تصف نسبة الاستطالة التي تتراوح بين (0-1) امتداد مساحة الحوض مقارنة مع الشكل المستطيل. وتشير القيم المنخفضة لهذا المعامل على اقتراب الحوض من المستطيل.

وسنقوم بحساب معامل التماسك لحوض واد غيغاية بالاعتماد على مؤشر التراص:

KG: مؤشر التراص

P: محيط الحوض بالكلم

A: مساحة الحوض بالكلم<sup>2</sup>

$$KG = 0,28 \times \frac{P}{\sqrt{A}}$$

$$KG = 0,28 \cdot \frac{78}{\sqrt{225km^2}}$$

$$= 1,45$$

$$KG=1.45$$

ومن خلال هذا المعامل وجدنا أن القيمة تساوي 1.45 لحوض غيغاية، مما يدل على أن الحوض يتخذ شكل طولي يقترب من الاستطالة. الشيء الذي ينعكس على نظام التصريف الذي يبلغ الذروة مباشرة مع سقوط الأمطار، كما أن المدة الزمنية اللازمة لوصول موجة الفيضان قصيرة.

#### 2.4 شكل عالية حوض غيغاية

يشبه هذا الحوض الصرف النهري الشجري، ينشأ هذا النوع من الصرف تحت خصائص طبيعية معينة، من أهمها الطبقة السائدة في الصخور الرسوبية وتجانس الطبيعة الصخرية وزيادة مسامية ونفاذية الصخر. كما يتأثر في طبيعة المناخ، لاسيما كمية الأمطار الساقطة التي بزيادتها يزداد تفرع الشبكة النهرية. ويتأثر أيضا بالمرحلة التطورية لحوض الصرف النهري كلها عوامل ساعدت في تطور هذا النوع من الأحواض.

#### 5-الأخطار الهيدرولوجية بحوض غيغاية

يعتبر حوض غيغاية من أكثر الاحواض النهرية عرضة لأخطار الفيض الفجائي والسريع وتنتج فيضاناته المدمرة عن الامطار الكثيفة المعروفة بتركزها في المكان، اضافة الى قدرة الوادي في العالية على النحت والتعرية وحمولته الصلبة المرتفعة دائما.

#### 1.5-السيرورة التاريخية لمسار الفيضانات بحوض غيغاية

شهد حوض غيغاية منذ الستينيات من القرن الماضي تردد مجموعة من الفيضانات، خلفت خسائر فادحة بشرية واقتصادية واجتماعية:

**فيضان 1995:** سجل يوم 17 غشت 1995 أعلى صبيب بـ 680 م<sup>3</sup>/ث وخلف عدة خسائر بمنطقة الرحي جماعة مولاي إبراهيم، منها البشرية وفاة 5 أشخاص و 7 جرحى وعلى المستوى الأنشطة إتلاف مجموعة من الأراضي الزراعية، وفي منطقة إمليل تضرر الأنشطة السياحية وتدمير 40 سيارة بحكم أن المنطقة تتميز بالسياحية. وفي سافلة الحوض نجد منخفض أسني الذي يضم أكبر مركز وأهم تجمع سكاني داخل الحوض وبالقرب من المحطة الهيدرولوجية المرجعية.

**فيضان 1999:** تدفق الصبيب وصل 500 م<sup>3</sup>/ث وحدث الفيض بواد إمليل من 11 إلى 15 أكتوبر وكذلك يوم 28 أكتوبر، وبواد غيغاية 28 أكتوبر وتسبب هذا الفيضان في تدمير مجموعة من الطرق منها الطريق الإقليمي 203.

صورة رقم 1: تدمير الطريق بين محطة تحناوت وجماعة أسني بعد عاصفة 2006/04/25



المصدر: وكالة الحوض المائي تانسيفت مراكش

**فيضان 2006:** تسبب هذا الفيض الذي وصل إرتفاعه إلى 1.5 متر في قطع الطريق بين جماعة مولاي إبراهيم وجماعة أسني، نظرا لكون الطريق الإقليمي بالقرب من مجرى واد غيغاية.

**-فيضان 2014:** في يوم 2014/11/11 فيضان واد غيغاية يجتاح مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية المغروسة، إضافة إلى تدفق السيول من بعض الشعاب، بما يترتب عنها من توقف حركة السير ببعض الطرق.

**-فيضان 2015:** أدى هذا الفيضان إلى إنهيار منزلين من طين ووفاة شخصين في دوار العرب أسني، وذلك بسبب التساقطات المهمة التي عرفها حوض غيغاية.

**-فيضان 2018:** يوم 7 مارس 2018 عرفت منطقة إمليل تساقطات غزيرة نتج عنها حمولات مهمة للأودية التي تنتمي لحوض غيغاية، وخلفت أضرار كبيرة على المستوى الطبيعي والأنشطة الاقتصادية التي تعتمد عليها ساكنة الحوض، وأتلفت العديد من المنشآت والبنيات التحتية والأراضي الزراعية. والصورة التالية توضح اسفله.

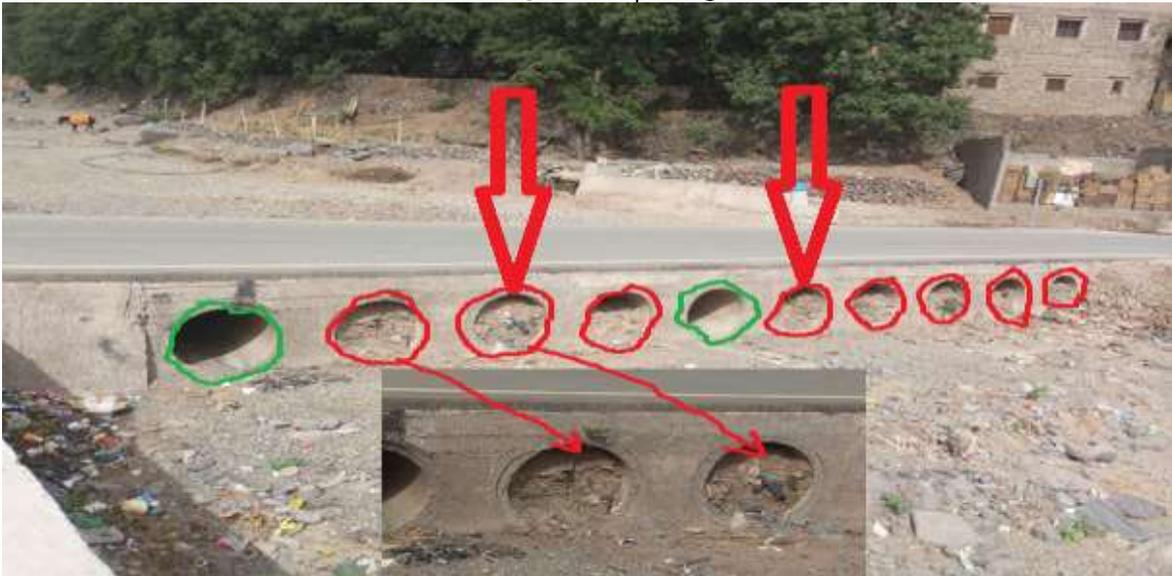
## الصور رقم 2: انهيار طريق إمليل بسبب الفيضانات وانجراف التربة والجلاميد يوم 7 مارس 2018



المصدر: رضوان الحداوي 2019، مرجع سابق، ص 90.

يوم 4 و11 غشت 2018 أدت التساقطات الرعدية الفجائية إلى جريان مائي للأودية، خاصة مع امتداد حمولات مهمة لفترة زمنية مهمة ساعات، لكن دون تسجيل أي خسائر. أما يوم الخميس 13 شتنبر شهد إقليم الحوز تساقطات مطرية غزيرة، خلفت فيضانات في مجموعة من روافد واد غيغاية خاصة بمنطقة إمليل، نتج عن ذلك خسائر مهمة تتجلى في إتلاف بعض الحقول والضيعات الفلاحية وجرف الماشية والأشجار، وانقطاع مجموعة من الطرق بين إمليل وأسني ومجموعة من الدواوير التي عاشت في عزلة تامة لمدة أسبوع، ونخص بالذكر الأحواض الثانوية المكونة لحوض غيغاية (حوض إمليل، حوض سيدي فارس، حوض إمان، وحوض اسرتك)، وفي هذا السياق استنفرت السلطات الإقليمية جميع الأجهزة المكونة للجنة اليقظة بإقليم الحوز، من أجل رفع حالة تأهبها بهدف ضمان مرور الأمطار الرعدية دون خسائر مادية أو بشرية.

## الصورة رقم 3: قنطرة واد إمليل



المصدر: عدسة شخصية 30 يوليوز 2018

توضح الصورة أعلاه عدم تدخل الجهات المسؤولة ولا جمعيات المجتمع المدني لتنقية القناطر من الأوحال والنفايات العالقة بها، والتي تبقى حاجزا أمام مرور مياه واد إمليل أثناء الفيض، حيث من بين عشر ممرات (باللون الأحمر في الصورة) نلاحظ ممرين فقط صالحين لتصريف المياه (باللون الأخضر في الصورة). وهذا ما يؤدي إلى فيضان الواد على الضفاف كما تبين الصورة التالية:

الصورة رقم 4: انقطاع الطريق على مستوى قنطرة واد إمليل الخميس 13 شتنبر 2018

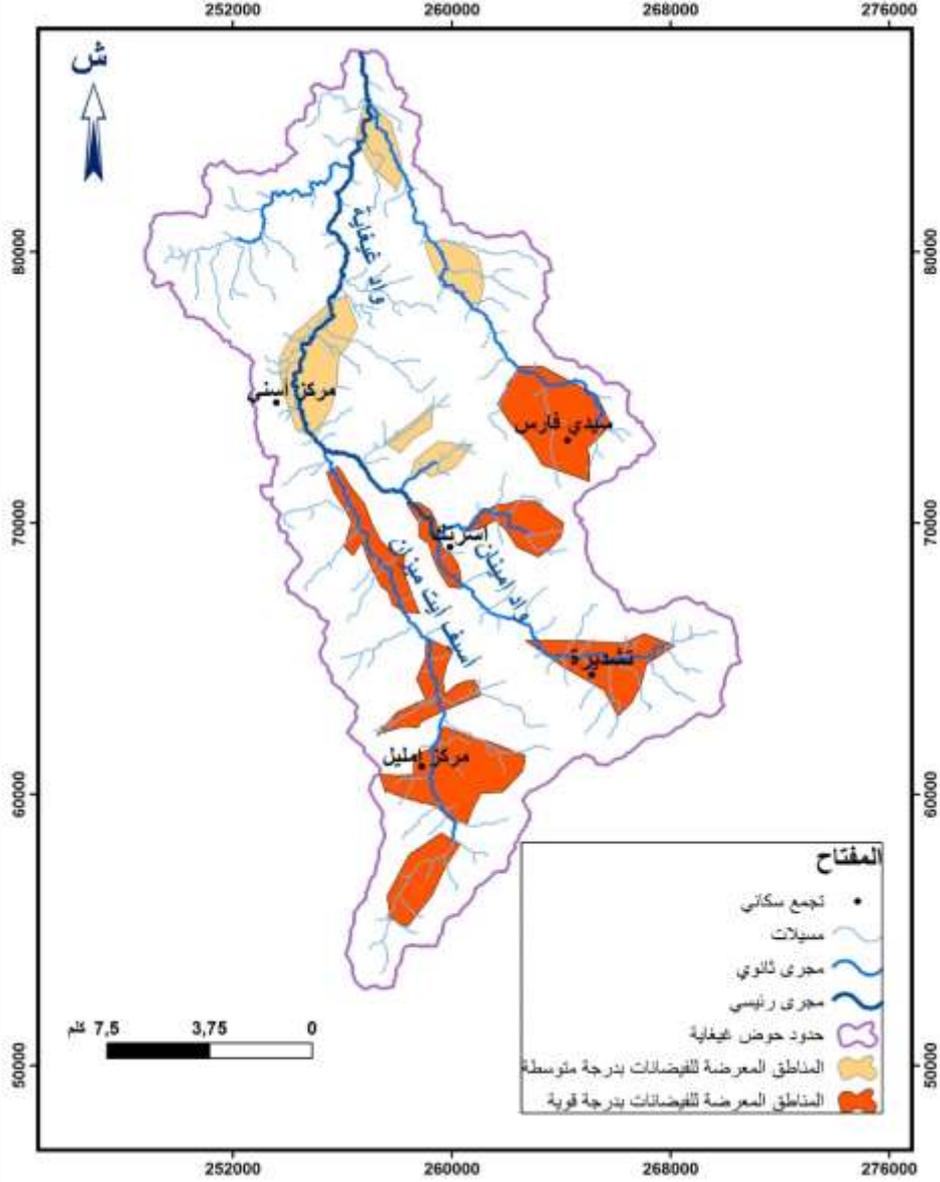


المصدر: رضوان الحداوي 2019، مرجع سابق، ص 116.

وإجمالا فإن ارتفاع شدة الأمطار وغياب شبكة الصرف الصحي خاصة في مركز أسني وإمليل، وكذلك غياب شبكة لتصريف مياه الأمطار وتدخل الإنسان، علاوة على بنية السليل خصوصا الضفاف، إضافة إلى وجود تربة غير نافذة من أهم أسباب الفيضانات بحوض غيغاية.

إذن من خلال الدراسة الميدانية والصور أعلاه تبين لنا ما مدى ارتفاع الخسائر المادية والبشرية التي تخلفها فيضانات عالية حوض غيغاية باستمرار، ومن هنا توصلنا إلى خريطة تحدد المناطق التي تتعرض للأخطار الهيدرولوجية بعالية حوض غيغاية. بالاعتماد على العمل الميداني وخريطة الارتفاعات والانحدارات وتاريخ الفيضانات بالمنطقة:

### خريطة رقم 3: الفيضانات بعالية حوض غيغاية



المصدر: MNT عمل شخصي باستعمال برنامج ArcGIS 2018

نلاحظ من خلال الخريطة أعلاه أن المناطق المعرضة للفيضانات بدرجة قوية هي الأحواض الصغرى المشكلة لعالية حوض غيغاية؛ كل من حوض إمليل وإمان واسرتك وسيدي فارس ومنطقة تشديرة، وذلك بسبب ضيق هذه الأحواض وقوة الانحدارات والارتفاعات المطلقة وتلقيها تساقطات رعديّة قوية. أما المناطق التي تتعرض للفيضانات بدرجة متوسطة هي منخفض أسني، لكون واد غيغاية متسع في السافلة. وتنقسم الفيضانات إلى نوعين:

- الفيضانات البطيئة: هي فيضانات تأخذ وقت طويل من بضع ساعات إلى بضع أيام.
- الفيضانات السريعة: شدة الأمطار (مرتبطة بالعواصف).

## 2.5- أثر الفيضانات على الحوض

تساهم الفيضانات في إحداث مجموعة من التأثيرات على عدة مستويات بالحوض النهري غيغاية، يمكن إجمالها فيما يلي:

المستوى البيئي:

- انهيار جوانب الواد وإغراقه بحمولات طينية نازلة من السفوح؛
- إلحاق خسائر مهمة للمدرجات الزراعية بعد تغيير اتجاه الواد؛
- انهيار الجسور خصوصا بالمناطق الهشة مما يؤدي إلى عدم استقرار الضفاف، وتآكلها بفعل التعرية وبالتالي الزيادة من مخاطر فيضانات أخرى.

صورة رقم 5: انجراف التربة والصخور على طريق إمليل الخميس 13 شتنير 2018



المصدر: رضوان الحداوي 2019، مرجع سابق، ص 95.

المستوى البشري: تسجيل عشرات الحالات من المفقودين والقتلى في صفوف الساكنة المحلية ومن نزلاء الفنادق؛

المستوى الاقتصادي: تضرر الساكنة المحلية من جراء العزلة أيام الفيضانات؛

المستوى المادي: تضرر البنيات التحتية والمنشآت الخاصة والعمومية كالفنادق والأعمدة الكهربائية والمدارس والمقاهي...

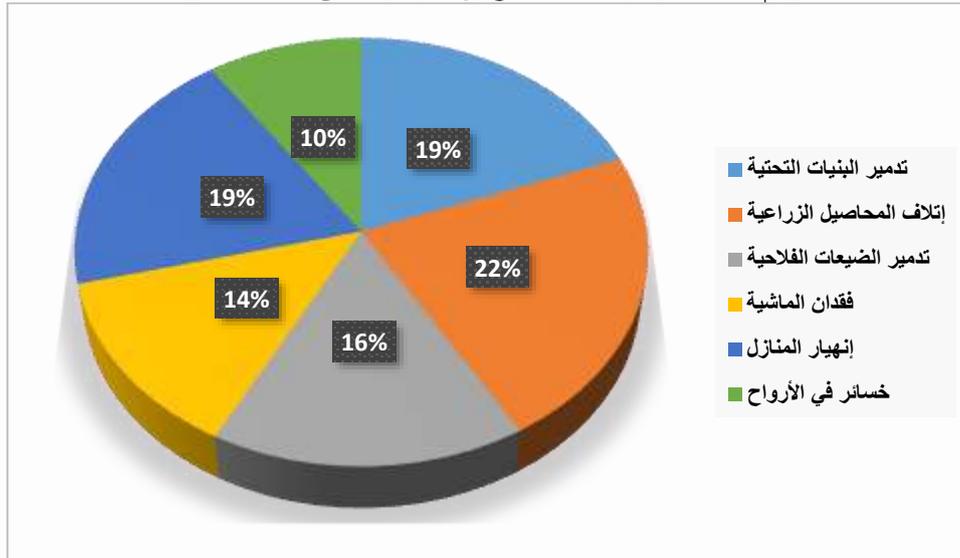
صور رقم 6 : انهيار بعض المنازل الطينية الهشة والمختلطة الخميس 13 شتنبر 2018



المصدر: رضوان الحداوي 2019، مرجع سابق، ص 95.

أما من خلال الاستمارة الميدانية فالمبيان أسفله يوضح أن التأثير يكون أكثر على إتلاف المحاصيل الزراعية في المرتبة الأولى بنسبة 22 بالمئة، تليها تدمير البنيات التحتية وانهيار المنازل بـ 19 بالمئة، ثم تدمير الضيعات الفلاحية بـ 16 بالمئة، وفقدان الماشية بنسبة 14 بالمئة وأخير خسائر في الأرواح بـ 10 بالمئة.

مبيان رقم 5 : تأثير فيضانات حوض غيغاية على الأنشطة والسكان



المصدر: الاستمارة الميدانية 2018

صفوة القول أن حوض غيغاية يتميز بشبكة هيدروغرافية كثيفة وعنيفة ومعقدة. كما أن السيرورة التاريخية للأخطار الهيدرولوجية بحوض غيغاية تبين لنا أنه مجال تتعاقب عليه الفيضانات بشكل مستمر بسبب عدة عوامل طبيعية وبشرية إلى جانب التغيرات المناخية التي يعرفها المجال المغربي. كل هذه العوامل والخصائص تجعلنا امام مجال هش في ظل احتمال تعرضه لخطر الفيضان مما يعيق التنمية المستدامة.

### 3.5-الحلول المقترحة للحد من الفيضانات

إن كانت الفيضانات ظاهرة طبيعية لا يمكن التحكم فيها فإن التخفيف من آثارها ممكن من خلال اتباع مجموعة من الأساليب الوقائية للحماية والتخفيف من أضرارها، حيث يمكن التمييز بين نوعين من الأساليب الوقائية حسب الكتابة العامة المكلفة بالماء والبيئة كما يلي:

#### • الأساليب المباشرة

- تنظيف الواد والقناطر من كل ما يعيق تدفق المياه في التيار نموذج (قنطرة واد امليل)؛
- توسيع قعر المجرى للزيادة في القدرة على استيعابه في حالة ازدياد الصبيب خاصة في المناطق الضيقة؛
- تعزيز المنشآت المائية المقامة على جنبات الأودية وتقويتها؛
- تثبيت ضفاف الأودية من خلال إنشاء حواجز؛
- تعلية سفوح وضايف واد غيغاية عند مركز أسني ومنطقة الرحي بجماعة مولاي إبراهيم (انظر الصورة رقم 7)؛
- بناء الحواجز والمصدات، هيئة الأحواض المائية.

صورة رقم 7: حاجز لحماية الطريق من فيضانات واد غيغاية



المصدر: عدسة شخصية شتنبر 2021

### • الأساليب غير المباشرة:

- وتشمل كل التدخلات خارج المناطق المهددة بالفيضانات من خلال إنجاز وإقامة عدة وسائل على المجاري المائية المسؤولة عن الفيضانات كما يلي:
- إنشاء قنوات لتصريف جزء من مياه الواد خارج مجراها.
- إطالة المجاري المائية من خلال عمل حواجز تحويلية للمياه، لتخفيف من سرعة جريان المياه؛
- تسريع تشييد سد غيغاية على واد غيغاية الذي بدأت فيه الدراسة سنة 2021؛
- تهيئة وإعداد الحوض النهري ضد مخاطر التعرية؛
- تجويد البيئة من خلال إقامة المساحات الخضراء.

### 6-رهانات التنمية المستدامة

إن الإنسان ليس فقط غاية وهدف للتنمية، وإنما أيضا رأسمالها، الذي لا بدا منه لحصولها، لأنه يصبح المخطط والمنتج والمستهلك وهذا يتطلب بدوره الإيمان بكل مرتكزات التنمية التي من بينها التنمية المستدامة،<sup>10</sup> التي تشكل في المغرب إحدى ركائز السياسات الحكومية والمناقشات العامة، وتحمل في طياتها رهانات عدة على المستويات البيئية والاقتصادية والثقافية والمؤسسية.

قام المغرب بترجمة التزاماته الدولية على أرض الواقع في إطار قمة ريو 1992 وقمة جوهانسبورغ 2002 وقمة كوب 22 بمراكش سنة 2016 والاتفاقيات الدولية ذات الصلة، ومن هذا المنطلق وتنفيذا للتوجيهات الملكية السامية. تم إدماج البيئة في السياسات التنموية والمناهج التربوية عبر اعتماد ميثاق وطني شامل للبيئة والتنمية المستدامة وفق مبادئ المشاركة والالتزام والتعاقد والتشاور، وكذا إصدار ترسانة من القوانين البيئية تهتم على الخصوص الاقتصاد الأخضر، وترشيد المياه والطاقة والنفائات والمحميات الطبيعية. وقد توجت هذه الاختيارات الوطنية بالالتزام دستوري واضح من خلال دستور المملكة المغربية لسنة 2011 الذي نص على مسؤولية الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية في تعبئة كل الوسائل المتاحة لتيسير أسباب العيش في بيئة سليمة، وتحقيق تنمية مستدامة تعزز العدالة الاجتماعية والحكمة وتحافظ على الموروث الطبيعي والثقافي.

لتحقيق التنمية المستدامة على أرض الواقع يجب تفعيل التوصيات والحلول المقترحة السالفة الذكر لأن ذلك سيؤدي إلى:

- الحفاظ على التربة من التعرية والانجراف وكذلك النقص من توحد السدود عن طريق إعادة التشجير من طرف الجماعة الترابية والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر؛
- التركيز على استعمال الطاقات المتجددة خاصة الشمسية للحماية الغابة من القطع؛
- التخطيط الجيد لبناء التجمعات السكنية ومنع البناء على ضفاف واد غيغاية وروافده؛
- اعتماد الدراسات الهيدرولوجية قبل البدء في إجراءات اعتماد المخططات السكنية في المراكز القروية والشبه حضرية، مع مراعاة المحافظة على المسارات الطبيعية للأودية؛

<sup>10</sup> - رضوان الحداوي، 2017، دور الكتاب في التنمية والثقافة "جامعة القاضي عياض مراكش أنموذجا"، الطبعة الأولى، ص: 7.

- منع السكان من احتلال الملك العمومي المائي؛
- بالإضافة إلى التدبير الجيد للموارد المائية، بالاعتماد على السقي الموضوعي في النشاط الزراعي؛
- منع التلوث والتسريع في إيجاد حل للمطرح العشوائي بمنخفض أسني لأنه يهدد صحة وسلامة السكان والموارد المائية؛
- القيام بدراسة هيدرولوجية للتمكن من تحديد مناطق التطعيم الاصطناعي للفرشة المائية الباطنية، وتحديد موقع بناء السدود التلية للحد من الفيض؛
- إنشاء بحيرة اصطناعية في بعض المناطق لتجميع مياه الأمطار وفي نفس الوقت تساهم في السياحة؛
- تفعيل القوانين خاصة قانون 15-36 (سليل كل مجرى أو شعبة يدخل ضمن المجال الجماعي، يمنع استعماله).

## خاتمة

وصفوة القول نخلص إلى أن الخصائص الطبيعية للحوض (الموقع، التضاريس، المناخ...)، عوامل مسؤولة عن الأخطار الهيدرولوجية المترددة على حوض غيغاية، ومعطى طبيعي مرتبط بخصائص الحوض. كما تعاني الموارد الطبيعية من التدهور بفعل الضغط البشري الغير المعقلن، وهذا يساهم في قوة الأخطار الطبيعية. كما أن التدخلات البشرية هي المسؤولة عن هذه الأخطار الهيدرولوجية من خلال تزايد السكان والتوسع على ضفاف الأودية واحتلال السليل أو ما يسمى بالملك العمومي المائي عن طريق الزراعة.

أما تدخلات الفاعلين المحليين تبقى محدودة، لأنها غير عقلانية وغير فعالة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالتحديات تفوق طاقات الجماعة الترابية والفاعلين المحليين، مما يستوجب تدخل الدولة. بالإضافة إلى عدم الوعي بشدة الأخطار الطبيعية مع تفاقم حدة التغير المناخي. وغياب التدبير المندمج بحيث لم تُستوعب فلسفته في بعدها الشمولي، فاقصر التدبير على الموارد المائية فقط.

يعتبر خطر الفيضان إحدى الإكراهات الأساسية التي تعرقل المشاريع التنموية، كالسياحة التي تعد محرك أساسي للأنشطة الاقتصادية، إلى جانب الزراعة بحوض غيغاية. لذلك على الفاعلين تفعيل الحلول المدرجة في هذا المقال، لتدبير الأخطار الهيدرولوجية في إطار تصور شمولي على مستوى المؤسسات، والتدبير المندمج لتحقيق التنمية المستدامة التي تعد استراتيجية وطنية للبلاد.

## قائمة المراجع

- المباركي حسن (2007)، "الاتجاه السلوكي في الجغرافيا ودوره في فهم المخاطر الطبيعية وفي إعداد المجال الريفي، حالة المسألة المائية بسهل الحوز"، دراسات مجالية، جهة مراكش تانسيفت الحوز.
- الفارسي مولاي لحسن (2016)، "الدينامية المجالية لأطلس مراكش حالة حوضي غيغاية وأوريكة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا.
- الحداوي رضوان (2017)، "دور الكتاب في التنمية والثقافة، جامعة القاضي عياض مراكش أنموذجا"، الطبعة الأولى.
- الحداوي رضوان (2019)، "تدبير الأخطار الطبيعية بحوض غيغاية ورهانات التنمية المستدامة، نموذج الأخطار الهيدرولوجية"، بحث ماستر متخصص، دينامية الأوساط والتدبير المندمج للموارد الطبيعية بالمغرب.
- Cheggour A (2008): Mesures de l'érosion hydrique à différentes échelles spatiales dans un bassin versant montagneux semi-aride et spatialisation par des S.I.G, Application au bassin versant de la Rhéraya, Haut Atlas, Maroc, thèse de doctorat, Faculté des Sciences Semlalia, université Cadi Ayyad Marrakech.
- Abourida F (200): Approche hydrogéologique de la nappe du Haouz (Maroc) par télédétection, isotopie, SIG et modélisation, thèse de doctorat, Faculté des Sciences Semlalia, université Cadi Ayyad Marrakech.

## المشهد المائي وتمثلات الندرة بين وادي غدات وتساوت

د. وديان منعم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة شعيب الدكالي-الجديدة

### ملخص:

يقصد بالمشهد المائي ترابط جميع العناصر الطبيعية كالمناخ، والطبوغرافية الجيولوجية .... المساعدة في تكوين المصادر المائية التي تطبع المجال، في تناسق يبلور الصورة المتكاملة للمياه السطحية والجوفية التي تبرز الخصوصية المائية للمجال المحصور بين واد غدات وتساوت. من أجل إبراز أماكن الوفرة المائية وأماكن الندرة بأشكال عدة إما مطلقة (أي مهددة للحياة). أو موسمية، أو مؤقتة، أو دورية، وتحدث ندرة المياه عندما لا تتوفر المياه بالكمية والجودة الملائمتين في المكان والزمان المناسبين وبتكلفة معقولة. وقد تعاني المجتمعات السكانية التي ترتفع فيها معدلات الاستهلاك من ندرة مؤقتة أكثر مما تعانيه المجتمعات الأخرى المعتادة على استخدام كميات أقل من المياه، ومن ثم قد يكون من الأفضل تعريف ندرة المياه بأنها نقطة اختلال التوازن بين العرض والطلب على المياه مما يؤدي إلى أزمة مائية، ويتضح من ذلك أن الندرة قضية كيفية أكثر منها كمية، لأن نقطة حدوثها قد تتباين من وضع لآخر.. دون إغفال العنصر البشري في ذلك، على اعتباره صورة حية متكاملة ترسمها الخصوصيات المجالية. فدور المقاربة المشهدية تكوين صورة لهذا العنصر الحيوي عبر تشخيص عناصر ديناميته ورصد مختلف المصادر المائية من عيون ووديان وآبار وأثقاب وسدود، والتي تساهم في تشكيله من خلال العمل على مرجعية جغرافية تقوم بتشخيص وتحليل المشهد ووجد عوامل ديناميته ووحداته المشهدية وتمثل وممارسة الساكنة اتجاه "الماء".

**الكلمات المفتاحية:** المشهد المائي، تمثلات الندرة، وادي غدات وتساوت

### Abstract :

Water system, for this purpose, means all-natural factors involved in water cycle, such as weather, topography, geology... that lead to the formation of both surface and underground water which characterises water particularities in the area between Tghat and Tassout rivers. This is to determine the degree of water availability and its quality, both in space and time, as well as its cost-effectiveness. Communities that are used to a higher level of water consumption may suffer from periods of short drought more than communities which are used to reduced levels of water consumptions. For this, it may be better to define water shortage as an imbalance between water demand and offer which leads to water crises which may lead to conclude that the matter of water shortage is relative and it is management related not quantity. It is important to draw a full picture of water system to evaluate its dynamics and pinpoint all water resources including springs, wells, dams, rivers... to determine water system characteristics, including water use and its consumption by communities.

**Keywords:** Water system; drought; Ghdat & Tssaout rivers

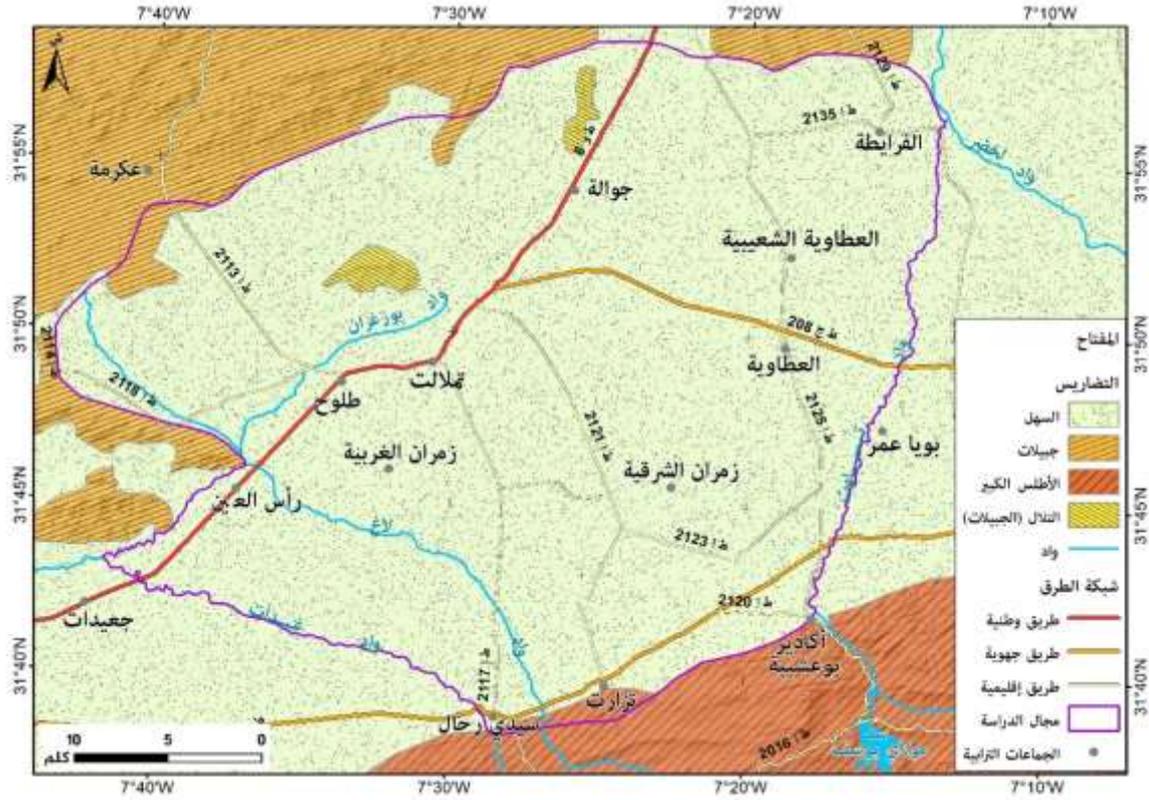
## مقدمة:

انبتت دراسة المشهد المائي بين وادي غدات وتساوت، على خلفية إستيمولوجية للبحث الجغرافي في مفهوم المشهد، استنادا على منظور الجغرافية الثقافية؛ وفق المقاربة المشهدية. فجاءت الاهتمامات المعاصرة بموضوع المشهد في سياق أهمية المفهوم في أسس الجغرافية الثقافية، الذي تطور منذ سنوات الثمانينيات، من القرن العشرين، فإن تبرير موضوع المشهد المائي استلزم إيجاد إطار نظري لتأطير الإشكالية. وتعد نماذج نظرية المشهد في الجغرافيا – وخاصة النموذج الثقافي إطارا ملائما لذلك، وعليه سنعتمد على النماذج النظرية للمشهد بصفة عامة حتى تمكننا من إبراز وتوضيح المشهد المائي، واستخلاص الأهداف المعرفية والمنهجية والمفاهيم الإجرائية لإدراك أهمية هذه الإشكالية.

## 1. مجال الدراسة

يعتبر JEAN DRECH أول من وضع حدودا لسهل الحوز، والتي حددها بين الجبيلات ودير الأطلس الكبير، وقسمه الى الحوز الشرقي والحوز الغربي والحوز الأوسط (PASCON.1983). وفي منحى هذا التقسيم، ينتمي مجالنا لسهل الحوز الذي يتموضع بين الأطلس الكبير والجبيلات. وهو عبارة عن حوض قطاعين كبيرين: الأول في العالية، يسمى تساوت العليا، والآخر في السافلة شمال الجبيلات بين سهلي البحيرة وتادلة يسمى تساوت السفلى. أما مجالنا فيمتد من واد غدات إلى حدود الضفة اليسرى لواد تساوت، بوحدّة سهلية منبسطة بين سلسلتين جبليتين ذات منطقة دير واسعة.

## الخريطة 1: توطين مجال الدراسة



المصدر: عمل شخصي

## 2. منهجية وأدوات

قمنا في هذا البحث أيضا باستحضار المقاربة المشهدية في دراسة الإمكانيات المائية بالجبل والسهل، عبر المصادر السطحية والجوفية منها مع تحديد أكثرها توظيفا في القطاع الفلاحي والاستهلاك المنزلي، ثم قمنا بدراسة ميدانية لمجمل مراحل التزود بالماء الصالح للشرب انطلقت بداية في البحث على مصادر الانتاج (الآبار والثقوب)، بالاعتماد على تطبيق OfflineMaps في تحديد إحداثياتها، مروراً بالتوزيع ثم الاستهلاك، مقرونة بدراسة مخبرية لمعرفة مدى صلاحية المياه المستهلكة؛ وإدراج نظم المعلومات الجغرافية (SIG) باستعمال برنامج (ArcGis) في التمثيل الخرائطي.

كما ارتكزت الدراسة على المقاربة الكيفية، بالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة لبناء تصور عام حول هذا الاستعمال والقيام بثلاثين مقابلة فردية والجماعية لرصد آراء السكان حول ذلك، ودعمها بمعطيات إدارية وتحليلها بأدوات التعبير الجغرافي: صور وخرائط ذهنية همة فئة شباب المنطقة وجدول لتبيان تصور وتمثل السكان حول الماء.

## 3. نتائج ومناقشة

### • مفهوم المشهد المائي

ظهر مفهوم المشهد المائي بجنوب الصين خلال فترة الممالك الثلاث ما بين (589-220) بعد عهد أسرة هان وتطور مع هاو حيث كتب الرسام والكاتب تسونغ سينغ سنة (443-375) أول مقال عن المشهد (المقدمة في رسم المشهد) ليتصور المشهد في الشكل المادي الذي يميل نحو الروح. فرسم المناظر

الطبيعية التي تكلم عنها في مقاله ولخصها في مصطلح يبرز فيه المشهد الأدبي التصويري shashui كما حدد أنواعها ورسمها مع إرفاقها بالخط والنقوش الصينية.

ثقافة shashui تتيح فرصة الاستمتاع الجماعي للمواقع الشهيرة التي تجد فيها الفئات الاجتماعية نفسها بشكل جماعي والتمتع بالمشهد الطبيعي، لكن هذه المتعة لا تتوقف على ما هو بصري للمشهد الطبيعي البسيط بل تتطلب عدم الخلط بين الميدان والحدائق tianya مع shnshui التي تركز في مضمونها على "الجبال والمياه" كمكونات أساسية للمشهد، باعتبار البحار والأنهار والجبال أماكن مقدسة. فللجبال قيمة مضافة كونها تجسد موطن الآلهة والقرب من السماء كالجبل الأسطوري لها مثل الجبل الأسطوري "كونلون" الذي يجسد رمز الخلود وتحيط بها المياه كالجزر والأنهار التي لها أسرار الخلود. في الصين المعاصرة ظهرت فكرة جديدة تجسد المشهد المائي في الماء والريح "sengging و sengshui" حيث يتوافق هذا المفهوم مع الغربيين في تفسيرهم للمشهد وبالخصوص في أوروبا الشمالية وفي ألمانيا مع كلمة landschaft في نهاية القرن الثامن لاستحضار خصوصيات البلد أو الجهة في أوروبا الجنوبية لإبراز التمثيل التصويري.

فيقصد بالمشهد المائي هو ترابط جميع العناصر الطبيعية كالمناخ، والطبوغرافية الجيولوجية...، المساعدة في تكوين المصادر المائية التي تطبع المجال، في تناسق يبلور الصورة المتكاملة للمياه السطحية والجوفية التي تبرز الخصوصية المائية للمجال. ولإبراز أماكن الوفرة المائية وأماكن القلة. دون إغفال العنصر البشري في ذلك، على اعتباره صورة حية متكاملة ترسمها الخصوصيات المجالية. فدور المقاربة المشهدية تكوين صورة لهذا العنصر الحيوي عبر تشخيص عناصر ديناميته ورصد مختلف المصادر المائية من عيون ووديان وآبار وأثقاب وسدود، والتي تساهم في تشكيله من خلال العمل على مرجعية جغرافية تقوم بتشخيص وتحليل المشهد وجرد عوامل ديناميته ووحداته المشهدية وتمثل وممارسة الساكنة اتجاه "الماء".

### • التمثلات المائية

بعد التوضيح الدقيق لمفهوم التمثلات لغويا واصطلاحيا ورصد كل المهتمين بهذا المفهوم ودوره المهم في العلوم الإنسانية والاجتماعية. لذلك ارتأيت توظيفه في دراسة الإشكاليات المائية لتبيين الوضعية الحالية ورصد الارهاصات المستقبلية لهذه المادة الحيوية باعتبار الماء من أساسيات الحياة إن لم يكن الحياة بعينها، بحيث أن مجمل تاريخ البشرية يمكن أن يكتب على أساس العلاقة التي ربطت الإنسان بالحاجة إلى الماء. خاصة بمجال الدراسة.

حيث واجهت ساكنة هذا المجال أزمة في امدادات المياه، كما أن حدثها سوف تزداد في المستقبل القريب نتيجة تغير نمط العيش. وهذا يتطلب مزيدا من استهلاك الموارد المائية العذبة، حيث دلت دراسات عدة بأن الاحتياجات المائية لهذه المناطق في تناقص شديد في الآونة الأخيرة. لذلك كان السياسي الفرنسي " فيون " 1978، محقا بنظريته التشاؤمية عندما صرح بأنه سيأتي زمن لا يجد الناس مفرا من شرب ماء البحر. لتبيين تراجع الموارد المائية التي تتجلى في حقيقتين مهمتين:

-محدودية الموارد المائية بسبب ظروف المناخ الحالي؛

-تطور المعيشة سيفرز ضغطا على الموارد المائية، واستنزافها وتقلص مخزونها ونفاذها التدريجي بسبب صعوبة تعويضها في ظل الشروط أو الأحوال المناخية القاسية السائدة.

إن الأجيال القادمة تشتبك معنا في نزاع حاد، فهي المطالب الصامت بالمياه المتوفرة لدينا اليوم، فإن من يستخدمون المياه في الوقت الحالي يدخلون في تنافس معها في ظل الندرية الحالية.

### • مفهوم الندرة

الندرة في قاموس المعاني عربي عربي: وجود شيء ما بكمية أقل مما يرغب الناس الحصول عليه منه بتجاوز الطلب على سلعة أو خدمة للعرض بالأسعار الجارية. تعني بالإنجليزية: scarcity وهي مبدأ اقتصادي يفترض أن الموارد غير كافية لكل الناس. فهناك دوما حالة ندرة أي أن كمية البضائع والسلع المتوفرة دوما أقل من طلب المستهلك لها.

تبرز ندرة المياه بأشكال عدة: فهي إما مطلقة (أي مهددة للحياة)، أو موسمية، أو مؤقتة، أو دورية، وتحدث ندرة المياه عندما لا تتوفر المياه بالكمية والجودة اللائمتين في المكان والزمان المناسبين وبتكلفة معقولة وقد تعاني المجتمعات السكانية التي ترتفع فيها معدلات الاستهلاك من ندرة مؤقتة أكثر مما تعانيها المجتمعات الأخرى المعتادة على استخدام كميات أقل من المياه، ومن ثم قد يكون من الأفضل تعريف ندرة المياه بأنها نقطة اختلال التوازن بين العرض والطلب على المياه مما يؤدي إلى أزمة مائية، ويتضح من ذلك أن الندرة قضية كيفية أكثر منها كمية، لأن نقطة حدوثها قد تتباين من وضع لآخر.

وتعرف الأمم المتحدة في دراسة أجراها عدد من الباحثين وسياسيين تحت إشراف المعهد الدولي لإدارة المياه ندرة المياه بأنها: "النقطة التي ينقص عندها التأثير الكلي لجميع المستخدمين من إمدادات المياه أو نوعيتها في ظل الترتيبات المؤسسية السائدة. إلى الحد الذي لا يمكن فيه التلبية التامة لطلب جميع القطاعات". بينما تطرح المفوضية الأوروبية تعريفاً أكثر بساطة هو "عجز المياه المتاحة عن إشباع الاحتياجات الأساسية"، وتنتج الندرة عن أسباب عدة تتجلى في:

- **تلوث المياه:** وهي إحدى المشاكل الخطيرة التي تسبب تدمير معظم مصادر المياه العذبة حول العالم، وذلك بسبب تلوثها بالمواد الكيماوية سواء الناتجة عن التصنيع أو الاستهلاك البشري؛
- **الصراعات البشرية:** سواء أكانت هذه الصراعات على الأراضي أم على مصادر المياه، فإنها تؤدي إلى عدم قدرة الناس في المناطق المجاورة لهذه الأراضي من الوصول إلى مصادر المياه الموجودة فيها؛
- **الجفاف وقلة مصادر المياه:** فبعض المناطق حول العالم تعاني من عدم وجود مصادر قريبة للمياه، أو عدم وجود أمطار كافية فيها، وتوجد هذه المشكلة بشكل خاص في المناطق الصحراوية أو المعرضة للتصحّر.

### 1.3 دور المقاربة المشهدية في دراسة المصادر المائية

إذا كانت العلاقة بين شكل المشهد ومضمونه هي التي تمنح الإنسان الصيغة الحقيقية للمشهد بشكل عام، فإن معرفة وإدراك هذه الحقيقة المشهدية تطلب الرجوع إلى إدراك بنية المشهد (الشكل) لفهم وظيفته (المحتوى). فقادنا الأمر إلى دراسة المشهد المائي كنظام يعكس طبيعة ونظام الماء داخل المجال وفق الممارسات والاستغلالات، وعلى هذا الأساس، فإننا نتوخى في هذه المرحلة إبراز أشكال المشهد المائي بين غدات وتساوت؛ أي المصادر المائية التي يعتمد عليها في تلبية الحاجيات اليومية، الوديان والعيون والأثقاب والآبار... وإبراز كل شكل على حدة ومدى أهميته ضمن النظام المائي العام، لذي أوجب توظيف دراسة مشهدية بكل أبعادها، حتى يتسنى لنا تحديد وضعية المشهد المائي وأشكال الممارسة وسبل الاستغلال (الشكل 1).

## الشكل 1: النماذج المعتمدة في دراسة المشهد المائي وغاياتها



المصدر: عمل شخصي 2019

بالاعتماد على النماذج السابقة في دراسة المشهد المائي، نخلص على أن التجسيد المرئي له يرتكز على العلاقة الترابطية والتفاعلية لرؤية الإنسان للموارد المائية، والذي يعكس أفاق رؤيته وتمثلاته في أبعادها الطبيعية والاجتماعية والتي ترسم المعنى الحقيقي للمورد المائي المحلي.

### 2.3. المشهد المائي في بنياته الإيكولوجية

يحتوي مجالنا على ثروات مائية سطحية وجوفية، تتجلى الأولى في واد غدات، واد لاغ وواد تساوت، وأودية أخرى موسمية مثل ماسين وأماسين النابعة من أطلس الكبير الأوسط، إضافة إلى أهمية الفرشة المائية الباطنية التي تغذي العيون، تساهم في تزود المنازل بالماء، وتحديد أشكال استعمال الأرض، إضافة إلى الثقوب والآبار الفردية والجماعية التي يعتمد عليها في ارتواء المواشي وتزود بالماء الشروب والسقي. ولإعطاء كل شكل حقه لا بد من معرفة الوسط الحاضن له، دير أم سهل، فلكليهما يحتويان على مصادر مائية متقاربة لكن متميزة بين الوحدتين.

### 1.2.3 مشهد المجاري المائية المرتبطة بحوضي تانسيفت وأم الربيع بوحددة الدير

تخترق مجال الدراسة شبكة من المجاري المائية الرئيسية والثانوية، مشكلة أودية متعمقة بالدير العلوي، غير أنها عند خروجها إلى السهل تكاد تكون سطحية.

#### 1.1.2.3 المجاري الرئيسية لحوض تانسيفت

##### • واد غدات

ينبع من قلب السلسلة الأطلسية، وبالضبط من أقصى الطرف الشرقي لكتلة أطلس مراكش المكونة أساسا من صخور بركانية. ويتخذ هذا الواد تخطيطا موازيا لواد زات. ولعل أهم ما يميزه هو محافظته على هذا الخط العام المستقيم تقريبا عند دخوله إلى مجال دراستنا حيث يقطع الاعراف بكيفية متعامدة راسما مجموعة من الخوانق والأحواض الصغيرة المتوالية. لكن هذا لا يمنع من حدوث انحرافات محلية: الانعراج الأول يظهر عند وصوله إلى منخفض تاكاتيرت المتشكل من طين الترياس، والتقاءه برافده الرئيسي واد ايماريغن مشكلا بذلك أول هذه الأحواض وأكبرها اتساعا، حيث يغير اتجاهه نحو الشمال الغربي (زروال، 1987).

### • واد لاغ

يعتبر واد لاغ من أهم الوديان الثانوية. ينبع كذلك من الهضاب العليا متخذا اتجاهها عاما نحو الشمال حتى دخوله منخفض غوجدامة. انطلاقا من سوق الأربعاء يغير اتجاهه نحو الشمال الغربي مشكلا مجرى واسعا في طين الترياس. وعند وصوله إلى أحواض تزارت يقطع الأعراف بكيفية متعامدة مشكلا مجموعة من الخوانق ويحافظ على اتجاهه نحو الشمال الغربي حتى مستوى قاعدة تانسيفت (زروال.1987) (الصورة 1).

الصورة 1: عالية واد غدات



المصدر: عدسة الباحثة 2019/7/6

### 2.1.2.3 المجاري المائية المرتبطة بحوض أم الربيع

يغطي منطقتنا جزء بسيط من واد تساوت الذي يعتبر من الروافد المهمة لأم الربيع بعد التقائه بوادي الأخضر شرقا. بعكس المحاور السابقة فهو ينبع من قلب الأطلس الكبير الأوسط، من جبل مكنون. وعند وصوله إلى المنطقة يتخذ اتجاهها عاما من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، وهو اتجاه متعامد تقريبا مع اتجاه التضاريس. لكن الخاصية التي تميز المجرى، رسمه مجموعة من الأحواض الصغيرة الموالية (الصورة 2)، أهمها الحوض الذي تشغله بحيرة السد حاليا، والتي يعرف فيها اتساعا ملحوظا. وتعتبر هذه الأحواض سهولا صغيرة حقيقية حيث يتدرج الارتفاع قليلا، إذ يمكن تمييز فيها عدة مستويات ارتفاعية، تفصل فيما بينها مجموعة من الخوانق حيث يضيق المجرى وتنعدم التدرجات.

## الصورة 2: عالية واد تساون



المصدر: عدسة الباحثة 2019/9/12

فانطلاق من محطة أكادير بوعشبية، يغير الواد اتجاهه بكيفية مفاجئة نحو الشمال الشرقي راسما زاوية واضحة جدا، ولعل أهم ما يميز الواد هنا عن المحاور الرئيسية السابقة، هو أنه يشكل مجرى مركزا ومستقرا عبارة عن خانق طويل متكون من الرصيص، ويتعمق فيه بحوالي 30 متر، إلا أن هذا التعمق يقل كلما توجه نحو السافلة.

## 3.2.3 الوديان الثانوية بين غدات ولاغ ذات تصريف داخلي

إذا كانت كل الوديان الثانوية غرب لاغ تخرج من الجبل، والتي تسيح نحو مستوى القاعدة تانسيفت، فإن نظيرتها التي توجد بينه وبين تساون داخلية التصريف إذ تنتهي سائحة إلى منخفض بويده. ومن أهمها واد أماسين وتزارت اللذان ينبعان من الدير العلوي، إلا أن خاصية التعامد مع الأعراف ملحوظة جدا.

وهكذا نجد أن الخاصية العامة التي تطبع شكل الشبكة المائية في المنطقة كلها تهم جميع الوديان بدون استثناء، وإذا كان التنظيم العام للشبكة المائية متشابها فإنه يصبح متفاوتا بوضوح بالدير السفلي إذ تتجه بعض المحاور نحو تانسيفت والأخرى نحو أم الربيع. في حين تبدو الثالثة متأرجحة الاتجاه فيما بين الحوضين (لاغ/غدات).

ثم هناك تناقض بين الوديتين من حيث التوزيع وكثافة الشبكة المائية، فبالدير العلوي تتسم الشبكة بكثافتها وبأهمية الجريان (جريان دائم)، في حين يبدو الدير السفلي ضعيف الجريان، إذ بمجرد خروج المحاور الرئيسية تصبح موسمية، ماعدا واد تساون. هذا رغم أن مجال دراستنا يعتبر منطقة عبور المياه نحو مستويات القاعدة. وهذا التناقض لا يكمن في التنظيم الجزئي، بل يظهر كذلك حتى في أهمية التوزيع (زروال.1987).

### 3.3 مشاهد الوديان بالوحدة السهلية

يتميز الجزء السهلي باتساعه وانبساطه. ينحصر بين مجال نفود قبائل الرحامنة وزمران، يغطي جزءاً من الأطراف الجنوبية لسهل الحوز الأوسط والشرقي. تمتاز هذه الوحدة بالانبساط والرتابة والانحناء التدريجي نحو السافلة.

تتكون من مجموعة من مخارط انصباب المختلفة الأهمية والشكل، وهي من الغرب نحو الشرق: مروحات غدات وتساوت، وهي مخارط انصباب رئيسية تفصل فيما بينها مخارط ثانوية.

#### • امتداد مروحة غدات على الشريط السهلي غرب واد تساوت

تتميز هذه المروحة بضيقها ووضوحها، رغم أن كل الخصائص التي تميز المروحة موجودة. لعل الظاهرة غير العادية هنا هي أن واد غدات لا يتبع محور المروحة (زروال.1987)، بل بمجرد خروجه من المنطقة الجبلية ينحرف نحو الشمال الغربي بكيفية مفاجئة راسماً علوقاً حقيقياً كأنه أرغم على هذا الاتجاه. ومما يثير الانتباه أن مروحة غدات تلامس مروحة واد لاغ الذي ينحرف هو الآخر نحو الشمال الغربي (الصورة 3)

#### الصورة 3 : انحراف واد غدات نحو الشمال الغربي



المصدر: عدسة الباحثة 2019 /5/25

### 4.3 مياه جوفية متباينة بين الدير والسهل

المياه الجوفية هي عبارة عن مياه موجودة في مسام الصخور الرسوبية، التي تكونت عبر أزمنة قديمة، فمصدرها غالباً تسرب مياه الأمطار أو الأنهار الدائمة أو الموسمية أو الجليدية، تسمى بعملية التغذية «recharge». عملية التسرب ترتبط بنوع التربة الموجودة على سطح الأرض ونوع الصخور ودرجة نفاذيتها وسهولة تخزين المياه المسربة للمساعدة في تكوين خزانات مائية جيدة مع مرور الزمن. ففي إيراد المياه الجوفية بوحدة الدير تحتوي بالأساس على العيون والآبار وبعض الثقوب.

#### 1.4.3 محافظة العيون المائية على مقوماتها الطبيعية بوحدة الدير وغيابها بالسهل

يحتضن الدير مجموعة من العيون المائية، تتعدد حسب استعمالات مياهها وتغايرية صبيبها فصلياً، كون أغلبيتها ينبع في فصل الشتاء على خلاف فصل الصيف. ظلت هذه الينابيع تقوم بعدة أدوار كالسقي والتزويد بالماء الشروب، إلا أنها في الآونة الأخيرة شهدت تراجعاً في منسوبها المائي، نظراً لقلّة التساقطات

والاستغلال المكثف لها، في حين نصب بعضها كليا كعيون القطارة الثلاث أو جزئيا خاصة في فصل الصيف، إلا أن عين القطارة وتاكنيت لا زالت تحتفظ بينابيعها الطبيعية غير الخاضعة للتهيئة من طرف العنصر البشري على خلاف العيون المتواجدة بالمنطقة المحصورة بين تزارت وأكادير بوعشبية.

نستخلص أن الدير يحتضن العديد من العيون المائية منها الدائمة والموسمية، والتي يتراوح صبيبها بين 2 و 6 لتر في الثانية كما أنها تحتفظ بجماليتها الطبيعية، خاصة في الدير المنحصر بين سيدي رحال وتزارت. إلا أن العيون التي توجد بالسهل بين تزارت وأكادير بوعشبية، أصبحت تفقد جانبها الطبيعي نظرا لخضوعها للتهيئة بالأنايب وبناء السقايات لتسهيل التزود والاستفادة من الماء.

### 2.4.3 البئر والثقب عناصر من المشهد المائي

لمعرفة الفرق بين الثقب المائي والبئر وأنواعه المتواجدة بالمجال تطلب الأمر التفصيل في كل عنصر على حدة تعدد وتنوع الآبار والأثقاب:

- **الآبار المحفورة أو السطحية:** وهي عادة ما تكون ضحلة وقليلة العمق، إذ لا يتعدى عمقها عشرة أمتار وتبنى جدران هذه الآبار من مواد البناء العادية، ويراعى أن يكون جزؤها العلوي مبطن بمادة عازلة للماء حتى لا يتسرب ماء السطح الملوث إلى البئر. وغالبا ما تكون كمية المياه المستخرجة من هذه الآبار قليلة ولا تكفي إلا للاستخدامات المحدودة، لتلبية احتياجات المنازل والمزارع الصغيرة. ومياه هذه الآبار تكون عرضة للجفاف إذا قلت الأمطار المتساقطة في المنطقة لعدة مواسم متتالية. وتستمد الآبار المحفورة مياهها في الغالب من الطبقة النافذة العليا القليلة التشبع كما تنحصر أعماقها بين 10 و30 مترا.

#### ● الأثقاب اليدوية (محفورة بواسطة آلة يدوية)

الأثقاب اليدوية كانت في بداية الأمر عبارة عن آبار بسيطة العمق، وهي من أقدم مصادر الإمدادات المائية، لكن لم تكن محمية من الانهيارات الأرضية لعدم وجود وسائل وأليات تساعد على مقاومتها مما ساهم في اختفاء العديد منها.

يتم حفر هذه الأثقاب بواسطة أنبوب حديدي مثقوب ذو طرف مذبذب صغير القطر، يتوغل داخل الأرض بحركات رأسية متتالية. وتصلح هذه الآلية لحفر طبقات قليلة السمك (الطبقات الرملية) إلا أنه لا يصلح للطبقات ذات المقاومة العالية، ولهذا السبب لا تتجاوز هذه الأعماق 100 متر.

#### ● الأثقاب الحديثة والعميقة

عبارة عن حفر عميقة محفورة بواسطة تقنيات ومعدات خاصة وقوية، تخترق الطبقات الأرضية ذات الصلابة والمقاومة العالية. تعتمد بشكل كبير على تقنية الحفر الميكانيكي أو الحفر الإيقاعي بواسطة المثقاب الحديدي أو ما يسمى بالصاندا، الذي يكون مثبتا برافعتين على حامل ثلاثي القوائم ليساعد على نزول المثقاب الحديدي بشكل متتالي على الأرض لتشكيل الثقب المائي بسرعة وسهولة وأمان، وفي مدة زمنية قصيرة قد تستغرق 48 ساعة فقط وتختلف هذه المدة حسب عمق الصخور وصلابتها. كما تجهز الجدران بغطاء يمنع انهيارها وتسرب الملوثات داخلها.

### 5.3 مساهمة المنشآت المائية في تشكيل المشهد المائي

يعتبر السدان اللذان يتواجد خارج المجال من أهم المنشآت المائية المشكلة للمشهد المائي بمجالنا، عبر قنوات إسمنتية كبرى منبثقة منها ومزودة بمياه الشرب والسقي التي تتمثل في:

### • سد الحسن الأول:

بدأ العمل بسد الحسن الأول (أيت شواريت) سنة 1986 على واد الأخضر أهم روافد واد تساوت، وقد تم إنجازها في إطار مشروع نقل المياه بين حوضي أم الربيع وتانسيفت نحو الحوز الأوسط بحمولة مائية تبلغ 260 مليون متر مكعب. تصل المياه المحولة عبر قناة روكاد من هذا السد إلى 2220 لتر في الثانية تقسم إلى قناتين ثانويتين واحدة بالضفة اليمنى والأخرى باليسرى.

### • سد مولاي يوسف:

شرع العمل في استغلال سد مولاي يوسف سنة 1960، على مساحة تقدر بـ 1441 كيلومتر مربع على واد تساوت، بارتفاع 100 متر. بحقينة مائية قصوى تقدر بـ 153 مليون متر مكعب أما حجمه المنظم في السنة العادية هو 260 مليون متر مكعب. انطلاقا من نقطة التوزيع المسماة النقطة "K" هي نقطة تجميع المياه الآتية من السد، التي توزع عبر قناتين: قناة شرقية ذات طول 8.3 كيلومتر وبصبيب 11 متر مكعب، أما القناة الغربية يصل طولها 22 متر وبصبيب 8 متر مكعب. واللذان تتوزعان عبر مصاريف ثانوية وثلاثية مشخصة للمشهد المائي عبر منشآت مائية خارج المجال.

### 6.3 بعض تصورات الساكنة حول المشهد المائي

يتضح من خلال نتائج بحثنا الميداني، أن الإدراك الجيد للعناصر الأساسية للمشهد المائي من طرف الساكنة المحلية لا يطابق الاستعمال والتدبير الجيد لموارده المائي لدى فمعظم الشرائح الاجتماعية، إذ تأتي النتائج عكسية في كثير من الأحيان. ومن منظورنا يرتبط هذا التناقض، بالتناقضات الاجتماعية حول حجم الكميات المائية المتوفرة وأنها في تناقص يوما بعد يوم، وفي المقابل نجد الاستعمال المفرط دون مراعاة التراجع الذي تعرفه المياه، مما يساهم في حدوث شخ كبير بين التمثل والواقع، بين النظري والتطبيقي، أدى إلى اختلاف السلوكات والممارسات وإفراز الندرة المائية، وللتوضيح أكثر تم الاستعانة برسم واحد أو ما يسمى بالخرائط الذهنية لكل تمثل حول كل معطى مطروح، نظرا لتقارب الرسومات وتفايدا لتكرارها.

### • الوفرة المائية حمولة ثقافية تعكس الاستغلال المفرط للموارد المائية

ظلت الحمولة الراسخة في أذهان الساكنة، أن الماء وفير خاصة في المناطق الريفية في اعتبار وجود ما يستهلك منزليا، أما قلته وتراجعته تتجسد فيما هو فلاحي، أي عدم كفاية المياه الموجهة في ري المحاصيل الزراعية، وفي غالب الأحيان يرتبطان بمعطى التساقطات وحقينة السدود، لكن يظل المتنفس الوحيد هو الفرشة الباطنية رغم تزايد عمقها، حيث يمنحهم نوعا من الطمأنينة والاستقرار، الذي لم يقابله تحسينات في التدبير بل زاد في الاستهلاك بطرق مبدرة للمياه. لكن المجال الحضري تتكاثر الشكوى في عدم التزود بالماء المنزلي في حالة تكرار الانقطاع، الذي يربطونه غالبا بتحليل المكتب الوطني للماء والكهرباء وليس بتراجع مستوى المياه الجوفية.

تضفي بنية الخصائص الايكولوجية للأودية على مجال زمران وتساوت، حضورا في إدراك وتمثلات الساكنة. ذلك أن جميع المستجوبين أكدوا على الأهمية القصوى لهذا الأودية خاصة واد غدات ولاغ وتساوت، في رسم صورة مرجعية تميز الموارد المائية السطحية التي تحتضنها المنطقة. تم تركيز هذا الطرح في رسم الخرائط الذهنية، حيث ورد رسم هذه الأودية في معظمها إلى جانب بعض العناصر المشهدية المرتبطة به بشكل مباشر التضاريس، الغطاء النباتي، المشارات الزراعية، قنوات السقي الصنابر المائية ثم المساكن.

## • حمولة الماء المشترك

إن معنى الماء المشترك فقدته الساكنة نتيجة تراجع التدبير الاجتماعي للموارد المائية في الأرياف، تدبير مياه الساقية، البئر والعين، وتواري دوره في الحضور الفعلي لسلطة القبيلة لضبط الماء انطلاقاً من العرف المتفق عليه. بالرغم من أن هذا الحضور يترجم بالحضور الرمزي، عن طريق تسمية السواقي المتفرعة من الأودية والتي تخترق المجال. وطمس معالم الطبونيمية المحلية التي تشكل هوية الذاكرة الجماعية، وكذا تراجع التدبير الصارم "الجماعة" في إطار وحدة القبيلة، فضلاً عن تقاعس مؤسسات التدبير المشترك بين الجماعة ومراكز الاستثمار الفلاحي فيما يسمى الجمعيات وعدم القيام بالدور المنوط بها، أي تدبير استغلال الماء بشقيه المنزلي والفلاحي.

وفي هذا السياق يضل الماء العنصر المشترك بين أفراد المجتمع الحضري والريفي، والذي يحمل في طياته معنيين مختلفين لمفهوم "المشهد المائي". **المعنى الأول:** تمثل الماء كعنصر أساسي لذات الفردية في مختلف الاستعمالات اليومية. أما **المعنى الثاني:** تمثل الماء على أنه مورد مشترك لكنه يفهم كمورد "حر" غير مملك، لكنه تحت وصاية سلطة مؤسساتية تهتم بمراقبة ومتابعة وضعية المياه السطحية والجوفية. لكنه مورد يقع حوله صراع الأفراد، الجماعات والقبائل في قسمته وتأكيد الانصاف في استغلاله.

لكن تبقى المصلحة الفردية الضيقة وسيادة النزعة الفردية وفقدان قيم التضامن والتلاحم الاجتماعي. وعدم استيعاب القيمة الحقيقية للماء المشترك اجتماعياً وثقافياً، سبب تناقصه ونضوبه و تلوينه دون استحضار أزمة الندرة المقرونة بتلوث الكميات المائية المتبقية.

## • ممارسات وسلوكات تولدت عنها تمثلات سلبية اتجاه المشهد المائي

تتأثر التصورات وتمثلات بشأن وضع الماء بشدة بالأفكار المتعلقة بالندرة. حيث ينظر لحالات النقص في إمدادات المياه باعتبارها الملمح المحدد لمسألة انعدام الماء، وقد تزايدت مؤخراً الصيحات المحذرة من نضوب المياه. غير أن النظر للقضية من زاوية الندرة فحسب يمثل منظورا مشوها وقاصرا بالنسبة لانعدام الماء. فهو مشوه لأن الندرة في الأساس نتاج لممارسات سلبية في إدارة وتدبير الماء. كما أنه قاصر لأن التوفر الفعلي للمياه ليس إلا بعدا واحدا من أبعاد انعدامه.

هذه الرؤية المروعة نجد في صدها بعد التقديرات الأكثر تشاؤمية حول السيناريوهات المستقبلية للمياه. لأن التقديرات الحسابية المندرة بشأن المياه، كإحدى أكبر التهديدات التي تواجه البشرية أنها ستكون الحالة الأساسية المؤثرة في العديد من المناطق وخاصة الجافة والشبه الجافة. فالندرة المادية للمياه، والتي تعرف بعجز الموارد المائية عن تلبية الحاجيات منها. تمثل أحد معالم الندرة. غير أن الندرة المطلقة تمثل الاستثناء لا القاعدة. حيث تمتلك مناطق موارد مائية تكفي لتلبية الحاجيات المائية (منزلية، فلاحية، صناعية...)، دون انقطاع وخاصة المناطق المجاورة للدير والمنطقة الشرقية، لكن غربا ندرة الموارد المائية أصبحت ظاهرة بشكل واضح على خلاف خليتها الشرقية.

لكن المشكل الذي يبقى راسخا هو عدم تفعيل تدبير أنجع لها. وفي زمن قريب كان التعامل مع المياه يتم باعتبارها موردا غير محدود يجري استخدامه بكافة الأشكال من تحويل واستنزاف وتلوين. ويمكن القول بأن الندرة هي نتاج للممارسات الخاطئة والغير المسؤولة حول أهمية هذا المورد، والمتبعة في نموذج لنظام مجتمعي غير مسؤول. وهي المحصلة المتوقعة لطلب لا يتوقف على مورد تبخس قيمته.

مما يسري بنا على طرح سؤال محوري وجوهري حول هذه الظاهرة، وهو ما مدى ندرة المياه بالمجال المحصور بين غدات وتساوت؟ لكن لا توجد إجابة بسيطة على هذا السؤال. فقد تكون الندرة المائية

طبيعية، مؤسسية أو سلوكية، كما أن المياه نفسها قد تتذبذب مع الوقت وتغير المكان. إن الندرة في نهاية الأمر مسألة عرض وطلب. غير أن طرفا المعادلة العرض والطلب تتم صياغتهما من خلال الخيارات السياسية العامة للمغرب حول الموارد المائية.

### • حركية المجتمع للتعبير عن المشهد المائي والحفاظ عليه

اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن معنى المشهد لدى المجتمع المحلي يشير على كل شيء جميل في الطبيعة خاضع للماء. لكن تحليل أهم المعاني التي ذكرت بهذا الصدد يؤكد أن الجمالية هنا تعبر عن الحاجة إلى الماء في إبراز جمال الطبيعة، أكثر مما تجسد ثقافة العناية بالموارد المائية في المجتمع، وتجسيدها على أرض الواقع. إن هذا الاشكال ظل مستمرا في الآونة الأخيرة. مما شكل حركية المجتمع المدني للدفاع وحماية الموارد المائية وتثبيت جمالية المشهد المائي ضمن طبيعة المجال في شكل مجموعة من الجمعيات المدنية. وبدأت التوعية والتحسيس بمخاطر ضياع الكميات المائية وتلويث مصادرها، ومساهمتها في تدهور بيئي ملحوظ. وفي مجالنا لوحظ بروز نوع من الوعي بطرح قضايا المشهد، ولو بطريقة غير مباشرة كالحملات التحسيسية، الرسومات، شبكات التواصل الاجتماعي والندوات.

### الخرائط الذهنية 1: توضح المشهد المائي وتمثل الندرة المائية



المصدر: العمل الميداني

## الشكل 2: استخلاص تمثيلات الساكنة حول الندرة المائية



المصدر: عمل الباحثة

## خاتمة:

من خلال محاور هذا الفصل، أوضحنا الركائز الرئيسية لبناء وفهم مكونات المشهد المائي التي ساعدتنا من معرفة أشكاله وفق البنيات التضاريسية التي تحتضنه. بالاعتماد على المقاربة المشهدية التي تحمل في طياتها مجموعة من النماذج التي قمنا بإدراجها للإحاطة بكل حيثياته، مع تقسيم المجال إلى وحدتين تضاريسيتين لإعطاء صورة شاملة عنه. مع تحديد الموارد المائية السطحية: منابعها، مصادرها، وشكلها وكمية مياهها ثم مصباتها في كلتا الوحدتين. ثم الانتقال إلى المياه الجوفية التي تجلت دراستها في تحديد نوعها (عيون، آبار وثقوب) مع ذكر الاختلاف والتباين من حيث المنبع، العمق، الشكل وطريقة الحفر. مع عدم إغفال المنشآت المائية المتمثلة في السدود التي توجد خارج مجالنا، إلا أنها تشكل جزء من المشهد العام عبر القنوات المنبثقة منها والمزودة له.

فانطلاقا من التصورات السابقة ترسخ التمثيلات المائية لساكنة المجال الشبه الجاف من خلال نقص المياه وعدم كفايتها، حيث جسد مشكل استنزاف المياه الجوفية انطلاقا من الانقطاعات المتكررة في الماء الشروب، وتراجع الاستفادة السنوية من مياه السدود بالنسبة للقطاع الفلاحي في ظل المناخ الشبه الجاف والمتقلب إلى حد كبير، أخذ بالتغيير أيضا في تكرار مواسم الجفاف وحصول أزمة مائية تفضي إلى هشاشة المجال وفقد قدرة الأفراد الحفاظ على سبل العيش والاستقرار؛ مما يتطلب تدخلات منسقة لجميع مسؤولي قطاع الماء تفاديا لنشوب صراعات حوله لضمان الأمن المائي والغذائي والتنمية المستدامة لهذا المجال.

لكن إدراك الإنسان بالمجال الرطب يقوم على شعوره بالاطمئنان، لتوفر الماء طيلة السنة بالعيون والآبار لمجال رطب تقل فيه درجة الحرارة وسرعة التبخر، لكن سرعان ما تغير هذا التمثل في تغيير التراث المائي السائد وإعطائه نمطا عصريا يسهل الولوج للماء دون تعب؛ ووفرة الماء الدائم أفرز تغيير سبل التدبير المائي وتفاهم التلوث لعدم مراعات الربط المنزلي بالصرف الصحي.

## المراجع المعتمدة:

- المباركي حسن، 2003: التحديث الهيدروفلاحي بتساوت السفلى، أطروحة الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز.
- زروال أحمد، 1987: الدراسة الجيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي زات وتساوت، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، الرباط.
- منوار أحمد 2018: المشهد الحضري ورهان التحضر المستدام (بالمغرب)، حالة مدينتي بني ملال وقصبة تادلا دراسة في الجغرافية الثقافية المعاصرة، أطروحة الدكتوراه جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.
- منعم وديان، عدوق نصرالدين، مزين حسن 2018: التلوث وتأزم المشهد المائي بين غدات وتساوت، قضايا جغرافية في تدبير الموارد وإعادة تشكيل المجال، أعمال الأيام الدراسية الثالثة المنظمة من طرف الطلبة الباحثين بالتكوين في الدكتوراه: المجالات الهشة الديناميات المجالية البيئية وتدبير التراب، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة.
- منعم وديان، آخرون 2020: دور الساقية والبئر في تشكيل المشهد الفلاحي بقبائل زمران، المؤلف الجماعي التراث المائي المادي واللامادي حضارة وتنمية، مركز دراسة وتنمية المجالات الواحية والصحراوية بالجرف.
- DONADIEU P, PERIGOD M 2007: Le paysage, Armad colin, Paris.
- PASCON.P.1977 : Le Haouz de Marrakech, Edition nationales et internationales ; Tanger.

## انعكاسات التمدين على قدرة الفلاحة في التشغيل بالحوز الأوسط حالة الجماعات القروية سعادة وتسلطانت والسويهله وتمصلوحت

د.ة. سناء زعيمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية،  
جامعة ابن زهر، أكادير

د. مولاي لحسن الفارسي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية،  
جامعة ابي شعيب الدكالي، الجديدة

### ملخص:

يتناول هذا المقال جوانب من انعكاسات تمدين ضواحي مراكش على الفلاحة في المستويين الاجتماعي والاقتصادي، وذلك عبر رصد مكانة الاستغلال الفلاحي لدى اليد العاملة النشيطة بنواحي الحوز الأوسط ضمن باقي الأنشطة الأخرى غير الفلاحية والمقترن ظهورها بمد الزحف الإسمنتي السريع والمتزايد. تحقيقا بذلك، ستم دراسة وتحليل معالم تقاسيم البنية المهنية لليد العاملة المنتمية للحيازات الفلاحية والناشئة بها، بتعبير أدق؛ فئتي المستغلين الفلاحيين وفروعهم، وسيفصل ذلك في محورين أساسيين.

**الكلمات المفاتيح:** الحوز الأوسط، الفلاحة، التشغيل، الشغل غير الفلاحي.

### Abstract :

This article deals with aspects of the repercussions of the urbanization of the suburbs of Marrakesh on agriculture on the social and economic levels. This is done by monitoring the status of agricultural exploitation in the active scholarly hand in the central districts of the Hawza, among other non-agricultural activities, whose emergence is associated with the rapid and increasing urban sprawl. to activate it, The features of the division of the occupational structure of the labor force belonging to the agricultural holdings and emerging in them will be studied and analyzed. More precisely, the two categories of peasant exploiters and their children, and this will be separated in two main axes.

**Keywords:** Middle Haouz, agriculture, Employment, Non-agricultural work.

## مقدمة:

يركّز هذا المقال على انعكاسات التمدين على قدرة الفلاحة في التشغيل بالحوز الأوسط، وقد خصّص المحور الأول، لمكانة الاستغلال الفلاحي لدى فئة المستغلين الفلاحيين أنفسهم. ولتبيان مدى تراجع قدرة الفلاحة على التشغيل، تم التركيز أساسا على مدى انجذاب هذه الفئة لممارسة أنشطة أخرى غير فلاحية، سواء عبر التحول الكلي نحوها ومزاولتها كأنشطة مهنية رديفة للاستغلال الفلاحي، وكنوع من التأقلم وتنوع مصادر الدخل، التي عادة ما تستثمر في تطوير وسائل الانتاج الزراعي أو تشييد المنازل.

تم أيضا، من خلال هذا المحور، ربط بنية ومكانة الأنشطة غير الفلاحية بالحوز الأوسط بقوة التأثير الحضري بهذه الحوز الأوسط. لهذا الغرض، دقق كثيرا في مقدرات مزاولة تلك الأنشطة، سواء من حيث مكانة الحوز الأوسط كحوض حضري مستقطب لليد العاملة القاطنة بنواحيه، أو مكانة الأنشطة المهنية غير "الريفية" الدخيلة على هذه النواحي، والتي ارتهن ظهورها بمد التمدين.

أما المحور الثاني فقد خصّص فقد لفئة أبناء المستغلين الفلاحيين، وذلك بهدف إبراز ما إذا كانوا فعلا منجذبين لمزاولة الاستغلال الفلاحي بالحوز الأوسط، أم أن لهم ميولات مهنية أخرى تمارس خارج هذه النواحي. كما نولي أيضا أهمية قصوى للأنشطة غير الفلاحية المشغلة لهم في ارتباط بمقدرات مزاولتها، وذلك في سياق رصد القطاعات الأخرى المنافسة للفلاحة التي تشغل أبناء الفلاحين بنواحي الحوز الأوسط، وذلك عبر ارتقاء هذه الأخيرة إلى مستوى القدرة على خلق الشغل غير الفلاحي المنافس للفلاحة بفعل مد التمدين من جهة، ومكانة النسيج الاقتصادي بالحوز الأوسط في جذب اليد العاملة اليافعة والناشئة بنواحي هذه الحوز الأوسط من جهة ثانية.

### 1. مظاهر تراجع مكانة الفلاحة كقطاع مشغل للمستغلين الفلاحيين بالحوز الأوسط

يرتبط تراجع قدرة الفلاحة على التشغيل بالتمدين السريع بالحوز الأوسط، وسيوضح ذلك من خلال قياس قدرتها على تحصين اليد العاملة المزاولة لها، وبالتركيز على فئة المستغلين الفلاحيين. فقد جرت العادة على أن يتشبث الفلاحون، خاصة بالأرياف العميقة، بمزاولة الفلاحة رغم ما يعترى ذلك من إكراهات طبيعية واقتصادية، خاصة تلك المرتبطة بالجفاف وتواضع العائد وهشاشته، كما قد يكون مرد هذا التشبث إلى غياب بدائل اقتصادية. لكن بالحوز الأوسط يختلف الأمر كثيرا، بالنظر لقرب الحوز الأوسط وارتفاع قيمة الأرض الفلاحية، ومن ثم الاستفادة من الفرص المتاحة لتنويع مصادر الدخل<sup>1</sup>.

#### 1.1 تزايد الشغل غير الفلاحي لدى فئة المستغلين الفلاحيين أكبر مؤشر على تراجع قدرة الفلاحة على التشغيل بالحوز الأوسط

تبقى ممارسة الفلاحة بالحوز الأوسط ذات طابع خاص، بالنظر لموقعها المتميز بالنسبة بالحوز الأوسط، ولارتباطها بنسيجها الاقتصادي، ومن ثم يكون أمام المستغل الفلاحي زوايا اختيار أوسع من حيث الأنشطة المهنية المتوفرة، والممكن مزاولتها كأنشطة موازية للاستغلال الفلاحي<sup>2</sup>. يساعد على ذلك تعدد أحواض التشغيل المتاحة وفي مقدمتها الحوز الأوسط، وبالتالي تكون الفلاحة أقل قدرة على الصمود

<sup>1</sup>-Colliot C et Bertrand J-M (2009): comment travailler avec et pour les agriculteurs en contexte périurbaine ? Innovations Agronomiques, p 88.

<sup>2</sup>-Soulard C et Thareau B (2009): les exploitations agricoles périurbaines : diversité et logiques de développement, Innovations Agronomiques, n° 5, p30.

والاقناع جراء التأثير الحضري، الشيء الذي قد يعجل بانزياح بعضهم كلياً عن الاستغلال الفلاحي، ومن ثم ارتقاء النشاط غير الفلاحي الرديف إلى نشاط بديل وذو أهمية اقتصادية واجتماعية.

### 1.1.1 دلالات مزاوله المستغلين الفلاحيين لأكثر من نشاط مهني بالحوز الأوسط

يبقى من المجدي قياس قدرة النشاط الفلاحي على تحصين المستغلين الفلاحيين عن الارتقاء نحو ممارسة أنشطة أخرى ثانوية بالموازاة مع الاستغلال الفلاحي تعزيزاً لعائداته فعادة ما يؤشر التعاطي لنشاط مهني ثانوي إلى دخول المستغل الفلاحي في فترة انتقالية مهنية، قد يكون من تبعاتها انحدار مكانة ما هو رئيسي إلى ما هو ثانوي، خاصة إذا رصد المزاوول تباينات على صعيد العائدات المحصلة منها.

كما قد يتبادر للأذهان اكتفاء المستغلين الفلاحيين سواء في ضواحي المدن الكبرى أو الأرياف العميقة بالاستغلال الفلاحي وارتكانهم إليه. ففي سياق رصد الأنشطة الثانوية الدالة على تراجع كفاءة الاستغلال الفلاحي، تظهر خاصية الارتباط الوثيق بين قطاعي الفلاحة والتجارة كنشاطين مكملين لبعضهما، فالفلاح هو تاجر بالضرورة، أي أن أسس التنظيم الرأسمالي المؤطر للنشاط الفلاحي يفرض على الفلاح التعاطي للتجارة قبل الاستغلال الفلاحي وبعده، وذلك من خلال اقتناء مستلزماته والإشراف على عمليات تسويق منتجاته.

وعيا بهذه الخصوصية، لن نولي اعتباراً كبيراً لمكانة حضور التجارة كنشاط ثانوي لدى المستغلين الفلاحيين، بقدر ما سنأخذ بعين الاعتبار مجالات ممارستها، سعياً لتحديد معالم مزاوله هذه التجارة، هل هي مزاوله روتينية لدعم عائد الاستغلال الفلاحي؟ أم تجارة مستقلة منافسة للاستغلال الفلاحي؟ وقبل الإجابة على هذه التساؤلات وجب في مرحلة أولى التوقف عند مكانة المستغلين الفلاحيين بالنواحي الغربية والجنوبية الممارسين لأنشطة ثانوية زائدة عن نشاطهم الأساس، وتحديد المكانة الاقتصادية (تأثيرها على دخل الفلاح) والاجتماعية (تحسين الوضع الاجتماعي الاعتباري للفلاح) لهذه الأنشطة.

### 2.1.1 مكانة المستغلين الفلاحيين المزاولين لأنشطة ثانوية بالحوز الأوسط

تتميز المجالات الفلاحية بسيادة النشاط الفلاحي بشكل أساس، غير أن توغل أنظمة الانتاج الرأسمالي، وتراجع الانتاج الفلاحي وتوالي سنوات الجفاف، بالإضافة إلى الزحف الحضري على ضواحيها الفلاحية، فرض على الفلاحين بهذه المجالات البحث عن بدائل اقتصادية مكمله لأنشطتهم الفلاحية. والمجال الفلاحي بالحوز الأوسط والمتاخم بالحوز الأوسط لا يخرج عن هذه القاعدة، حيث يعمل الفلاحون على مزاوله أنشطة أخرى غير فلاحية ارتباطاً بظروف كل فلاح على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. يبرز الجدول أسفله مكانة المستغلين الفلاحيين المزاولين لأنشطة أخرى بالموازاة مع الاستغلال الفلاحي بالحوز الأوسط:

جدول رقم 1: توزيع المستغلين الفلاحين المزاولين وغير المزاولين لنشاط ثانوي بالحوز الأوسط

النسبة المئوية	تردد الاجابة	فئات المستغلين الفلاحين
40	200	فئة مزاوله نشاط موازي للنشاط الفلاحي
50	250	فئة لا تزاول أي نشاط موازي للنشاط الفلاحي
10	50	فئة تزاول نشاطا بشكل موسمي
100	500	المجموع

المصدر: عمل ميداني صيف 2018

يبرز الجدول السابق تفاوت اهتمام الفلاحين بمزاولة نشاط غير فلاحي موازي، حيث إن نسبة 40% من العينة المستجوبة تزاوج بين نشاطها المهني الأساس ونشاط آخر ثانوي، حيث يبلغ عددهم 200 من الحائزين لاستغلاليات فلاحية بالنواحي الغربية والجنوبية بالحوز الأوسط. ترتبط هذه الأنشطة الموازية بالأساس بالتجارة كتجارة الرصيف، وامتلاك محلات بيع المواد الغذائية بالتقسيم كما هو الحال بجنوب الحوز الأوسط حيث يسود هذا النشاط بسيدي موسى التابع لجماعة تسلطانت، ونفس الشيء بالنسبة لمنطقته الغربية حيث يعد النشاط التجاري ذا أهمية كبيرة بجماعة لوداية التي لعب موقعها على الطريق الوطنية رقم 8 الرابطة بين مراكش وأكادير عبر شيشاوة دورا هاما في انتشار هذه الأنشطة. ثم هناك قطاع البناء والصناعة التقليدية اللذين ارتبطا أساسا بالزحف العمراني بالحوز الأوسط، وبالقطاع السياحي في الناحية الجنوبية حيث تنتشر مجموعة من الوحدات الفندقية على طول الطريق الرابطة بين مراكش ومنتجع أوريكا عبر تسلطانت.

فيما نسبة 50%، أي ما مجموعه 250 فلاح من مجموع المستجوبين، لا يزاولون أي نشاط غير فلاحي موازي لنشاطهم الرئيسي، ويعزى ذلك الى عوامل اقتصادية واجتماعية صرفة؛ فاقتمادا يقف الافتقار الى الرأسمال عائقا أمام هؤلاء الفلاحين للاستثمار في قطاعات غير فلاحية، أما اجتماعيا فيرتبط بعدم توفر الأسرة على عدد كافي من اليد العاملة يمكن للبعض منهم أن يشتغل خارج النشاط الفلاحي، والعامل الثاني هو عدم امتلاكهم لمؤهلات تمكنهم من مزاولة نشاط يتطلب مهارة مسبقة كالبناء او الصناعة التقليدية. اما نسبة 10% فيزاولون نشاطا موازيا بشكل موسمي، أي أنه يرتبط بفترات معينة كإمتهان الجزائر خلال فترات عيد الأضحى، والالتحاق بأوراش البناء الكبرى بالمدن خاصة مراكش والدار البيضاء بعد فترة الحصاد، ومنهم من يمتهن التجارة المرتبطة بالمهرجانات والمواسم الدينية التي تقام في مختلف مناطق المغرب خاصة القريبة، كموسم مولاي عبد الله امغار بنواحي مدينة الجديدة.

نسجل إذن، ومن خلال ما سبق، أن هناك صلة وثيقة بين النشاط الفلاحي بالحوز الأوسط وضرورة تنوع مصادر الدخل في سياق استثمار الفرص المتاحة، وتأقلم مع ضغط التمدين الذي تعرفه هذه المجالات، فالزحف على الأراضي الفلاحية، وارتفاع تكاليف العيش بعد ان توغل نمط العيش الحضري الى النواحي، يفرض على الفلاح البحث عن مصادر دخل جديدة لدعم الدخل الفلاحي الذي عرف تراجعاً كبيراً ولم يعد يلبي الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية للأسر.

وتجدر الإشارة الى الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية للمستغلين الفلاحين غير المكتفين بممارسة الفلاحة، تتفاوت بشكل كبير سواء داخل نفس المجال الضاحوي وبين مختلف النواحي المراكشية، هذه التفاوتات ترتبط بطبيعة التركيبة الاجتماعية لكل ناحية على حدة، فالنسيج الاجتماعي للناحية الجنوبية تسلطانت يتفاوت بشكل كبير عن النسيج الاجتماعي للناحية الغربية لوداية، فالأولى يغلب عليها الفئات

الاجتماعية المهاجرة الوافدة من مناطق مختلفة (الحوز، وحوض درعة، وسيدي يوسف بن علي) مشكلة مجمعا غير متجانس من فئات اجتماعية متفاوتة اقتصاديا ومتنافرة اجتماعيا وثقافيا، والثانية يتكون نسيجها الاجتماعي أساسا من قبائل لوداية وسيد الزوين والسويهلة التي تشكل نسيجا اجتماعيا متجانسا ثقافيا ولغويا وعلى مستوى العادات والتقاليد.

### 3.1.1 طبيعة الأنشطة غير الفلاحية المزاول من طرف المستغلين الفلاحين ومقرات مزاولتها

يميل المستغلون الفلاحيون إلى ممارسة أنشطتهم المهنية الثانوية بأكثر من مقر تبعا لتحرك الطلب عليها في المجال، ويرتبط توزيعهم المجالي بطبيعة النشاط الذي يمارسونه والمجال الذي تتركز فيه هذه الأنشطة غير الفلاحية المزاول، فدراسة طبيعة ونوعية الأنشطة الثانوية للفلاحين وتوزيعها المجالي، يساهم في فهم الانعكاسات المجالية لانتشار الأنشطة غير الفلاحية على النواحي، كما تبرز العلاقات المجالية التي تربط بين الحوز الأوسط والنواحي، وبين النواحي فيما بينها، وبالتالي قياس درجة الاستقطاب الحضري الذي تمارسه الحوز الأوسط على ظهرها، وتحديد وظيفة كل ناحية على حدة. يبرز الجدول التالي أهم الأنشطة الثانوية التي يزاولها فلاحو الحوز الأوسط.

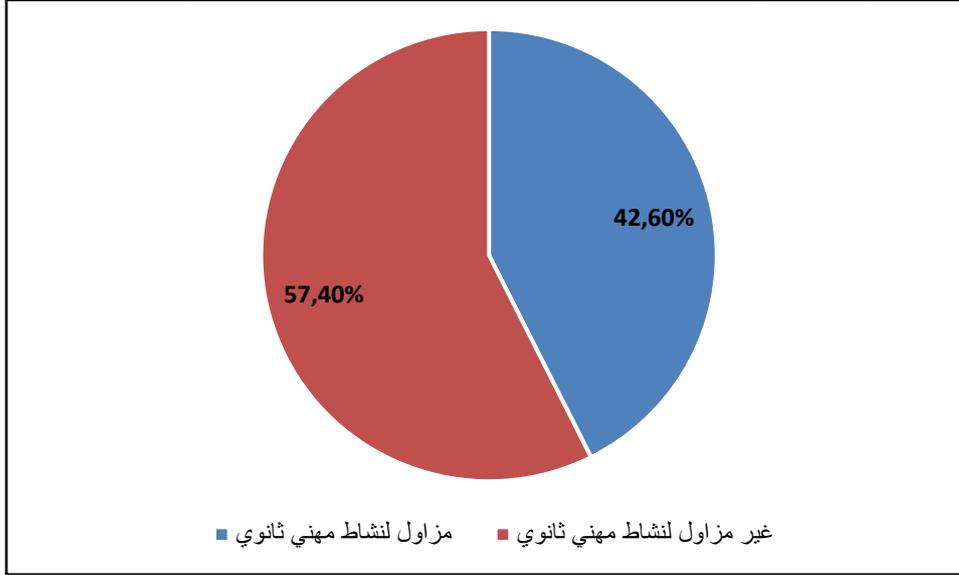
#### جدول رقم 2: توزيع الأنشطة المهنية الثانوية المزاول من طرف المستغلين الفلاحين

نوع النشاط غير الفلاحي المزاول	التجارة	النقل	البناء	الحرف	الخدمات الحرة	السياحة
النسبة المئوية	35	4.8	18	5.7	9.5	27

المصدر: عمل ميداني صيف 2018

مكّن تتبع وضعية الفلاحين ميدانيا، من تحديد أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، وهي وضعية تنعكس على طبيعة الأنشطة الثانوية الموازية التي يزاولونها بموازاة نشاطهم الفلاحي الرئيسي، وتشير المعطيات الواردة في الجدول أعلاه إلى أن قطاع التجارة يحتل مكانة هامة كنشاط مهني ثانوي داخل النسيج المهني ضمن مجموع الأنشطة الثانوية للمستغلين الفلاحين، حيث يتبوأ الصدارة بنسبة 35%، ويهم فلاحو جل النواحي، ونسجل أن أغليبيتهم يزاولونها بنواحي الحوز الأوسط، سواء في الاستغلالية أو في الأسواق الأسبوعية المحلية والمجاورة، فسليلة الإنتاج الفلاحي تبدأ بالتجارة من خلال اقتناء مستلزمات الاستغلال الفلاحي من بذور وأسمدة ومعدات فلاحية، والتي قد يتخصص بعض الفلاحين في الإتجار فيها، ثم تنتهي بها أيضا، من خلال تسويق الإنتاج إما جزئيا أو كليا.

مبيان رقم 1: توزيع المستغلين الفلاحيين وغير المزاولين لنشاط مهني بأحواز مراكش



المصدر: عمل ميداني صيف 2018

تبقى التجارة إذن نشاطا مهنيا ملازما للمستغلين الفلاحيين عبر صيرورة الإنتاج الفلاحي، إلا في حال ما إذا تم تفويضها لأبنائهم في سياق تقسيم العمل داخل الاستغلالية الفلاحية، ومن أبرز الأنشطة التجارية المرصودة داخل المجال نذكر تجارة المنتوجات الفلاحية، ويأتي في مقدمتها البقول والدواجن والبيض ومشتقات الحليب والزيتون، ثم تجارة البقالة بالدرجة الثانية ببعض الدواوير. أما إذا كانت الاستغلالية تقع على واجهة طرقية فيتم مزاولتها في محلات تجارية مختلفة التخصصات، نذكر منها بالأساس تجارة المشاتل التي تنتشر على طول الطرق الرئيسية بنواحي مراكش خاصة التي تنتشر بها الوحدات الفندقية كطريق أورिका في الناحية الجنوبية، وطريق أيت اورير في الجهة الشرقية.

ولكون الحوز الأوسط مجالا سياحيا بامتياز، وعلى اعتبار التأثير الذي تمارسه على مجالاتها الضاحوية بالحوز الأوسط، فقد بدأت تظهر أنشطة سياحية بهذه المجالات الضاحوية على غير العادة، حيث تصل نسبة المزاولين للسياحة والأنشطة المرتبطة بها 27%، هذه النسبة تبرز أولا أهمية النشاط السياحي داخل الجهة ككل وظهير مراكش بشكل خاص، وثانيا نشير إلى تراجع الاستغلال الفلاحي وبداية تلاشي أهميته كأهم مورد اقتصادي للمستغلين الفلاحيين. وتشمل هذه الأنشطة السياحية، العمل في الوحدات السياحية الكبرى خاصة في مجال البستنة، بالإضافة إلى الاشتغال في المركبات السياحية المنتشرة على طول الطرق الرابطة بين الحوز الأوسط ونواحيها، كما هو الحال في المركبات السياحية بالناحية الجنوبية، وفي الناحية الشرقية حيث ملاعب الغولف بمنطقة الشويطر في اتجاه أيت اورير. نسجل أن النشاط السياحي أصبح خلال العشرين سنة الماضية ذو أهمية بالغة كنشاط ثانوي مواز للنشاط الفلاحي ويبرز أن الحوز الأوسط يعرف دينامية اقتصادية سريعة وسيرا نحو الاندماج الكلي في الاقتصاد الحضري، والذي ينتشر مجاليا في المجال الضاحوي القريب من الحوز الأوسط (تسلطانت، شويطر).

إن الحديث على دينامية الحوز الأوسط خاصة المجال المتاخم لمدينة مراكش يفرض بالضرورة الحديث عن التوسع العمراني للمدينة وزحفها على أحوازها، هذه الوضعية المجالية فرضت بالضرورة تزايد أهمية قطاع البناء سواء داخل الحوز الأوسط او في النواحي، وهو ما تدل عليه نسبة 18% التي تشتغل في

قطاع البناء والمهن المرتبطة به من فلاحي النواحي، ومن أهم الأنشطة المرتبطة بقطاع البناء نجد صناعة الطوب الأحمر، والصبغة والجبس...، وكلها مهن يمارس معظمها داخل نطاق ضواحي الحوز الأوسط، بما فيها المركز الحضري جماعة تمصلوحت، ثم في الحوز الأوسط حيث تنتشر أوراش البناء الكبرى، فيما تستقطب الجماعات الأخرى المحاذية، كجماعة لوداية، والحوز الأوسط الكوكبية تامنصورت نسبة ضعيفة، يعود ذلك الى تراجع عمليات البناء خاصة المرتبطة بالمشاريع الكبرى بعد أن أبان هذا المشروع عن محدوديته.

وعليه، يستقطب قطاع البناء أولئك الفلاحين المستفيدين من "فجوات الفراغ الزمنية"، خاصة في ظل اتسام هذا القطاع بحركية مجالية حديثة، سيما وأنا نتحدث عن قطاع سهل الولوج لمن أراد مقاومته، ليس فقط لكون هذه النواحي تعرف حركة تعمير سريعة، تترجمها بالأساس دينامية تراخيص البناء الممنوحة داخله خصوصا مع مطلع القرن الحالي، بل لارتفاع الطلب على هذا القطاع من خلال أشغال حفر الآبار و بناء الأسوار، كما قد يرجع ذلك للدينامية السريعة للبناء السري الذي ينتشر عادة حول المدن الكبرى المغربية<sup>3</sup>.

تظهر أيضا أهمية الخدمات الحرة كأنشطة ثانوية مزاولة بالحوز الأوسط حيث تبلغ نسبة حضورها حوالي 9%، وتجسدها مجموعة من الأنشطة خاصة تلك المستفيدة من ريع الموقع المنفتح مباشرة على جنبات المحاور الطرقية، ونخص بالذكر في هذا الصدد المستغلين الفلاحيين المشتغلين في خدمات الإطعام، وما يرتبط بها من خدمات الترفيه التي تحتضنها والموجهة للاستجابة للطلب الحضري أساسا في عطل نهاية الأسبوع، إضافة إلى أصحاب المقاهي في مجموعة من الدواوير، إضافة لخدمة عصر الزيتون في المعاصر الحديثة، والتي تنتشر بشكل واسع بالحوز الأوسط، تبعا لمكانة زراعة الزيتون التي تمتاز بها المنطقة، وكذلك الأمر بالنسبة لمطاحن الحبوب.

أما الأنشطة المرتبطة بالحرف فتشكل نسبة 5.7% من مجموع الأنشطة غير الفلاحية التي يمارسها الفلاحون، وهي حرف متنوعة ترتبط أساسا بالمعيش اليومي وبنمط العيش السائد بالنواحي، كما يرتبط بعضها بالاقتصاد الحضري خاصة السياحي منه، كالحرف المرتبطة بالفخار والخزف والقصب والنجارة، وغيرها من المهن ذات الطابع الحرفي. وللإشارة فالاستجابات التي طالت هؤلاء الحرفيين وكذا المعاينة الميدانية أبانت على أن غالبية هذه الفئة لا تزال هذه المهن بشكل مباشر، بل تستعين بحرفيين صغار، يتراوح عددهم بين اثنين إلى ثلاثة في غالب الأحيان، فيما يقتصر دور المستغل الفلاحي في تدبير المادة الأولية، وكذا الإشراف على مهام المساعدين. أما بعضهم فينهمك معظم الوقت في العمل المباشر رفقة مساعديه، خاصة في مهن إنتاج المواد القصبية التي يرتفع عليها الطلب بشكل كبير لارتباطها بالديكور السياحي.

ونظرا لأهمية النقل والتنقلات الجماعية سواء البيجماعية أو البيمجالية في دينامية المجالات سواء الريفية أو الضاحوية أو الحضرية، فأن نشاط النقل الجماعي بالحوز الأوسط يعد من أهم الأنشطة غير الفلاحية التي تستقطب يدا عاملة هامة خاصة فئة الشباب إلا أن حضورها يبقى ضعيفا بالمقارنة مع الحرف والسياحة والبناء، حيث لا تتجاوز نسبة المستغلين الفلاحين الذين يتخذونه كنشاط ثانوي 4.8%، سواء تعلق الأمر بنقل البضائع أو الأشخاص، فغالبا ما يحرص بعض المستغلين الفلاحيين على الإشراف مباشرة على نقل إنتاجهم الفلاحي، وكذا جلب متطلبات الإنتاج وحوائج البيت، اعتمادا على وسائل نقل خاصة يتم

<sup>3</sup>-المختار الأكل (2001): دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية الأرياف، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، ص 221.

اقتناؤها لهذا الغرض، والتي تتميز وظيفيا بتعدد أدوارها، فقد تتجاوز تلبية المتطلبات الخاصة بالاستغلالية إلى تلبية الطلب الذي يقدمه بعض المستغلين الفلاحيين غير المتوفرين على وسيلة نقل خاصة بهم. وينشط هذا القطاع بشكل كبير خاصة نقل السلع والبضائع خلال أيام الأسواق الأسبوعية، أو خلال الأعياد الدينية إذا ما قورن بمستويات الإقبال عليه خلال الأيام العادية.

وتجدر الإشارة إلى أن جل المهن الثانوية المزاولة من لدن المستغلين الفلاحيين بنواحي مراكش بالحوز الأوسط، عرفت وتيرتها تزيادا كبيرا خلال العقدين الماضيين بفعل التمدين السريع وانتشار النمط الاقتصادي الحضري بالمراكز القروية لهذه النواحي (تمصلوحت، لوداية، تسلطانت)، ما ساهم في توفير الشغل غير الفلاحي الذي يستقطب عددا مهما من المستغلين الفلاحيين لمزاولته، كنشاط رديف للاستغلال الفلاحي. ويدل توجه هؤلاء المستغلين لمزاوله هذه الأنشطة المزاحمة للاستغلال على تراجع قدرة الفلاحة على التشغيل مما يؤشر على جانب من جوانب التراجع المادي للفلاحة بالحوز الأوسط.

صورة رقم 1: خدمة بيع الأغراس، وخدمة الطعامة (على يمين الطريق الوطنية رقم 8)



المصدر: التقاط شخصي ماي 2018 (بتراب الجماعة القروية سعادة).

صورة رقم 2 و3: أنشطة ترفيهية متكاملة بجانب الطريق الوطنية رقم 8 (في اتجاه الصويرة)



المصدر: التقاط شخصي ماي 2018 (صورة 25)، وماي 2021 (صورة 26)

## 2.1 بواعث امتهان المستغلين الفلاحيين لأنشطة غير فلاحية بالحوز الأوسط

ترتبط مزاوله الفلاحين لأنشطة ثانوية موازاة مع الفلاحة بالحوز الأوسط بعاملين أساسيين؛ يرتبط الأول بتراجع كفاءة الاستغلال الفلاحي، أما العامل الثاني فيرتبط بالتأثير الحضري.

### 1.2.1 تراجع كفاءة الاستغلال الفلاحي بالحوز الأوسط

مكننا تتبع دينامية المجال الفلاحي بالحوز الأوسط ومن خلال وضعية الفلاح وعلاقاته بأنشطة الاقتصاد الحضري (الأنشطة غير الفلاحية) من فهم واستيعاب العوامل المتحكمة في تعاطي المستغلين الفلاحين لأنشطة أخرى غير فلاحية موازية ومكملة للنشاط الفلاحي، وربط هذا السلوك الاقتصادي المستجد بمدى نجاعة الاستغلال الفلاحي، الذي اعتمدنا في قياسه على معيار حجم الاستغلاليات الفلاحية باعتباره مؤشرا دالا على مستوى كفاءة الاستغلال الفلاحي، يوضح الجدول التالي توزيع المستغلين الفلاحيين المزاولين لنشاط مهني ثانوي حسب حجم الاستغلاليات الفلاحية.

جدول رقم 3: توزيع الفلاحيين المزاولين لنشاط مهني ثانوي حسب حجم الاستغلاليات الفلاحية

حجم الحيازات	نسبة % المستغلين الفلاحيين المزاولين لنشاط الثانوي
أقل من 5 هكتارات	46.5
من 5 هكتارات الى 9 هكتارات	39.4
أكثر من 9 هكتارات	14.1
المجموع	100

المصدر: بحث ميداني صيف 2018

إن اعتمادنا لمعيار مؤشر حجم الاستغلاليات لتوزيع وتحديد المستغلين الفلاحيين المزاولين لنشاط مهني ثانوي لم يكن بمحو الصدفة، بل جاء لاعتبارات اجتماعية واقتصادية محضة، حيث ان الوضع الاعتباري الاجتماعي والاقتصادي يحدد مكانة الفلاح وبالتالي، يحدد حاجته الى مزاوله نشاط ثانوي من عدمه. وبرز الجدول أن المستغلون الفلاحيون الحائزون لاستغلاليات فلاحية أقل من خمسة هكتارات تشكل نسبة 46.5% المستغلين المزاولين لأكثر من نشاط مهني، فيما يشكل المستغلون الفلاحيون ممن استغلالياتهم يتراوح حجمها بين 5 إلى 9 هكتارات نسبة 39.4%، أما ذوي الاستغلاليات الأكبر فيشكلون نسبة 14.1% من مجموع المستغلين الفلاحيين مزدوجي النشاط المهني. يفسر هذا التفاوت بتمفصل حجم الاستغلاليات مع جنوح المستغلين إلى امتهان نشاط آخر إضافي، بالنظر لمحدودية قدرة الاستغلاليات الصغرى على تغطية الحاجيات الضرورية لمن يقوم عليها، جراء تواضع عائداتها، ومن ثم ضرورة البحث عن مصادر أخرى للدخل.

في هذا السياق، نؤكد ومن خلال المعاينة الميدانية أن فئة الفلاحين الصغار المعرضة حيازاتهم للتفكك بسبب التوارث وتعدد الفروع، ما يجعل مداخيلهم الفلاحية غير كافية، فيضطرون في غالب الأحيان

للعمل إما في أراضي الفلاحين الكبار أو المتوسطين، أو يمارسون أنشطة غير فلاحية، أو يهاجرون إلى المدن<sup>4</sup>. على النقيض من ذلك، تظهر قدرة الاستغلاليات الكبرى على دفع القائمين عليها صوب الاكتفاء بالاستغلال الفلاحي، استنادا إلى أهمية ما يترتب عنه من عائدات، تجعلهم في غالب الأحيان في غنى عن مزاوله نشاط مهني آخر.

حاصل القول، إن مكانة الأنشطة المهنية الثانوية بنواحي الحوز الأوسط والمزاوله من طرف فئة هامة من المستغلين الفلاحيين ترتبط أساسا بمد التمدين، فتكون درجات الاستجابة لها ذات تراتب مجالي حسب درجة البعد والقرب من مراكز، كما ترتبط هذه الاستجابة بدرجة كفاءة الاستغلال الفلاحي وقدرته على توجيه مستغليه إلى ممارسة نشاط آخر مواز، بل قد ينحرف جزء لا يستهان به من المستغلين الفلاحيين عن ممارسة الاستغلال الفلاحي بالكل، ليكون ذلك مؤشرا صريحا على تقهقر قدرة النشاط الفلاحي على التشغيل تاركا المجال لأنشطة أخرى ذات طابع حضري لتفرض تشويشا على الخريطة المهنية بنواحي الحوز الأوسط.

لقد أسهم التغلغل التدريجي لعلاقات الإنتاج الرأسمالي في حدوث تحولات على مستوى الأنشطة المزاوله على صعيد الحوز الأوسط، لكن من غير أن تختفي تماما البنيات التقليدية، بل حدثت عملية مزاوله بين الهياكل والتباينات القبلية التقليدية والعلاقات والتفاوتات الرأسمالية الحديثة. وارتباطا بذلك، ظهرت فئات اجتماعية متباينة المستويات والمصالح على رأسها كبار ملاكي الأرض، أغلبهم يقطنون المدن، ولا يقومون بزراعة أراضيهم بأنفسهم، وإنما يستأجرون عمالا فلاحيين لزراعتها، وبهذا لا يكون بينهم وبين قراهم وفلاحيها أية روابط وثيقة أو علاقات شخصية<sup>5</sup>.

إن ما قد يعبر بشكل أكثر صراحة عن مكانة ومآل الاستغلال الفلاحي عند اليد العاملة النشيطة بالحوز الأوسط، هو مدى قدرة هذا النشاط على إقناع فروع المستغلين الفلاحيين على التثبّت به، ومدى اقتناعهم هم كفئة يافعة بممارسة النشاط الفلاحي من جهة، وصورة هذا النشاط في تمثلاتهم من حيث أبعاده النفسية والاجتماعية من جهة أخرى، خاصة وأنهم يتموقعون مجاليا في مجال جغرافي انتقالي يربط الحوز الأوسط بالريف العميق.

### 2.2.1 تعتبر التأثيرات الحضرية عاملا أساسيا في ازدواجية الأنشطة الاقتصادية

تؤثر مراكز على البنية المهنية للمجتمع الفلاحي الناشط بالحوز الأوسط، وذلك من خلال قدرتها على توزيع العرض المهني المتاح بنواحيها جراء التوسع الحضري، وكذلك عبر ما توفره سوق الشغل الحضرية. ولتوثيق الصلة بين جنوح المستغلين الفلاحيين لمزاوله أكثر من نشاط، وبين قوة التأثير الحضري، وجب تناول دلالات ذلك من حيث توزيعهم على مجالات الحوز الأوسط في علاقة بالقرب أو البعد من مراكز.

<sup>4</sup>- عبد الغني بقاس (2007): الأنشطة غير الفلاحية والتنمية المحلية بالبادية الحوزية، حالة قيادة لوداية رسالة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة، ص 65.

<sup>5</sup>نفسه، ص 64.

جدول رقم 4: توزيع المستغلين الفلاحيين المزاولين لنشاط مهني ثانوي حسب مجالات الحوز الأوسط

النسبة المئوية من المستغلين الفلاحين من كل ناحية على حدة	الحوز الأوسط
52	الناحية الجنوبية-تسلطانت
48	الناحية الغربية-السعادة
45	الناحية الجنوبية الغربية-تمصلوحت
28	جماعة سويهلة

المصدر: بحث ميداني صيف 2018

استثمارا لمعطيات الجدول أعلاه، يتضح أن جماعتي تسلطانت وسعادة تعتبران الأكثر احتضانا للمستغلين الفلاحيين المزاولين لأكثر من نشاط مهني، حيث تصل فيهما نسبتهم إلى 52% و48% على التوالي. وللإشارة فهما الجماعتين القرويتين المتصلتين مباشرة بالمدار الحضري بالحوز الأوسط وتشكلان ظهريها المحاذي والذي يتجه بوتيرة سريعة نحو الاندماج والانصهار الكلي في المجال الحضري. ونشير هنا أنه، وعلى الرغم من كون جزء كبير من جماعة سعادة تنتمي للدائرة المسقية النفيس، فلم تسلم من تأثير مراكش على صعيد وحدة بنيتها المهنية، فعامل القرب من الحوز الأوسط الكبرى يفرض مظهرين من التحولات في خصوصيات الأنشطة المهنية المزاولة، نوردها على النحو التالي:

أحدثت مراكش تحولا في البنية المهنية للفلاحين الأصليين لهاتين الجماعتين، وذلك في سياق الاستجابة لتنامي الطلب الذي يقدمه حضريوها، والمرتبب أساسا بخدمات الترفيه أو الإطعام، أو بتجارة بيع المغروسات بالمشاتل وحرف القصب والفخارة...، وهو طلب تغري قيمه المضافة للفلاح للاجتهد في الاستجابة له لتنويع مصادر دخله، ليجد نفسه مجبرا اقتصاديا على مجاراة ضغط الحوز الأوسط، وبالتالي ممارسة أكثر من نشاط مهني للرفع من مداخيله.

وما قيل عن تدفق طلب مراكش كمحدد صوب نواحيها بالحوز الأوسط، يمكن أن يقال على عرضها كمحدد أيضا، نقصد هنا تأثير البنية المهنية للمستغلين الفلاحيين من جزاء عدم القدرة على مقاومة العرض الذي تقدمه هذه الحوز الأوسط من خلال حاجة نسيجها الاقتصادي لليد العاملة في قطاعات مهنية مختلفة حسب خصوصيات الإشعاع الاقتصادي الذي تمتاز به، مقارنة مع ظهريها الريفي المتاخم لها، خصوصا إذا ما تم استحضار موسمية الاستغلال الفلاحية، وتذبذب كفاءته جزاء ما يتخبط فيه المستغلون الفلاحيون من مشاكل، ومن تمة ينصاع المستغل الفلاحي لعرض مراكش الاقتصادي، مفرطاً في شيء من هويته المهنية التي تشكل الفلاحة ركيزتها الأساس.

يساهم استيطان المتدفقين الحضريين بالجماعتين المذكورتين في تعميق تحولات البنية المهنية للمستغلين الفلاحيين بها، لكون هذه العناصر المتدفقة غالبا ما تتشبت بخصوصياتها المهنية الحضرية، والتي تعتبر دخيلة على تلك المتأصلة عادة بالمجال الريفي. والنتيجة إحداث تشويش على وحدة ومقومات البنية المهنية لظهير الحوز الأوسط الريفي، ولعل أبرز تجلياته، إضافة فرص جديدة للشغل غير الفلاحي إلى جانب النشاط المهني الأصل في هذه المجالات.

في حين أن جماعة تمصلوحت القروية، تحتضن نسبة لا يستهان بها من المستغلين الفلاحيين المزاولين لأكثر من نشاط مهني (45%)، حيث تعتبر الجماعة الوحيدة ضمن الجماعات الأربعة المتوفرة

على مركز حضري؛ فالبنية المهنية لهذه الجماعة تتأثر بمركزها الحضري حديث النشأة، كما أنها تعد من الجماعات الأكثر تعرضاً للانتشار الحضري ومد التمدين. يساهم في ذلك عامل القرب من مراكز، من جهة، والعامل الثاني استقطابها ساكنة جديدة وافدة من المجال الحضري بفعل الانخفاض النسبي لأثمنة العقار مقارنة بنظيرتها داخل مراكز، هذه العوامل ساهمت أولاً في بداية تراجع دور النشاط الفلاحي كأول مورد اقتصادي بالجماعة بفعل تراجع الأراضي الزراعية جزاء الزحف العمراني، وثانياً في ظهور أنشطة حضرية غير فلاحية استطاعت أن تقتحم بشكل كبير الاقتصاد الريفي المحلي للجماعة وتستقطب عدداً كبيراً من المستغلين الفلاحين، وغير الفلاحين.

وبخصوص جماعة سويهله، فنسجل أن نسبة المستغلين الفلاحين مزدوجي النشاط المهني تبقى ضعيفة، خاصة إذا ما قورنت بنظيرتها السالفة الذكر، فهي لا تتعدى 28%، يعزى ذلك بالدرجة الأولى إلى عامل بعدها عن الحوز الأوسط، حيث تفصل بينهما جماعة سعادة التي تشكل حاجز صد أول يمتص تأثيرات وضغط الحوز الأوسط، هذا بالإضافة إلى مقوماتها الفلاحية الجيدة التي تمتاز بها، مقارنة مع الجماعات الأخرى، وهي مقومات أكسبتها مقاومة ضد التحوّلات التي قد تطال البنية المهنية لمستغليها الفلاحين. ولعل أحداث مدرسة للتكوين في المهن الفلاحية بهذه الجماعة لخير دليل على الدور الذي قامت به الوزارة الوصية بالقطاع للحفاظ على الطابع الفلاحي الصرف للجماعة، والسعي إلى حماية مجالها الفلاحي المتوفر على تربة خصبة من الزحف العمراني السريع لمراكز.

### 3.1 الحصيلة : يؤدي تعاظم الشغل غير الفلاحي بالحوز الأوسط إلى عدول جزء من المستغلين الفلاحين عن ممارسة الفلاحة

رغم كون النشاط الفلاحي يبقى النشاط المهيمن على البنية المهنية لفئة المستغلين الفلاحين، فإن أخطار تراجع عائده تبقى قائمة، الشيء الذي يدفع بعض المستغلين الفلاحين إلى تنويع الأنشطة، بل قد تصل تبعات التنويع إلى وضع الفلاحة في المرتبة الثانية كنشاط بالتوازي<sup>6</sup>. وعليه نقيم في هذا العنصر مكانة أولئك المستغلين الذين تراجعوا فعلاً عن مزاوله النشاط الفلاحي، على الأقل كنشاط رئيس بالنواحي الغربية والجنوبية للحوز الأوسط.

وتشير المعطيات المستخلصة من الاستمارة الميدانية هيمنة النشاط الفلاحي على بنية الأنشطة الرئيسية للمستغلين الفلاحين، فنسبة 87.4% من مجموع المستجوبين يمتنون الفلاحة كنشاط رئيس تتم ممارسته في عين المكان، أي داخل استغلاياتهم الفلاحية، وتبقى هذه الهيمنة منطقية بحكم أننا بصدد الاشتغال على مجال ريفي يشكل النشاط الفلاحي ركيزته الأساس. فيما نسبة 12.6% لا يمارسون النشاط الفلاحي، أو بشكل أدق لا يعتبر النشاط الفلاحي نشاطهم الرئيس، وذلك في إشارة واضحة لكون هذه الفئة تمارس أنشطة مهنية غير فلاحية كنشاط أساس، إما لكونهم ليسوا فلاحين أصلاً، أو لكونهم فلاحين غيروا نشاطهم المهني من الفلاحة إلى نشاط آخر، إما بسبب المشاكل التي تتخبط فيها الفلاحة، أو لكون أنشطتها ذات طابع موسمي الناتجة عن فجوات الفراغ الزمني الذي يتخلل فترات معنية من السنة الفلاحية. ومن تم الانصياع لإغراء نشاط مهني آخر أثبت أحقيته بالممارسة كنشاط أساس، بالنظر لارتفاع عائده، مقارنة بتلك المحصلة من الاستغلال الفلاحي، والنتيجة انحدار أهمية الاستغلال الفلاحي إلى مصاف الأنشطة الثانوية.

<sup>6</sup>-Soulard C et Thureau B, opt cité, p37.

وفي المحصلة فإن هذه الوضعية تحددت مجالاً جغرافياً فلاحياً. الحوز الأوسط. يتميز معظم ملاك الأراضي الفلاحية فيه بمزاولة النشاط الفلاحي بشكل أساسي، غير أن التحولات التي لحقت به جزأً التمدين السريع وتأثر الاقتصاد الحضري، جعلتنا أمام مجال ريفي فقد ما يفوق عشر هويته المهنية لفائدة أنشطة غير فلاحية، ليؤثر ذلك بالملاموس على تراجع قدرته على الحفاظ على اليد العاملة الممتهنة لها.

## 2. أبناء المستغلين الفلاحيين: تراجع ورفض لمزاولة الفلاحة بالحوز الأوسط

يعد تقسيم العمل في المجتمعات التقليدية عاملاً أساسياً في تحديد وضعية ومكانة كل عضو داخل المجموعة سواء أكانت أسرة أم مجتمعاً، وكان "دوركايم" أول من صاغ نظرية تقسيم العمل في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي"، حيث أبرز من خلال أن تقسيم العمل في المجتمعات سواء الحضرية العصرية أو الريفية التقليدية يشكل الحلقة الأساسية التي تساهم في استمرارية الجماعة أو تراجعها. لهذا الاعتبار ففي مجال الحوز الأوسط يتم عادة تقسيم العمل داخل الاستغلاليات الفلاحية، غير أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية، جعلت أبناء المستغلين الفلاحين يعزفون عن ممارسة الأنشطة الفلاحية.

لهذا تتوخى دراسة البنية المهنية لأبناء المستغلين الفلاحيين بالحوز الأوسط، وذلك في سياق رصد مكانة الفلاحة ضمن أنشطتهم المهنية، وقياس ما إذا كانت فعلاً تشكل نشاطاً أساسياً في منظومتهم المهنية، أم أن التأثير الحضري قد طال قناعاتهم، وغيّر شيئاً من قوام أنشطتهم المهنية عبر امتهان أنشطة غير فلاحية، خاصة في ظلّ الإغراءات المهنية المقدمّة من طرف سوق الشغل الحضريّة.

في ضوء النتائج المحصّلة، يمكن بناء تصوّر عام حول قدرة الفلاحة بنواحي الحوز الأوسط على تسييج اليد العاملة اليافعة الناشئة بها من جهة أولى، ومن جهة ثانية التنبؤ بمصير النشاط الفلاحي بهذه النواحي، على اعتبار أنّ استمرارية هذا النشاط يبقى رهيناً بالضرورة بمدى انحياز أبناء المستغلين الفلاحيين لمزاولته.

### 1.2 يهيمن الذكور على فئة النشيطين من أبناء الفلاحين بالنواحي الغربية والجنوبية بالحوز الأوسط

يبلغ مجموع عدد أبناء المستغلين الفلاحيين المستجوبين بالنواحي الغربية والجنوبية بالحوز الأوسط 1840 نسمة. وبناء على المقاربة المعتمدة -أشرنا إليها سلفاً- سنركز بالأساس على الأبناء المزاولين لنشاط معين، أي نسبة النشاط استناداً لمجموع عدد الأبناء كما يوضح الجدول التالي.

جدول رقم 5: توزيع أبناء الفلاحين حسب الجنس ونسبة النشاط بالنواحي الغربية للحوز الأوسط

مجموع عدد الأبناء	1840
عدد المشتغلين	815
عدد الذكور منهم	799
عدد الإناث منهم	16
نسبة النشاط من مجموع عدد الأبناء	44,29%

المصدر: بحث ميداني صيف 2018

تصل نسبة المزاولين الفعليين لنشاط مهني معين بالنواحي الغربية والجنوبية بالحوز الأوسط زهاء 40% جلهم من فئة الذكور، في حين أن البقية لا تزال أي نشاط مهني، بداعي أن فئة منها من الصغار غير النشيطين، أو فئة المتمدرسين والطلبة، في حين لا يتعدى عدد الإناث النشيطات 16 من أصل 815 من

الأبناء المشتغلين، تسعة منهن موظفات، والبقية يزاولن نشاطهن المهني في قطاع الخدمات وتشكل الحوز الأوسط مقرا مزاولا لأنشطتهن.

يفسر ضعف حضور الإناث ضمن مجموعة من أبناء المستغلين الفلاحين المزاولين لنشاط مهني معين بعاملين أساسيين:

- يرتبط العامل الأول في عدم اعتبار الأنشطة الفلاحية والمزاوله داخل الاستغلالية من طرف المرأة نشاطا مهنيا، بل تدخل ضمن المهام الاعتيادية المنوطة بها في إطار تقسيم المهام بين الفاعلين الأسريين داخل الاستغلالية الفلاحية الواحدة، الى جانب مهامها المتعلقة بالأشغال المنزلية، وتربية الأبناء، بل إن ما تقوم به من أعمال مزدوجة على صعيد البيت والاستغلالية جعل وضعها الاعتباري لا يعدو أن يكون بموجبه المرأة جزءا من "ملكية الزوج"<sup>7</sup>.

- يتجلى العامل الثاني في كون نسبة كبيرة من اليافعات غادرن الاستغلاليات صوب مجالات جغرافية أخرى قد تكون بنواحي الحوز الأوسط أو خارجها بفعل الالتحاق ببيت الزوجية، الشيء الذي يفسر ضعف حضورهن العددي مقارنة بالذكور.

وجدير بالذكر هو الدور الحيوي الذي تضطلع به نسوة الأرياف المحاذية للمدينة في تحريك اقتصاد هذه المجالات، رغم صعوبة ضبطه<sup>8</sup>؛ فمساهمتهن في القطاع الأول تضاهي مساهمة الذكور، سواء فيما يتعلق بتربية المواشي والدواجن، أو الزراعة والدراس و الجني و غيرها من الأنشطة، من قبيل الصناعات التقليدية كإنتاج الزرابي والحقائب اليدوية المصنوعة من الدوم، وكذا المنتجات الخزفية والتي تسوق خلال التجمعات التجارية الأسبوعية<sup>9</sup>.

## 2.2 مظاهر تراجع الفلاحة على تشغيل أبناء المستغلين الفلاحين بالحوز الأوسط

نقف من خلال هذا المحور تسليط الضوء على مدى قدرة الفلاحة على إقناع أبناء المستغلين الفلاحين على مزاولتها بالحوز الأوسط، باعتبارها ركيزة للتنشئة المهنية بهذه المجالات. ونبحث أيضا في جوانب توزيع هذه المكانة عبر مجالات هذه النواحي وربطها بالتأثير الحضري للمدينة الكبرى. والوقوف عند طبيعة المهن غير الفلاحية المزاوله من طرف أبناء المستغلين الفلاحين في ارتباط بمجالات مزاولتها، لرصد الأنشطة الأكثر استقطابا لهذه الفئة ومدى ارتباطها بالحوز الأوسط الكبرى مراكز. يفيد ذلك في بناء تصور عام حول مآل النشاط الفلاحي، واستنباط قدرته على الصمود بناحية الحوز الأوسط.

<sup>7</sup>-خديجة المسدالي (2001): ماذا تقول نساء قرويات عن فضائهن، فضاءات نسائية، منشوران كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رقم 97، ص 12.

<sup>8</sup>-نقصد هنا صعوبة التمييز بين الأنشطة المزاوله من طرف المرأة بالحوز الأوسط، فهناك من الأنشطة التي تدخل في إطار اقتصاد الأسرة من جهة، وبين الأنشطة التي تدخل في إطار اقتصادها الخاص، فقد أسفر الاحتكاك المباشر بالمستغلين الفلاحين إلى إقرار بعضهم بامتلاك نساين للماشية والدواجن، وقيامهن بتربيتها والانتفاع بمنتجاتها وأحيانا بيعها.

<sup>9</sup>-لعزيزة بوسلامة (2013): وضعية المرأة بالوسط القروي ورهان التنمية الترابية بإقليم الحوز، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكز، ص 98.

## 1.2.2 مكانة الفلاحة لدى ابناء المستغلين الفلاحيين

يبلغ مجموع ابناء المستغلين الفلاحيين المزاولين فعليا لنشاط مهني 815 عاملا، موزعين بشكل متباين على صعيد النواحي الغربية والجنوبية بالحوز الأوسط، غالبيتهم ممن لا يدخل الاستغلال الفلاحي ضمن اهتماماتهم. يعتبر القطاع الفلاحي القطاع الأكثر استقطابا لأبناء المستغلين الفلاحيين حيث يحتضن 296 من فروع المستغلين الفلاحيين، وهو ما يشكل 36% من مجموعهم، مجملهم يزاولونه في عين المكان أي داخل الحيازة الفلاحية، أو كمياومين فلاحين باستغلاليات الغير بنواحي الحوز الأوسط. ويمكن تفسير استقطاب القطاع الفلاحي لهذه النسبة من أبناء المستغلين الفلاحيين بكونه النشاط المهني الأم بهذا النوع من المجالات ذات الطابع الريفي. وبالتالي يشكل أساس التنشئة المهنية لجل أبناء المستغلين من خلال الاحتكاك به منذ سنواتهم الأولى كناشطين، بمن فيهم أولئك الذي نزعوا عن الاستمرار في مزاولته فيما بعد مفضلين أنشطة مهنية أخرى.

ترسم هذه المعطيات صورة واضحة عن عزوف قرابة الثلثين من أبناء المستغلين الفلاحيين عن ممارسة الفلاحة، على الأقل كنشاط رئيس يعتمد على عائداته بشكل دائم ومنظم، إما لعدم اقتناعهم به بداعي الدلالات الاعتبارية التي يحيل إليها الانتماء إليه، خاصة في مجالات محاذية للمدينة، ومتأثرة بمد التحضر، أو للعرض المقدم فيما يخص فرص الشغل غير الفلاحية، سواء تلك المتاحة بالحوز الأوسط، أو بنواحي الحوز الأوسط نفسها نتيجة الانتشار الحضري لمراكش. غير أن درجة هذا التأثير تتباين في توزيعها الجغرافي بالحوز الأوسط، تبعا لعدة اعتبارات التي تتحكم في قدرة الاستغلال الفلاحي على تشغيل أبناء المستغلين الفلاحيين؛ منها القرب أو البعد من المجال الحضري، والمستوى التعليمي للأبناء 10 أو تراجع مردود الحيازة العائلية.

## 2.2.2 تتباين قدرة الفلاحة على تشغيل اليد العاملة الشابة بالحوز الأوسط تبعا لقدرة مدينة مراكش على التأثير

في ارتباط مع مسألة تأثير الميولات المهنية لأبناء المستغلين الفلاحيين بعامل القرب أو البعد من مركز الحوز الأوسط -مراكش- نقارن مدى حضور النشاط الفلاحي لدى هذه القوة العاملة بنواحي الحوز الأوسط، في سياق قياس قدرة هذه الأخيرة على التأثير في الاختيارات المهنية لهؤلاء الأبناء. توضح معطيات الجدول اسفله يوضح توزيع أبناء المستغلين الفلاحيين المزاولين لأنشطة فلاحية بالحوز الأوسط حسب الجماعات.

10- فكلما كان المستوى التعليمي مرتفعا، الا وتزايدت معه نسبة العزوف عن مزاوله الأنشطة الفلاحية، وتزايد الإقبال على الأنشطة غير الفلاحية والحضرية سواء في مركز الحوز الأوسط او في المجالات الحضرية المجاورة لمراكش واسفي، وبين جرير، والدار البيضاء...

جدول رقم 6: توزيع أبناء الفلاحين المزاولين لأنشطة فلاحية بالحوز الأوسط حسب الجماعات القروية

النسبة المئوية من أبناء المستغلين الفلاحين من كل ناحية على حدة	الحوز الأوسط
40	الناحية الجنوبية - تسلطانت
20	الناحية الغربية - السعادة
45	الناحية الجنوبية الغربية - تمصلوحت
60	جماعة سويهلة

المصدر: بحث ميداني صيف 2018

تختلف قدرة الفلاحة على تشغيل فروع المستغلين الفلاحين من جماعة إلى أخرى، فجماعتنا سويهلة وتمصلوحت تعتبران الأكثر احتضانا للأبناء المزاولين للنشاط الفلاحي، بنسبة 60% و45% على التوالي، يفسر هذا الوضع ببعدهما النسبي عن المركز الحضري مقارنة مع باقي الجماعات ما يجعل تأثيرهما بالأنشطة الحضرية أقل من جهة، ومن جهة ثانية استمرارية أهمية القطاع الفلاحي الاقتصادية والاجتماعية. اما الجماعتين المتاخمتين مباشرة بالحوز الأوسط هما الأقل احتضانا لأبناء المستغلين الفلاحين المزاولين للفلاحة، ونقصد هنا بالتحديد كلا من جماعة تسلطانت من الدرجة الأولى وسعادة بالدرجة الثانية، فالقرب من الحوز الأوسط يولد الارتباط بها، وهو ارتباط مفروض بمنطق اقتصادي، فهي بمثابة سوق لاستقطاب اليد العاملة، خاصة المهن البسيطة كالحرف والبناء وما شابههما، فضلا على القرب أن القرب منها يزيد من إمكانيات التردد عليها.

يسفر هذا الوضع عن تغيرات سلوكية عميقة ناجمة عن الانجذاب النفسي لهذه الفئة للمدينة وأنشطتها المهنية، باعتبارها مجال للرقى وتحقيق الأحلام، وكذا تحسين ظروف العيش. ومن مجمل هذه التغيرات مزاوله أنشطة مهنية ذات سمة حضرية وإعلان تجاوز عن الفلاحة، فيصبح خيط الانتماء للمجال الريفي رهيفا، سيما في جانبه الوظيفي. ينطبق ما قيل عن الجماعتين سالفتي الذكر و بدرجة أقل، على كل من جماعتي السويهلة وتمصلوحت والمرتبطين مجاليا في الهالة الثانية من حيث موقعهما بالنسبة بالحوز الأوسط، حيث تحتضنان عددا أكبر من الأبناء المزاولين للفلاحة، فعامل البعد يعد عاملا لصد مؤثرات مركز الحوز الأوسط، وعليه فإن نفس منطق التحليل الذي تم تبنيه بخصوص الجماعتين السابقتين هو نفسه المسقط على هاتين الجماعتين مع إضافة عامل ثان، و يتعلق الأمر بارتباط تأثير تكلفة التنقل نحو مراكز ومدى توافر وسائله باختيار مزاوله نشاط مهني آخر غير الفلاحة بهذا المجال. فتكلفة التنقل اليومي للمدينة تخصص من قيمة العائد اليومي أو الأسبوعي أو حتى الشهري للأنشطة الممكن مزاولتها في الحوز الأوسط، وهو ما يفقد هذه الأنشطة القدرة التنافسية على دحر ممارسة النشاط الفلاحي.

### 3.2.2 هل يؤثر ترتيب أبناء المستغلين الفلاحين ضمن أسرهم على ميلهم لامتهان الاستغلال الفلاحي؟

مكنتنا نتائج البحث الميداني من رصد جوانب أخرى تهم ميولات أبناء المستغلين الفلاحين المهنية، وما إذا ثمة هناك علاقة تربطها بتربيتهم داخل أسرهم. توخينا في هذا السياق، التركيز فقط على الأنشطة المتعلقة بالاستغلال الفلاحي، للتعرف على من يقع على عاتقه حمل عبء ممارسة الفلاحة من الأبناء. واتضح أن الأبكار من الأبناء هم الأكثر حملا لعبء ممارسة النشاط الفلاحي، فمن أصل 296 ابنا مزاولا

للفلاحة بشكل رئيس، يوجد 172 بكرة و87 ابنا مزاولا الفلاحة كابن مرتب بعد البكر، ثم يقل اهتمام الإخوة الباقين بمزاولة الفلاحة.

فالابن الأكبر أمل الأسرة في إعالة المستغل الأب على أعباء أنشطته الفلاحية، فتنشئه بشكل يجعله اليد اليمنى للأب والمستوعب لخبايا الاستغلالية، فيكون صاحب الخطوة داخل منظومة تقسيم المهام ذات الطابع الفلاحي، ويكون انقطاعه عن الدراسة في سن مبكرة ثمنا لتلك المكانة، فيما يتمرد الأشقاء الآخرون تباعا شيئا فشيئا عن ممارسة الانشطة الفلاحة لعدم الاقتناع بوضع الأخ الأكبر الفلاح "القدوة"، فينجح بعضهم في استكمال مساره الدراسي، أو الانفتاح على أنشطة مهنية أخرى مستفيدين من الخدمات الفلاحية التي يقدمها الابن البكر داخل الاستغلالية كمساعد فلاحي عائلي.

### 3.2 ينزع أبناء المستغلين الفلاحيين بالحوز الأوسط إلى مزاولة الشغل غير الفلاحي خاصة في المجال الحضري

يفيد التدقيق في مكانة القطاعات الاقتصادية المشغلة لأبناء المستغلين الفلاحيين في تقييم الفلاحة كحقل مهني مشغل بالحوز الأوسط، كما يمكن أن يشير ذلك لحجم الارتباط الوظيفي لهذه النواحي بالمجالات المشغلة لهذه الفئة، خاصة الحوز الأوسط من جهة، ومن جهة ثانية، نوظف الخلاصات المحصلة لاستبيان قدرة هذه النواحي على خلق الشغل غير الفلاحي محليا لفائدة فروع المستغلين الفلاحيين جراء الانتشار الحضري.

تعد المهن المرتبطة بقطاع البناء أكثر المهن غير الفلاحية المستقطبة لأبناء المستغلين الفلاحيين، إذا تهم ما يناهز 24,12% منهم، وتعتبر الحوز الأوسط حوضا حضريا مستقطبا للقسم الأهم من هؤلاء، فما يمثل 13,3% من الأبناء ناشطون بها، في حين أن 10,0% ناشطون بالجماعات المؤلفة للضواحي الغربية والجنوبية للمدينة. وتشمل المهن المرتبطة بالبناء التي يزاولها بناء الفلاحين في المجال الحضري؛ حفر الآبار والرخام والصناعة والصبغة والجبس...، والتي تزاول إما في إطار المياومة تبعا لتوزيع الطلب على المجال، أو بشكل مستمر حيث يتم امتهاتها ومزاولتها بكيفية منتظمة، خاصة مع ما يميز هذه المهن من تيسير الولوجية وسرعة اتقان "الحرفة" وأهمية العائد.

ما قيل عن مهن قطاع البناء من حيث الأهمية وارتباطه بالحوز الأوسط، يقال أيضا عن قطاع الحرف، فحوالي 11.51% من أبناء المستغلين الفلاحيين يقبلون على مزاولتها بشكل كبير ومتزايد، من قبيل مهن نجارة الخشب ولألمنيوم والحدادة...، وكلها حرف ترتبط بقطاع البناء الذي يرتبط بدوره بالقطاع السياحي الذي يعد ركيزة الاقتصاد الحضري بالحوز الأوسط، وتمارس خاصة في الحوز الأوسط المحتضنة 7.7% منهم، في حين أن قلة تزاولها محليا، ولا يتعدى 3.1% منهم، او في مجالات حضرية وشبه حضرية قريبة، بن جرير، اليوسفية، اسفي، قلعة السراغنة.

جدول رقم 7: توزيع أبناء المستغلين الفلاحين بالنواحي الغربية والجنوبية حسب المهن الرئيسية ومقرات مزاولتها بالحوز الأوسط

المهن حسب القطاعات الاقتصادية																		
المجموع		الصناعة		الوظيفة العمومية		الخدمات الحرة		النقل والمواصلات		التجارة		الحرف		البناء		الفلاحة		مقرات العمل
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
53	483	0	0	0	0	0,3	3	0,4	4	5,9	54	3,4	31	10,4	95	32,4	296	عين المكان
42,5	390	2,0	19	3,6	33	5,3	49	6,8	62	3,7	34	7,7	71	13,3	122	0	0	مركز الحوز الأوسط . مراكش
1,6	15	0,2	2	0,2	2	0,6	6	0	0	0,11	1	0,2	2	0,2	2	0	0	الدار البيضاء
0,9	8	0	0	0,5	5	0	0	0,1	1	0	0	0,1	1	0,1	1	0	0	مدينة أخرى
1,7	16	0,1	1	0,1	1	0,7	7	0,2	2	0,5	5	0	0	0	0	0	0	خارج المغرب
100	*912	2,4	22	4,5	41	7,1	65	7,6	69	10,3	94	11,5	105	24,1	220	32,5	296	المجموع

المصدر: بحث ميداني صيف 2018

لا يتعدى المجموع العام لأبناء المستغلين الفلاحين النشيطين 815 ابناً، لكن ربطه بمقرات مزاوله مهتهم جعله يصل إلى 912، لكون جزء منهم يزاول نشاطه المهني في أكثر من مقر، خاصة فئة التجار. فالنشاط التجاري فيستقطب ما يزيد عن 10.3% من فروع المستغلين الفلاحين، أكثر من نصفهم (8,5%) ينشطون محلياً بنواحي الحوز الأوسط، منهم من يتاجر في حدود استغلاله الفلاحية أو الدواوير القريبة، وهم إما تجار فلاحيون على صعيد استغلالياتهم يقومون على تصريف جزء من الإنتاج الفلاحي، أو تجار البقالة، ومنهم أيضاً من تشكل الأسواق الأسبوعية المنعقدة على مدار الأسبوع مقرات متحركة لمزاوله تجارتهم المتخصصة في غالب الأحيان في المنتوجات الفلاحية. في حين أن هناك قلة من التجار (7,3%) ممن يزاولون نشاطهم بمركز الحوز الأوسط، منهم من جهة التجار المهيكولون في إطار محلات تجارية بتخصصات جد متنوعة، ومنهم كذلك المزاولون التجارة غير المهيكولة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن جل الأبناء المزاولين للتجارة بنواحي الحوز الأوسط يتسمون بخاصية الحركية فيما يخص مزاوله أنشطتهم التجارية، أي عدم الثبات في مجال جغرافي واحد، أو التخصص في تجارة معينة، بل ينصاعون للتماشي مع طابع الموسمية الذي تتصف به المنتوجات المتاجر فيها. تبرز أيضاً مكانة قطاعات حضرية أخرى، كمهن النقل والمواصلات والخدمات، تنضاف إليها الصناعة على تواضع حضورها، تستقطب هذه القطاعات مجتمعة زهاء 17% من اليد العاملة الشابة بالنواحي الغربية والجنوبية، منها ما يفوق 14% مزاوله بمركز الحوز الأوسط. مراكش.

يتضح إذن كيف أن النشاط الفلاحي لم يقنع سوى حوالي الثلث (36%) من أبناء المستغلين الفلاحين، أي أن ما يقارب ثلثهم يزاولون مهناً غير فلاحية، ليؤشر ذلك بشكل صريح على تراجع قدرة هذا القطاع على التشغيل، من جهة، ومن جهة يؤشر على أهمية التحولات السوسيو مجالية السريعة التي باتت يعرفها الحوز الأوسط، وما يواكب ذلك من تغيير في السلوكات الفلاحية، وفي نمط العيش، وفي نظم استغلال المجال الفلاحي.

وفي سياق ربط هذا التراجع بالتأثير الحضري، فيظهر أن زهاء 42,7% من هؤلاء الأبناء مرتبطون وظيفياً بالحيز الوظيفي، فباستثناء التجارة، يمارس معظم أبناء المستغلين الفلاحين أنشطتهم المهنية غير الفلاحية بمراكش، ومن ثم تظهر مكانة هذه الأخيرة في توفير فرص الشغل غير الفلاحي الذي يزيد من هشاشة التمسك بمزاوله الاستغلال الفلاحي.

ونسجل أن استقطاب اليد العاملة بالحوز الأوسط لم يعد حكراً على مركزه المتمثل في مراكش، بل أصبح يهتم مجالات أخرى حضرية بعيدة مستقطبة لليد الناشئة بالحوز الأوسط، للدلالة على انحياز أبناء المستغلين الفلاحين للعرض المهني الحضري كبديل لنظيره الريفي، حتى لو تطلب ذلك الانسلاخ من نواحي الحوز الأوسط بشكل كلي، حيث يبلغ عدد هؤلاء 23 فرداً، 15 منهم ناشطون بمدينة الدار البيضاء.

بشكل عام، توضح تقاسيم البنية المهنية لأبناء المستغلين الفلاحين وجود تنوع كبير في القطاعات الاقتصادية غير الفلاحية المستقطبة لهم، بالنظر لتوافر العرض المهني، جزاء التوقع على أعتاب مركز الحوز الأوسط، مما يزيد من تراجع نجاعة الاستغلال الفلاحي بفعل فقدانه للسواعد الشابة الناشئة بنواحيه. فعادة ما يشكل نفور الشباب وهجرتهم نحو أنشطة أخرى بمراكش وبقاء الشيوخ بالأرياف عاملاً مؤدياً إلى تراجع التدريجي للزراعة فاسحة بذلك المجال لتنامي الأعشاب والطفيليات (محمد بلقيه 1978، ص 109).

## 4.2 بواعث نفور أبناء المستغلين من مزاوله الاستغلال الفلاحي: سلوك اجتماعي أم حتمية اقتصادية؟

أشرنا في الفقرات السابقة بالدراسة والتحليل إلى مسألة تراجع قدرة الفلاحة على تشغيل أبناء المستغلين الفلاحيين، سواء تحت تأثير مد التمدين المادي بالحوز الأوسط، الذي يساهم في توفير فرص شغل مهمة سواء للعمال الحضريين او الضاحويين، أو تحت التأثير الحضري المستقطب لليد العاملة الناشئة بنواحي مراكش للاشتغال بها.

فقد ابرزت نتائج الدراسة الميدانية انا أبناء المستغلين الفلاحيين لهم دوافع ومبرراتهم في عدم مزاوله النشاط الفلاحي كمنشأ أساسي، خاصة وأنهم يشكلون الجيل المقبل للمستغلين الفلاحيين. بعبارة أخرى، إنهم عماد استمرارية هذا القطاع الاقتصادي، وعندما يكون ثلثاهم ممتهين له، فإنهم لا محالة يشكلون عماد استمرارية هذا القطاع الاقتصادي، وعندما يكون ثلثاهم غير ممتهين له، فإن ذلك يغدو بحق مبعث قلق، إلا إذا كانت لهم مخططات للعدول عن اختياراتهم المهنية الحالية بعد هلاك أصولهم وتصفية التركة المفضية إلى الولوج للملكية المباشرة للأرض، ومن ثم مباشرة الاستغلال الفلاحي.

ولتسليط الضوء على بواعث نفور أبناء المستغلين الفلاحيين من مزاوله النشاط الفلاحي وما يختلج نفوسهم، استقينما ما أدلى به أصولهم/آباءهم من دوافع مفسرة لاختيارات أبنائهم المهنية غير الفلاحية، والتي نصوغها على النحو التالي:

موسمية الأنشطة الفلاحية وعدم انتظامها في الزمان وخضوع حيويتها لعدة متغيرات غير متحكم فيه، وعلى رأسها الظروف الطبيعية خاصة الجفاف، مما يجعل من الفلاحة قطاعا غير مضمون لمن اختار ممارسته من أبناء المستغلين،

المشاكل التي يعانها هذا القطاع من حيث ظروف الإنتاج وشروطه، والتي تجعل من المداخيل المترتبة عنه غير كافية لتوفير حاجيات العيش لمزاوليه، ومن ثم عدم قدرة هذا القطاع على استقطاب اليد العاملة الشابة الناشئة لضواحي الحوز الأوسط والتوافة "للتحضر"،

التأثر بعامل القرب من مراكش من خلال تقديم عرض سخي من المهن غير الفلاحية، في مجالات البناء والحرف، ثم التجارة، وأساسا غير المهيكلة منها، وهو عرض يتصف نسبيا بكونه أكثر استمرارية وعائدا، خاصة إذا ما قورن مع النشاط الفلاحي،

تقسيم الأدوار داخل الاستغلالية الفلاحية بين المالك وأبنائه، فعادة ما يضطلع بممارسة النشاط الفلاحي إلى جانب الأب أحد الأبناء فقط، في حين يتجه الآخرون لممارسة أنشطة أخرى غير فلاحية، أو ذات ارتباط بها، في مقدمتها التجارة،

وبشكل عام، تتأثر البنية الفكرية لأبناء المستغلين بنواحي الحوز الأوسط بداعي التمدين ومحاذاة مراكش من خلال تغير تمثلاتهم حول الفلاحة وممارستها، وذلك في ظل شيوع صورة مراكش الكبرى وأنماط أنشطتها الاقتصادية المتفوقة اعتباريا على نظيرها الريفية، ناهيك عن تغلغل الثقافة الحضرية في تنشئتهم الاجتماعية في جوانب أخرى غير مهمة (بول باسكون، 1986، ص 65).

## 5.2 لا تنقطع صلة مزاولة الفلاحة لدى أبناء المستغلين الفلاحيين غير المزاولين للنشاط الفلاحي

للدلالة على مستوى توثيق الصلة بين أبناء المستغلين الفلاحين المتمردين عن مزاولة الفلاحة بالحوز الأوسط، نوظف ما يستهويهم من أنشطة مهنية ثانوية من جهة، ومكانة الاستغلال الفلاحي فيها، من جهة ثانية، ومن ثم قد يؤشر على عدم الانقطاع الكلي لهؤلاء الأبناء عن ممارسة الفلاحة، ربما بإرجاء مزاولتها إلى حين الامتلاك بعد هلاك الأصول.

يبلغ عدد أبناء المستغلين الفلاحيين المزاولين لنشاط مهني ثانوي 198 ابنا، أي ما يمثل 24 % من مجموع الأبناء الناشطين مهنيا، أي أن حوالي ثلاثة أرباع مقتنعون تمام الاقتناع بأنشطتهم المهنية المنهمكين في مزاولتها، دلالة ذلك تفرد هؤلاء الفروع فيما يخص مسألة الحسم في اختيار هويتهم المهنية، عكس أصولهم المتشبهين على مضض بمزاوله أنشطة رديفة للاستغلال الفلاحي للاعتداد بها زمن تراجع عائد الفلاحة.

من جانب آخر، فالربع المزاول لأكثر من نشاط مهني من أبناء المستغلين الفلاحيين تنصدر الفلاحة اهتماماته كنشاط رديف بحصة تفوق النصف، فالمزاولون لأنشطة مهنية رئيسية غير النشاط الفلاحي غالبا ما ينفتحون على ممارسته سواء بصفة اضطرارية، أي خلال فترات موسمية معينة تعرف تركزا للأشغال الفلاحية في زمن وجيز، والتي تستلزم تعبئة جل اليد العاملة الأسرية لتقديم السند بالاستغلالية الفلاحية، بإيعاز من المالك الأب. كما قد تتم ممارسة الفلاحة بشكل يومي منتظم لكن كنشاط ثانوي، من خلال بعض المهم الجانبية التي توكل للابن في إطار تقسيم المهام، كتعليف المواشي، وما تقتضيه رعايتها من أنشطة روتينية ككنس الحظائر بين الفينة والأخرى.

تجدر الإشارة إلى أن ممارسة الأنشطة الفلاحية كنشاط رديف لا ترتبط دائما بالمهام الموكلة للابن داخل الاستغلالية، بل يمكن أن تطال مجمل ما يتم ممارسته من أنشطة فلاحية في إطار المياومة لفائدة الغير بنواحي الحوز الأوسط، سواء خلال مواسم الحرث أو الحصاد والجني وغيرها من الأنشطة الفلاحية، أو خلال فترات العطالة التي تردد على المسارات المهنية لأبناء المستغلين الفلاحيين بين الفينة والأخرى. ومن تم تتراجع مكانة الاستغلال الفلاحي لدى فئة واسعة من أبناء المستغلين الفلاحيين إلى مستوى ورقة مهنية احتياطية، يستعان بها على عبور فترات العطالة تحينا لتوافر النشاط المهني المبتغى.

تتمظهر التركيبة المهنية لأبناء المستغلين الفلاحيين، في كون قسم كبير من الأبناء لا تستهويهم مزاوله الأنشطة الفلاحية، حيث يتم التعاطي لمهن أخرى لا تمت للفلاحة بصلة، وحتى إن تمت مزاولتها فيكون ذلك كنشاط ثانوي خلال فترات وظروف معينة، مما يؤشر بالملمس على تراجع قدرة الفلاحة على التشغيل. وإذا كان مستقبل الفلاحة رهينا بهؤلاء الأبناء "المهجنين" مهنيا، يصبح مستقبل الفلاحة في هذه المجالات مبعثا للقلق. فهذا القطاع أضحي يحتضر شيئا فشيئا بنواحي الحوز الأوسط من خلال فقدانه لقاعدة واسعة من اليد العاملة النشيطة الناشئة بها، وبالتالي يمكن القول إن فلاحه النواحي تعاني، إضافة إلى ما تعانيه، من أزمة خلف، والتي لا تصل لحد الجزم بظاهرة شغور التراكات، لكنها توجي بأننا قد نكون أمام آخر أجيال الفلاحين بالحوز الأوسط، المتمردين عن امتهان الفلاحة، والمتشبهين في ذات الوقت بعقاراتهم الفلاحية، بالنظر لارتفاع قيمتها.

## خاتمة

يستخلص من خلال هذا المقال اتجاه فئة واسعة من اليد العاملة بالحوز الأوسط إلى الاستقلال عن مزاوله الاستغلال الفلاحي، أو على الأقل عدم الاكتفاء به، فجزء مهم من المستغلين الفلاحيين لم تعد تشكل الفلاحة نشاطا أساسا بالنسبة لهم، لتظهر أنشطة أخرى أكثر إغراء بالمزاوله، بالنظر لديمومتها وأهمية ما يعود عن ممارستها من أرباح. أما فيما لو تم التشبث بممارسة الاستغلال الفلاحي كنشاط رئيس، تظهر آنذاك الحاجة الملحة لمزاوله نشاط آخر رديف، ليكون مصدر عون يعول عليه لتغطية الفجوات التي تخلفها "عثرات" الاستغلال الفلاحي بين الفينة والأخرى.

أما بخصوص أبناء المستغلين الفلاحيين، فنسجل أن غالبيتهم لا تعير اهتماما للفلاحة كنشاط رئيس جدير بالامتهان، بل يرتبطون وظيفيا بالحوز الأوسط الكبرى من خلال الاندماج في نسيجها الاقتصادي، والذي يرهن مجمل اليد العاملة اليافعة بنواحي الحوز الأوسط في قطاعات أخرى ذات طبيعة حضرية.

ومن تقاسيم الأنشطة المهنية غير الفلاحية المزاوله بالحوز الأوسط، نسجل أيضا قدرة هذه النواحي على خلق الشغل الفلاحي، ليؤشر ذلك على ازدواجية بنياتها المجالية والاقتصادية، والتي تجمع بين ما هو أصيل بهذه المجالات بين قطاعات ذات صبغة حضرية، وهي ازدواجية نراها وفق مقارنة التمدين مظهرا لتراجع مكانة الفلاحة في بعدها غير المادي لصالح ما ينجم عن مد التمدين من وظائف مجالية جديدة.

فيما يتعلق بمستقبل المجتمع الفلاحي النشيط بنواحي الحوز الأوسط، وبالاستناد إلى تقاسيم البنية المهنية لأبناء المستغلين الفلاحيين، نجزم أن الوضع لا يبعث على الارتياح، فارتفاع قيم العقار الفلاحي من جهة وضالة ما يعود عليهم من تفليح الأرض من جهة ثانية، يحولهم إلى لوبي أسري ضاغط على الأصول لتفويت الأرض، سعيا لتحقيق الارتقاء الاجتماعي السريع، ومن ثم الالتحاق بنظرائهم من الأغنياء الجدد بالحوز الأوسط.

## المراجع:

- المختار الأكل (2001)، دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية الأرياف، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة.
- بول باسكون (1986)، ما الغاية من علم الاجتماع القروي، مجلة بيت الحكمة، عدد 3.
- خديجة المسدالي (2001)، ماذا تقول نساء قرويات عن فضائهن، فضاءات نسائية، منشوران كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رقم 97.
- عبد الغني بقاس (2007)، الأنشطة غير الفلاحية والتنمية المحلية بالبادية الحوزية، حالة قيادة لوداية رسالة الدكتوراه في الجغرافيا، - جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة.
- لعزيزة بوسلامة (2013)، وضعية المرأة بالوسط القروي ورهان التنمية الترابية بإقليم الحوز، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش.
- محمد بلفقيه (1978)، أوليات في الجغرافيا الزراعية، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا.
- Colliot C et Bertrand J-M (2009), comment travailler avec et pour les agriculteurs en contexte périurbaine ? Innovations Agronomiques.
- Soulard C et Thareau B (2009), les exploitations agricoles périurbaines : diversité et logiques de développement, Innovations Agronomiques, n° 5.

## الدينامية المجالية ورهان التنمية المستدامة بضواحي مراكش: حالة جماعات سعادة والسوية والأودية

د. بلانجا المهداوي  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة القاضي عياض-مراكش

### ملخص:

تعد الدينامية المجالية للحوز بضواحي مراكش اليوم رهانا قويا أمام كل فاعل نظرا لخصوصياتها الإيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية، وإن تواجد هذه المجالات يعود إلى وضعيتها الانتقالية بين المجالات القروية والحضرية، حيث تزخر بمجموعة من المؤهلات والخصائص ذات الارتباط الوثيق بالتراث الهيدروليكي للحوز، إذ غدت هذه المناطق خلال السنوات الأخيرة تعيش على وقع مجموعة من الدينامية السوسيواقتصادية والمجالية.

وتكتسي الضواحي المراكشية بالحوز أهمية خاصة نظرا لما تتميز به من خصائص اجتماعية واقتصادية ومجالية متميزة، إذ باتت مجالا يضطلع بأدوار حيوية داخل منظومة الحوز ككل، فتجاوزت بذلك الوظيفة الفلاحية والترفيهية لتقوم بوظائف اقتصادية أخرى، علاوة على تعدد وتفاوت مستويات المباني واختلاف وظائفها، وتباين مساحات القطع الأرضية المشيد عليها بحكم تأثير الزحف العمراني على المشهد الجغرافي الذي يتصف بالتنافر الشديد، ناهيك عن ظهور تغييرات لازالت مستمرة في الزمان ومتباينة في المجال إلى غاية الوقت الراهن الشيء الذي أفرز إختلالات ساهمت في دينامية مجالية يطبعها اللاتوازن بالتراب الحوزي.

وتمحور مضامين هذه الورقة حول تبيان المفاهيم النظرية للدينامية المجالية للحوز بضواحي مراكش ورهان التنمية المستدامة، والعوامل التي ساهمت في إنتاجها بما في ذلك المحددات الطبيعية والبشرية بالحوز، إلى جانب التركيز على دينامية الفاعلين، وبدائل تحقيق التنمية المستدامة، وتسلط الضوء على البرامج ذات البعد التنموي التي يراهن على تحقيقها في الواقع الترابي للضواحي المراكشية بالحوز.

**الكلمات المفتاحية:** الدينامية المجالية، الضاحية، الحوز، التنمية، التنمية المستدامة.

### Abstract:

Territorial Dynamics in Al Houz in Marrakech region is considered to be an objective that should involve all actors given its ecological and socio-economic characteristics. The existence of such domains is attributed to its transitional situation between rural and urban areas, which are characterized by many potentials and features relating to Al Houshydraulic heritage. In recent years, such areas have been experiencing a wide range of economic and territorial dynamics.

Marrakech surroundings in Al Houz are of vital importance due to their social and territorial advantages. Such surroundings have become an area playing active roles within Al Hous dynamics as whole. Instead of being restricted just too agricultural and entertaining functions, Marrakech surroundings nowadays have many other functions, including the economic ones. In addition to that, there is a number of buildings and facilities of various types and functions, built in areas of various sizes because of urban encroachment into geographical landscape marked by heterogeneity. Besides, there have been a number of different constant changes leading to different constant changes leading to many problems which produce a territorial dynamics characteristic of imbalance in Al Houz area.

The content of this paper is mainly centered on clarifying the theoretical concepts of spatial dynamics in outskirts of Marrakech. It points out the objectives and challenges of sustainable development, as well as the factors that have contributed to the production of such dynamics, including the natural and human determinants of the Houz area besides, the paper focuses on the dynamics of the involved actors and possible alternatives to achieve sustainable development. It also highlights the development-oriented programs, whose realization is an objective imposed by the territorial reality of the Marrakech suburbs within the Houz region.

**Key words:** spatial dynamics, suburbia, Al Houz, development, sustainable development.

## مقدمة

تعد الضواحي المراكشية بالحوز ذات أهمية خاصة باعتبارها مجالات متعددة الوظائف، تأخذ في الاندماج التدريجي في المحيط الحضري. غير أنها تختلف أهميتها ووظائفها ومساحتها حسب أهمية المدينة والقطب الحضري وديناميته الاقتصادية والاجتماعية. فكلما كان القطب الحضري قويا، كلما كانت الضاحية تعرف حيوية كبيرة، وكلما كان اقتصاد حضري ضعيف، كلما كانت الضاحية انعكاسا لهذه الوضعية المتواضعة ولمدى تأثير الدينامية داخلها.

ويحتل الحوز مكانة هامة في ظل رهانات قوية ذات بعد تنموي مستدام، وديناميات تؤكد أن الثقل الديموغرافي الذي تعيشه المجالات الضاحوية المراكشية، ينعكس بدوره على زيادة الطلب والضغط على المرافق العمومية.

وتتلخص أهداف هذا المقال في محاولة تبيان المفاهيم النظرية للدينامية المجالية للحوز بضواحي مراكش ورهان التنمية المستدامة، وومقاربة العوامل التي ساهمت في إنتاجها بما في ذلك المحددات الطبيعية والبشرية، إضافة إلى التركيز على دينامية الفاعلين، وبدائل تحقيق التنمية المستدامة، كما نهدف تسليط الضوء على البرامج ذات البعد التنموي التي يُراهن عليها في تحقيق تنمية مستدامة فعلية في الواقع الترابي الضاحوي المراكشي بالحوز.

## 1. المفاهيم النظرية: الدينامية المجالية للحوز بضواحي مراكش ورهان التنمية المستدامة

يعتبر مفهوم الدينامية المجالية من المفاهيم الصعبة التعريف إذ نجد أن التعاريف التي قُدمت في هذا المجال، كانت دائما تعكس الخلفية التخصصية للباحثين، ولا تعد كونها دراسة حالة معينة، يصعب تعميمها، طالما أن لكل مجال خصوصيته الجغرافية والتاريخية. ومحاولة منا لتحديد مفهوم ومصطلح الدينامية المجالية والتنمية المستدامة والضاحية، سنقارب هذه المفاهيم، انطلاقا من إطارها اللغوي والمتخصص والعام، لمحاولة إسقاطها، على حالة الدينامية المجالية بالضواحي المراكشية.

### 1.1 الدينامية المجالية: مقارنة نظرية ومفاهيمية

يرجع أصل الدينامية من Dynamometer، أي من المجال الفيزيائي، تشير كبادئة إلى معنى القوة. أما مصطلح Dynamique, adj فتأتي بالمعنى القاموسي دينامي أو ديناميكي، أي ذو علاقة بالقوة والطاقة الطبيعية، وإذا جاء المصطلح Dynamique, adj فهي تشير إلى الشيء المتميز بفعالية مستمرة أو تغير مستمر فعال<sup>1</sup>. أما في الحقل الأدبي فيشير معنى الدينامية إلى عدة مفردات كالانسجام، والتناسل، والنمو، والحوار والصراع والحركة والصورورة والتحول والانتقال، القوة، والتغير، والتغيير. وأنها في المجال السيكوجتماعي تعني مختلف القوى الايجابية والسلبية التي تتحكم في الجماعة وتساعد على التوازن والتطور أو الانكماش والتشتت والتنافر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> موقع قسم الهندسة المعمارية جامعة التكنولوجيا بغداد، [www.iasj.ias](http://www.iasj.ias)

<sup>2</sup> أحدو عبد الحميد، (2011)، التنمية المحلية بواحة مزكيفة بين دينامية الفاعلين وانتظارات الساكنة المحلية، بحث الماستر، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية براكش، جامعة القاضي عياض، الصفحة: 26.

وتعرف كذلك الدينامية بأنها مجموع التغيرات والتحويلات التي تحدث بمجال معين، عن طريق تدخل الانسان أو عن طريق تفاعل العناصر الطبيعية فيما بينها. كما أن مفهوم الدينامية يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم المجال، بحيث لا يمكن فصلها عن بعضهما البعض، وهذا راجع إلى اعتبار أن المجال هو عبارة عن ذاكرة تحتفظ وتسجل مختلف أنواع الديناميات، وكذلك مراحل تطورها.

كما نجد أن الدينامية تعرف بأنها مجالات البعد عن التوازن، حيث يعد التوازن نادرا في المنظومات الدينامية المعقدة، أو نوعا من مرحلة رجحان مؤقتة، ولكي تبدأ السيرورات الدينامية لا بد من أن تنحرف المنظومة عن حالة التوازن<sup>3</sup>، ويشكل مفهوم الدينامية المجالية مجموع التغيرات ذات البعد المجالي بالنسبة لنظام معين يحتوي على تفاعلات إيجابية وسلبية لمختلف عناصره، هذه الأخيرة تتفاعل فيما بينها من جهة، وبين عناصر أخرى من جهة ثانية. فمثلا نشأة الأنظمة الاجتماعية وتطورها، يؤدي إلى ظهور أشكال مختلفة من التغيرات، هذه الأخيرة تعبر عن وجود الانتقال والتحول.

خلاصة القول أن الدينامية المجالية هي مرحلة المرور من نظام إلى آخر، وترتبط بالمجال ارتباطا وثيقا، هذا التحول يؤدي في غالب الأحيان إلى ظهور اختلالات مجالية تتطلب وضع خطة استراتيجية للحد منها أو للقضاء عليها. وعليه، فإن تحديد مفهومها يعتبر عملية جد معقدة وهذا راجع إلى تعدد وتنوع العناصر المكونة لها. ويعرف المختار الأكحل الدينامية بأنها التحول والانتقال من حالة إلى أخرى في حياة خطية، دورية، تصاعدية، أو تراجعية مما يقتضي مجالا يتحرك فيه، وزمانا ينجز فيه ذلك التحول والانتقال، ومن ثم يمكن اعتبار الدينامية في العلوم الاجتماعية كصيرورة لها بداية ومراحل تطور، تعتبر الفترة الراهنة إحداها وتؤشر لتوجهات المستقبل<sup>4</sup>. كما يعرفها الجغرافي أيت حمزة بأنها انتقال من طبقة اجتماعية إلى أخرى سواء تصاعديا أو تنازليا، ذات منحى محمل ببنيات اجتماعية، فهذه الدينامية يمكن أن تكون مهنية ثقافية، كما يمكن أن تكون جغرافية، وأسلوب هذه الدينامية يختلف من مجتمع إلى آخر<sup>5</sup>.

## 2.1 التنمية المستدامة: الأسس النظرية للمفهوم

إن التنمية المستدامة قد تبدو للوهلة الأولى واضحة إلا أنها قد عرفت وفهمت وطبقت بطرق مختلفة جدا، مما تسبب في درجة عالية من الغموض حول معنى المفهوم الذي يعتبر من المفاهيم الصعبة<sup>6</sup>، لذلك فإن التنمية المستدامة يمكن تفسيرها وتطبيقها وفقا لمنظورات مختلفة، ومن أهم تلك التعريفات وأوسعها انتشارا ذلك الوارد في تقرير برونديتلاند، والذي عرفها على أنها التنمية التي تلبى احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها، كما يفترض فيها تلبية الحاجيات الملحة الحالية دون التفريط في الحاجيات المستقبلية، ويفضي بنا هذا إلى التأكيد على أنها تتمثل استنادا إلى منطق التوزيع العادل للثروات وتحسين الخدمات و تجذير مناخ الحريات والحقوق، وذلك في توازن تام مع تطوير البنيات والتجهيزات دونما إضرار بالمعطيات والموارد الطبيعية

<sup>3</sup>-تيازي طاهر أسماء، (2010)، نظرية الفوضى وتوليد الشكل المعماري، مجلة الهندسة، العدد 1، المجلد 16، الجزائر، ص 08.

<sup>4</sup>-الأكحل المختار، (2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص 73.

<sup>5</sup>-نبيل لحسن، (2000)، الدينامية مفاهيمها، أصنافها، ودورها في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ص 420.

<sup>6</sup>-Fowke R and Prasad D (1996), Sustainable development, cities and local government. Australian Planner, p 6.

والبيئية، إنها بهذه الصيغة تنمية موجهة لفائدة المجتمع المحلي مع الأخذ بعين الاعتبار حاجيات و حقوق الأجيال القادمة وهذا ما يبصمها بطابع الاستدامة<sup>7</sup>.

كما يمكن تعريف التنمية المستدامة وفقا لكل مجال من المجالات منفردا، إلا أن أهمية المفهوم تكمن تحديدا في العلاقات المتداخلة بين تلك المجالات، حيث أن الجدل حول مفهوم التنمية المستدامة قد خلق بالتأكيد مجالا جديدا من النقاشات كما أن معناه الواسع والغامض قد سمح لجماعات مختلفة للسعي لتحقيق مصالحها بطرق جديدة وحجج مختلفة، إلا أنه ينبغي ألا نغفل المخاطر المرتبطة بها.

وعرف العديد من الجغرافيين على اختلاف اختصاصات فروعهم الجغرافية (طبيعية وبشرية) التنمية المستدامة وتصنيفها وفقا للموضوع المراد بحثه، لذا فقد عرف بعضهم التنمية المستدامة على أنها السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ بالاعتبار قدرات النظام البيئي وعدم الإضرار بها. كما عرفها بعض الجغرافيين كذلك، بأنها مدى قدرة المشاريع والبرامج التنموية في تحقيق موارد جديدة غير المستنفذة لضمان الاستمرارية دون الحاجة إلى دعم بموارد جديدة، وبالتالي بالتنمية المستدامة تعني هنا الاهتمام بالمتطلبات الإنسانية الحالية والمستقبلية اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا، كما أن هناك أيضا تعريف عدة لمفهوم التنمية المستدامة، بعضها موجزة وبعضها الآخر أكثر شمولية<sup>8</sup>. في حين، عرف تقرير اللجنة العالمية للتنمية والبيئة عام 1987م التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تلبى احتياجات الحاضر دون أن يعرض للخطر قدرة الأجيال التالية على إشباع احتياجاتها<sup>9</sup>.

ومن خلال التطرق إلى مختلف المقاربات، يتبين على أن تحقيق تنمية مستدامة بالضواحي المراكشية بالحوز يتطلب دمج مختلف هذه المقاربات انطلاقا من التنمية الجهوية، على اعتبار أن مدينة مراكش من أهم المدن الحضرية بالجهة، وبالتالي يمكن تأهيلها كقطب ميتروبول جهوي قادر على نشر التنمية المستدامة بالمناطق الضاحوية المحيطة بها، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا من خلال اعتماد مقاربة التنمية المحلية، أي انطلاقا من الخصوصيات المحلية للضواحي المراكشية واشراك مختلف الفاعلين، وكذا الساكنة المحلية، وذلك من أجل تحقيق التنمية البشرية للأجيال الحالية وضمان العيش الكريم دون المس بمصالح الأجيال القادمة، وبالتالي تحقيق التنمية المستدامة.

### 3-1 مفاهيم متعددة للضاحية المراكشية بالحوز

تختلف محددات مفهوم الضاحية باختلاف المشارب العلمية التي تناولته، فمن خلال اطلاعنا على أهم الأعمال التي أسهمت في توضيح المعنى المراد بالضاحية سواء في خصوصياته أو في عمومياته، فقد وجدنا أنفسنا أمام كم معرفي زاخم ينم عن عمق وتأصل هذا المفهوم، حيث نجد التعريف الذي جاء في معجم Les mots de la géographie أنه أعطى لمفهوم الضاحية تعريفا أكثر وضوحا بالقول أنها: النطاق المحيط بالمدينة لكنه ليس بالمدينة، وإنما تمارس عليه المدينة نفوذها وهيمنتها، وتكون المدينة والضاحية ما يصطلح عليه بالمجموعة الحضرية. بحيث تكون الضاحية مجالا لإنتاج الخضر والفواكه واستقرار الصناعات والمساكن، وما يميزها هو وجود تلك الحركة الهجروية اليومية في شكل تراقصات نحو

<sup>7</sup>-تقرير بورتلاند الذي نشرته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية سنة 1987، ص 17.

<sup>8</sup>-الفراجي علي جاسم حمود كناصر، 2021، مفهوم للتنمية المستدامة بمنظور جغرافي، <https://almerja.net/reading.php>.

<sup>9</sup>-عبدالغفار عبدالله يوسف، مفهوم التنمية المستدامة، <https://www.regionalcsr.com>.

المدينة، كما تشكل حيزه ومنتفسا للعطل الأسبوعية والترفيهية، ذلك أنه وجب التأكيد على أن الضواحي لا تبقى دائما فيعرف الضاحية على أنها النطاق المحيط بالمدينة لكنه ليس بمدينة، وإنما تمارس ضواحي، وإنما قد تنصهر مع المدينة فتغدو من كيانها. وقد أصبح مصطلح banlieue في طور الاندثار لفائدة Periurbain لتندمج الحياة الريفية والحضرية معطية ما يدعى بالضاحية الجديدة<sup>10</sup>.

تعرف الضاحية أيضا بأنها مجال يحيط بالمدينة، ويتكون من مجموعة من الجماعات المستقلة إداريا، لكنها تحضرت بفعل تأثير مدينة مركزية، والضاحية حدث طارئ جاء مزامنا للثورة الصناعية أو لاحقا عليها، أما تحضر الجماعات الضاحوية فإنه لا يختلق وسطا حضريا تاما، لأن هذه الجماعات لا تتوفر على تجهيزات وخدمات كافية<sup>11</sup>. وإن جاء تعريفه هذا يتأسس على الجانب الإداري، ويعرض الضاحية على أنها مجال مستقل تتشاركه مجموعة من الجماعات، فإن الحدود الإدارية نادرا ما تطابق الحدود الجغرافية خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة النفوذ والتيارات، كما أن هذا التعريف لا يدقق المقصود من تحضر الجماعات ومظاهر هذا التحضر. والذي يفصح عن دينامية هذا النطاق وعلاقته بالمدينة، وكذا الوظائف المسندة إليه، وإن كان قد أسس على أنواع السكن ومختلف الشرائح الاجتماعية داخله.

وتشمل الضاحية أيضا جزءا من تراب جماعة أو جماعات، كما يمكن أن تغطي جماعات بأكملها وأجزاء من الجماعات المحاذية لها. وعليه، فبالرغم من أهمية الحدود في الدراسات الجغرافية، بصفة عامة، وما تثيره من خصوصيات ومشاكل بالنسبة لدارسي الضاحية بصفة خاصة، فإن التوجه نحو التركيز على أهمية الجماعة المحلية في تحديد مفهوم الضاحية، يعود بالأساس إلى خصوصيات التقطيع الإداري للتراب الفرنسي الذي يعرف تجزيتا شديدا.

أما معجم الجغرافيا (Dictionnaire de la géographie)، فيفصل بين مدلولين الأول تاريخي والثاني حضري. فالجغرافية التاريخية تنطلق لتأصيل هذا المفهوم من أن الضاحية هي: المكان المحيط بالمدينة على بعد فرسخ والذي تمتد عليه سلطة المدينة، أما في الجغرافية الحضرية: فهي الأجزاء المحيطة بالمجال الحضري، تتميز عن المدينة باستقلالها الإداري وكيانها المرفلوجي، وهي نتاج لصيرورة لتحضر المحيط الرئيسي للمدينة.

فالضاحية من منظوره لا تبقى دائما ضاحية فهي تتغير باستمرار، وفي حالة عدم وجود قرى قابلة للتمدين لا تكون هناك ضاحية. توجد بالنسبة للمدن الأوربية ضواحي متخصصة وأخرى غير متخصصة، وفي المجموعات الحضرية الكبرى، نميز بين أجيال متعاقبة من الضواحي التي تدخل في نطاق المجال الشبه حضري. عند حدود المجال الممدن أو ما يسمى بالضاحية القريبة. أما التخصص الوظيفي للمدينة وضواحيها فهو المسؤول عن حركة السكان داخل المجموعة الحضرية<sup>12</sup>.

<sup>10</sup>-Brunet Robert Ferras-Hervé Thery (1993), les mots de la géographie, dictionnaire critique, troisième édition revue et augmentée, collection dynamique du Territoire, RECLUS, la documentation Française, Paris, page 59.

<sup>11</sup>-Merlin Pierre et Choay Françoise, (1988), Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, Presse Universitaire de France, Paris, page 84.

<sup>12</sup>-George Pierre (1984), dictionnaire de la géographie, 3ème édition, revue et augmentée, Presse universitaire de France page 85.

ومن دون جدال يبقى George Pierre 13 من أهم المهتمين بدراسة الضواحي وأبرز الباحثين في حقل الجغرافيا في الوقت الراهن، مما يجعل تعريفاته تتميز بالدقة في استعمال المصطلحات الجغرافية وضبط المفاهيم، فهو يميز بين الضاحية التاريخية ذات المرجعية اللغوية والضاحية باعتبارها مصطلحا جغرافيا لها مفهوم دقيق، بل ويؤكد على انتمائه لحقل الجغرافيا الحضرية بالضبط، مقابل ما جاء به معجم Pierre Fenelon 14 الذي أعطى لضاحية مفهوم تعريفا مغايرا: النطاق الزراعي المحيط بمجموعة حضرية، غير أن هذا التعريف أخذ معنى يكتنفه الكثير من الضبابية.

وتجاوزا للوقوع في اللبس في اصطلاح مفهوم الضاحية وتدقيقه جغرافيا، فقد اشترط في هذا التعريف شرطا لم تشر له باقي التعاريف السابقة، حيث يؤكد على ضرورة وجود قرى قابلة للتمدين كما حدد في تعريفه هذا معايير وشروط يؤكد فيها أن الضاحية ظاهرة ترتبط بالمجموعة الحضرية دون سواها للحسم في مسألة التعميم.

ومما ركز عليه في تعريفه هذا أن الضاحية لا تندرج ضمن المدينة وإنما هي حيز مجالي في طور التحضر. بسبب التأثير المباشر للمدينة وذلك من خلال مختلف أشكال النفوذ الذي يطرأ على الضاحية ك مجال تابع من طرف هذه الأخير (المدينة) هذا من جهة. ومن جهة أخرى، أكد على أن الضاحية لا يمكن اعتبارها مجالا متجانسا، يضبطه شكل من التراتب المجالي وفي حديث عن التخصص الوظيفي فقد أفرد به ضواحي المدن الأوروبية مع إشارته إلى أنها مجالات شديدة التعقيد نظرا لتشابك العناصر المكونة لها، ويشير بذلك بقوله أنه: "يصبح الأمر محيرا عند الإقدام على ترجمة "La banlieue" إلى لغة أخرى، فالضاحية الفرنسية وتجاوزا للأوربية التي تغيّر تحضر المدن الأمريكية، ويختلف الأمر تماما بالنسبة للدول السائرة في طريق النمو<sup>15</sup>.

وحسب قاموس الجغرافيا البشرية والاقتصادية<sup>16</sup>، أن الضاحية تتكون من مجالات محيطة بالمدينة في ملكية جماعات قروية مستقلة إداريا عنها، ولكنها تابعة لها من خلال عدة مظاهر اقتصادية واجتماعية. إذن، فهو مجال تهيم عليه المدينة، وفي تفاعل معها إذ أصبح خصوصا منذ القرن الماضي مجالا تفرغ فيه المدينة فائض أنشطتها ويتميز بوجود أنشطة غير متصلة فيما بينها وبضعف في تجهيزاتها منها قطاعات فلاحية وتجزئات سكنية لإقامة العاملين بالمدينة أحيانا، وأنشطة تجارية وخدماتية وصناعية متعددة، وهو مجال يعرف توسعا حسب أهمية المدينة العمرانية والاقتصادية والسياسية ويطرح إعدادة إشكالا صعبا نظرا لخصوصياته. في حين عرفت الضاحية بالمجال الانتقالي بين المجالين الحضري والريفي أي المجال الريفي الذي يخضع لجاذبية المدينة ولاستقطابها، وتعرف تحولات عميقة في وظائفها، ومكوناتها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

وحاصل القول مما تقدم من تعاريف حول الضاحية نستشف أن الضاحية هي مجال طبيعي وبشري محيط بالمدينة يتأثر بها بشكل مباشر من خلال توسعها على حسابها عمرانيا عبر التجزئات السكنية التي

<sup>13</sup>-George Pierre (1950), Etudes sur la banlieue de Paris, Essai méthodologique, Paris, Collin, page 55.

<sup>14</sup>-Fenelon Pierre (1970), Vocabulaire de géographie agraire, Pub. Fac des Lettres et des Sciences Humaines, Tours, p65.

<sup>15</sup>-George Pierre (1982), in la banlieue aujourd'hui, Colloque l'harmattan, Paris, page 18.

<sup>16</sup>-كلود كبان، (1984)، تنسيق قاموس الجغرافية البشرية والاقتصادية، دالوز باريس، الصفحتان 37 - 38.

تقوم بها، واقتصاديا من زاوية وجود وتعايش أنشطة صناعية وفلاحية وثالثية متعددة<sup>17</sup>. كما أنها تعد الحيز الجغرافي المحيط بالمدينة الخاضع لتأثيرها الملبي لحاجاتها وتتميز عن الريف بجمعها بين تلقى تأثير دينامية المدينة والتحول الكبير للريف. فهي تعبر عن العلاقات ومستوى عيش وتوزيع للشغل وسلوكيات، وهي بالتالي ظاهرة اجتماعية واقتصادية أكثر مما هي مجرد تحديد وتوزيع مجالي للأشكال والتجهيزات والأنشطة والسكن فهي تنبني على نوعية الأدوار المنوط بها، ومدى سهولة الاتصال وكذا توفير وسائل النقل وأنماط البناء ودرجة التمدين والبنائات العقارية وطبيعة الاستثمار<sup>18</sup>.

## 2. عوامل الدينامية المجالية: المحددات الطبيعية والبشرية للحوز بالضواحي المراكشية ورهان تحقيق التنمية المستدامة

تعتبر عوامل الدينامية المجالية من بين مكونات نظام الضواحي المراكشية المعقدة، والتي تضم مجموعة من العوامل من بينها الطبيعية والبشرية تتحكم فيها مجموعة من الآليات.

### 1.2 العوامل الطبيعية للحوز بالضواحي المراكشية

يتوفر الحوز بالضواحي المراكشية على ظروف طبيعية ملائمة، تتمثل في طبوغرافية يطبعها حيث لا يتجاوز الانحدار 1 درجة، وبالتالي فالطبوغرافية لا تشكل أي عائق أمام الاستغلال الفلاحي لأن الانبساط النسبي وانعدام التضرس هو أهم ميزة يطبعها<sup>19</sup>، وله بنية جيولوجية ملائمة، وتشكيل جيومورفولوجي وتربة وغطاء نباتي يعتبر من أهم المميزات الطبيعية بالمنطقة.

إلى جانب الموارد المائية التي توفرها المنطقة، بفعل الظروف المناخية التي ساهمت في وفرة هذه الأخيرة من إمكانيات مائية جوفية. تترجمها الخصائص الفيزيوكيماوية والهيدرودينامية المتميزة بمسامية متوسطة، نتيجة لعدم تجانس التوضعات البليورباعية عموديا وأفقيا، وبموصليات جيدة أحيانا في بعض الأماكن خاصة قرب المجاري المائية، إضافة إلى سعة الخزان المائي الجيدة بفضل الانتشار الواسع للتوضعات البليورباعية في الضواحي، كما يلعب الأطلس الكبير دورا فعلا في إعطائها الأهمية التي تميزها من خلال تزويدها بجزء كبير من المياه النابعة منه<sup>20</sup>.

وهكذا وبالنظر إلى سلبية المناخ الذي يكرس شح الموارد المائية السطحية. أخذت الفرشة المائية تقوم بدور استراتيجي في مختلف الجوانب الاقتصادية للحوز بالضواحي المراكشية، وبرز هذا الدور من خلال انتشار تقنية الضخ بواسطة المحركات التي أدت إلى وجود مناطق تركيز الضخ، عرفت نزولا مهولا لمستوى الفرشة بها، كما أن الفرشة أصبحت مهددة أكثر مما مضى بخطر التلوث سواء الصناعي والمنزلي الذي نعائنه يوميا، أو الفلاحي الناتج عن استعمال الأسمدة الكيماوية الذي قد لا ننتبه له.

17-المهداوي للانجاة، (2018) ، التطورات المجالية والسوسيوإقتصادية بالحوز الأوسط حالة الجماعات الضاحوية لغرب مراكش: سعادة السويهلة الأوداية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، الصفحة 19.

18-المهداوي للانجاة، (2018) ، التطورات المجالية والسوسيوإقتصادية بالحوز الأوسط حالة الجماعات الضاحوية لغرب مراكش: سعادة السويهلة الأوداية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، مرجع سابق، الصفحة 23.

19-Cartographie de taille de sol au 1/50000 de Marrakech – menara et carte de taille de sole au 1/50000 de Marrakech – Gueliz.

20-وكالة الحوض المائي بمراكش قسم الإعلام والتوثيق، 2021.

أمام هذه المعطيات، نجد الانعكاس السلبي على مخزون المياه الجوفية، هذه الوضعية أدت بشكل تدريجي إلى المساس بجودة الموارد المائية بالمنطقة ككل، في ظل هذه الحثيات، واعتبارا لأهمية هذا المورد، وأمام عدم القدرة على الاستجابة للحاجيات الحالية من المياه، الأمر الذي يتطلب الشروع حالا في تدبير معقلن للموارد المائية المتوفرة وضمان حمايتها من التدهور.

وفي هذا السياق عرف التجهيز الهيدروفلحي للحوز بالضواحي المراكشية مجموعة من المحطات التاريخية والتطورات التقنية في تدبير الموارد المائية التي تعد العصب النابض لحياة الساكنة، والتي ابتدأت مع المرابطين بإخاطاط تقنية الخطارة بالحوز المراكشي في عهد الأمير المرابطي "علي ابن يوسف ابن تاشفين" فظهرت حياة الاستقرار وتزايدت بوثيرة سريعة، بحيث واكب تأسيس العاصمة تأسيس موازي لضواحيها التي توجد بغرب مراكش<sup>21</sup>، وكان هناك اهتمام باستغلال المياه السطحية التي تفسر بأسباب طبيعية محضة، خصوصا أن الفرشة المائية تتزايد بشكل مطرد من الجنوب إلى الشمال، وهو ما يعني أن المؤهلات الجيولوجية كانت مناسبة منذ البداية من أجل إحداث التجهيز واستغلال المياه الباطنية<sup>22</sup>.

بعد توقيع المغرب على معاهدة الحماية الفرنسية سنة 1912م عرف الحوز بالضواحي المراكشية تطورا ملحوظا، حيث إتجهت إليه أنظار المعمرين وإستولوا على أراضي شاسعة تتوفر بها شروط الاستغلال الفلحي وادخلوا جيلا جديدا من تقنيات السقي التي لم يعهدها سكان المنطقة، مستفيدين من التشريع القانوني الذي كان يسير في اتجاه تسير حصول المعمرين على أجود الأراضي لاسيما شمال الطريق الرابطة بين مراكش والصويرة التي كانت تستفيد من المياه عبر ساقية اسعادة بيطن أو اسعادة الإسمنتية، كما تم إدخال زراعات صناعية ساهمت في تراجع الفلاحة الأهلية، وظهرت الدواوير الهامشية الأولى بضواحي مراكش<sup>23</sup>، وبعد الاستقلال تم استرجاع أراضي الاستعمار بنوعيه الرسمي والخاص للحوز بالضواحي المراكشية، بطرق متباينة، وأشرفت عليها مؤسسات عمومية مختصة (صويا، سوجيتا) كما تمت مصادرة أراضي المحمين والعملاء الاستعماريين، وعمدت الدولة إلى توزيعها على الفلاحين المغاربة.

وبالتالي، فالمنطقة مازالت تجسد ذلك التعايش الهيدروليكي بين الأنظمة التقليدية التي استطاعت أن تقاوم موجة التحديث كالسواقي الترابية التي تنتشر بشكل واسع بالمنطقة وبين أنظمة السقي الحديثة كالسقي بالتنقيط والأدراع المحورية والآبار المجهزة بمعدات الضخ. الذي مهد أن تكون منطقة الحوز بالضواحي المراكشية من أكثر المناطق التي تعرف دينامية على المستوى المجالي والسوسيو-اقتصادي.

## 2.2 العوامل البشرية للحوز بالضواحي المراكشية: طبيعتها والآليات المتحركة فيها

يعرف مجال الحوز بالضواحي المراكشية دينامية بشرية مهمة، يغلب عليها تنوع في المميزات الديموغرافية، هذه الدينامية التي جاءت نتيجة عامل داخلي والمتمثل في ارتفاع وتيرة النمو الديموغرافي بمراكش، إلى جانب عامل خارجي المتمثل في الهجرة الداخلية، التي نتج عنها توافد السكان من مختلف الأماكن، بالإضافة إلى انتقال العديد من ساكنة المدينة الأم للاستقرار بضواحيها. فهذا الاختلال أدى إلى

21-رابطة الدين محمد (2008)، في سبيل وضع خريطة توطين وتوزيع مواقع مراكز الاستقرار خارج محيط مراكش في العصر الوسيط، سلسلة أعمال مجموعة البحث في التدبير الجهوي والتنمية السياحية، دراسات مجالية 2، المجال الضاحوي لمدينة مراكش، الطبعة الأولى، الصفحة 48.

22-Elfaiz.Mohamed, (2002) Marrakech patrimoine en péril, actes sud, eddif, page 19.

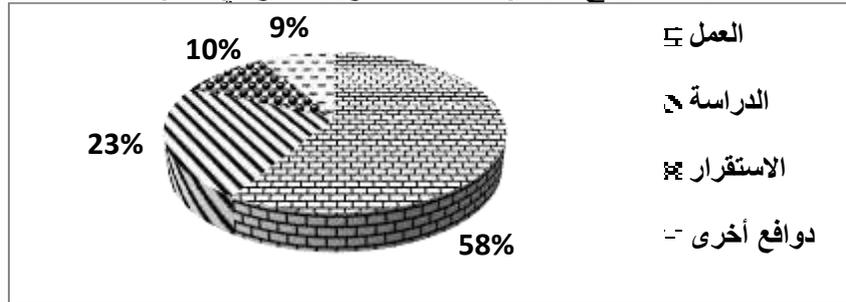
23-Sarda. Abdelkrim (1983), la tutelle agricole de Marrakech sur le Haouz central, étude géographique, de doctorat de 3ème cycle, Université d'aix –Marseille II, Tome 1, page 61.

الاختلاف والتفاوت في التوزيع، حيث عرف الحوز بالمجال الضاحوي المراكشي نسبة نمو مرتفعة، مما تسبب في مشاكل كثيرة سواء منها المتعلقة بالتوسع العمراني غير المنتظم مع انتشار السكن غير اللائق بمجموعة من الدواوير، إلى جانب المشاكل البيئية من تلوث وهدر للموارد الطبيعية بالمنطقة، نتيجة استغلالها بشكل غير معقلن كما أدى هذا النمو إلى تزايد في الحاجيات والطلب على الخدمات للسكان من سكن، وشغل، وتعليم، وصحة، وطرق، ومواصلات.

فهذا الاختلاف مرده إلى انتقال ساكنة مراكش من 676800 نسمة سنة 1994 إلى 843575 نسمة سنة 2004 وتعرف مراكش الآن نموا ديمغرافيا سريعا خاصة بعد الطفرة العقارية التي عرفتها المدينة بعد سنة 2004 مما جعلها نواة تستقطب الاستثمارات والخدمات والأشخاص سواء من داخل الوطن أو من الخارج، وقد أدى إلى اتساع المجال المبني لمراكش وتضاعف عدد سكانها ليتجاوز 968000 نسمة سنة 2014 حسب مركز التخطيط والإحصاء، وهذا الارتفاع المهول في عدد السكان خلق دينامية متسارعة فاقت كل التوقعات لكن هذه الدينامية المصطنعة سرعان ما تراجعت خاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية مما أدى إلى ركود القطاعات المنتجة الأخرى. حيث أثر على المستوى المعيشي للسكان مما دفع إلى طرد الساكنة المحلية نظرا لارتفاع تكاليف الإقامة بمدينة مراكش وجعل فئات مهمة من الساكنة خاصة الفئة الشابة تلجأ إلى اقتناء مساكن بالضواحي المجاورة لمراكش كسعادة والسويهلة والأودية. وبالتالي هذا ما نتج عنه تباين في البنية العمرية بهذه المجالات.

ونستخلص من كل هذا أن عقد الستينات تميز بانفتاح ملحوظ للساكنة وهو أمر يعبر عن نفس المنحنى الديموغرافي الذي طبع جميع جماعات الحوز ككل خلال هذه الفترة، التي امتازت بظروف مواتية للنشاط الفلاحي، وتقلصت نسبة التزايد السنوي خلال عقد السبعينات، وهو تقلص ملحوظ سواء على مستوى ضواحي مراكش كل من سعادة والسويهلة والأودية لتسجيل تقهقر خطير للغاية خلال عقد الثمانينات وقد يكون للهجرة الدور البارز في تفسير هذا السلوك، والشكل الموالي يمثل الأسباب الدافعة إلى الهجرة.

الشكل 1: دوافع الهجرة لسكان الحوز بالضواحي المراكشية



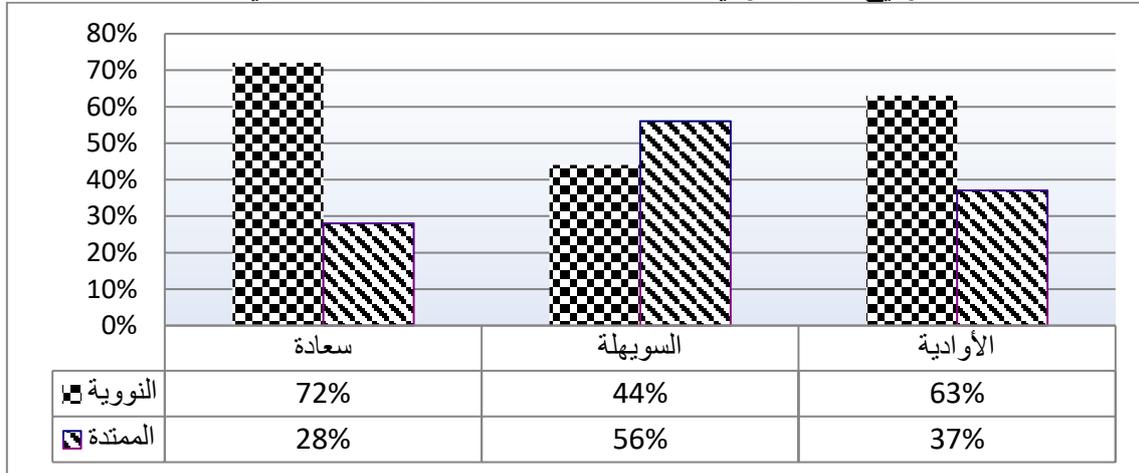
المصدر: عمل شخصي، اعتمادا على الاستمارة الميدانية، يوليوز 2021

نلاحظ أن هناك العديد من العوامل التي تقف وراء هذه الظاهرة، لكن تبقى المحفزات الاقتصادية هي الأهم، علاوة على الأنظمة التقليدية لملكية الأراضي وانخفاض الإنتاج الزراعي وتزايد الحاجيات اليومية للسكان وافتقار المنطقة للاستثمارات الصناعية وفرص الشغل وعدم قدرتها على تلبية متطلبات السكان، خاصة الشباب الذين تفوق طموحاتهم الإمكانيات المتوفرة، فلجأوا إلى الهجرة نحو المدن بحثا عن معيشة سهلة، خاصة بعد ظهور حركة التصنيع خلال السبعينيات بالمدن الكبرى، والتي زادت من تفاقم هذه

الظاهرة. وقد بينت العديد من الدراسات أن قرار الهجرة هو قرار فردي وجماعي أسري في نفس الوقت، حيث نجد أن بعض الأسر تلتجئ في بعض الأحيان إلى اتخاذ استراتيجيات، هدفها إحداث التوازن وتجديده بين موارد الأسرة وبين احتياجاتها الاستهلاكية وبين عوامل السوق الخارجية.

ومن المتعارف عليه في الجانب الاجتماعي أن العائلة ترتبط ارتباطا منطقيا متكاملًا مع بقية المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كالمؤسسات التربوية والدينية والسياسية، وبهذا يكون التأثير فيما بينها متبادلا إلى حد بعيد، إذ أن أي تغيير في العائلة يؤدي حتما إلى تغيرات متداخلة ومعقدة على مستوى بناء المجتمع ككل وعلى وظائفه التي يؤديها. وبالتالي، تتحتم ضرورة التعرف على أهم التطورات التي طرأت على المجتمع قبل التطرق إلى تأثيرها على العائلة من حيث البناء ومن حيث الوظائف. ومن أجل هذه الغاية أوردنا الشكل البياني التالي لتسليط الضوء على توزيع الأسر النووية والممتدة حسب كل من سعادة والسويهلة والأودية.

الشكل 2: توزيع الأسر النووية والممتدة حسب كل من سعادة والسويهلة والأودية



المصدر: عمل شخصي، اعتمادا على الاستمارة الميدانية، يوليوز 2021

تشهد الأسرة الممتدة تراجعًا جليًا وموازية مع ذلك بروز الأسرة النووية وتشعبها داخل المجتمع الحوزي، من خلال تعميم النتيجة المستقاة من واقع الحالة المدروسة لجماعات سعادة والسويهلة والأودية، ذلك أن نسبة الأسرة النووية أصبحت تمثل نسبة 60 بالمائة كمتوسط وسيط، مع الإشارة إلى التفاوت الحاصل من جماعة إلى أخرى وكذا داخل الجماعة ذاتها.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العائلة بالحوز عامة وبالضواحي المراكشية خاصة واكبت مختلف التطورات التي شملت المجتمع، وبالخصوص المجتمع الضاحوي، في أفق استشراف مستقبلها الاجتماعي فيما يخص تحديد الجانب العلائقي بين الأسرة الأم ونواتها المتفرعة عنها، وذلك من خلال محاولة الانسجام والتأقلم مع واقع الاختلافات القيمية، الناتجة عن التباين الحاصل على مستوى طموحات وانتظارات الأفراد لتحسين ظروفهم المعيشية من جهة. ومن جهة أخرى، المزوجة بين المرجعية التقليدية السائدة في طريق الاندثار.

### 3.2 الاشكاليات الكبرى ورهانات تحقيق التنمية المستدامة

إن استنباط مكان الخلل على المستوى المجالي للحوز بضواحي مراكش، والمرتبب أساسا بالوضعية التنموية المتواضعة، نتاجا لمجموعة من العوامل المتداخلة، يفرض التعامل معها نهج مقارنة تأخذ بعين الاعتبار معظم مكونات المجال، وذلك في إطار تقاطعي يمكن من قراءة الماضي بالحاضر واستشراف واقعي دقيق للمستقبل<sup>24</sup>.

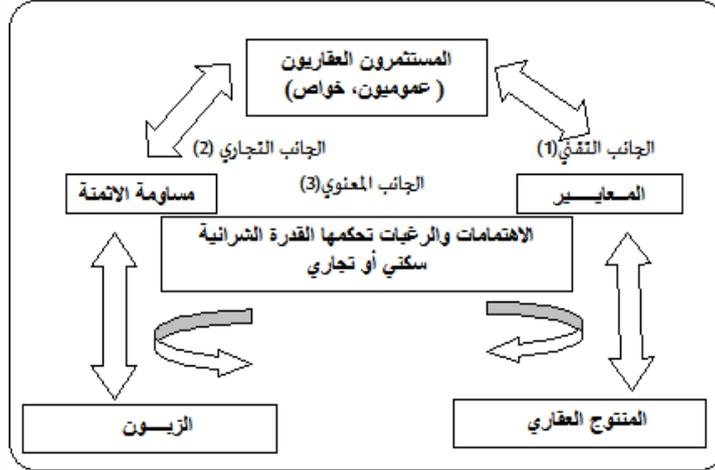
ويتأسس ذلك على التصنيف الدقيق لنتائج المبنية على إبراز نسق اشتغال المجال عبر دور العوامل الطبيعية والبشرية والتاريخية ثم العوامل الخارجية، وفقا لتأثيرها الايجابي أو السلبي، من أجل الاحاطة بمختلف المشاكل البنيوية، إنها مقارنة قائمة على التمييز بين الوضعية الحالية للدينامية المجالية، عبر تحديد الايجابيات ونقط الضعف، والوضعية المستقبلية التي يمكن استشرافها، عبر استغلال الفرص المتاحة، وتوقع التهديدات المحتملة، وهذا لن يتأتى إلا بتجنيد مختلف الفاعلين في إطار تشاركي وتوافقي بغية تحقيق تدخلات مندمجة يكون هدفها تحقيق التنمية دون الإضرار بالمحيط الضاحوي المراكشي.

وتؤدي بنا الاشكاليات الناتجة عن الدينامية المجالية للحوز بضواحي مراكش إلى صياغة وإعادة إدراج اللاتوازنات المجالية في إطار إشكالية الدينامية المجالية التي كانت نتاج نظام ينتج حركية تترابط فيه الاسباب بالنتائج، وينتج عنه تغييرا مستمرا، ليصبح إكراها أساسيا أمام كل تنمية، هذا الاشكال تتجاوز عوامله وتأثيراته الحدود المحلية، ليصل إلى مجمل الحوز ككل ليعم على مستوى أكبر فأكبر، فهو عمليا مماثل لغالبية الضواحي الواقعة بجميع الجهات المراكشية، ويتعلق الأمر بالاختلالات المجالية التي كانت نتاج لتداخل مجموعة من المؤثرات الطبيعية والبشرية، داخلية وخارجية، وفي هذا الإطار يمكن حصر هذه الاختلالات في تحولات عمرانية تتسم بالعشوائية.

لقد طورت مراكش منتوجاتها العقارية خاصة الموجهة نحو السكن من حيث العدد والنوع ليستجيب لمجموع رغبات الساكنة، ويتميز منتوجها بسمات خاصة عن الضواحي المغربية الأخرى، كونها تلعب الدور الطلائعي في عملية إنتاج وتسويق المنتج العقاري الموجه نحو السكن، وذلك اعتبارا لرصيدها التاريخي الكبير في هذا المدمار. حيث شكلت بكل تأكيد لبنة قوية ودعامة أساسية في حل أزمة السكن، فمسالة تشكيل أو إعادة ترتيب المجال بضواحي مراكش لا يخرج عن الإطار العام لباقي الضواحي المغربية، وإنما يذهب في نفس الأبعاد والتطلعات، بحيث تحكمه عدة علاقات مرتبب بعنصرين أساسيين: المستثمرون خواص كانوا أو عموميون، والمضاربون. وبهذا الخصوص تبسط الخطاطة التالية طبيعة المنتج العقاري بالضواحي المراكشية في علاقته بمختلف هذه العناصر المتداخلة في إنتاجه كالتالي:

<sup>24</sup>-أيت حسو محمد (2012)، الدينامية المجالية واستراتيجية التنمية المندمجة: حوض اسيف إمكنون نموذجا، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش، مجلة الماء ورهان التنمية، العدد6، الصفحة 30.

## خطاطة 1: طبيعة المنتج العقاري على ضوء العلاقة: مستثمرون ومضاربون، منتج، زبون



المصدر: المهداوي للانجاة، (2018)، التطورات المجالية والسوسيواقتصادية بالحوز الأوسط حالة الجماعات الضاحوية لغرب مراكش: سعادة السويهلة الأودية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش، جامعة القاضي عياض، ص 165.

من خلال ما رأيناه في الخطاطة فالمستثمر والمضارب العقاري يتلقى المنتج ليووجه للتسويق (عملية البيع)، هذه العلاقة التقنية بين هذان العنصران تنطلق بناء على معايير العقار وتوجه منهجية وطريقة الإنتاج. والتي تشمل العناصر التالية: تحديد معايير العقار (سكن، سكن تجاري، تجاري محض)، ولخلق هذا المنتج يستوجب برمجة خدمات مختلفة والأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية: عنصر القدرة الشرائية، المسافة، أهداف وأغراض الزبون والأخذ بعين الاعتبار هامش الربح وكذا أئمة السوق، دون إغفال تقنية التسويق: (إشهار، ضمانات البيع، تسهيلات الأداء، تخفيضات).

ومن بين أهم الرهانات التي تنطوي عليها التنمية في بعدها المستدام، وذلك اعتمادا على بعض الحلول المقترحة من طرف الساكنة المحلية، وترتيبها في أربع رهانات حسب الأولوية كما يلي: الرهان الأول تأهيل العنصر البشري وتفعيل أدوار الفاعلين بتراب كل من جماعات سعادة والسويهلة والأودية عن طريق الانسجام والتوافق بين مختلف الفاعلين سيوحد الرؤيا لمعرفة مكامن القوة والضعف الذي يساهم في تنمية هذه الجماعات، واعتماد حكمة ترابية وتوظيف أطر ذوي الخبرة والمسؤولية واعتماد نظام المحاسبة في تدبير المشاريع، وهذا يستدعي ضرورة فتح جسور التواصل بين مختلف الفاعلين من مواطنين، مجتمع مدني، إداريين ومؤسسات خارجية. وكذلك تشجيع المرأة عبر محاربة الأمية وزيادة في التمدرس.

الرهان الثاني تحسين الولوج إلى الخدمات الأساسية عن طريق محاربة الأمية والحد من الهدر المدرسي عبر انشاء المزيد من المؤسسات التعليمية، وتطوير قطاع النقل عبر زيادة عدد سيارات الاجرة للتخفيف من الازدحام داخل السيارات والحد من النقل غير القانوني. وضبط التوسيع العمراني واعتماد تقطيع مجالي واحترام الممرات والطرق.

الرهان الثالث حول تأهيل الاقتصاد المحلي وتنويع بنية الانتاج عن طريق تأهيل القطاع الفلاحي عبر خلق وحدات صناعية تحويلية قصد تجميع المنتجات الفلاحية، وتهيئة واجهة السوق الأسبوعي بالسويهلة لإعادة هيكلته ليشكل وحدة اقتصادية داخل ضواحي مراكش.

أما الرهان الرابع والأخير والخاص بحماية البيئة والحفاظ على الوسط الضاحوي عن طريق الربط بشبكة الصرف الصحي لحماية المياه الجوفية من خطر التلوث الكيميائي والبيولوجي، وتدير النفايات عبر توفير وسائل النقل الخاصة بجمع الأزبال، وإعداد مطرح بغية حماية المياه والتربة ثم المحيط من خطر التلوث، وحماية المجالات المهدة بالفيضانات وتطبيق رقابة صارمة على المجالات الصعبة والمجال الضاحوي. ووضع تشخيص دقيق للواقع التراي قصد استشراف تراب متوازن وتحديد آليات وأساليب التكيف مع التغيرات المناخية.

إن تحقيق تنمية مستدامة على مستوى ضواحي مراكش يعكس اليوم رهانات متعددة، والتي يلزم تحقيقها المرور من عدة مراحل مختلفة ومتنوعة تبدأ بتقوية وتثمين قدرات العنصر البشري بتراب الضاحوي، بغية التدبير الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية، والتي تستوجب تحسين بنيات الولوج إلى التجهيزات الأساسية وتحقيق التنمية الاقتصادية.

### 3. دينامية الفاعلين وبدائل تحقيق التنمية المستدامة وبرامج البعد التنموي المراهن عليها في الواقع الضاحوي المراكشي

تعتبر دينامية الفاعلين بالمجالات الضاحوية المراكشية عملية مركبة، باعتبارها تتم بها إعادة انتشار وتوزيع الأدوار بين مختلف الفاعلين الترابيين، المحليين والاداريين، كمرحلة حاسمة لتحديد مدى توافق رهاناتهم مع تصحيح الاختلالات المجالية المطروحة بالواقع الضاحوي، ومعرفة مدى ملائمة تدخلاتهم مع انتظارات الواقع التراي، وتحديد مكان ضعفها وقوتها التي، ستمكن من وضع البدائل المناسبة لتحقيق التنمية وإعادة التوازن وضمان الاستدامة المراهن عليها عن طريق وضع برامج تنموية دقيقة لها دور أساسي في الحد من الاختلالات المجالية المناسبة لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها مختلف المتدخلين بالواقع التراي بالضواحي المراكشية.

#### 1.3 دينامية الفاعلين والتوازنات التنموية المطروحة

إن الحديث عن التنمية لا يستقيم دون إرفاقها بدور الفاعل الذي هو كل فرد أو مجموعة أو منظمة تقوم بعمل ما، ويكون لهذا العمل آثار مباشرة أو غير مباشرة على محيطه أو بيئته<sup>25</sup> وتحدد نوعية الفاعل بعلاقة هذا الأخير بالتراب والتي تمكن من تحديد نوعية الفاعلين اعتمادا على أدوارهم ووضعياتهم، كما يعد العنصر المركزي في البناء التراي، إذ أصبح تداوله على نطاق واسع بعدما كان فيما مضى محدودا في حقول معرفية دون أخرى، وأنه يطلق على كل فرد متدخل بمجال تراي ما لإحداث تغييرات تنموية به، إذ لا يمكن في أي حال من الأحوال أن نطلق هذه التسمية إلا على الفاعلين المرئيين والمتواجدين على معظم التراب. ويمكن القول أن الفاعل التراي متعدد التدخلات، فتحركه تارة رغباته ومصالحه وقدراته العقلية والمعرفية، وتارة أخرى حاجيات ومصالح الجماعة التي يعيش فيها، ويمكن له أن يغير من مهامه وأدواره حسب السياقات الزمانية والمكانية، وبالتالي فإن مبادرة أي فاعل تأتي كرد فعل من مبادرات أخرى<sup>26</sup>.

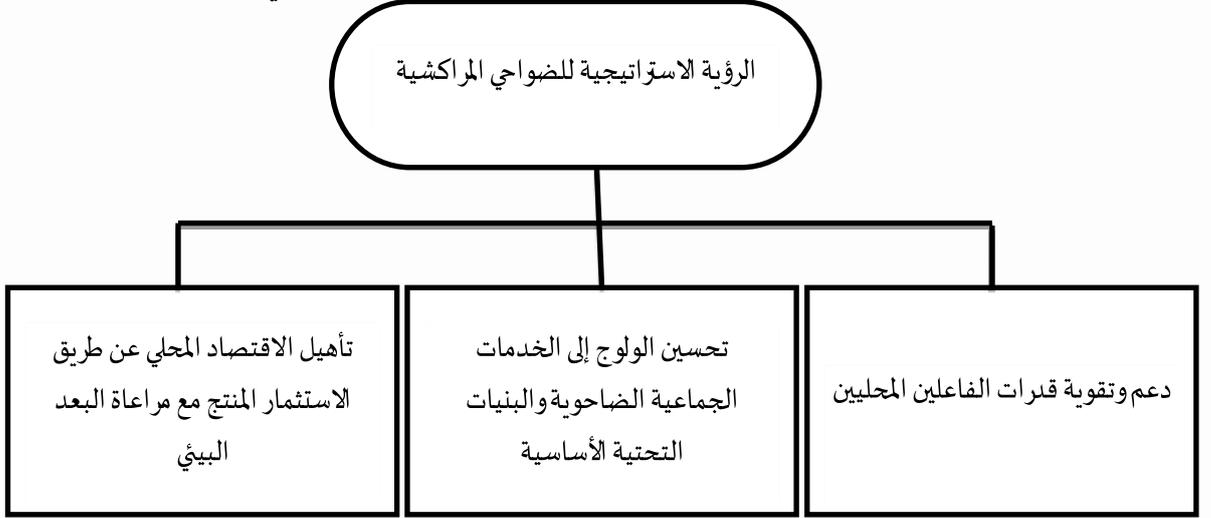
<sup>25</sup>-Bassand Michel, (2001), Anne compagnon, Dominique joye, Veronique Sten, Peter Guller, vivre et créer l'espace public PPUR presses polytechniques, page 17.

<sup>26</sup>-المهداوي للانجاة، (2020)، استراتيجيات تدخل الفاعلين في خلق التنمية الترابية نموذج جنوب مدينة مراكش، مجلة المجال والتنمية "الفاعل المحلي والتنمية الترابية"، العدد السادس، ص 56.

لقد عرف تراب الضواحي المراكشية تدخلات من طرف مجموعة من الفاعلين الترابيين، في إطار برامج تتجه نحو تنميتها، عبر التجهيز وتحسين الظروف المعيشية، مما يعبر عن الإرادة الراسخة لتحقيق التوازنات التنموية، إذ أعطيت الأولوية لبعض القطاعات ذات الطابع الاجتماعي خصوصا التعليم، توسيع شبكة الماء الصالح للشرب والكهرباء، في حين نجد الضعف على مستوى المشاريع الاقتصادية، والبيئية وبالرغم من أهمية المشاريع المنجزة إلا أن بلورة وتنفيذ هذه المشاريع يبقى رهين السياسات القطاعية.

كما أن منظور التخطيط الاستراتيجي التشاركي له دور في خلق التوازنات التنموية بالضواحي المراكشية من خلال رؤية استراتيجية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور استراتيجية للتنمية على المستوى الاقتصادي، السوسيوثقافي والبيئي كما يتبين ذلك من خلال الخطاطة التالية:

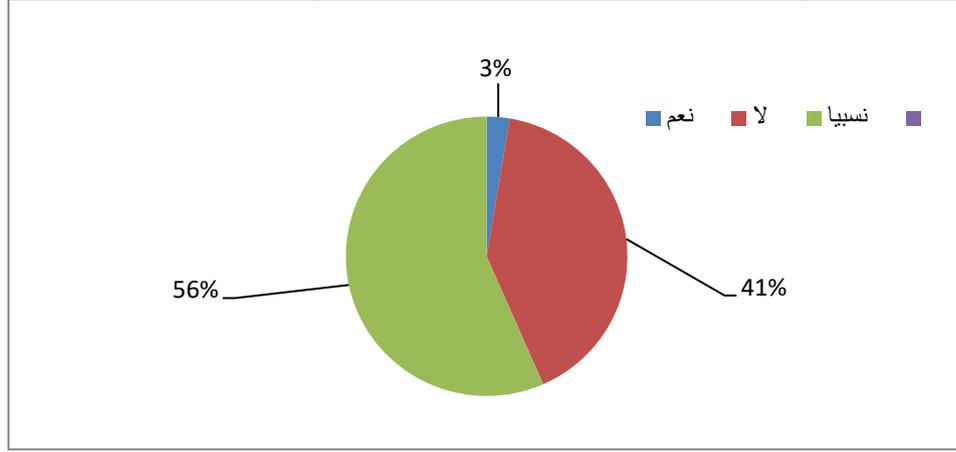
## الخطاطة 2: الرؤية والمحاور الاستراتيجية لتنمية الضواحي المراكشية



المصدر: تصور شخصي، اعتمادا على التشخيص الميداني للمجال الضاحوي المراكشي 2021

إن العمل على تحقيق الرؤية الاستراتيجية بالضواحي المراكشية، يجب أن ينبني على ضرورة إشراك السكان وبقية الفاعلين في جل مراحل الاعداد التي تبدأ بالتشخيص وتنتهي بالتخطيط، غير أن ضعف استيعاب المقاربة التشاركية حالت دون إشراك السكان، وقد عبر ما نسبته 76,38% من السكان أنهم يجهلون ما يصطلح عليه بالمخطط الجماعي للتنمية، ويبقى ما نسبته 23,62% هم من سمعوا بالمخطط وهم بالطبع مثقفو المنطقة، فيما أكد جميع المستجوبين دون استثناء أنهم لم ينخرطوا في عملية إعداد المخطط، وهو ما ينعكس على المشاريع التي نجد أغلبها لا تتناسب مع حاجيات السكان كما يتبين في الشكل التالي:

## الشكل 3: توفيق المشاريع المنجزة من طرف الضواحي المراكشية مع حاجيات انتظارات الساكنة المحلية



المصدر: عمل شخصي، اعتماداً على الاستمارة الميدانية، يوليوز 2021

من خلال المبيان أعلاه تأكد أن توافيق المشاريع المنجزة مع انتظارات السكان يختلف حسب تصور السكان، وتبعاً للامتداد المجالي للضواحي المراكشية، حيث نجد أن 3% من الساكنة التي عبرت عن قناعتها التامة في المشاريع المنجزة تتموقع بالضواحي المراكشية بالحوز، بينما نجد بعض الساكنة التي عبرت على أن جميع المشاريع المنجزة لا توافيق انتظاراتها ما دام أن 41% من الساكنة تعيش في عزلة تامة، ونجد أن ما نسبته 56% أكثر على نسبة توافيق المشاريع لحاجياتها.

إن غياب التوافيق بين انتظارات الساكنة المحلية، وطبيعة المشاريع المنجزة يمكن تفسيرها بضعف استيعاب وتملك المقاربة التشاركية لدى العنصر البشري المسؤول عن تدير وتنفيذ المشاريع، وكذا ضعف العلاقات مع الأطراف الأخرى الفاعلة من قبل جمعيات المجتمع المدني والمصالح الادارية الخارجية، ومن أجل قيادة هذه المقاربة الجديدة فإن الأمر يستدعي تشجيع بنيات التشاور مع مختلف الفاعلين، وتأهيل العنصر البشري، ثم تشجيع التبادلات بيضاحوية كآلية لدعم بلورة وتنفيذ المشاريع.

أن هناك مجهودات مبذولة في ميدان إعادة هيكلة السكن الهامشي بالمجالات الضاحوية المراكشية من طرف مختلف الفاعلين كانت لها انعكاسات مهمة في تراجع الظاهرة، لكن ومع ذلك مازال السكن الهامشي يلتهم مساحات مهمة في مواقع متعددة، ويرتبط هذا القصور بالمنهجية المتبعة في معالجة هذا السكن وبأشكال التدخلات، بحيث نقف على أن تدخلات الدولة سواء في مجال إعادة الهيكلة أو تأهيل السكن الهامشي بضواحي مراكش تمت في غياب استراتيجية واضحة للحد من الظاهرة، ومن الأسباب المؤدية إليها، مما عرض وباستمرار جل المشاريع إلى الانزلاق عن أهدافها، ودخول فئات جديدة واستفادات الدواوير بنسب متفاوتة، فالميكانيزمات المتحكمة في التنفيذ شابتها عدة خروقات ولم تسلم الفئات المستفيدة من عمليات التعويض هي الأخرى من بعض الحيف في التوزيع، بحيث استفادت أسرة واحدة في الكثير من الأحيان من عدة بقع في حين تم حرمان أخرى من أي تعويض.

كما نستشف كذلك أن تدخلات الفاعلين في هذا الميدان تميزت بالتشتت، بحيث هيمنت المقاربة القطاعية على مختلف تدخلات هؤلاء، وذلك بسبب غياب وضعف التنسيق وبسبب طغيان المصالح الخاصة على الهدف الاجتماعي.

ولقد ساهمت عملية التأهيل هذه في ظل غياب دراسات مسبقة للمجتمع القاطن بالدواوير في خلخلت العديد من التوازنات التي ظل هذا المجتمع محافظا عليها وهذا ما لمسناه من خلال التحولات والانزلاقات الخطيرة التي مست سمات المجتمع والتراب بالمنطقة المدروسة، إلا أنه تجدر الإشارة في أن هذه التحولات عرفت اختلاف وتفاوت من جماعة إلى أخرى.

ولم يتمكن الفاعلون تطبيق سياسة عملية التأهيل رغم كل الأموال التي رصدت لها والأراضي التي خضعت لهذه العملية، فهناك أسر كثيرة ما تزال تعاني من ظروف سكنية غير لائقة بهذه الدواوير، فالسياسة المتبعة لحد الساعة قاصرة عن احتواء الظاهرة والتي لا يمكن القضاء عليها إلا باستثمار أموال ومجهودات أكبر بكثير من السابق.

### 2.3 البدائل التنموية محاور أساسية لإعادة التوازن المجالي وضمان التنمية المستدامة

أصبح الاهتمام بتأهيل العنصر البشري عملية أساسية تساعد على تطوير القدرات، ومن بين الأولويات التي وجبت المراهنة عليها للنهوض بالأوضاع السوسيو-اقتصادية والمجالية لتراب الحوز عامة وضواحي مراكش خاصة، حيث تنصيب تنمية قدرات المؤسسات الترابية على عملية تحسين المهارات الفردية والجماعية لأطر هذه المؤسسات لتفعيل مختلف التدخلات، وبلورة وتنفيذ المشاريع التنموية، باعتبار العنصر البشري المحرك الفعلي لهذه التدخلات علاقة مهمة في مواجهة التحديات التنموية وتصحيح الاختلالات المطروحة على المستوى المجالي.

وفي ظل هذه المفارقة فإن الأمر يفرض التكيف مع الديناميات الحالية، وتطبيق استراتيجيات تروم التوفيق بين متطلبات التنمية وحماية الموارد المتوفرة، إلا أن منهجية هذه المقاربة لا يمكن أن تكون دون وجود أفراد أو فئات كفاعلين ترابين مؤهلين، من هنا فإن تأهيل الموارد البشرية يعد الرهان الأكبر لربح التحديات ويعتبر منفذا واعدة لتحقيق نجاح أي تدخل وتحقيق تنمية شمولية متوازنة، إذ أن ضواحي مراكش تحتاج إلى تقوية وتحسين مؤهلات مختلف الفاعلين من خلال التكوين والتحسيس، وينبغي لمجهود هذا العمل أن يشمل كافة المتدخلين في مجال ترابها، وأن يستهدف في الواقع تنويرهم حول مختلف الالتزامات المرتبطة بوظيفتهم كفاعلين عموميين أي منتخبيين وأطر جماعيين، وموظفي المصالح الحكومية، وغير عموميين أي فاعلين جمعويين، وذلك وفق الخصوصيات المحلية وطبيعة كل تدخل كما يتضح من خلال النقاط التالية: منها تنظيم دورات لتكوين المنتخبيين وأطر الجماعات الترابية بالاعتماد على آليات التخطيط، التواصل، اتخاذ القرار، بلورة وتنفيذ المشاريع. وكذلك تنظيم دورات موجهة لتقوية قدرات الفاعلين المدنيين في التنظيم والتدبير الداخلي، وتحسين قدراتها التقنية وضمان استدامته وذلك لتفعيل عملها من أجل تطوير مهارات محلية. وكذا تنظيم أعمال ورشات للنقاش والتفكير حول الاختلالات التنموية المطروحة على المستوى المحلي، بغية تجميع كل الفاعلين وتوحيد تدخلاتهم.

إن تأهيل الساكنة المحلية عبر الرفع من المستوى التعليمي وتوسيع برامج محو الأمية، والدورات التكوينية سيمكنها من اكساب خبرات وتجارب تحسيسية للعب الدور المنوط بها كفاعل جوهري يعد ضرورة تفرضاها كل تنمية، إذ أن المستوى الثقافي للإنسان ينعكس في طريقة تعامله مع الموارد المتوفرة ومن أجل التدبير الأمثل، مما سيمكنها من اتخاذ قرارات إيجابية توافق بين التنمية وحماية الموارد المتاحة.

أن التفاعل بين مختلف الفاعلين دعامة لحكمة محلية حيث تشكل الحكمة المحلية نتيجة تقاسم الأدوار بين الدولة وباقي الفاعلين الترابيين، وفق منطق أن أقل ما يمكن أن يقدم من طرف الدولة أي كلما خولت الدولة أكبر ما يمكن من الصلاحيات لصالح باقي الفاعلين الترابيين كلما سادت حكمة جيدة والعكس صحيح، يبقى نجاح المشاريع التنموية رهين حكمة ترابية، وترسيخ مقاربة تشاركية وأفقية من خلال العمل المشترك بين مختلف الفاعلين ومساهماتهم في وضع استراتيجية تنموية ترابية، تتمحور عناوينها الكبرى حول النجاعة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية والمحافظة على المجالات الترابية الضاحوية.

إن الحكمة الترابية تبقى من أهم الضروريات لإنجاح المشاريع التنموية، إلا أن تطبيقها يتطلب توزيع الأدوار بين مختلف الفاعلين وربط المسؤولية بالمحاسبة، وقد شكلت جماعات سعادة والسويهلة والأودية حيزا مجاليا لإرساء حكمة ترابية، لهدف تحسين ظروف عيش السكان وتأهيل محيطهم، لذلك فإن ربح هذا الرهان يشترط من جماعات سعادة والسويهلة والأودية تعبئة الجميع وتحسيس الفاعلين بجسامة التحديات التنموية والتفاوتات المجالية التي تعاني منها هذه المجالات في جل الأصعدة، كما تقتضي إدماج المجتمع المدني باعتباره أقرب فاعل محلي من الساكنة المحلية إلى جانب مختلف الفئات الاجتماعية في العملية التنموية وذلك من خلال المقاربة التشاركية، مع التركيز أكثر على إدماج القطاع الخاص من خلال تحفيزه للمشاركة على جانب باقي الفاعلين بحثا عن الفعالية والنجاعة، هذا بالإضافة إلى ضرورة دمج توجهات المصالح الخارجية بشكل مشترك ومتوافق مع توجهات الفاعلين المحليين.

تعتبر التعاون اللامركزي بين الجماعات الضاحوية سواء لانجاز مشروع ذو فائدة مشتركة، أو تدير مرفق ذو فائدة عامة، أسلوبا بالغ الأهمية، حيث يسمح بتحقيق منجزات لا تستطيع الضواحي المراكشية إنجازها بمفردها، وذلك في إطار تعاون داخلي يهدف إلى توافق المصالح بين الضواحي المجاورة، ويعتبر هذا التعاون وسيلة مكملة للتدخل الجماعي في التنمية المحلية، ويعد أداة تعبر عن فكرة التضامن الجماعي، وذلك بتحقيق نوع من التضامن والتوازن بين الجماعات الفقيرة ونظيرتها الغنية على مستوى نقص بعض التجهيزات المشتركة، ويتوخى منه بناء مجال ترابي يحظى برؤية موحدة، خاصة على مستوى توزيع شبكة الكهرباء والماء الصالح للشرب، والنقل ومد الطرق وتعبيدها، ثم تدير النفايات الصلبة والسائلة.

### 3.3 برامج البعد التنموي المراهن على تحقيقها في الواقع الترابي الضاحوي المراكشي

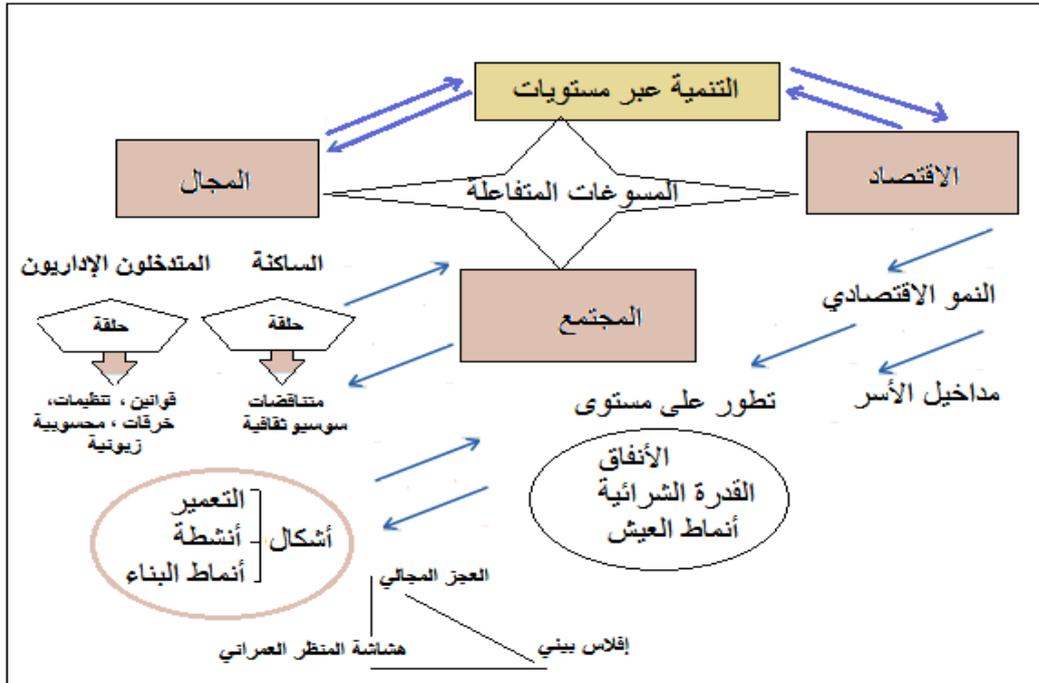
إن المشاريع والبرامج بمدينة مراكش تعد ترجمة فعلية وعملية للتنمية المجالية التي تستمد أهدافها ومرتكزاتها الأساسية من التنمية المستدامة، فهي بذلك عبارة عن استراتيجية تقوم على أساس تصحيح الواقع الحالي لضمان أهمية متزايدة في مجال التنمية المجالية لمراكش وضواحيها<sup>27</sup>، من أجل ترسيخ جيل جديد من البرامج والمشاريع التنموية التي تستجيب لحاجياتها وتنميتها وإدماجها ضمن دينامية شاملة على المستويات المجالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

إن أغلب البرامج التنموية المقترحة من الأعلى والتي نفذت أو المرتقب تنفيذها بالمنطقة ثبت قصورها أو عدم جدواها إن صح القول، ذلك أن تغييب العلاقات الحاصلة على مستوى التفاعلات بين ما هو اجتماعي واقتصادي داخل مجال معين، يسفر عن فشل وخلل في نتائج التنمية المتوخاة. سواء تعلق

<sup>27</sup>المهداوي للانجاة (2020)، مكانة الإعداد والتهيئة المجالية في تنمية المدن المغربية "نموذج مدينة مراكش"، مجلة المجال والتنمية "التراث والسياحة أي دور في التنمية المستدامة"، العدد الخامس، الصفحة 173.

الأمر بمحاربة الفقر والهشاشة الاجتماعية أو المحافظة على الموارد الطبيعية والتوازنات البيئية أو التنمية المستدامة، لذا أوجب الأخذ بعين الاعتبار جميع المسوغات المتفاعلة، كالأستثمار في العنصر البشري وإدماجه بشكل أنجع في العلاقة القائمة بين تطور المجال وخلق التنمية بكل أبعادها. ومن خلال الخطاطة الموالية نحاول الإحاطة بجوانب هذا النقاش:

### خطاطة 3: علاقات التنمية بالتطور السوسيو-مجالى بالمجالات الضاحوية



المصدر: المهداوي للانجاة (2018)، التطورات المجالية والسوسيواقتصادية بالحوز الأوسط حالة الجماعات الضاحوية لغرب مراكش: سعادة السويهلة الأودية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش، ص 166.

تجدد الإشارة في هذا المستوى أن هناك وجود لإكراه حقيقي يحول عقبة أمام التفاعلات الحاصلة بين التنمية كغاية وبين المقومات السوسيو مجالية كوسيلة بالمجال الضاحوي المدروس، وهو كون أن الدولة تحتفظ لنفسها بدور المراقب، والمؤطر والمحافظ على المصالح الاقتصادية للوبي العقاري بطريقة أو بأخرى، سيما وأن هذا الأخير يخشى اللجوء إلى التخطيط والتدبير المعقلن للمجال في إطار من الحكامة الجيدة، حكمة تجمع ما بين التنظيم والتخطيط للمجال في إطار رؤية مندمجة تأخذ في الحسبان الحفاظ على العقار من الخروقات التي يعرفها.

وإن ما يبرر إرتكان الدولة إلى هذا التوجه وغض الطرف عن التجاوزات التي تقترب في حق المجال، هو أن هذا الأخير شكل، ويشكل منذ الاستقلال رهانا ما بين مختلف الأطراف المتصارعة حول السلطة السياسية بالبلاد. لأن المجالات التي تنشأ وتبنى بشكل فوضوي، فهي تعتبر "خزان" أصوات للمنتخبين بالنسبة للبعض. ومجال حيوي لنشر سلوكيات وأفكار التطرف بالنسبة للبعض الآخر. ولهذا وجب توخي الحذر قبل أن تنفلت الرقابة على المجال الضاحوي للمدينة ويصبح بين يدي لوبي مصلي، غايته الربح السريع والعبث واستغلال الثغرات الموجودة ضمن نصوص قانون التعمير.

وتبقى المراكز الفلكية فارغة من روحها الاقتصادية التي يمكن أن تجعل منها ذاك الوسيط الذي يتوفر على مؤهلات اقتصادية واجتماعية كفيلة بالتخفيف عن الميتروبول الجهوي، سواء تعلق الأمر بالتجهيزات السوسيوثقافية أو السوسيواقتصادية، وليس مجالا يتم اللجوء إليه لاستغلال ثرواته الطبيعية من عقار وماء، استجابة للخصائص الذي تعاني من مدينة مراكش ليس إلا.

كما أن تمويل البرامج التنموية يعكس الأهمية القصوى التي تكتسيها وسائل تمويل المجالات الضاحوية المراكشية بالحوز للنهوض بمسؤولياتها، وأن التوفر على الامكانيات المالية اللازمة يمكن أن تجعل منها فاعلا اقتصاديا أساسيا لتطوير الاقتصاد المحلي. مما يجعلها رافعة للتنمية الاقتصادية والبشرية المندمجة والمستدامة، بغية الحد من الفوارق، وصيانة كرامة المواطنين، والنهوض بدينامية النمو، وبتوزيع منصف لثماره. وبالتالي فإن هذا يقتضي ضرورة استكمال المراسيم التطبيقية للقوانين التنظيمية، وتعميم الدوريات التفسيرية والدلائل التوجيهية التي همت المجالات القانونية والمالية والتقنية للجهات والجماعات الترابية بالضواحي المراكشية، وكذا آليات إعداد برامجها التنموية، حيث يتظافر جهود كل المتدخلين من فاعلين اقتصاديين وإعلام كل من مجال تدخلهم، وأن الرهان على البعد التنموي يكمن في رفع تحدي التنمية الشاملة وتحديث البنية المؤسساتية عبر وضع استراتيجيات وبرامج ملائمة لمعالجة الاختلالات والفوارق المجالية والاجتماعية، لتحقيق التنمية في الضواحي المراكشية بالحوز لما تتوفر عليه من إمكانيات و ثروات يتوجب معرفة خصوصياتها<sup>28</sup>.

وعليه فلم يعد اختيارا يمكن القيام به أو الاستغناء عنه بل هو توجه حتمي وضرورة لرفع كل التحديات التي تواجهها الضواحي المراكشية في الألفية الثالثة، حيث أن البرامج تحتاج إلى مواكبة إعلامية تلقي عليه الأضواء اللازمة باحترافية وموضوعية وبدون رهانات ذاتية. من خلال برامج التنمية بمراكش وعوائق وإكراهات تفعيل السياسات العمومية الترابية بالمجالات الضاحوية.

## خاتمة

تأسيسا على ما سبق، فإن تطرقنا لمفاهيم أساسية متعلقة بموضوع مقالنا في البداية كمفهوم الدينامية المجالية، والتي اعتبرناها مجموع التغيرات التي تحدث بمجال معين، وهذا مرده إلى أن المجال عبارة عن ذاكرة تحتفظ وتسجل مختلف أنواع الديناميات. والجدير بالذكر، أن تنزيل المقاربات التنموية في أحسن الظروف يقتضي إشراك الساكنة المحلية بالضواحي المراكشية بالحوز قصد بلورة وتنفيذ المشاريع والبرامج المسطرة، مما سيسهم في تحقيق الرهان المنتظر، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يستدعي تحفيز مختلف الفاعلين بقدرات مؤسساتية، عبر مد جسور التشاور وتشجيع بنيات الشراكة والتفاعل بين مختلف المتدخلين، إضافة إلى تشجيع التعاون البيضاوي كوسيلة جديدة لتحقيق الأهداف المشتركة بين مختلف الضواحي المراكشية، وذلك لأن من شأن هذه المقاربة أن تمكن من توسيعي هامش التدخل ليشمل مستويات أكبر وتجاوز الحدود الإدارية للمجالات الترابية وذلك بوضع الضواحي المراكشية في إطارها المحلي بغية بلوغ تنمية تنطلق من الخصوصيات المحلية دون المساس بالتوازنات المجالية البيئية.

ومن بين أهم استنتاجاتنا في هذا المقال، أن ما عرفه المجال قيد البحث من مسلسل الدينامية المجالية أدى إلى تراجع أشكال للتوازنات المجالية، الشيء الذي أفرز بدوره مجموعة من الديناميات، والتي

<sup>28</sup>-المهداوي للانجاة (2018)، مرجع سابق، ص281.

جاءت عبر ظرف كرونولوجي تراكمي أفرزه تطور دام عدة عقود، إذ أصبح المجال الضاحوي المراكشي اليوم في أمس الحاجة إلى ساكنته لكي يعيد التوازن إليها، وهذا يفرض العمل على تسخير الطاقات المحلية عبر القيام بحملات تحسيسية وتوعية الساكنة بالهشاشة والعطوبية المحدقة بالضواحي المراكشية. والتي تتعزز من خلال تأهيل الاقتصاد المحلي وتنويع بنيات الإنتاج، وذلك وفق تدخلات تراعي الحفاظ على المجالات الضاحوية بالحوز من الاختلالات واللاتوازنات. أضف إلى هذا المعطى أن الواقع المجالي بضواحي مراكش، يشكل رهانا حقيقيا أمام الفاعلين والذي يستوجب الانطلاق من مشاكل المجال وانتظاراته ومن تم تحديد طبيعة التدخل، وقد أصبح هذا الواقع يفرض تعبئة كافة المتدخلين.

عموما يمكن القول بأن تحقيق التنمية المستدامة يحتاج إلى تغيرات جوهرية في الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية على الخصوص، لكن مثل هذا التغيير لا يمكن أن يتم من خلال السلطات الحاكمة، بل من خلال التنظيمات الشعبية والاجتماعية الذاتية، والتعاون بين القطاعات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وممارسة الديمقراطية الاقتصادية، ومن خلال مقارنة تشاورية تشارك فيها كل فئات وقطاعات المجتمع، من أجل خدمة الأجيال الحالية والمحافظة على مصالح الأجيال القادمة.

## قائمة المراجع

- أيت حسو محمد (2012)، الدينامية المجالية واستراتيجية التنمية المندمجة: حوض اسيف إمكون نموذجاً، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش، مجلة الماء ورهان التنمية، العدد 6.
- أحدو عبد الحميد، (2011)، التنمية المحلية بواحة مزكيطة بين دينامية الفاعلين وانتظارات الساكنة المحلية، بحث الماستر، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، جامعة القاضي عياض.
- الأكل الماختر (2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- الفراجي علي جاسم حمود كناصر، (2021)، مفهوم للتنمية المستدامة بمنظور جغرافي، على الرابط: <https://almerja.net/reading.php?>
- المهداوي للانجاة (2018)، التطورات المجالية والسوسيواقتصادية بالحوز الأوسط حالة الجماعات الضاحوية لغرب مراكش: سعادة السويهلة الأودية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش.
- المهداوي للانجاة (2020)، استراتيجيات تدخل الفاعلين في خلق التنمية الترابية نموذج جنوب مدينة مراكش، مجلة المجال والتنمية "الفاعل المحلي والتنمية الترابية"، العدد السادس.
- المهداوي للانجاة (2020)، مكانة الإعداد والتهيئة المجالية في تنمية المدن المغربية: نموذج مدينة مراكش، مجلة المجال والتنمية التراث والسياحة أي دور في التنمية المستدامة، العدد الخامس.
- تيازي طاهر أسماء (2010)، نظرية الفوضى وتوليد الشكل المعماري، مجلة الهندسة، العدد 1، المجلد 16، الجزائر.
- تقرير بورتلاند الذي نشرته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية سنة 1987،

- رابطة الدين محمد (2008)، في سبيل وضع خريطة توطين وتوزيع مواقع مراكز الاستقرار خارج محيط مراكش في العصر الوسيط، سلسلة أعمال مجموعة البحث في التدبير الجهوي والتنمية السياحية، دراسات مجالية 2، المجال الضاحوي لمدينة مراكش، الطبعة الأولى.
- عبدالغفار عبدالله يوسف، مفهوم التنمية المستدامة، <https://www.regionalcsr.com>.
- كلود كبان (1984)، تنسيق قاموس الجغرافية البشرية والاقتصادية، دالوز باريس.
- موقع قسم الهندسة المعمارية جامعة التكنولوجيا بغداد، [www.iasj.ias](http://www.iasj.ias)
- نبيل لحسن (2000)، الدينامية مفاهيمها، أصنافها، ودورها في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية تطوان.
- وكالة الحوض المائي بمراكش قسم الإعلام والتوثيق، 2021.
- Bassand Michel (2001), Anne compagnon, Dominique joye, Veronique Sten, Peter Guller, vivre et créer l'espace public PPUR presses polytechniques.
- Brunet Robert Ferras-Hervé Thery (1993), les mots de la géographie, dictionnaire critique, troisième édition revue et augmentée, collection dynamique du Territoire, RECLUS, la documentation Française, Paris.
- Elfaiz Mohamed (2002), Marrakech patrimoine en péril, actes sud, eddif.
- Fowke R and Prasad D (1996), Sustainable development, cities and local government. AustralianPlanner.
- Fenelon Pierre (1970), Vocabulaire de géographie agraire, Pub. Fac des Lettres et des Sciences Humaines, Tours.
- George Pierre (1984), dictionnaire de la géographie, 3ème édition, revue et augmentée, Presse universitaire de France.
- George Pierre (1950), Etudes sur la banlieue de Paris, Essai méthodologique, Paris, Collin.
- George Pierre (1982), in la banlieue aujourd'hui, Colloque l'harmattan, Paris.
- Merlin Pierre et Choay Françoise (1988), Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, Presse Universitaire de France, Paris.
- Sarda Abdelkrim (1983) , la tutelle agricole de Marrakech sur le Haouz central, étude géographique, de doctorat de 3ème cycle, Université d'aix-Marseille II, Tome 1.

## التحولات الاجتماعية بالأطلس الكبير بين السلطة القايديّة والدينامية الجموعية: حالة تزارت كلاوة

د. رضوان ايت اعزى

كلية الاداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس- الرباط

### ملخص

تنطلق هذه المقالة من أطروحة أساسية مفادها أن المجتمع المغربي قد عرف مجموعة من التحولات مست مختلف أوجه الحياة السوسيوثقافية والمجالية، وبما أن العوامل المفسرة لهذه التحولات ومساراتها وآلياتها تتباين من منطقة إلى أخرى، فإن العامل الأساسي للمفسر- للتحولات التي عرفها المجال التزاري للأطلس الكبير تعود إلى آل الكلاوي الذين بصموا ماضي المنطقة وحاضرها. وبما أن مظاهر هذا التحول متعددة ومتنوعة فإن أهمها تلاشي التنظيمات التقليدية وبروز جمعيات المجتمع المدني.

وللتحقق من هذه الفكرة، كان ضروريا العودة إلى تاريخ المجال والإنسان لاستكشافه وإعادة بنائه باستحضار العوامل والسياقات التي نشأ فيها والتغيرات التي لحقت، خصوصا عندما يتعلق الأمر بمجال جغرافي حديث النشأة. وفق مقارنة أنثروبولوجيا منفتحة على المدرسين الجغرافي والتاريخي.

**الكلمات المفتاحية:** التحولات الاجتماعية، الأطلس الكبير، السلطة القايديّة، الدينامية الجموعية، تزارت كلاوة.

### Abstract

This article starts from a basic thesis that Moroccan society has known a set transformation that affected various aspects, namely; social, cultural and spatial aspects. And since these factors explaining these transformations, their paths and also their mechanisms vary from one region to another, the main factor explaining these transformations the domain of the High Atlas has known, It belongs to the family of Al-Glaoui who stamped the region's past and present. Since the manifestations of these transformations are many and varied, the most Important of which is the fading of traditional organizations and emergence of civil society associations.

To verify this idea, it was necessary to go back to this history of the field and man to explore and rebuild it by recalling the factors and contexts in which it arose and the changes that followed it, especially when it comes to a newly emerging geographical field. According to anthropological approach open to the geographical and historical lessons

**Keywords** (Social-Transformations, High-Atlas, Associative-Dynamics, Tazarte-Glaoua)

## مقدمة

لا شك أن محاولة اكتشاف الإنسان والمجال وتحديد الأسس الرمزية والمادية لتزارت-كلاوة، يستوجب بدء البحث في تاريخ تزارت. فقراءة تاريخ المجال ليست مجرد ضرورة منهجية تفرضها المقاربة المونوغرافية، إنما هي فعل مؤسس لقراءات أخرى لشكل وجوهر العلاقات الاجتماعية والبنىات السوسيو-سياسية والثقافية التي أنتجها الانتماء المشترك لهذا المجال. مما يستوجب ضرورة الرجوع إلى أخبار المؤرخين والجغرافيين.

يرتبط البحث في التحولات الاجتماعية، بالضرورة، بتاريخ القبيلة وعلاقتها مع المخزن والزوايا وباقي القبائل الأخرى؛ وأساسا بعلاقتها بالمجال/الأرض. فالمجال المدروس مكتسب حديثا، وهو يؤرخ للمرحلة الحديثة من تاريخ المغرب (القاعدية). كما أنه أحدث ارتدادات واهتزازات على مختلف القبائل المجاورة. إنه مجال مبصوم برهانات وصراعات وتنافس مستمرة بين السلطة المخزنية والقبائل المجاورة. ما تزال تجلياتها وآثارها بادية ومستمرة إلى اليوم.

تروم هذه الورقة البحث في التقاطعات بين السلطة القاعدية والدينامية الجموعية، على مستوى تزارت-قبيلة كلاوة (إقليم الحوز)، في أفق فهم وتفسير التحولات التي مست البنات الاجتماعية ومجالات اشتغالها، ومنها نشأة الجمعيات المدنية التي يعد تدير المجال وامتلاكه ركنا أساسيا في إنتاجها واشتغالها.

ولما كان البحث في التحولات الاجتماعية رسم لنفسه مجالا محددا، فقد كان لزاما علينا البحث في جغرافية المجال التزاري (حوز مراكش)، عبر العمل على توطين منطقة البحث ورسم معالمها الجغرافية وحدودها، وهو ما يفرض التساؤل حول ماهية تزارت كلاوة؟ أي ما هي حدودها الجغرافية؟ ومن أي منظور يمكن رسم معالمها؟

إذا كانت الجمعيات المدنية مظهرا من مظاهر التحديث و"الحدثة"؛ فإنها كذلك مدخل أساسي لورش التنمية وفضاء عقليا يمكن أفراد المجتمع -باعتبارهم مواطنين وأفرادا مستقلين- من تنظيم جهودهم وتأطيرها بشكل قانوني تعاقدية وعقلانية، قصد بلوغ أهدافهم؛ إن على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الحقوقي والثقافي... وكل مناحي الحياة الاجتماعية الأخرى<sup>1</sup>.

هذا فضلا عن كون ميلاد وانتشار الجمعيات المدنية يدعونا إلى ضرورة استحضار القبيلة والعشيرة والعائلة بوصفها بنات اجتماعية تقليدية. بغية فهم واستيعاب التحول أو الانتقال الذي هم البنات الاجتماعية للمجتمع المغربي. وكيف استطاع المجتمع التفاعل مع هذا الشكل الجديد من التنظيم؟ وإلى أي حد استطاع القطع مع ثقافة القبيلة وتبني ثقافة المجتمع المدني؟ وقبل هذا وذاك، كيف يمكن تفسير الانتقال من التنظيمات التقليدية القبلية نحو المنظمات غير الحكومية، أو الجمعيات المدنية؟ هل لطبيعة المجتمع وخصوصياته التاريخية أو تركيبته الاجتماعية مثلا دور في تسريع وتيسير عملية الانتقال هذا

<sup>1</sup>-بلغ عدد الجمعيات النشيطة سنة 2016 في المغرب 130 ألف جمعية، حسب التقرير الحكومي السنوي حول الشراكة بين الدولة وجمعيات ومنظمات المجتمع المدني بالرباط. عن موقع البوابة الوطنية <http://www.maroc.ma/ar> (10 فبراير 2017)

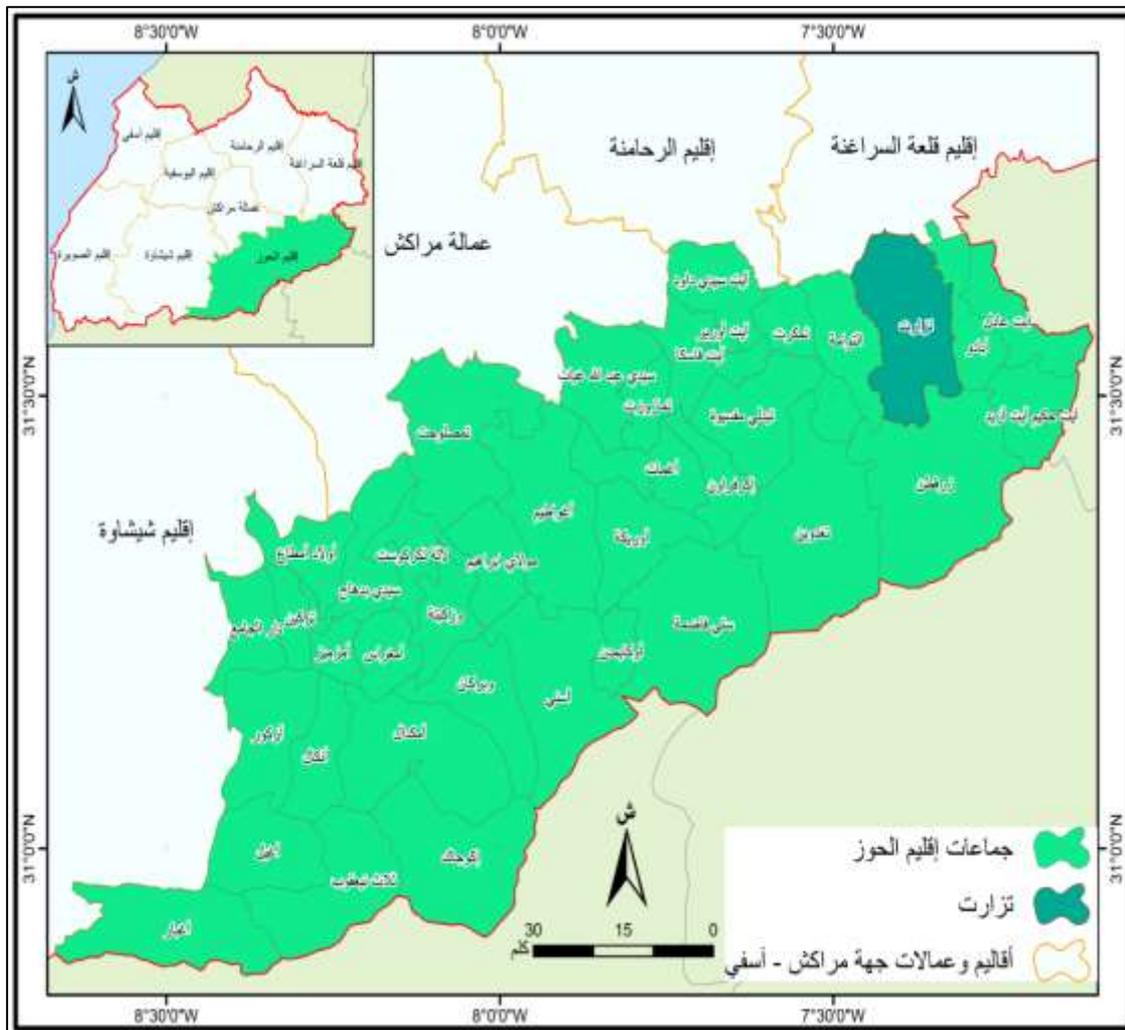
## 1. تزارت كلاوة من حوز مراكش إلى إقليم الحوز

إذا كان البحث في الحدود؛ بتعبير رومان زيمينل، عملا تأسيسيا، لأن رسم الحدود يرقى إلى إعطاء منظور تاريخي للمجال، وبالتالي إلى ذاكرة المجموعة<sup>1</sup> ليس البحث في الحدود بالعمل السهل، كما قد يبدو من أول وهلة، ذلك أن الباحث يصطدم -من جهة- بتباين مداخل هذا التحديد، قبلي/ إداري، في الماضي ام في الحاضر، ومن جهة أخرى بالتجاذبات والصراعات التاريخية... وهو ما يفرض على الباحث الحرص أكثر على الموضوعية وتنويع مصادر المعرفة.

### 1.1. تزارت كلاوة التوطين الإداري

سعت الدولة المغربية بعيد الاستقلال إلى اعتماد تقسيم إداري يمكنها من ضبط المجال والسكان الذين يعيشون فوقه. هكذا عملت على تقسيم مجال قبيلة "كلاوة" بين إقليمي: مراكش وإقليم ورزازات، اللذين ينتميان على التوالي إلى جهتي: مراكش أسفي وجهة درعة تافيلالت.

#### الخريطة 1: توطين منطقة البحث جماعة تزارت الترابية



المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على مونتوغرافيا تزارت (2018)

<sup>1</sup>-Romain Simenel, L'origine est aux frontières, Les Ait Ba'amran, un exil en terre d'arganiers (Sud Maroc) Paris, Éditions CNRS et Éditions de la Maison des sciences de l'homme, coll. « Chemins de l'ethnologie » 2010 p 22.

وكما توضح الخريطة (1) تنتمي جماعة تزارت<sup>1</sup> إداريا إلى دائرة التوامة إقليم الحوز وتحدها:

- ❖ شمالا: جماعة زمران، إقليم قلعة السراغنة؛
- ❖ جنوبا: جماعة زرقطن؛
- ❖ شرقا: جماعة أبادو؛
- ❖ غربا: جماعة التوامة/ وبلدية سيدي رحال.

## 2.1 معاصر القبائل في الحاجة إلى القبيلة أفقا للتفكير

تنتمي قبيلة كلاوة جغرافيا إلى الأطلس الكبير؛ أطلس مراكش كما يسميه بعض الباحثين خصوصا الجغرافيين منهم،<sup>2</sup> علما أن أول تقسيم للأطلس هو الذي خلفه الرحالة الفرنسي **شارل دو فوكو** حيث قال: "بأن الأطلس المغربي يتألف من ثلاث سلاسل متوازية"، وهي الأطلس الكبير والأطلس الصغير جنوب هذا الأخير ثم الأطلس المتوسط شماله. وهي أسماء مستمدة من اللغة اللاتينية حسب -شارل دوفوك- مع العلم أن هذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم الذي لمسه بعض المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال البكري وابن سعيد. إلا لكونه ينبنى على معيار الارتفاع من جهة وبأنه لا يزال قائما إلى الآن، كما هو معروف<sup>3</sup>.

تحققت في هذا الجزء من الأطلس الكبير أفضل الظروف ليكون جبل اعتصام سكان مستقرين وما زال النشاط الفلاحي يحتل فيه الأولوية، سواء من حيث التشغيل أو العائدات، وينتمي سكانه إلى قبائل مصمودية، وتنظم حياتهم بالأودية وأحواضها، وهي التي تحدد الانتماءات القبلية فنجد قبائل كدميو في وادي أسيف المال وأنكال، وكندافة ب: واد نفيس وغيغاية بأوريكا، وكلاوة في حوض اغدات<sup>4</sup>.

يقول خالد الناصري في كتابه "الاستقصا": "اعلم أن أرض إفريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الأيام السابقة، لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام، وإنما كان المغرب وطنا لأمة البربر خاصة لا يشاركونهم فيه غيرهم<sup>5</sup>."

في السابق كان الحوز ممتدا من تامسنا إلى مراكش، أما اليوم فهذا المفهوم يطلق على ما بين النهرين "أم الربيع وتانسيفت"، فالحوز عرف في تاريخه دينامية بشرية ومجالية في الآن ذاته. فلم تكن حدوده ولا قبائله متحركة كليا في شروط الامتلاك والاستئراض، بقدر ما تحكمت الشروط التاريخية في تحديد حال الانتماء ومآله والاشتغال في المجال<sup>6</sup>.

لم يعرف الحوز استقرارا طويلا، فالسلطة المركزية كانت تعمل من حين إلى آخر على توطين القبائل وإجلالها، تبعا لمحددات القوة والضعف. لقد كان الحوز في تاريخه محكوما برهانات الضبط والاحتواء<sup>7</sup>. وبحكم الموقع الاستراتيجي لقبيلة كلاوة بين شمال المغرب وجنوبه، فقد خضعت في جغرافيتها للتحولات السياسية التي عاشها المغرب.

<sup>1</sup>-تزارت" نشير باللفظ أحيانا إلى المجال الترابي الخاص بالجماعة الترابية تزارت وأحيانا أخرى نعني به المجال الترابي في الدوار، وذلك حسب سياق الحديث.

<sup>2</sup>-نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر: حسن بوبكر اوي وحسن المباركي، تطور الخطاب عن أطلس مراكش، مؤلف جماعي: "المجالات الجبلية والتنمية المستدامة نموذج أطلس مراكش"، دراسات مجالية عدد 3، الطبعة، دجنبر 2008.

<sup>3</sup>-احمد بلاوي، معلمة المغرب، الجزء الثاني، ص، 495.

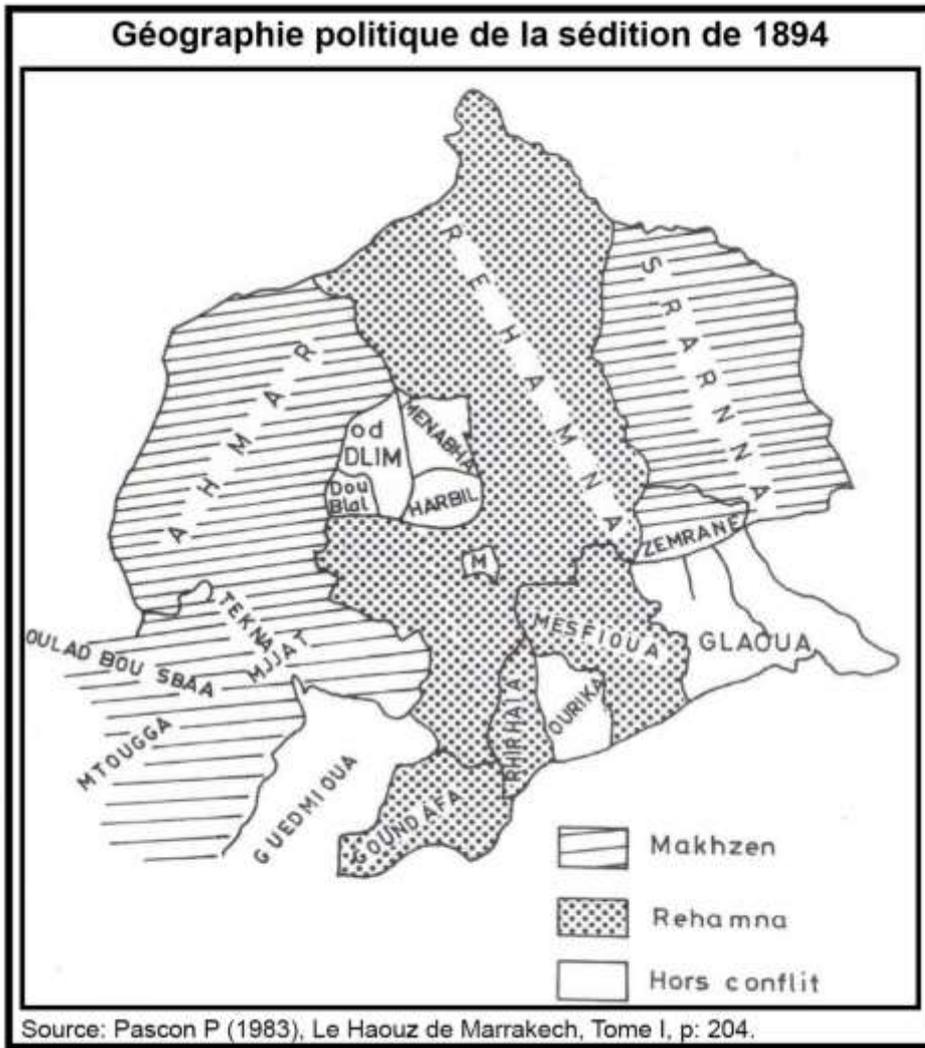
<sup>4</sup>-أحمد هوزالي، معلمة المغرب، الجزء الثاني، ص 497. (بتصرف)

<sup>5</sup>-احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وآخرون، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الطبعة الأولى، الرباط (الجزء الثالث)، 1998، ص 123.

<sup>6</sup>-عبد الرحيم العطري، الرحامنة: القبيلة بين الزاوية والمخزن، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط، 2013، ص 55.

<sup>7</sup>-عبد الرحيم العطري، المرجع نفسه، ص 56.

الخريطة 2: الخريطة السياسية لجزء من الحوز سنة 1894



بالعودة إلى الخريطة (2) يظهر أن قبيلة كلاوة إلى جانب قبيلتي اغجدامة وتكانة -اللتين تحداها على التوالي شرقا وغربا- كانت خارج الصراعات السياسية بينما تحدهم شمالا قبيلة زمران التي تدخل ضمن أراضي المخزن. كما أن الحدود بين القبائل غير دقيقة، خاصة عندما يتعلق الأمر بقبائل متعارضة من ناحية الاصطفاف السياسي.

فالمجال لم يتحدد بصفة نهائية إلا بعد دخول المستعمر الفرنسي الذي عمل على الحد من التحركات القبلية، مستبدلا الأساس القبليّ بآخر ترايبيّ متحكّم في حدوده الجغرافية.<sup>8</sup>

لم يحدث الاستقرار النهائيّ إلا مع بداية القرن العشرين وهو ما يعني أن تأسيس حدود المجال ظل مفتوحا دوما على الشروط السوسيو-سياسية التي كانت تطبع علاقة القبيلة بالمخزن أو القبائل والحواسر المجاورة في شكل أحلاف ومصالح وتبادلات. وبذلك يمكن أن نقول إن كلاوة بعدما تحالفت مع المخزن ستمكن من التوسع على حساب القبائل المجاورة وخاصة قبيلة زمران.

<sup>8</sup>-عبد الرحيم العطري، المرجع نفسه، ص 59.

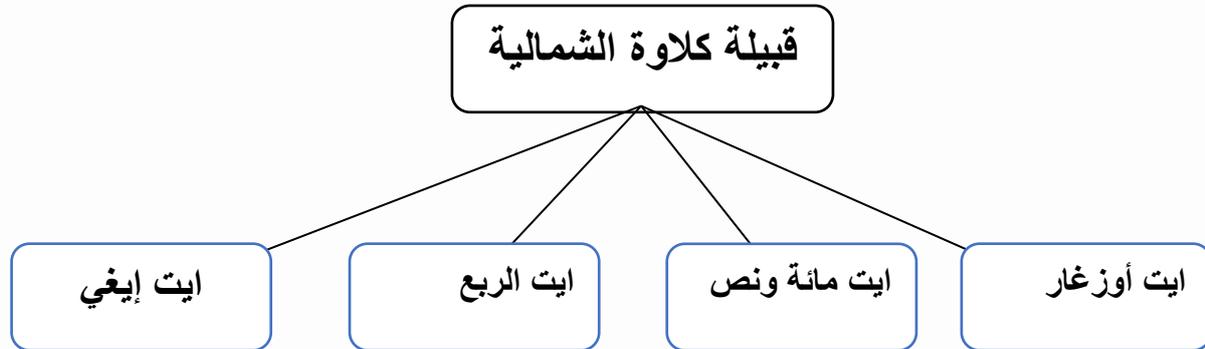
جدول رقم 1: توزيع القبائل حسب مناطق الحوز ونواحيه

القبائل	المنطقة
الكيش- أوريكة - غيغاية - سكتانة - الرحامنة	مراكش
السرراغنة - زمران - تاملاّت	القلعة
كدميوّة - أولاد امطاع - وزكيتة - كندافة	أمزميز
متوگّة - مزوضّة - هنتيفّة - دوران - دمسيرة - سكساوّة	ايميتانوت
أولاد بوسّبع - شيشاوّة - مجّاط - فروكة - العرب	شيشاوّة
مسفيوّة - تگانة - غجدامة- كلاوّة	أيت أورير
ولتانة - فطواكة	دمنات

المصدر: العطري عبد الرحيم 2013

يضم الحوز فسيفساء قبليا يشمل 28 قبيلة تتوزع اليوم على (7) سبعة أقاليم ترابية، تنتمي قبيلة كلاوة إلى منطقة ايت أورير قبل شطرها إلى نصفين القسم الجنوبي أو ما يسمى كلاوة الجنوبية التابع إداريا لإقليم ورززات والقسم الجنوبي المسمى ب: كلاوة الشمالية التابعة، إداريا لإقليم الحوز دائرة التوامة.

رسم بياني: فرق (عشائر) قبيلة كلاوة<sup>9</sup>



إن قبيلة كلاوة "الشمالية" وفق هذا التوزيع تضم أربع فرق، فإذا كانت فرق ايت مائة ونصف وايت الربع وايت إيغي تستوطن الجبل. فإن فرقة ايت أوزغار،<sup>10</sup> التي تضم قرية تزارت، وتتمركز ضمن قدم الجبل والسهل معا. إن ما يميز قبيلة كلاوة وتحديدًا فرقة ايت أوزغار هو احتضانها ساكنة متعددة الانتماءات والانحدارات، بسبب ما عرفته من ترحال واستقرار أفضيا إلى نشأة قبيلة مكونة من عشائر مختلفة الأصول، ففضلا عن المكون الأمازيغي لقبيلة كلاوة (إكليوا) يوجد العربي المجاور لمجال القبيلة وبالخصوص زمران، ثم اثنيات أخرى قادمة من مختلف قبائل الجنوب ازناكة واغجدامة وتكانة...، "فالقبيلة ليست نسقا مغلقا، بل هي مجال مفتوح من خلال التوسع والانتقال والاندماج والتجميع"<sup>11</sup>، إن واقع القبيلة يفند تماما فرضية الجد المشترك، أو الأصل البيولوجي. فقد سادت بين السكان عبارة مشهورة "معاشر القبائل" وهو مصطلح يفيد أن الساكنة لا تنحدر أصولها من القبيلة نفسها أو من الجذر القبلي نفسه، وإنما هي مزيج من الإثنيات

<sup>9</sup>رضوان أيت عزي، مسارات وآليات التحولات الاجتماعية بالأطلس الكبير، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط- أكادال، 2021.

<sup>10</sup>مصطلح أزغار يعني السهل أو الأراضي المنبسطة ويقابله مصطلح أدرار الذي يحيل على الجبل، هكذا نجد السكان يقولون: ايت أدرار وايت ازغار لتمييز سكان الجبل وسكان السهول.

<sup>11</sup>عمر إيبوركي، الظاهرة القاعدية بالمغرب: القابض العيادي نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب الرباط، 2010، ص 111.

ومن القبائل. إننا إذن بصدد مجتمع متنوع ومتعدد ومزيج وهو ما يعطي المشروعية للتساؤل حول: ما الذي يفسر التعدد الإثني الذي يميّز القبيلة (كلاوة)؟



إن القبيلة بالمغرب تشكل جمعية سياسية بين قسّمات مبنية على ضرورات اجتماعية واقتصادية وجغرافية، أي علاقات الإنسان بالأرض والطاقة البشرية والثروة الطبيعية لفضاء ما، هذه الجمعية قد تكون رابطة مؤقتة بهدف استغلال مرعى ما أو لعقد اتفاق لحسن الجوار مثلا<sup>12</sup> يعرف رجال بوبريك القبيلة بأنها: "مجموعة بشرية مكونة من قسّمات ومجموعات اجتماعية يجمع بينها رابط القرابة الدموية (حقيقيا كان أو وهميا)، وتحتل مجالا ترابيا تمارس عليه سلطتها وتدافع عنه، مع خضوعها لقيم وتمثلات ومبادئ مشتركة"<sup>13</sup>

إن مجال القبيلة هو ما يمنح أفرادها الوجود والانتماء، وهو ما يؤسس للبدء والاستمرار؛ الشيء الذي يجعل تنميته وتحصينه استراتيجية فعالة وضرورية لإعلان الحضور وتجديره، خصوصا عندما تبصم

<sup>12</sup>-مهّدان امحمد (2017)، السوسيوولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا، طباعة ونشر سوس، الطبعة الثانية، ص 109.

<sup>13</sup>-محمد القادري، مجتمع الصحراء سيرورة وتحولات، قراءة في كتابات رجال بوبريك، هيسبريس تمودا، العدد 2012، ص 31.

الهشاشة علاقات الجوار القبلي<sup>14</sup>، ذلك هو حال قبيلة كلاوة (جلاوة أو إكليوا)، فإننا نقصد تلك المجموعة البشرية التي تجمع بين فرقها ودواويرها روابط اجتماعية، وتقتسم المجال الترابي نفسه الذي تمارس عليه سلطتها وتدافع عنه وتتحصن به في بناء هويتها المتميزة عن القبائل الأخرى.

كما أن موقع قبيلة كلاوة الجغرافي، كما تظهر الخريطة (3) يضعها بين مراكش وجنوب المغرب، جعلها معبراً للقوافل التجارية والمحلات السلطانية القادمة من فاس والمتوجهة إلى الجنوب المغربي، بالإضافة إلى كونها محاطة بقبائل: زمران، غجدامة، مسفيوة، تكانة...، وعلى الرغم من أن الخريطة السياسية للحوز سنة 1894 (خريطة 2) تؤكد أن قبيلة كلاوة إلى جانب قبيلتي توكانة واغجدامة هي خارج الصراعات السياسية في هذه المرحلة. فإن موقعها الجغرافي، جعلها مكوناً أساسياً في معادلة الاستقرار والتوازنات السياسية والاقتصادية.

تحتل قبيلة كلاوة موقعا استراتيجيا في حوز مراكش، فهي تراقب طرقا مهمة مثل الطريق التي تربط مراكش بالجنوب المغربي، ويعطيها مكانة متميزة أهلتها لتلعب أدوارا كبيرة إن على المستوى السياسي والعسكري أو على المستوى السوسيو-اقتصادي.

بالرجوع إلى تاريخ القبيلة الاجتماعي، يبدو صعبا تحديد مجالها الترابي بدقة متناهية، إنه مجال متغير يضيق ويتسع، ترتحل أو ترحل مكوناته<sup>15</sup>، خصوصا في ظل الأحداث المرتبطة بحكم ال الكلاوي المزوارين خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. مما يطرح الأسئلة حول سبل الاستقرار النهائي بالحوز؟ وما هي نتائج هذا الاستقرار بالنسبة إلى الإنسان والمجال الكلاوي التازارتي؟ كما نتساءل عمّن هم حكام كلاوة؟ أي عمّن هم المزواريون والكلاويون؟ وما علاقتهم بالقبيلة؟

## 2. تزارت في ظل حكم آل الكلاوي المزوارين

شهد الجنوب المغربي وخاصة الأطلس الكبير، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تشكل عائلات كبيرة كان لها نفوذ قوي حتى مرحلة الاستقلال؛ عائلات ربما انطلقت من الفراغ، بل الأغرب من ذلك أنها كانت "مهمشة" وغريبة عن القبائل التي حكمتها بالحديد والنار وسيطرت عليها بالعنف والاستعباد، لتصل في النهاية إلى أعلى مراحل السلطة والشهرة والثروة والنفوذ، منها عائلة المزوارين الكلاوي التي انطلقت من "مزوار<sup>16</sup>" إلى "أمغار" ثم إلى قائد.

كما أن البحث في نسب هذه العائلة ينتابه إبهام والتباس، فقد ذهب بعضهم -حسب بول باسكون- إلى أن أصل الكلاويين يرجع إلى الفخذ "تيكمي ن إمزوارن" من قبيلة فطواكة في منطقة تاساوت.<sup>17</sup>

إن قبيلة كلاوة في الأصل هي تجمعات مستقرة تعيش في نوع من القرى التي تشترك فيها جميع البلاد "الشلوح" بأطلس مراكش، يقال عنها "عش النحل"<sup>18</sup> في بداية القرن التاسع عشر (19) كانت قبيلة كلاوة، كما هو الحال بالنسبة إلى قبائل: اغجدامة وفطواكة وزمران والسرغنة، تحت سلطة وسيادة قائد عربي عادي هو الهاشمي الزمراني<sup>19</sup>. تهيمن على طبقة من مدرجات المحاصيل التي تحدها أشجار الجوز،

<sup>14</sup> عبد الرحيم العطري 2013، المرجع نفسه، ص 100.

<sup>15</sup> عبد الرحيم العطري، المرجع نفسه، ص 62.

<sup>16</sup> أمزوار بالأمازيغية وتحيل إلى الشخص الذي يتقدم الآخرين أي الذي يأتي في المقدمة.

<sup>17</sup> Paul Pascon (1983), le Haouz de Marrakech, Edition Institut Universitaire de la Recherche Scientifique, p 30.

<sup>18</sup> CELERIER J (1931), Le Maroc, Armand Colin, Paris, p 69.

<sup>19</sup> Paul Pascon (1983), le Haouz de Marrakech, Edition: Institut Universitaire de la recherche Scientifique, Tome 1 premiere édition, p305.

وتزرع أشجار الفاكهة الأخرى (الرمان، والخوخ واللوز) في الأراضي المسقية الضيقة، وتضم أيضا مزارع الفول واللفت والبصل<sup>20</sup>.

وبالنظر لموقعها الجغرافي، لطالما كانت أرض كلاوة منطقة عبور، يمر عبرها المسافرون والبضائع، ولكن لم يتم استغلال هذه الظاهرة حقا حتى منتصف القرن التاسع عشر لأغراض سياسية<sup>21</sup>.

حاول بول باسكون دراسة النظام القايدي في الحوز وبشكل خاص علاقات الانتاج والمؤسسات التي سادت بشكل واضح في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، مؤكدا ضرورة التمييز بين القايديّة والنظام المخزني في معناه الدقيق، فالأول لا يمكن أن يوجد إلا في حوض قبيلة مستقلة عن المخزن، وإن بشكل نسبي، تعين رؤساء وتختار ممثلا عنها من أسرة قوية ليتسلم قيادتها. -وعلى غرار روير مونطاني- يؤكد باسكون أن استقلال القبيلة شرط ضروري لظهور الأمغار، الذي سيصبح فيما بعد قائدا، على الرغم من أنه لا يمكن تقويمه خارج المجال الإيدولوجي الذي يقدم الأنموذج المخزني<sup>22</sup>.

علما بأن القائد في المغرب، بوصفه، وسيطا بين القبيلة والمخزن، يعينه السلطان بواسطة ظهير شريف، كما يبايعه العلماء من الناحية الشكلية، اللهم إذا حدثت تمردات وطموحات إلى السيادة، كما هو الشأن خلال العهدين العزيمي ثم الحفيظي، خلافا لما كان سائدا في الفيودالية الأوروبية كشكل من الأنظمة الإقطاعية، يستمد فيها السيد قوته من إقطاعيته ومن تضامن رعاياه المُطيعين في رئاسة إمارته المستقلة ذاتيا عن المركز، بدون أية حاجة للحصول على أدنى دعم من الملك أو الحاكم، ومن ناحية أخرى، فإن ظاهرة الإقطاع لم تتطور إلا تطورا ضعيفا في المغرب وكانت شبه غائبة في القرن التاسع<sup>23</sup>.

غير أن ممارسة السلطة وتنظيمها الفردي من قبل قواد الجبل الكبار، ونمط حياتهم في القصور والقلاع، وكيفية تعاملهم مع الرعايا، واقتطاع الضرائب والأعمال الإلزامية التي فرضت على السكان، الاقتتال العنيف بينهم حول امتلاك أخصب الأراضي وأغناها مردودية، تؤكد -بنظر الهادي الهروي- أن مرحلة القواد الكبار تشكل عصر الفيودالية الجهوية الذهبي<sup>24</sup>.

لقد توصل روير مونطاني بعد دراسته قبائل جنوب المغرب إلى أن كل قبيلة تتكون عموما من حوالي ثلاث إلى اثني عشرة فرقة، وتملك أرضا محددة واسما خاصا بها وبعض العادات المشتركة ولكنها لا تملك سوى شعور غامض ومجهول الأصل بالإخوة، ولا تظهر وحدتها إلا في الحالات الاستثنائية مثل تعرضها لتهديد كبير بالغزو، حيث يتجمع محاربوها للدفاع عن أرضهم<sup>25</sup> علما أن روير مونطاني يؤكد أن القائد ينمو في غياب السلطة المخزنية والأمغار ينمو بعيدا عن المخزن تم يطمح إلى أن يصير قائدا مخزنيا، شريطة أن يعترف (المخزن) بوضعيته<sup>26</sup>.

عمّم النظام المخزني ظاهرة تقوية الرئاسة على شكل قايديّة، إلى جانب الدور المحوري الذي لعبه الاستعمار في تعميق عنف وعملية تأسيس النظام القايدي خاصة، سيما عبر إجباره السلطة المخزنية على

<sup>20</sup>-MARTIN J (1964), *Géographie du Maroc*, Hatier, Paris, p 134-139.

<sup>21</sup>-Michael Peyron, Glaoui/Glaoua (Glawi/Igliwwa), *Encyclopédie berbère*, p3151-3160.

Cité in: <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1736> (le: 12/02/2020 A 23H00)

<sup>22</sup>-بول باسكون، الفترات الكبرى للقايديّة، تعريب: زبيدة برحيل، ثم الاطلاع عليه على الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=143908>, (10/10/2019)

<sup>23</sup>-بول باسكون، نظام فيودلي أم نظام قيدي، قراءة: محمد قجيري، اطلع عليه على الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=235581>

<sup>24</sup>-الهادي الهروي، المرجع نفسه ص 285.

<sup>25</sup>-Robert Montagne (1930), *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, Félix Alcan, pp 169 - 180.

<sup>26</sup>-(ibid.), p 141.

أن تبدو للقبائل في صورة ضريبية قاسية اضطهادية وليس سلطة تنظيمية، أضف إلى ذلك تقنين الظاهرة من قبل المستعمر وإضفاء المشروعية القانونية عليها<sup>27</sup>.

قد جعل الاستعمار البنيات القايديّة آلية للاحتواء من أجل تحقيق هدفين أساسين هما:

- ❖ الوقوف ضد الحركة الوطنية وضد المخزن المركزي بإضعافه حتى يخضع لواقع الاستعمار الكلية.
- ❖ جعل القواد يغضون الطرف، باعتبارهم قوة فعلية، عن انتزاع الاستعمار للملكيات واقتطاع الأراضي الفلاحية لصالح المعمرين<sup>28</sup>.

يؤكد باسكون (Pascon) أنه لا يمكن الحديث عن الحوز دون التعرض للصعود الباهر لعشيرة الكلاوي. باعتبارها، أنموذجا للقايديّة، إلى جانب كل من الكوندافي والمتوكي.

ويعتبر الباشا التهامي الكلاوي أبرز الشخصيات العمومية في مغرب الحماية، وهو ما يفسر الكم الهائل من الكتابات حول شخصيته، تارة تجد من يمجده ويكتب عن خصاله وأفضاله إلى درجة أن القارئ يعتقد أنه شخصية أسطورية... ومن الكتاب من ينتقده ويخسّه ومن نسبه ويصفه بأقبح الأوصاف<sup>29</sup>.

يرجع تاريخ بروز هذه الشخصية للوجود، إلى بداية القرن العشرين، وتحديدًا بعد مشاركته إلى جانب أخيه المدني الكلاوي في الحملة العزيرية ضد بوحمارة، فقد أدى فشل تلك الحملة -يقول بول باسكون- التي شارك فيها المدني والتهامي وخسرا فيها أموالا طائلة وتكبدا مشاق صعبة دون فائدة تذكر سواء من حيث الغنيمة أو من حيث الاستيلاء على الأراضي الجديدة لفرض الضرائب عليها، إلى أن انفصل فريق الكلاوي عن المولى عبد العزيز. وقد جعلتهما عودتهما غير المظفرة عن طريق الجزائر التي تحتلها فرنسا وعن طريق البحر إلى أن وصلا إلى طنجة، يشكان في قدرة السلطان على تجاوز الفوضى التي عمت البلاد تدريجيا. فعاد الأخوين إلى بلدهما وحاولا أن يمددا سلطتهما على حساب القائد الكوندافي<sup>30</sup>.

ومع الاحتلال الفرنسي لمدينة وجدة اجتمع القياد الكبار في مراكش: المتوكي والعيادي والكلاوي...، ليتشاورا في دفع مولاي حفيظ إلى السلطة. ومن مخلفات هذا "الانقلاب السلطاني" مساندة الكلاويون لصعود مولاي عبد الحفيظ إلى العرش (مراكش - غشت 1907) ومساهمتهم في دحر الجيوش العزيرية في زمران، حيث كان جزاؤهم تعيينهم في الجهاز المخزني. فصار المدني قائد الجيوش والتهامي الكلاوي باشا على مراكش في يوليو 1909.

في بداية القرن الثامن عشر (18) كان مجال كلاوة يمتد من تمداغت جنوبا إلى ايت عدي وإزعلان<sup>31</sup> شمالا. يتضح من خلال الخريطة (4) أن تزارت والقرى التابعة لها كانت تدخل ضمن النطاق الترابي لقبيلة زمران. وبسبب العلاقات مع المخزن فإن مجال قبيلة كلاوة الجغرافي سيعرف توسعا - في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان- الذي تمكن فيه آل الكلاوي من ضم أراضي تزارت وتازمورت إلى قبيلة كلاوة. بالإضافة إلى اقتطاع بعض الأراضي من قبيلة توكانة والقبائل المجاورة. (انظر الخريطة 6).

<sup>27</sup>-بول باسكون، الفترات الكبرى للقايديّة، المرجع نفسه، ص 72.

<sup>28</sup>-الهادي الهروي، 2010، المرجع نفسه، ص 284.

<sup>29</sup>-بهذا الخصوص يمكن الرجوع إلى كتاب: كوستاف باباي، الباشا الكلاوي: الأسطورة والحقيقة في حياة باشا مراكش ترجمة عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، 2007، هذا الكتاب هو نموذج للكتابات التي تنتقد الباشا الكلاوي وتصفه بأقبح الأوصاف، وإن كان يشكك في كثير من الأحداث الواردة فيه.

<sup>30</sup>-Paul pascon, Le Haouz de Marrakech, 1983 P 302.

<sup>31</sup>-نحيل به إلى دوار إزعلان الذي يبعد عن تزارت بحوالي أربعة كيلومترات جنوبا يقع في منطقة جبلية.

### 3. الكلاوي وصناعة مجتمع متنوع

تفكيراً في إشكالية المجال والإنسان التزاتي-الكلاوي. وانطلاقاً من العمل على استنطاق الذاكرة الجماعية والوثائق التاريخية<sup>32</sup>، لأجل إعادة بناء معالمها الجغرافية والتاريخية؛ لاحظنا أن التحديد الترابي لمجال القبيلة لم يكن بالأمر السهل. فهو مجال متغير، يضيق ويتسع حسب الظروف وسياقات المرحلة. تبين لنا كذلك، أن عائلة الكلاوي كان لها الوجود الكبير في التحولات التي عرفها المجال الكلاوي. بل إن نشأة تزارت كلاوة ترجع إلى حكم الكلاوي المزواري.

ولما كانت تزارت كلاوة، صنعة المزوارين، فقد كان لابد أن نبحت في ماهية عائلة المزواري، باعتبارها من بين أهم العائلات الكبرى التي تشكلت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي كانت لها سلطة كبيرة امتدت إلى حدود مرحلة الاستقلال.

إن البحث في جينياالوجية المجتمع التزاتي وبالتالي من هم سكان تزارت وماهي أصولهم القبلية والدينية؟ كشف أن الكلاوي قد عمل على إنشاء بلدة تزارت ومجموعة من الدواوير مطلع القرن العشرين على مستوى قدم جبال الأطلس الكبير الأوسط. عبر جلب مجموعة من الأسر ذات أصول قبلية متعددة وغير متجانسة وقام بتوطينها بتزارت منها:

اليهود - النصارى

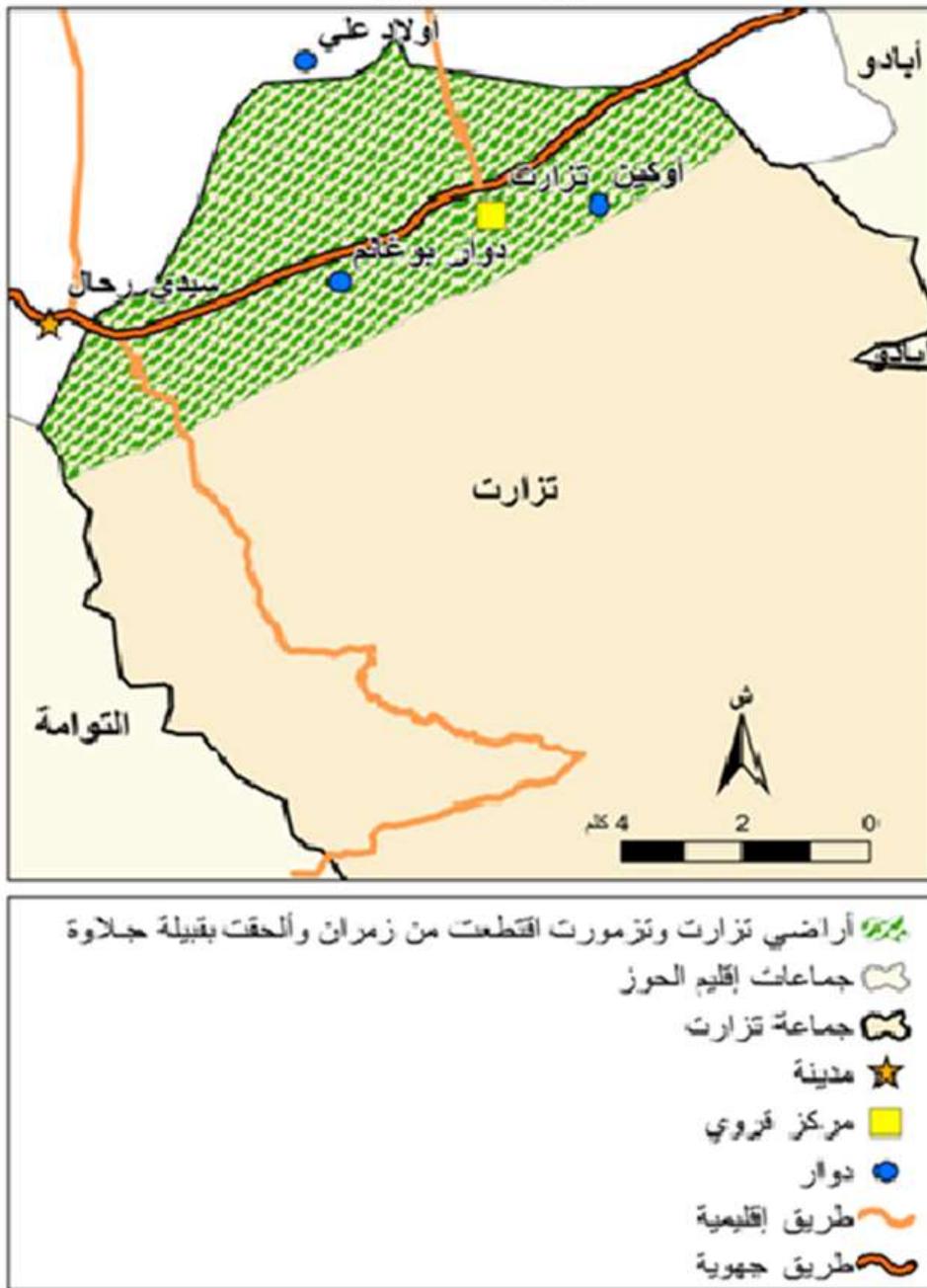
الحراطين - كلاوة

إزناكن - باقي مناطق الجنوب المغربي

إن المجموعة البشرية في تزارت هي فسيفساء أو خليط من المرجعيات القبلية والدينية تستوطن المجال نفسه. هكذا جسد المجال التزاتي، فضاء لتعايش مجموعات قبيلة وإثنية ودينية متعددة ومتباينة. شكلت عائلة المزواري الكلاوي الأساس الذي تتركز حوله الساكنة طيلة النصف الأول من القرن العشرين.

<sup>32</sup>-رضوان أيت اعزى (2021)، أطروحة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.

الخريطة 4: رسم تقريبي لأراضي تزارت وتازمورت (جماعة تزارت)



المجالات، كالفلاحة والرعي والري والتخزين والحفاظ على الأغذية والتربية والتعليم الديني<sup>33</sup>. وقد تجلت هذه الجمعيات أساسا في اجماعة أو تقبيلت أو آيت ريعين...، والتي تشترك مع الجمعيات المدنية في مجموعة من الخصائص كالتضامن والتعاون المتبادل الذي ظهر جليا من خلال "أكادير" و"التويزة" التي وجدت قبل الحماية وما زال بعضها يحافظ على استمراره اليوم.

وفي عهد الحماية الفرنسية سيصدر لأول مرة في تاريخ المغرب قانون يسمح بتأسيس الجمعيات سنة 1914 تم تعديله سنة 1933، بفعل تزايد عدد الجمعيات -في الفترة ما بين 1914 وسنة 1938 بلغ عددها 195 جمعية معترف بها قانونيا<sup>34</sup>. لكنها خاصّة بالمستعمرين فقط، وكان المغاربة ممنوعين من ممارسة العمل الجموعي، وبالنسبة للجمعيات التي استطاعت انتزاع الاعتراف القانوني من المستعمر فهي تتعرض لمختلف أنواع المضايقات وغالبا ما يتم منع أنشطتها. لكون العمل الجموعي أنداك بمثابة ستار للعمل التحرري الذي تميز بالسرية في معظم الأحوال.

وبعد استقلال المغرب وتحديد سنة 1958 سيحق للمغاربة تأسيس الجمعيات بظهير شريف في 15 نونبر، وهو حق مضمون دستوريا. وعلى الرغم من صدور قانون الحريات العامة غير أنه لم يرافقه تزايد في عدد الجمعيات نظرا لما تميزت به مرحلة الستينات والسبعينات من القرن الماضي، حيث كان الصراع السياسي على أشده بين اليسار وحزب الاستقلال من جهة وبين اليسار والحكم من جهة أخرى. والذي سيفضي إلى إصدار ظهير 10 أبريل 1973 ممثلا تراجعاً واضحاً وتسييحا لحرية التجمعات من خلال ثلاثة مستويات: الاعتراف القانوني، حل الجمعيات، العقوبات الصادرة بحق المؤسسين والمسيرين للجمعية<sup>35</sup>. عموما تأثرت الحركة الجموعية خلال هذه المرحلة بارتباطها بالصراعات السياسية.

هذا وقد تميز العقدان الآخيران من القرن الماضي بانطلاقة لجمعيات المجتمع المدني؛ بفعل تضافر مجموعة من العوامل؛ منها الانفتاح السياسي خلال تسعينيات القرن الماضي وتنامي الحركة من أجل حقوق الانسان بالإضافة إلى تغيّر موقف الدولة من الحركة الجموعية؛ حيث عملت على ترويج خطاب إيجابي حول أهمية جمعيات المجتمع المدني. وجعلتها شريكا أساسا لتحقيق التنمية المنشودة. نظرا إلى عجزها عن توفير إمكانيات للتنمية الضرورية.

كما أن تبني الدولة لسياسة المؤسسات الدولية- البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومؤسسات التجارة العالمية- الرامية تقليص نفقات الدولة في مجال القطاع العمومي، وتبني برنامج التقويم الهيكلي، قاد إلى التخلي عن جزء من مسؤولياتها للقطاع الخاص أو للجمعيات.

ولقد زادت أهمية الجمعيات المدنية مع الأدوار التي أناطها بها الدستور الجديد لسنة 2011 الذي بوأها مكانة متميزة. فلم يعد الشأن العام والمحلي حكرا على مؤسسات الدولة والمؤسسات السياسية والمنتخبة، بل أصبح المجتمع المدني بمقتضى الدستور الجديد يضطلع بدور كبير في هذا المجال، حيث ضمن الدستور مساهمة الجمعيات المهمة بقضايا الشأن العام والمنظمات غير الحكومية في إطار

<sup>33</sup>-Ghazali Ahmed (1991), contribution à l'analyse du phénomène associatif au Maroc, in changement politique au Maghreb, dir Michel Camau, ED CNRS ? Paris, p 243.

<sup>34</sup>-محمد الغياط (2003)، التنظيم القانوني والمالي للجمعيات والأحزاب السياسية، دراسة تحليلية لحق تأسيس الجمعيات في المغرب، دار هجر للطباعة والنشر، الرباط، ص 27 الى ص 30.

<sup>35</sup>-Ghazali Ahmed, Ibid, p 246 à 248.

الديمقراطية التشاركية في إعداد قرارات ومشاريع لدى المؤسسات المنتخبة والسلطات العمومية وكذا في تفعيلها وتقويمها. لكن ما هو سياق نشأة جمعيات المجتمع المدني بالمجال التزاتي وكيف تطورت؟

تتمثل أهمية النسيج الجموعي أساساً في بلورة وعي المواطنين وإعادة تربيتهم وتكوينهم وتهيئتهم لأداء وظيفة المواطنة بروح بناءة وفعالة. "إنها فضاءات لتطوير الممارسة الاجتماعية ولتحمل المسؤوليات والوعي بالارتباطات الاجتماعية المتبادلة، التي ليست فقط أفضل حماية ضد تعسفات السلطة، وإنما أداة لتحقيق التنمية.<sup>36</sup> فالأفراد المنعزلين لا يستطيعون القيام بالشيء الكثير، في ظل المجتمع الصناعي، إلا من خلال تضافر الجهود. ذلك أن الانتظام في إطارات جموعية يجعل الفرد ضمن هذه التنظيمات أكثر قوة وأعظم شأنًا، مما يكون عليه الفرد المستقل والمعزول.<sup>37</sup> إن الجمعيات على اختلاف أشكالها وألوانها هدفها هو تفعيل التنمية المحلية المستدامة، من خلال تركيزها على مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والبيئية... متخذة الإنسان وسيلتها وغايتها.

تتوفر الجماعة الترابية تزارت على نسيج جموعي مهم يتعدى 82 جمعية مدنية، بمعدل جمعية واحدة لكل 31 أسرة، ولكل 185 نسمة. وهو رقم يتجاوز المعدل الوطني الذي هو جمعية واحدة لكل 269 نسمة. وهو ما يمكن تفسيره بمجموعة من العوامل المتضاربة فيما بينها؛ منها عامل الهجرة؛ حيث إن المهاجرين من أبناء المنطقة عندما يرجعون إلى بلدانهم غالباً ما يسعون إلى المساهمة في تنميتها واستثمار تجاربهم لخدمتها. كذلك للشباب الجامعي دور كبير في تفسير هذا النمو المتزايد لعدد الجمعيات إذ يسارع هؤلاء الشباب إلى مزاحمة الجماعة (الجماعت) وإثبات الذات نخبةً جديدةً من خلال تأسيس جمعيات مدنية يستطيعون من خلالها أن يجدوا لهم مجالاً لفرض مواقفهم وتفجير طاقاتهم والتعبير عن قدراتهم. فالجمعية اليوم باتت تشكل مصنعاً لإنتاج النخب المحلية. لأن الشباب الجموعي سرعان ما ينحو منحى العمل السياسي. ومن العوامل المساهمة أيضاً في هذا النمو هو الاحتكاك بتجارب الجمعيات المجاورة التي قطعت أشواطاً كبيرة في الفعل التنموي المحلي خصوصاً قبيلة اغجدامة (تحديداً الجماعة الترابية اغجدامة) التي مثلت النبراس الذي يروم الكثير من الجمعويين بتزارت اقتفاء أثره.

إن نشأة جمعيات المجتمع المدني وتطورها، باعتبارها مظهراً تحديثياً هو نتاج لتضافر جملة من العوامل: الخارجية والداخلية. وإن كان النسيج الجموعي يتسم بحداثته على مستوى المجال التزاتي والحوز عموماً، (التي ترجع نشأتها بتزارت إلى تسعينيات القرن الماضي)، فقد ارتبط العامل الخارجي بدور المنظمات الدولية أساساً، فيما ترجع العوامل الداخلية لنشأة الجمعيات إلى: إرادة الدولة التي شجعت من خلال مؤسساتها المواطنين على التنظيم والانتظام ضمن جمعيات مدنية. وخصوصاً عبر المبادرة الوطنية للتنمية البشرية؛ فإن العامل الأبرز لنشأة هذه الظاهرة وتطورها المتسارع على مستوى المجال التزاتي، يرجع إلى طبيعة المجتمع المحلي لتزارت الذي يتسم باللاتجانس، وبالقابلية الكبيرة للانتظام في تنظيمات تعاقدية مدنية، بعيداً عن المحدد الإثني أو البيولوجي القرابي الذي ظل يحكم التنظيمات التقليدية. إن هذا الوضع السوسيو تاريخي جعل السكان ينخرطون بشكل قوي في تنظيمات المجتمع المدني، التي يجدون فيها الملاذ لإثبات هويتهم وانتمائهم بل لتحسين هذه الهوية الموسومة بالهشاشة.

ولابد من تأكيد أن التنظيمات الجموعية أخذت تكتسح مجالات الحياة الاجتماعية جميعها وتوسعي إلى تأطيرها. كما أنها فاعل رئيسي لا يمكن الاستغناء عنه اليوم في أي مشروع تنموي. إنها شريك أساسي للدولة وأحياناً أخرى يحل محلها في عملية التنمية.

<sup>36</sup>-فوزي بوخريص، 60 سنة من العمل الجموعي الثابت والمتغير، مرجع سابق، ص 80.

<sup>37</sup>-Tocquvelle A, 1981, p. 340. In: <https://bit.ly/3ADDhzu>

## خاتمة

إن مساءلة المجال التزاتي (الكلاوي) في تاريخيته وفي تحولاته من التقليد إلى التحديث، قادنا إلى البحث في تحولاته من القبيلة إلى المجتمع المدني. وتبين لنا أن طبيعة الظرف التاريخي والسياسي، الذي قدمت أو استقدمت فيه المكونات الاجتماعية والقبلية إلى تزارت، فرضت عليها التفاعل فيما بينها ومع القبائل المجاورة تكوينا اجتماعيا متضامنا، إزاء التهديد الخارجي المستمر. وشكل رحيل المزوارين الكلاويين وتهديد المحيط القبلي، خلفية سلبية بالنسبة إلى المكونات السوسولوجية والأقليات الإثنية، مما جعلها تؤطر حدود هويتها، وتدرك ذاتها أكثر فأكثر، وتكرس كل جهودها لصيانة هويتها ووحدتها وتضامنها.

كما أن الحاجة الملحة إلى التضامن وتأطير الهوية بدت واضحة وملازمة لوجود الجماعة المحلية والحفاظ على تماسكها وعلى ممتلكاتها. وهذا يعني أن إعادة إنتاج الهوية الجماعية كانت تمثل شرطا ضروريا للتعايش والاستمرارية عبر الزمان والمكان. وكان المجتمع المدني الفضاء الأمثل الذي عملت من خلاله الساكنة المحلية على تثبيت هويتها وتحسينها، والدفاع عن مصالحها.

ولما كانت عوامل التغير متعددة ومتنوعة، فالعامل الجوهري الذي ترتد إليه مجمل التحولات التي عرفها المجال التزاتي للحوز يرجع أساسا إلى عائلة آل المزواري الكلاوي الذين بصموا تاريخ المغرب عموما والمنطقة على الخصوص؛ ذلك أن لهم دورا كبيرا فيما يعتمل من تحولات وعلى مختلف المستويات والأصعدة. بل إن تزارت التي تدين بوجودها لهم، ما جعلها شاهدا على أحداث تاريخية سياسية واجتماعية تجاوزت المحلي إلى الوطني والدولي، بل ما تزال تجلياتها سارية في الحاضر.

## قائمة المراجع

- أيت عزى رضوان (2021)، مسارات وآليات التحولات الاجتماعية بالأطلس الكبير، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط-أكدا، 2021.
- إبوركي عمر (2010)، الظاهرة القاعدية بالمغرب: القاعد العيادي نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
- العطري عبد الرحيم (2013)، الرحامنة: القبيلة بين الزاوية والمخزن، منشورات دفاثر العلوم الإنسانية، الرباط.
- القادري محمد (2012)، مجتمع الصحراء سيرورة وتحولات، قراءة في كتابات رجال بوبريك، هيسيريس تمودا، العدد.
- الغياط محمد (2003)، التنظيم القانوني والمالي للجمعيات والأحزاب السياسية، دراسة تحليلية لحق تأسيس الجمعيات في المغرب، دار هجر للطباعة والنشر، الرباط.
- الناصري احمد بن خالد (1998)، كتاب الأستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وآخرون. الرباط: منشورات وزارة الثقافة والاتصال. الطبعة الأولى. (الجزء الثالث).

- الهروي الهادي (2010)، القبيلة، الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسيوولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق.
- باباي كوستاف (2007)، الباشا الكلاوي: الأسطورة والحقيقة في حياة باشا مراكش ترجمة عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق.
- بلاوي احمد (1989)، معلمة المغرب، الجزء الثاني، مدير النشر: محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
- بوبكراوي حسن وحسن المباركي (2008)، تطور الخطاب عن أطلس مراكش، مؤلف جماعي: "المجالات الجبلية والتنمية المستدامة نموذج أطلس مراكش"، دراسات مجالية عدد 3، الطبعة، دجنبر.
- بوخريص فوزي (2019)، أكثر من 60 سنة من العمل الجموعي بالمغرب... الثابت والتغير، ضمن كتاب جماعي: المغرب وأسئلة التحولات المجتمعية، منشورات: جمعية الشعلة للتربية والثقافة، مطبعة ليمورية، مارس.
- هوزالي أحمد (1989)، معلمة المغرب، الجزء الثالث، مدير النشر: محمد حجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
- التقرير الحكومي السنوي حول الشراكة بين الدولة وجمعيات ومنظمات المجتمع المدني بالرباط. عن موقع البوابة الوطنية: (إطلع عليه يوم 10 فبراير 2017) <http://www.maroc.ma/ar>
- بول باسكون، الفترات الكبرى للقايدية، تعريب: زبيدة برحيل، ثم الاطلاع عليه على الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=143908> (10/10/2019)
- بول باسكون، نظام فيودلي أم نظام قيدي، قراءة: محمد قجيري، اطلع عليه على الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=235581>
- Celerier J (1931) Le Maroc, Armand Colin, Paris.
- Peyron M, Glaoui/Glaoua (Glawi/Igliwwa), Encyclopédie berbère, (p. 3151-3160)
- Martin J, Géographie du Maroc, Hatier, Paris, 1964 (p p 134-139).
- Pascon P (1983), le Haouz de Marrakech, Edition Institut Universitaire de la Recherche Scientifique. Tome 2 première édition,
- Tocqueville Alexis, de la démocratie en Amérique, Tom 1 et 2, édition gf Flammarion, 1981.
- Ghazali Ahmed, contribution à l'analyse du phénomène associatif au Maroc, in changement politique au Maghreb, dir Michel Camau, ED CNRS ? Paris, 1991.
- Pacson P (1983), le Haouz de Marrakech, Edition : Institut Univesitaire de la recherche Scientifique, Tome 1 première édition.
- Bourdieu P, Réflexion, Editions Seuil, Paris,
- Montagne R (1930), Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Paris, Félix Alcan.
- Romain Simenel (2010), L'origine est aux frontières. Les Aït Ba'amran, un exil en terre d'arganiers (Sud Maroc) Paris, Éditions CNRS et Éditions de la Maison des sciences de l'homme, coll. « Chemins de l'ethnologi

## دور أدوات التخطيط الريفي في التنمية المحلية بالأوساط الجبلية: "حالة الحوض النهري لأوريكا"

د. عبد العزيز عبد الصادق  
د. علي بولرباح  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة عبد المالك السعدي- تطوان

### ملخص

تعد المجالات الجبلية المغربية خزانات طبيعية وطنية للموارد الترابية وتساهم بشكل كبير في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، غير أن الاستغلال المفرط لهذه الموارد، ساهم بشكل كبير في تدهورها وتعميق هشاشتها مما أثر بشكل كبير على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للسكان بهذه المجالات. ونظرا لما يتميز به الأطلس الكبير الغربي عموما، وحوض أوريكا على وجه الخصوص من تحول مجالي، مرتبط بالوتيرة السريعة التي تتراجع بها الموارد الترابية، وتزايد النمو الديمغرافي، والهجرة البيمجالية بين الأحواض النهرية الخمس المكونة لهذا المجال الأطلسي (واد نفيس، غيغاية، وزات وغدات)، فقد كان من الضروري وضع مخططات للتهيئة الريفية تتلاءم والوضع الاقتصادي والاجتماعي لهذه الأحواض النهرية بهدف النهوض بها مجاليا، اقتصاديا، اجتماعيا...، مع ضرورة تفعيل الحكامة الترابية والتدبير التشاركي للموارد الترابية بغية تحقيق التنمية الترابية/المجالية الشاملة.

**الكلمات المفتاح:** حوض أوريكا- الموارد الترابية- التخطيط الريفي- التنمية المحلية- المجتمع المدني- المشروع الترابي.

### Summary :

The mountainous areas of Morocco are major national reservoirs. These areas are greatly involved in the economic and social development of the country and the local population. However, over exploitation of these resources had a negative impact on the economy of the population that depends heavily on these resources to survive.

Given the characteristics of the great ATLAS, and in particular the change that has occurred in the Ourika Valley due to the degradation of natural resources, urban development and immigration within this valley, especially in OUED NEFFIS, GHIGHAYA AND OUAZAT, it is very important to take action. For this reason, it is very urgent to establish safeguarding plans that take into consideration the economic and social situation of the local population with a view to developing this valley socially and economically. It is important to mention that the valley is in need of good governance and good collective management that seeks the inclusive local territorial development.

**Key words :** The Ourika Valley -Natural resources -Rural planning -Local development -Local population-Territorial Project.

## مقدمة

تغطي المجالات الجبلية بالمغرب حوالي 21% من مساحة البلاد، وتتركز بها كثافات سكانية مهمة، وهي مناطق غنية من حيث الموارد الطبيعية، باعتبارها خزانات طبيعية للموارد المائية، وموئل مفضل للكائنات الحية. تساهم بـ 30% من الحاجيات الوطنية من الأخشاب، وبـ 30% من الإنتاج الوطني للطاقة وبـ 17% من الحاجيات الكئيئة<sup>1</sup>. أدى الاستغلال المفرط لهذه الموارد، خصوصا خلال الفترة الاستعمارية إلى تدهورها وتعميق هشاشتها بشكل كبير، مما أثر على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للسكان بهذه المجالات. وهكذا أصبحت المناطق الجبلية عامة، والأطلس الكبير الغربي خاصة، مجالات متأخرة من حيث المستوى التنموي بسبب ضعف نجاعة وسائل الإعداد والتهيئة أو غيابها في أحيان كثيرة، مما كرس الهشاشة المجالية والاجتماعية والاقتصادية بالجبل. أدت هذه الوضعية إلى ضعف نمو هذه المجالات، وزادها إهمالا عدم اهتمام التدخلات العمومية في تهيئة وإعداد برامج مندمجة من أجل تنمية هذه المناطق والإقلاع بها إلى المستوى الذي يتناسب والدور الذي تلعبه على المستوى الوطني.

ونظرا لما يتميز به الأطلس الكبير الغربي عموما، وحوض أوريكا على وجه الخصوص من تحول مجالي، مرتبط بالوتيرة السريعة التي تتراجع بها الموارد الترابية، وتزايد النمو الديمغرافي، والهجرة البيمجالية بين الأودية الخمسة المشكّلة لهذا المجال الأطلسي (واد نفيس، غيغاية، زات وغدات)، فقد كان من الضروري وضع مخططات للتهيئة الريفية تتلاءم والوضع الاقتصادي والاجتماعي لهذه الأحواض النهريّة بهدف النهوض بها مجاليا، اقتصاديا، اجتماعيا... مع ضرورة تفعيل الحكامة الترابية والتدبير التشاركي للموارد الترابية بغية تحقيق التنمية الترابية/المجالية الشاملة.

وارتباطا بالأهمية العلمية لموضوع التخطيط الريفي وأدواره التنموية خاصة في مناطق جبلية هشة كحوض أوريكا فسنحاول معالجة هذا الموضوع بإعمال وإتباع الإطار المنهجي الواردة تفاصيله أسفله:

## 1- الإطار المنهجي للبحث

## 1-1- إشكالية البحث

عرف حوض أوريكا استقرارا بشريا قديما لمجموعات بشرية رعوية التي وجدت في هذا المجال أرضا خصبة للاستقرار وإقامة النشاط الزراعي بدل الترحال والتنقل، فتمكنت من المزاجية بين النشاطين الرعوي والزراعي، فأبدعت نظاما اقتصاديا معاشيا. وقد أسهم هذا الاستقرار القديم في الضغط على الموارد الطبيعية خاصة المائية والغابوية والتربة...، بفعل الرعي الجماعي الكثيف واجتثاث الغابة من أجل الاستغلال الزراعي وتزويد القرى المجاورة وحاضرة مراكش على الخصوص بما تحتاجه من مياه وخشب وحطب...، زاد الوضع تفاقمًا خلال الفترة الاستعمارية مع إصدار قوانين مجحفة تضبط العلاقة بين السكان والموارد الطبيعية الترابية، كما استغلت السلطة الموالية للاستعمار من قواد وباشوات الوضعية واستولوا على معظم الأراضي، مما أفضى إلى ظهور تنافر بين السكان ووسطهم الطبيعي.

ولم يكن النشاط البشري العامل الوحيد في هشاشة المجال وتدهوره، بل ساهمت فيه العوامل الطبيعية خاصة الفيضانات التي تشهدها المنطقة من حين إلى آخر. ومع فترة الاستقلال ظلت المناطق الجبلية عموما، وحوض أوريكا خصوصا، مهمشة في مخططات التنمية الوطنية إلى أن أثار فيضان أوريكا

1- رشيد ليكر (2003): إعداد التراب الوطني ورهان التنمية الجهوية، منشورات عكاظ، الرباط، ص 194.

سنة 1995 انتباه السلطات الوطنية والمحلية للاهتمام بهذه المنطقة، وإيلائها أهمية عن طريق أدوات للتخطيط من أجل إعداد مشاريع تنموية قطاعية ومندمجة، في إطار برامج وطنية وجهوية تضامنية.

يحاول هذا البحث الجواب على السؤال الإشكالي التالي: هل تؤثر أدوات التخطيط الريفي والمشاريع الترابية المرتبطة بها في بلورة التنمية الترابية الشاملة والمتوازنة؟ أم أنها مجرد أدوات للتشخيص الترابي تساهم في وضع مخططات التنمية الترابية المحلية؟

ولجعل هذا السؤال الإشكالي أكثر وضوحاً ومرونة فقد تم تفريعه إلى مجموعة من التساؤلات:

- ما هي أهم أدوات التخطيط الريفي التي همّت مجال حوض أوريكا؟

- ما هي أهم المشاريع التنموية التي أنجزت بحوض أوريكا؟

- ما هو دور تدخلات المجتمع المدني في المساهمة في التنمية المحلية؟

## 2.1 فرضيات البحث:

انطلاقاً مما سبق نتساءل عن مدى نجاعة أدوات التخطيط الريفي بهذا المجال الجبلي الهش، وعن العوامل التي أدت إلى الدينامية الاقتصادية والاجتماعية المجالية التي يعرفها حوض أوريكا منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي إلى اليوم، لنفتح بذلك مشاريع للدراسة من خلال الفرضيتين التاليتين:

- تراجع وتيرة تدهور المجال وموارده الطبيعية وتحسن المستوى الاقتصادي والاجتماعي للسكان المحلية، مرتبط بنجاعة وفعالية أدوات ووسائل التخطيط الريفي المنجزة من طرف الدولة في إطار سياسة إعداد التراب الرامية إلى تنمية الجبال والحفاظ على التوازنات البيئية في الأوساط الجبلية، وتطوير التجهيزات الأساسية لفك العزلة عن المنطقة؛

- لعب المجتمع المدني دوراً كبيراً في تنزيل أدوات التخطيط والمساهمة في التنمية المحلية وبناء المشروع الترابي في تنسيق مع بقية الفاعلين داخل التراب.

## 3.1 منهجية البحث:

اعتمدنا في دراسة وتحليل البحث على منهجين:

- **المنهج التوثيقي:** باستحضار مجموعة من الوثائق والدراسات التي تضمنت موضوع الدراسة في أبعادها المتعددة والتي تضمنت المشاريع والبرامج التنموية التي تمت برمجتها في المناطق الجبلية ومقارنتها بحوض أوريكا موضوع الدراسة.
- **المنهج الوصفي:** من خلال تتبع الإشكالية المدروسة في الميدان واستخلاص مقوماتها المعرفية والإجرائية، وتتبع مدى انجاز المشاريع التنموية خاصة المتعلقة بالحد من الفيضانات وتطوير التجهيزات الأساسية.
- **الدراسة الميدانية:** شكل البحث الميداني الركيزة المنهجية الأساسية لدراسة الموضوع، حيث تم الاعتماد على معطيات الاستمارة الميدانية في إبراز طبيعة التدخلات التي يعرفها المجال وتطلعات

السكان المحلية من المشاريع المنجزة، بالإضافة إلى المقابلات التي تمت مع مجموعة من الجمعيات المحلية بهدف رصد وتتبع دورها التنموي داخل الحوض.

#### 4.1 الجهاز المفاهيمي المهيكل للدراسة:

• حوض أوريكا: هو أحد الأودية الجبلية الخمسة التي تتمركز بالأطلس الكبير الغربي/أطلس مراكش، يحده شمالا سهل الحوز وجنوبا الأحواض المائية العليا لوادي سوس ودرعة وغربا الحوض المائي لوادي غياغية، ومن الناحية الشرقية يحده الحوض المائي لوادي الزات وتبلغ مساحته الإجمالية 503.5 كلم مربع. وينتمي الحوض إداريا إلى جهة مراكش- أسفي، إقليم الحوز ويضم /أو تقاسمه مجموعة من الجماعات القروية هي على التوالي من العالية نحو السافلة؛ جماعة أوكايمدن، جماعة ستي فاضمة، جماعة اثنين أوريكا.

• التخطيط الريفي: يقصد بالتخطيط الريفي رسم السياسات وإعداد الخطط اللازمة لرصد المبالغ المالية الضرورية وتنفيذ المشاريع والبرامج التي تقع ضمن مسؤولية الدولة؛ منها التخطيط لبناء القرى العصرية وجمع القرى المبعثرة في قرى متجمعة عصرية توفر لها مستلزمات الحياة الكريمة وتنفيذ المشاريع التي لها علاقة بالتنمية الريفية منها مشاريع الري وبناء السدود، حماية وصيانة الأراضي والموارد الطبيعية، وإرضاء الطموحات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لسكان الأرياف...، وتتم كل هذه السياسات والخطط والمشاريع عبر مجموعة من الوثائق الرسمية منها المخططات الجماعية، والوثائق الخاصة بالتهيئة الريفية كتصاميم التهيئة القروية.

• التنمية المحلية: يعود مفهوم التنمية المحلية إلى مرحلة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي وظهر هذا المفهوم بفرنسا كرد فعل على الممارسات الفوقية لتهيئة التراب الوطني<sup>2</sup> المرتكزة على النظريات القطاعية لكل قطاع، داعية إلى التركيز على إحساس السكان وتوعيتهم بالانتماء إلى مكان عيشهم مع الأخذ بعين الاعتبار تطلعاتهم وانتظاراتهم، ودفعهم إلى أخذ المبادرة في جميع الميادين التي من شأنها أن تساهم في خلق وضمان تنمية اجتماعية واقتصادية متناسقة.

• المشروع الترابي: المشروع الترابي مفهوم واسع يحمل مختلف القطاعات الترابية ومختلف المؤسسات المتدخلة والمعنية بتطبيق وانجاز قراراتها داخل المجال الترابي، ويشمل أيضا المجتمعات الفرعية التي يحملها التراب خاصة في المجالات الحضرية، لكون المشروع الترابي للمجتمعات يبني دائما على أساس قانوني مرن<sup>3</sup> ينطلق من التدبير الاجتماعي للموارد الترابية المحلية التي تشكل الرأسمال الترابي. ويدخل المشروع الترابي في إطار التدبير المجالي عن طريق المشاريع. أصبح المشروع الترابي خطوة على درجة عالية من الأهمية، من اجل معالجة الأمراض التي يعاني منها الفعل العمومي. انطلاقا من هذا التصور فالتراب ليس فقط مجالا ماديا يتوفر على ممتلكات موضوعية ولكنه يسعى لاستثمار القيم الوجدانية الموروثة من الماضي؛ إنه مرتكز المشاريع وضمان المستقبل<sup>4</sup>. يعتبر المشروع الترابي عمل محدد في الزمان والمجال،

2-Teisserenc (2002) Les Politiques De Développement Local, Collection Collectivités Territoriales Dirigée Par Louis Favoreu, 2eme Edition, Edition Economica.

3-Charles-Éric Lemaigren (2014): Les Projets de Territoire des Communautés, enjeux et pratiques observées, de France, p10.

4-Michel Casteigts (2003): "Le management territoriale stratégique", gouvernance et conduite de l'action public, édition l'harmattan, GRETE, p297.

يتولد من خلال فكرة في سياق خاص من اجل بلوغ هدف معين، ويفترض تحسين الوضعية الحالية ويرتقب تجويد الوضعية المأمولة.

• المجتمع المدني: نشأ مفهوم المجتمع المدني أول مرة في الفكر اليوناني حيث أشار إليه أرسطو باعتباره "مجموعة سياسية تخضع للقوانين"، أي أنه لم يكن يميز بين الدولة والمجتمع المدني. تطور هذا المفهوم في القرن الثامن عشر حيث بدأ التمييز بين الدولة والمجتمع، وبدأت حركة الجمعيات بالتبلور كمنسق يملك الأحقية للدفاع ضد مخاطر الاستبداد السياسي.5 وأصبح المجتمع المدني موضوعا يعاد اكتشافه وتوجيهه ليصبح أداة في البرامج الحكومية والبرامج السياسية، بعد أن كان أداة نظرية ومفهوما أساسيا للنظرية الاجتماعية النقدية،6 والمجتمع المدني هو الأفراد والهيئات غير الرسمية بصفاتها عناصر فاعلة في معظم المجالات التربوية والاقتصادية والعائلية والصحية والثقافية والخيرية وغيرها.

## 2-حوض أوريكا: تشخيص الوسط الطبيعي وموارده

يقع الحوض المائي لوادي أوريكا في سلسلة الأطلس الكبير الغربي/أطلس مراكش، ويحده شمالا سهل الحوز وجنوبا الأحواض المائية العليا لوادي سوس ودرعة، وغربا الحوض المائي لوادي غيغاية، ومن الناحية الشرقية الحوض المائي لوادي الزات. وتبلغ مساحته الإجمالية 503.5 كلم مربع، ويضم حوضين مائيين صغيرين. ينتمي الحوض إداريا إلى جهة مراكش-أسفي، إقليم الحوز ويضم مجموعة /أو تتقاسمه مجموعة من الجماعات القروية هي على التوالي من العالية نحو السافلة؛ جماعة أوكايمدن، جماعة ستي فاضمة، جماعة إثنين أوريكا، وجماعة أغمات. هذه الأخيرة التي تعد منطقة مخروط الانصباب حيث يتغير اسم الواد إلى اسم واد أغمات.

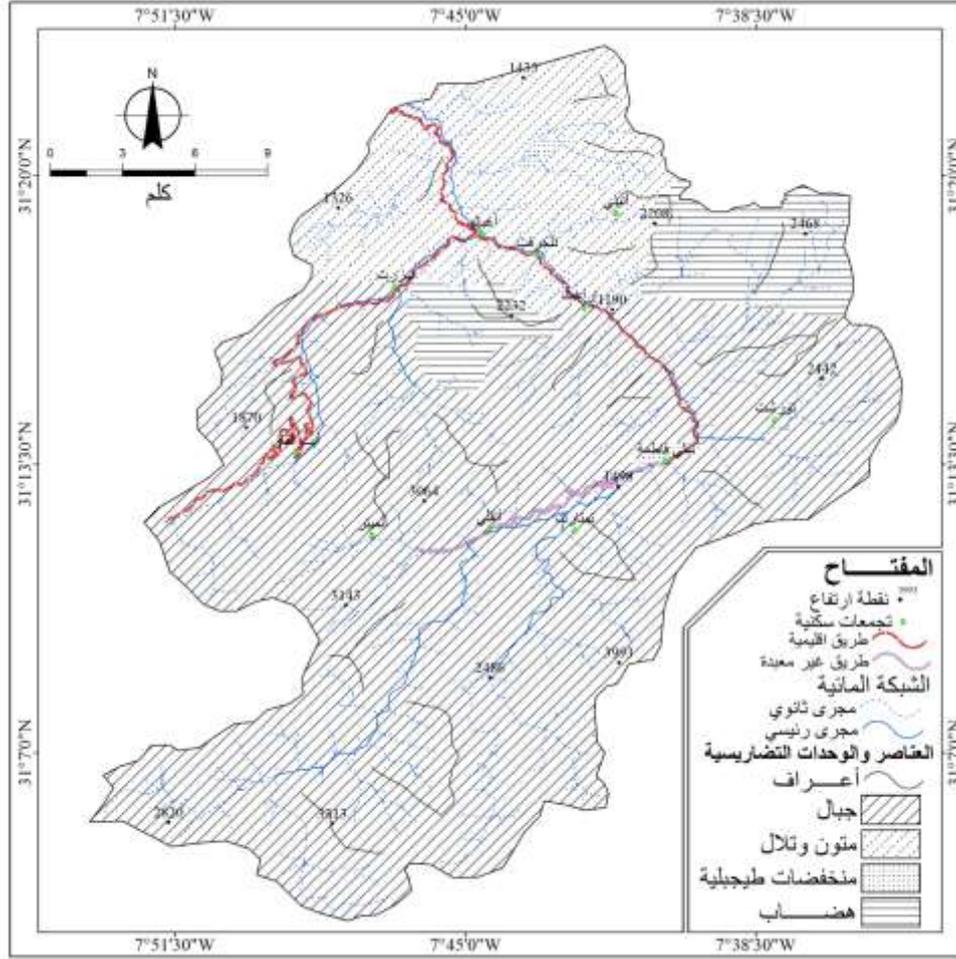
يتميز هذا الحوض بوجود ارتفاعات مهمة تتراوح بين ما بين 900م في القدم و4001م في قمة جبل إفراون. ومن أهم روافده الرئيسية واد أملوكي وأمنزال وأكنس وأيت أوشك. ويتميز الحوض بانحدارات مهمة (8.19 بأوريكا و33 في ترزازة) تشكل عاملا حاسما في الدينامية العامة للحوض. يتميز في قسمه العلوي بالتعمق والضيق ليتسع نسبيا في جزئه الأوسط ويكون أكثر اتساعا في جزئه السفلى حيث تشكلت بمصطبات متعرجة مستغلة من لدن السكان على شكل محاطات فلاحية،7 ويضم ثلاث وحدات طبوغرافية متباينة: الوحدة الجبلية، الوحدة الهضبية، الوحدة السهلية (الخريطة 1).

<sup>5</sup>-أحمد إبراهيم ملاوي (2008): أهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد الثاني، ص 258.

<sup>6</sup>-عزمي بشارة (2012): المجتمع المدني، دراسة نقدية، ط 6، بيروت، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، ص 7.

<sup>7</sup>-Mohamed Saidi (2006): Effet de la morphologie et de l'exposition sur les ressources en eau superficielles de part et d'autre du Haut Atlas (Maroc): Exemple des bassins versants de l'Ourika et de Maréghen. Laboratoire de Géosciences et Environnement. Faculté des Sciences et Techniques. Université Cadi Ayyad, bulletin de l'Institut Scientifique, Rabat, Section Sciences de la Terre, N 28.49 p3.

### الخريطة رقم 1: توزيع الوحدات الطبوغرافية بحوض أوريكا



المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الخريطة الطبوغرافية أوكايمدن- توبقال: 1/100000

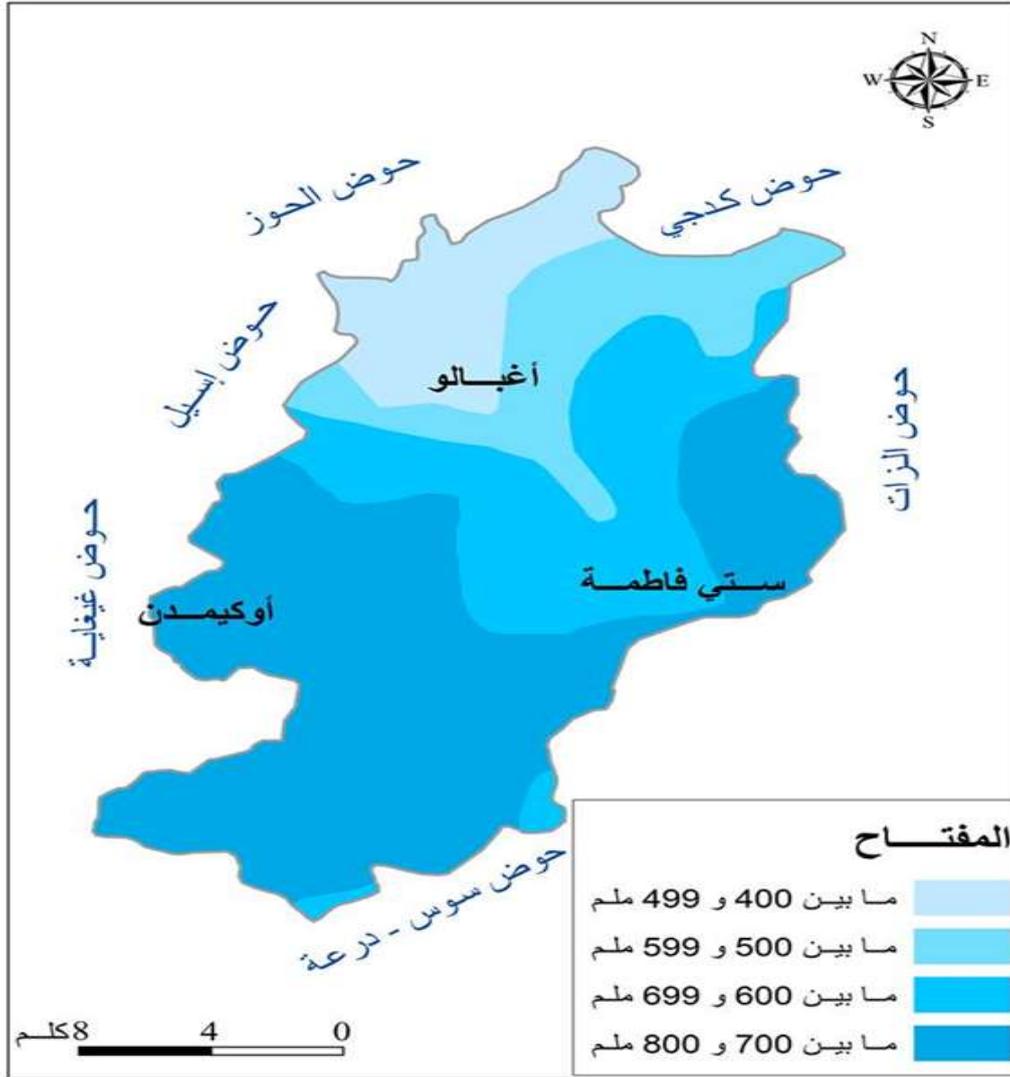
يساهم هذا التنوع والغنى الطبوغرافي ووجود شبكة مائية كثيفة وهامة في تنوع الموارد الترابية التي يحتضنها الحوض، حيث يوجد غطاء نباتي متنوع أساسه البلوط الأخضر والعرعر...، ويوفر مراعي غابوية بالإضافة إلى وجود أتربة صالحة للزراعة رغم محدوديتها وتعرضها للتعرية الدائمة.

يتميز الحوض بوجود موارد ترابية أخرى تساهم في بناء اقتصاد جبلي تضامني منها؛ وجود فرشة مائية ذات خصائص جيولوجية تستغل في استخراج الملح، كما تشكل كل هذه المعطيات الطبيعية مؤهلات سياحية فاعلة تساهم في بناء اقتصاد تضامني.

يتميز مناخ حوض أوريكا بشكل عام بمميزات المناخ الجبلي؛ حيث البرودة في الشتاء والاعتدال في الصيف مع تساقطات مطرية تتراوح ما بين 400 و800 (الخريطة رقم 2) ملمتر سنويا (كمعدل) وتعرف تفاوتات مجالية داخل الحوض (الخريطة رقم 2). كما يعرف تساقطات ثلجية مهمة في المرتفعات (أوكايمدن) ابتداء من 1400م. هذه الأخيرة تعد احتياطا مائيا خلال الفترة الجافة. بالنسبة للحرارة العليا، فمعدل الحرارة يصل خلال فترة الصيف (يوليوز وغشت) إلى 40 درجة مئوية في قطاع السافلة، وتنخفض ما بين شهري ديسمبر وفبراير إلى معدل 3 درجات مئوية ويعرف (المناخ) اختلافات سنوية وبيسنوية، وتؤثر هذه التغيرات بشكل عام في خسارة كمية كبيرة من المياه خلال الأشهر الحارة نتيجة عملية التبخر.

هذه المميزات المناخية لعبت دورا كبيرا في إقامة نظام اقتصادي يعتمد أساسا على الموارد المائية المتاحة، التي ساهمت في الاستقرار القديم للسكان ومكنتهم من إقامة نظام فلاحي يعتمد على الزراعة في السفوح المتوسطة الانحدار وفي قعور الودية الداخلية، بالإضافة إلى النشاط الرعوي الذي يعد ركيزة أساسية حيث توفر الموارد المائية مراعي غابوية. كما ساهمت هذه المميزات المناخية في توفير مؤهلات سياسية طبيعية، أبرزها شلالات ستي فاضمة، ومحطة التزحلق بأوكايمدن. وفي المقابل تلعب -المميزات المناخية- دورا كبيرا في تنشيط عمل التعرية ما يسرع عمليات التدهور والتراجع التي يعرفها المجال.

الخريطة رقم 2: توزيع التساقطات داخل حوض أوريكا



المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت

## 3- تشخيص الوسط البشري

يضم مجال الدراسة ثلاث جماعات قروية هي جماعة أوكايمدن، وستي فاضمة، وأوريكا، تتميز كلها بنمو ديمغرافي متوسط، وينتظم السكان على شكل تكتلات وتجمعات بشرية على ضفتي الوادي وفي قعور الأودية الداخلية. وتقع هذه الجماعات بين مجموعة من الجماعات التي تتميز بنمو ديمغرافي سريع داخل إقليم الحوض هي جماعة تحناوت وأيت أورير الحضريتين، ويوضح الجدول تطور عدد السكان جماعات حوض أوريكا ما بين 1994 و2014:

الجدول رقم 1: تطور عدد سكان حوض أوريكا ما بين 1994-2014

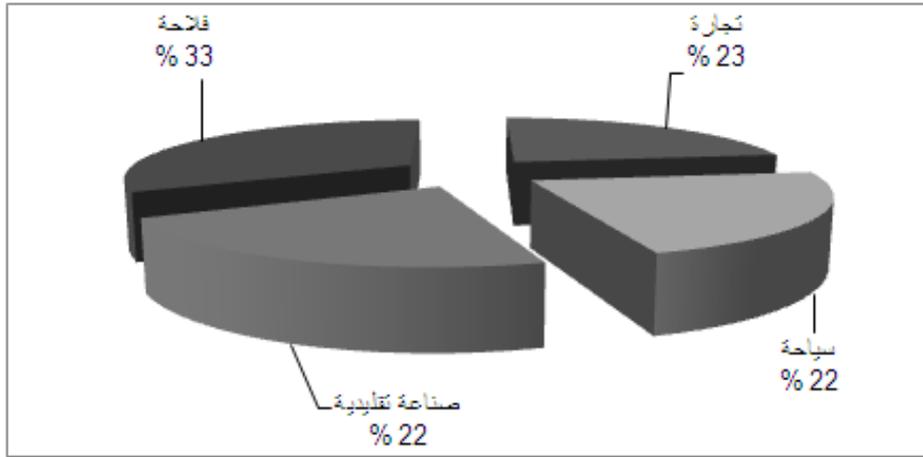
معدل النمو بـ %	2014		2004		1994		الجماعة
	عدد الأسر	عدد السكان	عدد الأسر	عدد السكان	عدد الأسر	عدد السكان	
2.1%	782	4861	655	4440	544	3798	أوكايمدن
	4279	24129	4457	22283	4109	20545	ستي فاضمة
	7598	37316	4777	26985	3580	21988	أوريكا
	12659	66306	9889	53708	8233	46331	المجموع

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط

يتضح من خلال الجدول أن حوض أوريكا يتميز بنمو ديمغرافي سريع يصل إلى 2.1% سنويا متجاوزا بذلك المعدل الوطني الذي لا يتجاوز 1.14% سنويا ما بين الفترة الممتدة بين 1994 و2014، حيث انتقل عدد السكان من 46331 نسمة سنة 1994 إلى 66306 نسمة سنة 2014، منهم 35 نسمة من الأجانب موزعة على الجماعات الثلاث (أوكايمدن 4 أجانب، ستي فاضمة 5 أجانب، أوريكا 29 أجنبي). فساكنة أوريكا عرفت تزايدا سريعا رغم الكوارث الطبيعية التي تعرفها المنطقة أهمها كارثة غشت 1995 التي نتجت عنها خسائر بشرية مهولة؛ هذا التزايد الديمغرافي الناتج عن التزايد الطبيعي لساكنة المنطقة والى الهجرة العكسية التي تزايدت نحو هذا المجال الجبلي، خاصة الأسر المراكشية المتوسطة الدخل التي باتت تفضل الاستقرار في أحواز مراكش لانخفاض أئمنة العقار وعامل القرب من مدينة مراكش، لهذا نجد ارتفاع ظاهرة التراقص اليومي بين هذه الجماعات القروية ومراكش.

على المستوى الاقتصادي يتميز حوض أوريكا بتنوع بنياته الاقتصادية حيث يعتمد السكان المحليون على موارد اقتصادية تجمع بين الفلاحة والخدمات والصناعة التقليدية. يعزى هذا التحول إلى الدينامية العامة التي يعرفها حوض أوريكا على مستويات عدة. وإذا كان الرعي قد شكل لفترات طويلة الركيزة الأساسية للاقتصاد المحلي خاصة مع تواجد مراعي جماعية، فإنه عرف خلال العقد الأخيرين تراجعا كبيرا مما أفسح المجال لتزايد أهمية أنشطة اقتصادية بديلة كالغراسة والسياحة والتجارة (المبيان رقم 1).

### المبيان رقم 1: تنوع الأنشطة الاقتصادية داخل الحوض

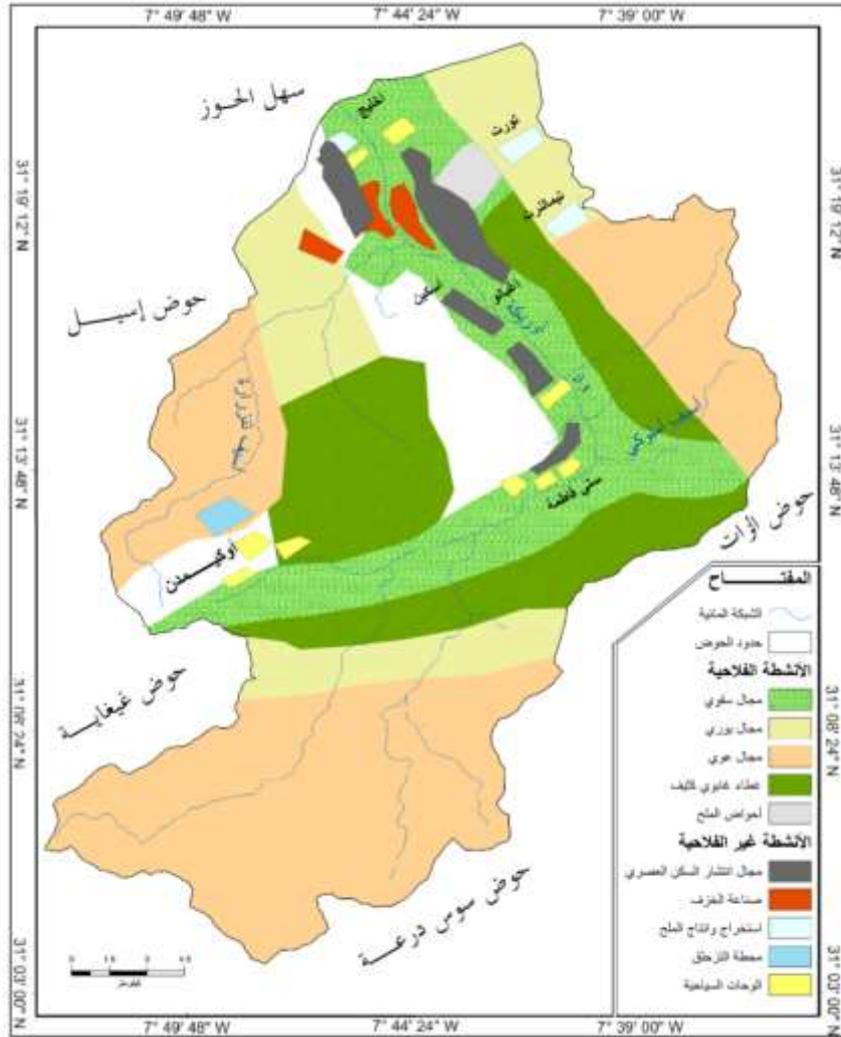


المصدر: العمل الميداني 2019

يبرز الرسم البياني توزيع الأنشطة الاقتصادية والنسبة التي تشغلها حسب الفئات المستجوبة، حيث تشغل الفلاحة نسبة 33% من الساكنة تليها التجارة بنسبة 23% ثم الصناعة التقليدية والسياحة بنسبة 22%. والملاحظ أن قطاعي الصناعة التقليدية والسياحة لهما نفس النسبة، ذلك لكون الصناعة التقليدية تتضمن المشتغلين في صناعة الخزف بدواوير أكسنان وتفزا وأنرار، واستخراج الملح بدواري تيماليزين وتويرت، يضاف إليها صناعة المصابيح التقليدية المصنوعة من النحاس وبعض المنتجات النسيجية التي تصنعها النساء ومهن البناء، ترتبط كل هذا المنتجات الصناعية بالقطاع السياحي.

يبدو إذن أن النشاط الفلاحي لم يعد الركيزة الأساسية للاقتصاد المحلي، حيث عرفت البنية الاقتصادية تحولا كبيرا، فأصبح السكان المحليون يعتمدون إلى تنوع نشاطهم الاقتصادي بهدف تنوع المداخل والرفع من قيمة الدخل الفردي وبالتالي تحسين ظروف عيشهم، وقد أدت هذه الوضعية الجديدة إلى تعدد مجالات استغلال المجال داخل الحوض (الخريطة رقم 2). ساهمت في هذه الدينامية الجديدة عوامل عدة منها؛ تراجع نسبة الأراضي الزراعية بفعل الانجراف والتوسع العمراني، ومحاولة السكان استثمار المؤهلات السياحية التي يوفرها المجال، إلى جانب عامل الهجرة الذي له تأثير كبير في تزايد التعاطي للنشاط التجاري. أفض هذا التنوع في تزايد الاهتمام بتوفير التجهيزات الأساسية والخدمات الاجتماعية إلى تحسين ظروف العيش، فما هي أهم أدوات التخطيط التي وظفت بالمجال قصد النهوض به على المستوى الاقتصادي والاجتماعي؟

### الخريطة رقم 3: أشكال استغلال المجال بحوض أوريكا



المصدر: عمل شخصي، المعاينة الميدانية والوثائق والتقارير الرسمية

### 4- أدوات التخطيط الريفي بحوض أوريكا

يحظى تخطيط مجال أوريكا باهتمام كل الفاعلين المهمتين بالشأن المحلي، لما له من دور في تدير المجال والمجتمع. -فالتخطيط سواء أكان حضريا أو ريفيا-، فإنه يسعى إلى تنظيم وترشيد استغلال المجال وتحسين جودة خدماته لفائدة السكان، غير أن غياب الديمقراطية المحلية يجعل منه سلاحا يخدم مصالح بعض الفاعلين عبر التحكم في تطبيق المجال واستغلال الأرض (محمد حنزاز 2016). سعت الدولة منذ فترة طويلة إلى الحد من الفوارق المجالية بين المجالات الحضرية والريفية من خلال سن سياسة التخطيط الريفي والحضري، تملت في إعداد مجموعة من وثائق التعمير، كتصاميم التهيئة والمخططات الجماعية...، أو المشاريع التنموية: كمشروع ديرو (DERO)، ومشروع الأطلس الكبير الأوسط، والرؤية الاستراتيجية للتنمية القروية (SDR 2020) ومشروع فدا (FIDA) للتنمية للقروية للمناطق الجبلية بإقليم الحوز ومخطط المغرب الأخضر (PMV) وبرنامج الاستثمار الفلاحي بالمناطق البورية (PMVB)...

عرف حوض واد أوريكا كمجال جبلي ذو طوبوغرافية مركبة وموارد ترابية متنوعة وكوارث طبيعية متتالية، تنزيل وانجاز مجموعة من المشاريع التنموية الهادفة إلى الحد من تدهور الموارد الترابية والرفع من

مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية...، تدخل هذه المشاريع في إطار التخطيط الريفي الذي يهدف إلى تهيئة وتأهيل المجالات الريفية خاصة الهشة منها. وقد مر التخطيط الريفي بهذا الحوض بثلاث مراحل أساسية ويتخذ شكلين؛ تخطيط رسمي/عصري، وتخطيط اجتماعي/تقليدي، وبين العصري والتقليدي يلعب المجتمع المدني دورا كبيرا في تنزيل المشاريع التنموية المنجزة الهادفة إلى تنمية المجال.

#### أ-مراحل التخطيط الريفي بحوض أوريكا:

- مرحلة ما قبل إحداث المجالس الجماعية:

امتدت من بداية الاستقرار بالمجال إلى حدود 1959، تميزت هذه الفترة بتكفل مؤسسة "الجماعة" بتهيئة وإعداد المجال وفق الإمكانيات المتوفرة بهدف الاستجابة لتلبية حاجيات القبيلة أو مجموعة من الوحدات البشرية التي تتقاسم المجال وموارده، وذلك من خلال محاولة التكيف مع الوسط الطبيعي.

لقد أبدع سكان قبيلة أوريكا على غرار باقي قبائل المغرب منذ القدم مؤسسة اجتماعية تسمى "الجماعت" وذلك لتسيير وتدير مجالهم لما يتوفر عليه من موارد ترابية مهمة. و"الجماعت" مجلس يتألف من أعيان القبيلة وأرباب العائلات الأصيلة التي يتعاون أفرادها على القيام بعمل ما، وهي التي تتولى في كثير من مناطق المغرب أمر توزيع المياه<sup>8</sup>. فقد اعتبرها الأستاذ العربي مزين في دراسة حول تافيلالت بأنها المؤسسة المؤلفة من أعراق العائلات وهي التي تملك صناعة القرار داخل كل قبيلة أو قصر<sup>9</sup>. ويعتبرها روبر مونتاني التنظيم السياسي الأكثر حيوية والأكثر نشاطا لأنها تملك السلطة الإدارية والتشريعية والتنفيذية، كما أنها تسهر على مصالح المجموعة والدفاع عن حدودها إضافة إلى أنها تعمل على ضمان الحياة الاجتماعية بها<sup>10</sup>، وهي التي تختار في كثير من الأحيان المكلفين بشؤون القسمة، وتقرر في الأمور المتعلقة بالموارد المائية، حيث يجتمع أعضائها لدراسة القضايا الهامة مثل تحديد النوبات ورعاية السواقي...<sup>11</sup>. واعتمد في تنفيذ هذه الأشغال الجماعية بالدرجة الأولى على القوة المتاحة آنذاك بشرية وحيوانية، وعلى الوسائل التقنية المتاحة.

لعبت هذه المؤسسة الاجتماعية دورا رئيسا في تسيير الشؤون المحلية للقبيلة في جميع أمورها، وتجدر الإشارة إلى أن ظهور جمعيات المجتمع المدني لم يشكل عائقا أمام صلاحية هذه المؤسسة أو الانتقاص منها بل على العكس من ذلك فإن "الجماعت" تنشط في إطار التشارك والتعاون مع الجمعيات المحلية من أجل تدير الشأن المحلي للسكان<sup>12</sup>. كما تميزت فترة الحماية الفرنسية بإنجاز مجموعة من البرامج والمشاريع بالمنطقة بدافع استغلال الموارد الطبيعية للمجال خاصة الموارد المائية والغابوية، وسخرت لذلك ما كان يطلق عليه وزارة الأشغال العمومية.

8-حافظي العلوي (2002): مصادر الماء ووسائل جلبه و صرفه بالمدينة المغربية في العصر الوسيط ندوة الماء بتانيسيفت، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، ص 129.

9-Mezzine Laarbi (1987): le Tafilat, contribution a l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles imprimerie Najah el Jadida; Casablanca, pp346-354.

10-Montagne Rebert (1930) les Berbères et le Makhzen dans le Sud Maroc Paris, P152.

11- أفا عمر (2006): التجارة المغربية في القرن التاسع عشر، البنينات والتحويلات 1830-1912، الطبعة الأولى دار الأمان الرباط، ص 142.  
12- من أهم هذه النماذج؛ جمعية تمونت للتنمية بدوار الحاجب التي تأسست عام 2002 قصد توفير المياه الصالحة للشرب للدوار فكانت الجماعة هي عصب نشاطها وتنفيذ أهدافها حيث اجتمع الكل واتفق على موعد حفر مسالك الشبكة المائية على صعيد الدوار وأنفق الجميع على دفع مبلغ 50 درهم لكل أسرة تعذر عليها الحضور.

● مرحلة التقطيع الترابي للحوض وإحداث الجماعات المحلية:

بدأت هذه المرحلة سنة 1959 وهو تاريخ إحداث جماعة أوريكا إلى حدود سنة 1995. تميزت هذه المرحلة بإحداث جماعة ستي فاضمة سنة 1968 وجماعة أوكايمدن سنة 1992. تتفاوت هذه الجماعات من حيث الساكنة والمساحة وأهميتها الاقتصادية داخل الحوض (الجدول رقم 2). تلعب الجماعات المحلية دورا أساسيا في التنمية المحلية والتدبير الترابي المحلي للموارد الترابية، من خلال تقريب الإدارة من المواطنين والمساهمة في تدبير المرافق الاجتماعية، وتقديم الخدمات الأساسية للمواطنين وخلق شركات متينة وفعالة مع الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، والعمل على إنشاء مرافق اقتصادية واجتماعية نافعة لفائدة السكان، والتنسيق بين مختلف المتدخلين على صعيد الجماعة وتشجيع الاستثمار والمبادرات الخاصة وتحسيس وتوعية السكان بدورهم الرئيسي في تنمية الجماعة.

الجدول رقم 2: الجماعات المحلية التي تنتمي إلى حوض أوريكا

الجماعة	المساحة	عدد الدواوير	تاريخ التأسيس
أوريكا	156 كلم <sup>2</sup>	36	1959
ستي فاضمة	300 كلم <sup>2</sup>	57	1968
أوكايمدن	105 كلم <sup>2</sup>	16	1992

المصدر: منوغرافيات الجماعات القروية لحوض أوريكا

تتكفل حاليا، كل جماعة من الجماعات الثلاثة بالتدبير والتسيير المستقل لمواردها الترابية. وقد نص الدستور الحالي في مسألة الاختصاصات الممنوحة للوحدات الترابية، في تسيير شؤونها، وخلق التنمية المحلية باستثمار مواردها المحلية، على التنسيق مع المصالح العمومية المتدخلة في المجال؛ كالمندوبية السامية للمياه والغابات ومكافحة التصحر ووكالة الحوض المائي لتانسيفت...، فبتعاون مع هذه المصالح تم خلق مشاريع وانجاز مخططات تروم الرفع من مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق استدامة الموارد الترابية.

وقد تزايد دور الجماعات الترابية في التدخل والتدبير والتخطيط لحدودها الترابية بعد تراجع دور الدولة عن أدوارها التقليدية المتمثلة في المراقبة والضبط، إلى أدوار المشاركة والتحكيم. وهكذا تم تفويض صلاحيات عديدة للمؤسسات المحلية في إطار توسيع الحقل الديمقراطي ومجال اللامركزية، مما يعني ظهور فاعلين محليين جدد إلى جانب آخرين قداماء لتدبير مجالات ترابية جديدة وذلك من اجل تدعيم أسس التشاركية والتعاقد في مشاريع التنمية والإعدادات<sup>13</sup>. وسنذكر لاحقا أهم وثائق التخطيط التي اعتمدها هذه المجالس المحلية في انجاز المشاريع التنموية.

● مرحلة ما بعد فيضان غشت 1995:

لعب الاستقرار البشري القديم بحوض أوريكا دورا كبيرا في استغلال سفوح أودية الروافد، وسفوح وظيف المجرى الرئيسي في مختلف الأنشطة البشرية، مما أدى إلى إحداث تحركات كتلية على السفوح، خاصة بعد تعرض الغطاء النباتي للاجتثاث لأغراض متعددة أهمها الحصول على أراضي زراعية مما كان له انعكاس سلبي كبير في غمر المجرى بمختلف الرواسب والأوحال مما ظل يشكل عائقا أمام الجريان المائي تسبب في حدوث فيضانات كارثية بالحوض. ولم يكن هذا المعطى البشري المسبب الرئيسي لهذه الكوارث

<sup>13</sup>-حسن الكتومور، حافظ الشرك، عبد العزيز أيت بو (2015): المقاربة الترابية مدخل لإعداد وتنمية الأرياف الجبلية بالمغرب، المشروع الترابي، أداة استراتيجية للتنمية المحلية، حالة جماعة إغزران الجبلية، ص27.

بل أيضا التقلبات التي تميز مناخ المنطقة، حيث التساقطات المطرية الفجائية من حين لآخر ما يتسبب في ارتفاع الصبيب فينتج عنه فيضان مهول يؤدي إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة.

ساهم هذا المعطى الطبيعي في ضرورة تعجيل تأهيل الحوض وإعادة هيكلته وفق شروط تتلاءم ووضعية المجال جراء الفيضانات، وتستجيب لتطلعات الساكنة والفاعلين بالمجال، من خلال الرفع من مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحسين البنية التحتية؛ خاصة وأن المنطقة تستقطب أعدادا كبيرة من السياح المغاربة والأجانب. وفي هذا إطار تعمل المصالح العمومية المعنية بالمناطق الجبلية والمصالح اللامركزية في انجاز مجموعة من المشاريع التنموية كل حسب مجال اختصاصاته: المندوبية السامية للمياه والغابات، عن طريق عمليات التشجير، ووكالة الحوض المائي عن طريق الدراسات الهيدرولوجية للحوض بهدف وضع الخطط الناجعة للحد من آثار الفيضانات...

وقد أنجزت المجالس الجماعية في إطار من التشارك والتشاور والتنسيق مع مختلف المصالح العمومية مجموعة من المشاريع التي تهدف إلى تثمين الموارد الترابية وحسن تدبيرها بشكل عقلائي يستجيب لمبدأ الاستدامة، كتوفير بعض الخدمات الاجتماعية الضرورية والتدخل أثناء الفيضانات الفجائية وشق المسالك الجبلية لفك العزلة عن الدواوير...، فما هي أهم هذه الوثائق والبرامج والمخططات التي أنجزت بالمنطقة؟

## ب- أهم أدوات ومشاريع التخطيط الريفي بحوض أوريكا

### • المخططات الجماعية للتنمية:

تدخل هذه المخططات ضمن الأهمية التي أولتها الدولة بعد الاستقلال لسياسة اللامركزية، من أجل تأسيس إدارة محلية تعنى بالشأن العام المحلي وتلبي الحاجيات الأساسية للمواطنين عن قرب، واعتبارها وسيلة وإطارا لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعزز هذا التوجه بالفعالية التي تصاحب التدبير عن قرب للشأن المحلي، والحاجة إلى ترسيخ الديمقراطية وتوسيع آفاق مشاركة السكان في اتخاذ القرار.

انطلاقا من هذه الأهمية، وبناء على الاعتبارات المرتبطة بمحدودية الموارد البشرية والمالية على المستوى المحلي وتعدد الفاعلين وتداخل مجالات اختصاصاتهم، يفرض التخطيط نفسه بإلحاح على السلطات العمومية والجماعات المحلية على حد سواء، من منطلق أن من لا يملك وسائل تدبيره مطالب بتدبير وسائله بشكل أكثر إحكاما وتجسيدا للتكامل والاندماج بين مختلف المتدخلين، لاسيما بعد أن أصبحت مفاهيم الشراكة والتعاون والتعاقد عناوين بارزة للحكمة المحلية الجيدة، وهو مسعى يجد تبريره في حاجة الجماعات إلى تقوية قدراتها التفاوضية لجلب ممولين للمشاريع التنموية التي يتعذر عليها بمفردها التكفل بإنجازها.

واستجابة للإرادة التي تم التعبير عنها على مستوى الإقليم سواء من طرف السلطات أو الجماعات المحلية وتجسيدها لطموح وزارة الداخلية لتعميم المخططات المحلية للتنمية على صعيد كل جماعات المملكة، تم إبرام اتفاقية ثلاثية بين عمالة إقليم الحوز وصندوق الأمم المتحدة للسكان والمندوبية السامية للتخطيط في إطار برنامج "دعم التخطيط ونظم المعلومات لتتبع أهداف الألفية على الصعيد اللامركزي"، هدفت هذه الاتفاقية إلى دعم إعداد مخطط إقليمي مندمج ومخططات جماعية للتنمية تراعي فيها المقاربة التشاركية ومقاربة النوع الاجتماعي وعرف هذا العمل انخراط مختلف الفاعلين المحليين بما في ذلك السكان ومنظمات المجتمع المدني.

قامت المندوبية السامية للتخطيط من منطلق دورها واختصاصاتها، بمواكبة إعداد المخطط الجماعي للتنمية من خلال تقديم الدعم التقني والمنهجي اللازم، وفق المنهجية والبنيات التي اعتمدها "دليل إعداد المخطط الجماعي للتنمية" الذي أصدرته المديرية العامة للجماعات المحلية. وقد تم في هذا الإطار وضع مخطط جماعي خاص بكل جماعة ترابية 14 بناء على إمكانياتها ومواردها الترابية، يتضمن كل مخطط مجموعة من المحاور تبدأ بالتشخيص الترابي وتنتهي بالتدبير والتتبع والتقييم، ويتم انجاز كل مخطط وفق برنامج عمل يحدد الكلفة المالية والمدة الزمنية والفئات المستهدفة والمجالات المعنية.

• مشروع مخطط التنمية المستدامة:

يندرج هذه المشروع ضمن برنامج دعم انجاز "مذكرة 21 المحلية" بمدن جهة مراكش-أسفي والذي أشرفت عليه وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، بدعم من وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) وبرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية. أنجز هذا المشروع سنة 2007، ويشمل مجال ترابي شاسع داخل إقليم الحوز تبلغ مساحته 1409 كلم مربع أي نسبة 22.6% من المساحة الإجمالية للحوز والبالغة 6212 كلم مربع، ويستهدف بلدية تحناوت وجماعة مولاي إبراهيم، وتامصلوحت وأوريكا وستي فاضمة وأوكايمدن.

يتكون المشروع من مجموعة من المحاور الرئيسية يهدف كل محور إلى تحقيق هدف رئيسي وأهداف ونتائج ثانوية، وفق مجموعة من الإجراءات القابلة للتنفيذ والانجاز، وكل إجراء عبارة عن مشروع تتكفل بإنجازه إحدى المصالح العمومية المتدخلة في المجال (المديرية الإقليمية للفلاحة، مكتب الاستثمار الفلاحي، وكالة الحوض المائي، الوكالة الحضرية، الجماعات المحلية المعنية، معهد البحث الزراعي، المفتشية الجهوية للإعداد التراب...).

• مخطط تنمية الدوائر السقوية الصغرى بحوض أوريكا:

تشرف المديرية الإقليمية للفلاحة على مجموعة من المشاريع التنموية في المناطق الفلاحية البورية والجبلية وهي مشاريع ذات طبيعية فلاحية تنموية بالدرجة الأولى، وينحصر تدخل المديرية بحوض أوريكا على جماعتي ستي فاضمة وأوكايمدن الواقعتين في الجزء الجبلي للحوض، هذا المجال الذي يعتمد اقتصاده المحلي على القطاع السياحي والرعي والزراعة في قعور الأودية.

وقد عملت المديرية الإقليمية الفلاحية بمراكش على انجاز مشروع يهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بدواير الجماعتين، أطلق على المشروع "مخطط تنمية الدوائر السقوية الصغرى لسستي فاضمة وأوكايمدن" وهو مشروع يهدف إلى تنمية محيط جماعتي أوكايمدن وستي فاضمة استهدف مجموعة من الدواير الواقعة بمجالهما الترابي. أنجز هذا المشروع سنة 2007، وقسم كل مشروع إلى شطرين.

هدف هذا المشروع إلى المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدواير المستهدفة، لهذا سعى إلى الاعتماد على الموارد الترابية التي يوفرها المجال خاصة الفلاحية منها لكون الساكنة المحلية تعتمد أساسا على الزراعة والرعي، وركز على مد السواقي وصيانة المتضررة منها، بالإضافة إلى شق الطرق والمسالك بهدف فك العزلة عن بعض الدواير، وربطها بشبكة الماء الشروب من خلال توفير آبار وبناء صهاريج

وتجهيزها. كما يهدف المشروع أيضا إلى الحد من الهدر المدرسي حيث تم تشييد مجموعة من المدارس وتجهيزها بالمعدات والماء الشروب والكهرباء.

• مشروع تنمية الحوض النهري لوادي أوريكا:

يندرج مشروع تنمية الحوض النهري أوريكا ضمن "المخطط الوطني لتهيئة الأحواض النهرية" الذي أنجز ما بين سنة 1990 و1996 والذي يهدف إلى المحافظة على التربة والتخفيف من حدة تدهور الأوساط الطبيعية، وشكلت عوامل التدهور التي تعرفها المناطق الجبلية (غابات، تربة...) الدافع الأساسي لبرمجة هذا المشروع وتزامن بشكل أساس مع الفيضانات التي شهدها الحوض خلال هذه الفترة.

يرتكز مشروع تنمية الحوض النهري لوادي أوريكا بالدرجة الأولى، على معالجة المناطق التي تعرف تدهورا كبيرا، حيث مخاطر التعرية قوية جدا. وتطلبت المعالجة البيئية لهذه المناطق غلافا ماليا يناهز 100 مليون درهم. وتعددت الأسباب التي أدت إلى انجاز هذا المشروع بين ما هو طبيعي وبشري، حيث تنشط عمليات التعرية (انجرافات وانزلاقات وتهدلات...) مما جعل الحوض يعرف نوعا من عدم الاستقرار البيئي، فقد بينت المعايير الميدانية أن نسبة 95% من مساحة المجال تتعرض باستمرار للانجراف التربة، تتفاوت درجتها من قطاع إلى آخر حسب طبيعة وقوة الانحدار، بالإضافة إلى أن المجال الغابوي للحوض يعرف تراجعا كبيرا جراء الرعي الجائر والاجتثاث الناتج عن الاستغلال البشري وعن الفيضانات التي تعمل على جرف الغطاء النباتي. كل هذه العوامل دفعت المصالح العمومية لتتدخل من أجل الحد من التدهور والتراجع الذي يعرفه المجال والحفاظ على سلامة الساكنة المحلية، وتشجيع السكان على الاستقرار وحماية البنيات التحتية والأراضي الزراعية.

• -برنامج تحدي الألفية:

يندرج ضمن البرامج الهادفة إلى تنمية المجالات الريفية خاصة الجبلية. ويهدف إلى انجاز أشغال متعلقة بالإعداد الهيدروفلاحي بالدرجة الأولى من خلال إصلاح وفتح مجموعة من السواقي. استفادت من هذا البرنامج جماعة أوريكا فقط على خلاف جماعتي ستي فاضمة وأوكايمدن، لكون مجال السافلة يسمح بمد قنوات متوسطة وصغيرة ويدخل ضمن مجال تدخل مكتب الحوز للاستثمار الفلاحي، ويلخص الجدول التالي أهم القنوات التي تم فتحها وإصلاحها:

الجدول رقم 3: السواقي التي تم فتحها وصيانتها

الحوض	اسم الساقية	الطول بالمتر
أوريكا	تغريت	4545
	تلغومت	2365
	تمسكليت	4775
	تيليت	4792
	توريكت	7136
	المجموع	23613

المصدر: مكتب الاستثمار الفلاحي للحوز

ساهمت هذه السواقي في توسيع مساحة الأراضي الفلاحية المسقية في الدوائر السقوية الصغرى الثلاث الواقعة بتراب جماعة أوريكا، خاصة الأراضي التي تمر بقربها هذه السواقي، مما ساهم من جهة في تزايد حصص ماء الفلاحين ومن جهة ثانية ساهم في تنوع المنتوجات الفلاحية والرفع من الإنتاج الفلاحي خاصة بعض الخضر والفواكه الموسمية. كما ساهم أيضا في الرفع من عدد الضيعات المخصصة للزيتون بكل من بوتيرة واكنسان والسبيتي<sup>16</sup>. غير أن المشروع بالرغم من أهميته الاقتصادية والاجتماعية إلا أنه لم يستطع الحد من استنزاف الوعاء العقاري الفلاحي، حيث تحولت مساحات مهمة من الأراضي الزراعية في هذه المناطق إلى تجمعات سكنية مساهمة بذلك في استنزاف الموارد الترابية.

خلال تتبعنا لأهم هذه البرامج ميدانيا تبين أن جلها لم ينجز منه سوى 45% من مجموع الأشغال وهذا ما أكدته المصالح التقنية بجماعة ستي فاضمة، إلا أنها ساهمت في الحد من عزلة بعض الدواوير خاصة الواقعة في الأودية الداخلية، وتحسين البنية التحتية والحد من الهدر المدرسي بتوسع قاعدة انتشار المدارس الابتدائية وإحداث مسالك التعليم الإعدادي والثانوي مما قلص بشكل كبير من الانقطاع عن الدراسة. كما ساهمت هذه المشاريع في تنوع البنية الاقتصادية للمجال والرفع من مردوديته من خلال دعم الفلاحين وانجاز مشاريع للإعداد الهيدروفلاحي في الدوائر السقوية، كما تم تشجيع إنشاء التعاونيات، وتشجيع الاقتصاد السياحي الذي ساهم في توفير فرص للشغل، والرفع من مداخيل الأسر. كما ساهمت هذه المشاريع في الحد من تدهور الموارد الترابية من خلال تكثيف عمليات التشجير في السفوح وإقامة الحواجز الميكانيكية التي تحمي السفوح من انجراف تربتها، والحد من اجتثاث الغابة والرعي الجائر، إذا كانت لهذه المشاريع أهمية كبرى، فأى دور يقوم به المجتمع المدني في المساهمة في التنمية المحلية؟

## 5. دور جمعيات المجتمع المدني في تنمية وتهيئة المجال

شهد المجال الترابي لحوض أوريكا تطورا كبيرا في دينامية المجتمع المدني على غرار باقي مناطق إقليم الحوز، حيث ظهرت في العقد الأخير جمعيات متعددة. يعود تاريخ تأسيس أول جمعية بالمنطقة سنة 1995 غداة فيضان غشت 1995، ويصل اليوم عدد الجمعيات المتواجدة بتراب الحوض إلى أزيد من 125 جمعية 17 موزعة على الجماعات الثلاث، بمعدل جمعية لكل دوار. وتساهم هذه الجمعيات في التنمية المحلية من خلال التركيز على محاور تنموية متعددة كالزود بالماء الصالح للشرب، ومحاربة الأمية، والتكوين والدعم المدرسي، والمشاريع المدرة للدخل. ويساهم الدعم خاصة المعنوي (التكوين، التأطير) الذي يقدمه الفضاء الجمعوي الإقليمي بتحنات، ومساهمة المجلس الإقليمي في دعم مجموعة من المشاريع التنموية المرتبطة بالمحاور السالفة الذكر<sup>18</sup>.

إن حضور الجمعيات المحلية في المشهد الاقتصادي والاجتماعي بالحوض ساهم بشكل كبير في تنزيل المشاريع التنموية وتطبيقها على أرض الواقع، إلا أن النسيج الجمعوي يرتبط بمجموعة من الاعتبارات السياسية والقبلية والمصالح الشخصية الشيء الذي يحد من فعاليته ونجاعته، ويكرس هيمنة فئات اجتماعية على أخرى، خاصة في الدواوير التي تحضر فيها الصراعات السياسية الحزبية والقبلية أو العائلية بشكل كبير، مما يبقى على استمرارية القرارات المركزية، وعدم الإشراف الفعلي للمجتمع المدني في تنزيل المشاريع. ويشكل قطاع الماء الشروب، الذي تتكفل بتديره الجمعيات المحلية تحت إشراف

<sup>16</sup>-العمل الميداني، زيارة ميدانية للوقوف على مدى مساهمة هذا المشروع في الرفع من الساحة المسقية بتاريخ 10 ماي و 14 يونيو 2016.

<sup>17</sup>-قسم العمل الاجتماعي بعمالة الحوز

<sup>18</sup>-العمل الميداني ماي 2016

المجالس الجماعية استثناء في المنطقة. وللنهوض بجمعيات المجتمع المدني نقترح الأخذ بعين الاعتبار خلق شركات بينها وبين المتدخلين المحليين وبقية الفاعلين، في إطار المقاربة التشاركية.

## خاتمة

شكل التخطيط الريفي (المشاريع التنموية والوثائق المرتبط به) أداة ناجعة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحوض أوريكا. وإجابة عن الفرضيات التي انطلقنا منها تبين من خلال دراسة وتتبع أهم المشاريع المنجزة بالمنطقة أنها ساهمت فعليا في تراجع وتيرة تدهور المجال وموارد الطبيعية، حيث قلصت من الآثار الناجمة عن الفيضانات خاصة في المناطق الأكثر تضررا بين منطقة الماس واغبالو الواقعة بتراب جماعة ستي فاضمة. أما فيما يخص الفرضية الثانية المتعلقة بدور المجتمع المدني في تنزيل أدوات التخطيط ومساهمته في التنمية المحلية وبناء المشروع الترابي، فقد تبين أن للنسيج الجمعوي دور كبير في التنمية المحلية، إلا أنه يواجه اكرهات تحد من فاعليته وأهميته في حقل التنمية، من جملة هذه الاكرهات ارتباطه في مجمله بالمصالح القبلية/العائلية والحزبية إلى جانب ضعف الدعم والتمويل المادي.

إن ما يميز أدوات التخطيط الريفي بحوض أوريكا الجبلي؛ هو تنوعها وقطاعيتها ثم أنها ذات طابع استعجالي، حيث إن انجازها يرتبط بالظرفية التي يشهد فيها المجال كوارث طبيعية تخلف خسائر بشرية أو مادية. استطاعت هذه المشاريع أن تحقق بعض النتائج على المستوى المجالي من خلال فك عزلة بعض الدواوير، انجاز بنية تحتية...، إلا أنها لم تحقق بعد الأهداف المرجوة خاصة على مستوى التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ويعزى ذلك إلى تعدد المصالح المتدخلة في تنزيل هذه الأدوات وتقاطع اختصاصاتها، ثم غياب التنسيق بينها في مسألة التخطيط للمشاريع وتطبيقها على ارض الواقع. وما يعيق هذه المشاريع هو عدم استشارة وإشراك الساكنة المحلية في تخطيط وانجاز وتتبع وتقييم المشاريع.

عموما، فإن المنهجية المتبعة منذ الاستقلال في ميدان التنمية الفلاحية والتخطيط لتنمية المجالات الريفية هيمن عليها المنظور المركزي والإداري، وطغيان المقاربة النمطية التي لا تراعي الخصوصيات المحلية، وتفتقر إلى التشخيص العلمي الدقيق للواقع المحلي بكل أبعاده، والإصغاء للساكنة المحلية وإشراكها الفعلي في جميع مراحل بناء وانجاز أي مشروع، فضلا عن الانطلاقة من النظرة المتساوية القيمة لكل المجالات الريفية، واعتماد التوجه القائم على الانتقاء المحلي والبحث عن الفعالية الاقتصادية القطاعية، دون الاكتراث بالفعالية الاجتماعية وبالتوازنات الجغرافية<sup>19</sup>.

<sup>19</sup>-المختار الأكل (2016): تهيئة وتنمية المجالات الفلاحية بالمغرب بين مخلفات الماضي ورهانات المستقبل، تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحاث وتدخلات، مجموعة البحث حول الأرياف، الرباط، ص 30.

## المراجع المعتمدة:

- أفا عمر (2006): التجارة المغربية في القرن التاسع عشر، البنيات والتحولات 1830-1912، الطبعة الأولى دار الأمان الرباط.
- لبكر رشيد (2003): إعداد التراب الوطني ورهان التنمية الجهوية، منشورات عكاظ، الرباط،
- الأكل المختار (2016): تهيئة وتنمية المجالات الفلاحية بالمغرب بين مخلفات الماضي ورهانات المستقبل، تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحاث وتدخلات، مجموعة البحث حول الأرياف، الرباط.
- العلوي حافظي (2002): مصادر الماء ووسائل جلبه وصرفه بالمدينة المغربية في العصر الوسيط ندوة الماء بتانسيقت، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.
- الكتمور حسن، حافظ الشرك، عبد العزيز أيت بو (2015): المقاربة الترابية مدخل لإعداد وتنمية الأرياف الجبلية بالمغرب، المشروع الترابي، أداة استراتيجية للتنمية المحلية، حالة جماعة إغزران الجبلية.
- بشارة عزمي (2012): المجتمع المدني، دراسة نقدية، ط 6، بيروت، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات.
- ملاوي أحمد إبراهيم (2008): أهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24 العدد الثاني.
- منوغرافيات الجماعات الترابية.
- خطط النهري لوادي أوريكا، المديرية الجهوية والغابات 2006.
- مكتب الاستثمار الفلاحي للحوز.
- المندوبية السامية للتخطيط
- المخططات الجماعية لجماعة أوكايمدن (2010)، أوريكا سنة (2010) وسطي فاضمة سنة (2010).
- الخريطة الطبوغرافية أوكايمدن-توبقال: 1/100000
- قسم العمل الاجتماعي بعمالة الحوز.
- وكالة الحوض المائي لتانسيقت.
- Mezzine Laarbi (1987): le 'Tafilalt :contribution a' l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles imprimerie Najah el Jadida ; Casablanca.
- Montagne Rebert (1930): les Berbères et le Makhzen dans le Sud Maroc Paris.
- Mohamed Saidi, M. AGOUSSINE, L. DAOUDI (2006): Effet de la morphologie et de l'exposition sur ressources en eau superficielle de part et d'autre du HAUT Atlas (Maroc), Exemple des bassines versants de l'Ourika et de Maréghen, Laboratoire de Géosciences et Environnement. Faculté des Sciences et Techniques Université Cadi Ayyad, bulletin de l'Institut Scientifique; Rabat ; Section Sciences de la Terre. N 28.
- Teisserenc (2002): Les Politiques De Développement Local, Collection Collectivités Territoriales Dirigée Par Louis Favoreu, 2eme Edition, Edition Economica.
- Charles-Éric Lemaigen (2014): Les Projets de Territoire des Communautés, enjeux et pratiques observées de France.
- Michel Casteigts (2003): "Le management territoriale stratégique", gouvernance et conduite de l'action public, édition l'harmattan, GRET.

## أي دور للفاعل الترابي بالمناطق الجبلية في تحقيق التنمية المستدامة؟ "حالة الجماعات الترابية بحوض أوريكَة"

أبودرار مصطفى

طالب باحث في سلك الدكتوراه  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،  
جامعة القاضي عياض- مراكش

### ملخص

يهدف هذا المقال إلى معالجة إشكالية الفاعل الترابي بالجماعات الترابية لحوض أوريكَة، في علاقته مع خلق تراب جديد قادر على التكيف مع الديناميات السوسيو-اقتصادية والتغيرات البيئية والثقافية المتسارعة التي يعرفها النظام العالمي الجديد. أسهمت الرهانات المركبة الكامنة وراء الحاجة إلى بناء تراب جديد في ضرورة وجود فاعلين أكفاء قادرين على إعادة تشكيل الاقتصاد المحلي لمواجهة مختلف التحديات الداخلية والخارجية، انطلاقاً من البحث عن التميز من خلال التركيز على تهمين الخصوصية المحلية للجماعات الترابية، إضافة إلى السعي نحو بناء تراب يعتمد على الجاذبية والكفاءة والأداء والتضامن والمنافسة من أجل تحقيق التنمية الترابية المستدامة. إن أشكال التدبير التقليدي للتراب من طرف الفاعلين بجماعات حوض أوريكَة أصبحت متجاوزة، ما يستدعي اعتماد استراتيجيات جديدة قادرة على خلق التكامل بين الأطراف الفاعلة وتجاوز الصراعات وتضارب المصالح بين الفاعلين، مع تغليب المصلحة العامة بهدف إقامة مشاريع ترابية تستوعب الجميع.

**الكلمات المفتاح:** التراب، الفاعل الترابي، التنمية الترابية، الحكامة

### Abstract

This article aims to manipulate the territorial actor problematic of Ourika Basin collectivities in relation with the creation of new territory capable of adapting to the socioeconomic dynamics and accelerated environmental and cultural changes within the New World Order. The complex bets behind the need to build new territory have contributed to the need for competent actors capable of reconfiguration the local economy to meet various internal and external challenges; Looking for excellence by focusing on Valorization the local specificity of territorial collectivities, addition to working towards building a territory based on attractiveness, efficiency, performance, solidarity and competition for sustainable territorial development. Traditional forms of territory management by Ourika Basin collectivities actors have become outlier. New strategies have to be adopted that can create complementarity among actors and overcome conflicts and conflicts of interest between actors. Efforts must be made to promote the public interest with a view to establishing territorials projects that accommodate all.

**Keywords :** Territory, territorial actor, territorial development, governance.

## مقدمة

احتلت الجبال مكانة متميزة في تاريخ المغرب ولعبت دائما دورا محوريا في شتى المجالات سياسيا؛ كمنطلق الأسر الحاكمة...، اقتصاديا؛ كمرم إجابري للقوافل التجارية بين الصحراء والبحر المتوسط...، اجتماعيا؛ كإطار متميز للعيش يجمع بين الرعي واستغلال الغابة والزراعة وتربية الماشية، كما تميزت كذلك بإشعاع ديني وثقافي هام. هذا الدور المتميز للجبال المغربية بدأ في التراجع مع تدهور التجارة الصحراوية ووقوع البلاد تحت نفوذ السلطات الاستعمارية.

تشكل الجبال المغربية حوالي 21% من مجموع مساحة التراب الوطني<sup>1</sup> وتأوي عددا مهما من الساكنة وتتوفر على مجموعة من الأراضي الزراعية الخصبة على طول الأودية، وتعتبر أيضا خزان المغرب من المياه باحتضانها جل الموارد المائية السطحية والفرشات الباطنية. وتعد الجبال كذلك مجمعا للثروات المعدنية والموارد الطاقية. كما يعتبر المجال الجبلي إطارا لتدبير التراث الطبيعي الجماعي، وتراكم المعارف والمهارات المحلية، إضافة إلى كونه موطنًا متميزًا للفنون الشعبية وثقافات محلية متنوعة وغنية تعزز مكانة الرصيد الثقافي الوطني من الحضارة الإنسانية.

على الرغم من كون الإصلاحات الترابية موحدة وشاملة للتراب الوطني، فإن تداعياتها والتغييرات التي تم إحداثها بعيدة عن التأثير بشكل متكافئ على الأجزاء المختلفة من مكونات التراب المغربي، فالجبال تشكل عنصرا أساسيا من خلال احتلالها موقعا متميزا في المجال الوطني على مستوى الموارد والوظيفة والبعد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ومع ذلك فإنها لم تنل قدرها الكافي من البرامج التنموية؛ لأن أغلب الجهود بعد الاستقلال تركزت في القطاعات والمناطق التي توفر شروط الاستثمار المربح والتراكم المالي (الساحل الأطلسي الأوسط، المدارات المسقية...) بينما ظلت باقي المناطق ومن ضمنها الجبال على الهامش رغم بعض التدخلات المحدودة<sup>2</sup>. هذه المقاربة بنيت على منطق اقتصادي أدى في نهاية الأمر إلى تقسيم المغرب لمناطق منتجة نافعة وقابلة لأن تدمج في الاقتصاد العصري، ومناطق هامشية لا تتوفر فيها الشروط المناسبة لذلك، الشيء الذي جعل الجبال عبارة عن مناطق تعاني العزلة التي انعكست بشكل خاص على ضعف خدماتها السوسيو-اقتصادية وتراجع وزنها الديموغرافي بسبب الهجرة.

إن التنمية الترابية هي السبيل لمواجهة الإكراهات والتهديدات التي تؤدي إلى تحطيم الهويات الثقافية المحلية، وتعميق الفوارق الاجتماعية والمجالية التي يعاني منها التراب الجبلي المغربي بشكل عام والجماعات الترابية لحوض أوربيكة بشكل خاص. أصبحت مسألة تحقيق التنمية الترابية اليوم تستلزم وجود فاعلين قادرين على السير بالتراب الأوربيكي نحو الأفضل وذلك عن طريق مشاريع حكيمة ومسيرة لمتطلبات الواقع المعاش، لأن الفاعل المحلي اليوم هو العنصر الأساسي في تنمية ترابه.

## 1. إشكالية الدراسة

يعتبر المجال الجبلي لحوض أوربيكة من بين أكثر المناطق تأثرا بالديناميات الاقتصادية المتسارعة والتغيرات المناخية التي عرفها العالم، إضافة إلى الاستغلال المفرط للموارد والتعرض للكوارث الطبيعية. تسببت الإكراهات التي واجهها حوض أوربيكة في معاناة ساكنه من مشاكل الفقر والهشاشة البيئية

1- مديرية إعداد التراب الوطني (2000): الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، خلاصة تركيبية، ص 51.

2- محمد الناصري (2003): الجبال المغربية، "مركزيتها - هامشيتها - تنميتها"، منشورات وزارة الثقافة المغربية الرباط، ص 207.

والسوسيو-اقتصادية، رغم توفرها على مؤهلات متعددة ستمكنها من تجاوز الوضعية الراهنة إلى وضعية أفضل. لكن ضعف استغلال موارد هذا التراب وسوء تديرها وعدم القدرة على الاندماج في نظام سوسيو-اقتصادي جديد، أدى إلى ضعف المستوى المعيشي للسكان. كما يعرف المجال الجبلي الأوربيكي دينامية مجالية متسارعة، الشيء الذي حتم على الفاعلين أخذ هذه الديناميات بعين الاعتبار وتدير كل أجزاء الحوض بشكل مندمج، لكون أجزاء الحوض تعرف ديناميات متفاوتة.

من خلال ما سبق فإن السؤال الإشكالي الرئيسي الذي يتناوله هذا المقال يأتي على الشكل التالي: ما مدى مساهمة الفاعلين الترابيين في تنمية المجال الجبلي لحوض أوربيكة وفي الرفع من وتيرة الاستغلال الأمثل للموارد المتوفرة به وجعلها أداة لتحقيق التنمية الترابية المستدامة وتحسين ظروف عيش السكان بتراب جماعات حوض أوربيكة؟ ولمعالجة هذه الإشكالية سنجيب على الأسئلة الفرعية التالية:

- ✓ من هم الفاعلون المتدخلون في تدير التراب المحلي والمساهمون في تحقيق التنمية الترابية المستدامة؟
- ✓ ما هي أهم الاستراتيجيات والآليات والمشاريع التي وضعها هؤلاء الفاعلون في إطار برامج عملهم؟
- ✓ هل استطاع مختلف الفاعلين بالتراب الجبلي لأوربيكة القيام بأدوارهم مع مراعاة الخصوصية المحلية؟

## 2. فرضيات الدراسة

انطلقنا للإجابة على الإشكالية المطروحة من ثلاث فرضيات أساسية:

- ✓ تعدد حاجيات المجال الجبلي لأوربيكة أدى إلى تعدد تشكيلة الفاعلين المتدخلين في تديره؛
- ✓ تواجه الاستراتيجيات والمشاريع المتخذة من طرف الفاعلين مجموعة من الاختلالات، وتكون تدخلاتهم في كثير من الأحيان غير منسجمة وغير متكاملة ولا تستجيب لانتظارات الساكنة؛
- ✓ أدت الصراعات وتضارب المصالح بين الفاعلين إلى عرقلة ابتكار وتنزيل المشاريع التنموية المناسبة للخصوصية المحلية.

## 3. منهجية معالجة وتحليل المعطيات

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على منهجين هما:

- **المنهج الوصفي:** اعتمدناه من خلال تتبع ووصف وتفكيك الإشكالية المدروسة في الميدان، والوقوف على عناصرها، وتتبع أساليب وأشكال اشتغال الفاعلين الترابيين ودراسة العلاقة بين مختلف المتغيرات، التي ساهمت في معالجة الإشكالية.
- **المنهج الكمي التحليلي:** من خلاله تم تحديد الإشكالية محل البحث، وجمع البيانات والمعلومات عنها، وفي ضوء ذلك تم وضع تساؤلات وفرضيات تمثل تخمينات لحل الإشكالية، وبعد ذلك تم تقديم الشروح، وإجراء التحليلات، واستخلاص النتائج والقرائن، واختبار الفرضيات؛ للتأكد من مدى الاعتماد عليها من عدمه.

#### 4. الجهاز المفاهيمي

-التراب: التراب عبارة عن بناء اجتماعي ثقافي يتم الحفاظ عليه وتجديده عبر التاريخ. تم إنشاؤه من طرف الجهات الفاعلة، على حساب مجالات مشتركة في ديناميات المشروع الترابي<sup>3</sup>.

وبصيغة أخرى التراب ناتج عن العلاقات التي تربط الفاعلين بمجال جغرافي محدد، والذي يشكل مساحة من سطح الأرض، تكون في ملكية مجموعة بشرية معينة تستغله من أجل تلبية حاجياتها وضمن استمرارها، وتؤخذ فيه بعين الاعتبار السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ التي تتميز بوجود حدود كالحدود السياسية للإقليم. فالتراب ليس فقط تلك المساحة المحدودة مجاليا، بل هو كذلك مجال للتنسيق والتفاعل بين مختلف الفاعلين "من خلال مبدأ التنظيم والعمل في ظروف مختلفة سواء على المدى القصير أو البعيد"، وبالتالي فإن التراب تمارس عليه سلطة ما، حيث أن المبدأ الأساسي الذي يعتمد عليه هو هويته التي تميزه عن باقي المجالات الأخرى. إذن يمكن الحديث عن ثلاثة معايير محددة للتراب:

- **أولاً: معيار الهوية والانتساب**، فالتراب عبارة عن مجال يحمل اسما وله حدود ويتوفر على تاريخ، ثقافة وتراث يستعمله المنتسب إليه كمرجعية للكشف عن هويته أو تحديد انتمائه، فالتراب هو مجال يحمل بصمات لتمثلات وممارسات الساكنة القاطنة به أو المنتمية له.
- **ثانياً: المعيار المادي**، ويشكل كل المؤهلات الطبيعية والبنيات التجهيزية المكتسبة عن طريق التهيئة التي يمكنها أن تساهم في خلق دينامية تنموية بتراب معين.
- **ثالثاً: المعيار التنظيمي**، يتشكل من تلك الهياكل الإدارية والقانونية والمؤسسية التي تحكم وتنظم المجال.

-**الفاعل الترابي**: اقتبس مفهوم الفاعل (Acteur) من قاموس المسرح، إذ يمكن القول إن التراب هو خشبة المسرحية أو أرضيته، والفاعل الترابي هو متقمص الدور عليها. والفاعل هو "من يقرر ويقوم بفعل أو عمل، باستعمال وسائل واستراتيجيات، والتي ترتبط هي الأخرى بتمثلات الفاعل ومصالحه، التي يهدف من خلالها سد حاجياته وتقوية تأثيره، حتى يكون قادرا على مراقبة المحيط الذي يعيش فيه"<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة، إلى أن حجم الفاعل الترابي مسألة حظيت بالدراسة لتحديد المستوى المناسب للفعل الترابي داخل التراب باعتباره تشكيلة سوسيو-مجالية، إذ تؤكد أن الفاعل كفرد، لا يدخل في سياق مفهومه، بل يعتمد بالأساس على الكائن الاجتماعي المستوطن للمجال الترابي بقيمة مرجعية مناسبة، تظهر بوضوح للمجموعات الاجتماعية (مدبرون مؤسساتيون- مقاولون- جمعويون. مقرررون- ...)، وقادرة نسبيا على استيعاب البنيات الاقتصادية والثقافية واللغوية والعقدية والفكرية<sup>5</sup>.

- **التنمية الترابية**: حسب أرمون فريمون، تترجم التنمية الترابية أساسا، نظرة إدماجية للمجالات وللفاعلين الاجتماعيين ولسياسات التدخل العمومية .... وهكذا، فإن الهدف الرئيسي للتنمية الترابية، هو خلق الالتحام الاجتماعي والترابي، كعنصر لتجانس مسلسلات التخطيط والتهيئة والتنمية المتبعة من الأعلى ومن

3-Anthony Tchékémian, (2004): Entre démarches de qualité et diversification, une ressource territoriale à l'épreuve des faitsm CERMOSEM – La notion de ressource territoriale.

4-بوجروف سعيد (2012): "الجهة والجهوية، أي مشروع لأي تراب؟" المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص 45.

5-GUY DI Méo (1998): «Géographie sociale et territoire», Ed Nathan, Paris, p197.

الأسفل<sup>6</sup>. تفرض التنمية الترابية إذن، ثورة فكرية بضم عناصر اجتماعية وسياسية للتحليل الاقتصادي<sup>7</sup>. فالتنمية الترابية، كما يرى ذلك الباحث مصطفى حسني، تفرض القطع مع المنطق الوظيفي في تنظيم الحياة الاقتصادية، وتقتصر العودة للمنظور الترابي. ففي الإطار المحلي، وبتنمين الموارد الترابية المحلية، وضمان انخراط ومشاركة السكان المحليين، يمكن للتنمية أن تجيب عن انتظارات الساكنة.

وإذا كان البعض، يرى بأن التنمية الترابية هي "الأسلوب الذي يسمح للفاعلين بتحسين قدراتهم على السيطرة على التطورات التي تهمهم"<sup>8</sup>، فإن البعض الآخر يؤكد على ضرورة التفاعل والتخطيط، حيث يرى أن "التنمية الترابية هي نتيجة للتفاعل بين الديناميات المحلية والديناميات المؤسساتية، وإرادة معينة في التدبير والتخطيط الجماعي للتراب، من خلال مختلف صيغ الحكامة"<sup>9</sup>.

- **الحكامه:** الحكامة هي دعوة صريحة إلى تجاوز حالة اللاتوازن، الناتج عن أحادية صنع القرار، دون مراعاة المنطق العلمي المؤسس على عناصر المشاركة في مختلف مراحل إعداد المشروع، من التشخيص إلى البرمجة والتنفيذ، ثم التقييم والمحاسبة، في إطار سيرورة تمتاز بالشفافية وحسن الأداء. ويرتبط مفهوم الحكامة الترابية أولاً، بخطاب التنمية المحلية، حيث يركز على انخراط الفاعلين المحليين، الخواص منهم والعموميين والجمعويين في ديناميات التنمية، من خلال تعبئة طاقاتهم ومواردهم، وتحمل مسؤوليات مصيرهم، والعمل على الخلق والتجديد والتنظيم والتنسيق بين أعمالهم.

الحكامه الترابية هي ربط العلاقة بين الشبكات المختلفة للفاعلين المؤسساتيين والسياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين، في إطار رؤية ومشروع مستقبلي للتنمية المستدامة. ويفهم وضع شبكة فاعلي التنمية المحلية، بتقاسم المعارف والخبرات التي يتوفر عليها كل الشركاء مع الأبناء، مع الإشارة إلى أن لكل واحد من هؤلاء، استقلالية كبيرة في تحديد وحسم الاختيارات الاستراتيجية<sup>10</sup>.

## 5. تقديم منطقة الدراسة

إن اختيارنا للجماعات الترابية أوربيكة وسني فاضمة وأوكايمدن التي تنتمي إدارياً إلى إقليم الحوز كمجال للدراسة، أتى بناء على الدينامية المهمة التي تعرفها هذه المجالات. تقع الجماعات الترابية لأوربيكة ضمن حوض أوربيكة الذي يعتبر أحد أهم الأحواض الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية للأطلس الكبير الغربي، ويبتدئ هذا الحوض من جهة الشمال مباشرة من الحدود مع جماعة اغمات ليشكل امتداداً سهلياً على مسافة 5 كيلومترات نحو الجنوب لندخل في الدير عند قدم الجبل. ثم بعدها يأتي القسم الأكبر من الحوض الذي يطغى عليه الطابع الجبلي (جبال درن) وتتميز بارتفاعات تصل فيه أعلى قمة مشرفة على الحوض 4001 متر عن سطح البحر بجبل إفراون، وتعتبر هذه الجبال المصدر الأساسي لمجري المياه نظراً لكمية الثلوج المتساقطة عليها. تتراوح الارتفاعات عموماً بهذا المجال ما بين 700 و4001 متر عن سطح البحر.

<sup>6</sup>- المصطفى حسني (2009): "إشكالية التنمية الترابية بالمغرب، نموذج جهة دكالة عبدة"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب جغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.

7- AYDALOT Philippe, (1982): «Economie régionale et urbaine», Paris, Economica.

8- DE FONTAINE Jean-Pierre, et autres, (2001): «Itinéraires et développement», INRA.

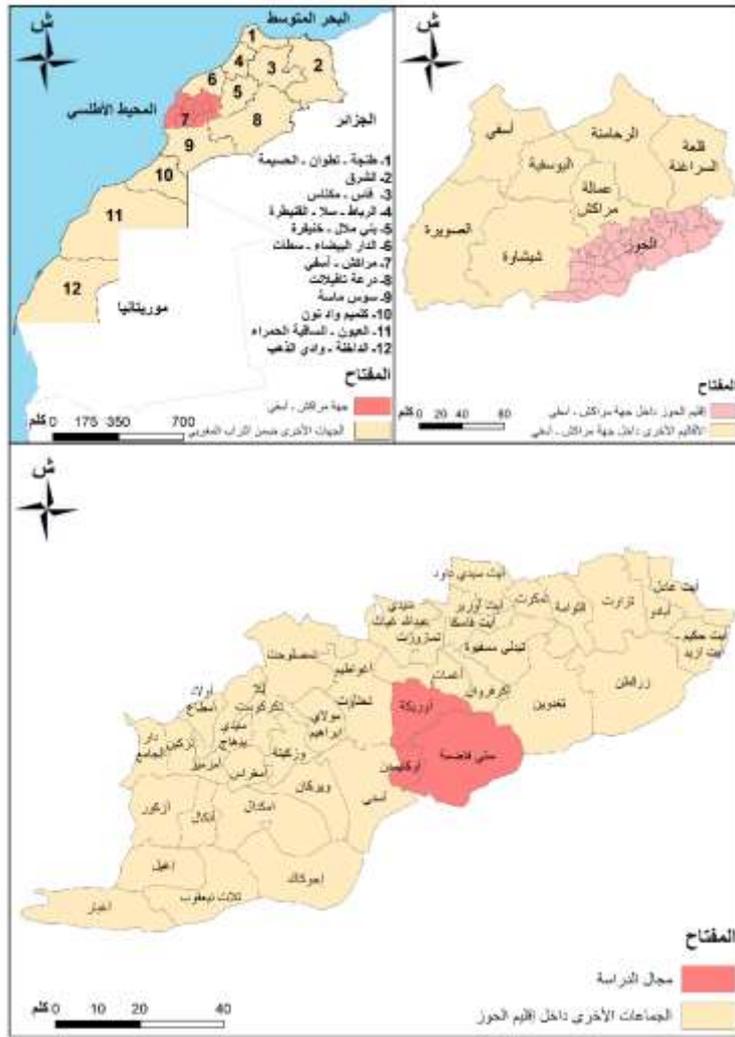
9- GIRAUT Frédéric, VANIER Martin, «Plaidoyer pour la complexité territoriale, in Utopie pour le territoire, L'Aube, Paris.

10- CARLES Joseph, «Gouvernance territoriale», [http://fr.wikipedia.org/wiki/gouvernance\\_territoriale](http://fr.wikipedia.org/wiki/gouvernance_territoriale).

لينتهي امتداد الحوض جنوبا بالحدود مع جماعة توبقال وتيديلي؛ وشرقا جماعة تيغدوين واكرفروان؛ وغربا جماعة أغواطيم وأسني. وفيما يتعلق بالحدود الهيدرولوجية فإن الحوض يتوسط كل من حوضي الزات شرقا وغربا.

على المستوى الإداري يضم الحوض ثلاث جماعات ترابية (أوريكة، ستي فاضمة، أوكايمدن) بعدد إجمالي من السكان بلغ 66271 نسمة. هذه الجماعات تنتمي إلى دائرة تحناوت التابعة لإقليم الحوز، جهة مراكش آسفي بمساحة 564 كلم<sup>2</sup>. يحد الإقليم من الشمال عمالة مراكش وإقليم قلعة السراغنة، ومن الجنوب إقليم تارودانت وورزازات، وشرقا إقليم أزيلال، وغربا إقليم شيشاوة.

### الخريطة 1: توطين مجال الدراسة ضمن التراب الإقليمي والجهوي والوطني



المصدر: عمل شخصي 2021

### 6. دينامية سوسيو-اقتصادية سريعة وانفتاح اقتصاد الجبل على اقتصاد السوق

أصبحت المجالات الريفية والجبلية على الخصوص تعرف عدة تحولات تنعت بصفات مختلفة؛ يطلق عليها إما تراجع الأريفة أو نهايتها (Déruralisation)، أو ريف جديد بوظائف جديدة. وأوضحت هذه المجالات خلال العقود الأخيرة تعرف تراجع الطابع الريفي، وذلك راجع لعدة عوامل اقتصادية واجتماعية. يكتسي تحول أريفة هذا المجال عدة أشكال؛ منها انفتاحه على اقتصاد جديد وتعدد الأنشطة لدى الأسر

الريفية على حساب استغلال الأرض وتعبئة الأرياف للمدن، إلى جانب انتشار أنماط العيش "الحضري" بالبوادي. إذا تأملنا في التحول الاجتماعي الذي يجتازه حوض أوريكية، من المؤكد أننا ندرك مدى التطور الذي طرأ على المجتمع، فمظاهر العيش مسها التطور في أساليب الإنتاج والاستهلاك<sup>11</sup>.

### 1.6. الجماعات الترابية بحوض أوريكية، وتنامي ظاهرة الهجرة البيجماعية

يعتبر الجانب الديموغرافي من أهم الجوانب التي يعتمد عليها في دراسة طبيعة عيش الإنسان وتفاعله مع مجاله الطبيعي، ومن المعروف بأن منطقة أوريكية شهدت استقرارا بشريا قديما خاصة في قسمها الجبلي نظرا لما كان يوفره من خيرات، لكن هل استطاع الجبل الحفاظ على تلك المكانة؟ أم أن وظيفته السكنية تراجعت لصالح مجالات أخرى؟ في ظل التحولات المجالية التي عرفت المجالات الجبلية المغربية بشكل عام وأطلس مراكش بوجه خاص، فإنها تعرضت لتحولات ديموغرافية سريعة، ناتجة عن الاستقرار وتراجع الترحال من جهة، ومن جهة أخرى، النمو الديموغرافي للسكان الجبلية. ولإبراز هذا التحول الديموغرافي بحوض أوريكية مجال دراستنا، سنتوقف عند التطور السكاني الذي عرفه، وبرز الجدول (رقم:1) تطور السكان بحوض أوريكية وتوزيعهم بين الجماعات الترابية.

الجدول 1: تطور عدد السكان بجماعات حوض أوريكية ما بين 2004 و2014

أوريكية	عدد السكان			عدد الأسر	الكثافة
	المجموع	الإناث	الذكور		
إحصاء 2004	26985	13276	13709	4777	172 ن/كلم <sup>2</sup>
إحصاء 2014	37290	18129	19187	7598	239 ن/كلم <sup>2</sup>
ستي فاضمة	عدد السكان			عدد الأسر	الكثافة
	المجموع	الإناث	الذكور		
إحصاء 2004	22283	11046	11237	4457	74.27 ن/كلم <sup>2</sup>
إحصاء 2014	24120	11806	12314	4279	71.50 ن/كلم <sup>2</sup>
أوكايمدن	عدد السكان			عدد الأسر	الكثافة
	المجموع	الإناث	الذكور		
إحصاء 2004	4440	2271	2169	655	24 ن/كلم <sup>2</sup>
إحصاء 2014	4795	2348	2447	782	91.20 ن/كلم <sup>2</sup>

المصدر: الجماعات الترابية بأوريكية عن المندوبية السامية للتخطيط، إحصائي: 2004 و2014

من خلال مقارنة الخصائص الديمغرافية لجماعات هذا الحوض، لوحظ بأن هناك تفاوت كبير في أعداد السكان بين الجماعات الترابية الثلاث المكونة له، ومما يثير الانتباه أن الكثافة السكانية كبيرة بمنطقة

<sup>11</sup>- مولاي الحسن الفارسي (2008): تحولات السكن وتنظيم المجال الجبلي بواد أوريكية، دراسات مجالية العدد 5، سلسلة ندوات ومناظرات، مجموعة البحث حول التدبير الجهوي والتنمية الترابية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض، مراكش، ص 84.

سهل قدم الجبل عكس ما كان متعارفا عليه لقرون مضت، حيث كان السكان يفضلون الاستقرار بالمناطق المرتفعة.

تمثل جماعة أوريكية لوحدها 56% من مجموع سكان الحوض أي أكثر من النصف، ثم تأتي بعدها جماعة ستي فاضمة بنسبة 36%، وفي الأخير جماعة أوكايمدن ب 8%. انطلاقا من الفترة الممتدة ما بين 2004 و2014 تزايد عدد سكان الجماعة الأولى بأكثر من 10 000 نسمة، بينما بقيت الجماعتين الأخريين محافظتين تقريبا على نفس معدلهما الأول، حيث لا تتجاوز نسبة الزيادة خلال هذه الفترة 1000 نسمة.

يرجع هذا الاختلاف في أعداد السكان إلى عدة عوامل أهمها التأثير بتيار العولمة، إذ أصبح أغلب سكان الجبال يفضلون العيش بجماعة أوريكية نظرا لقربها من مدينة مراكش، وملائمتها النسبية لظروف العيش وتوفيرها وعاء عقاري مناسب لخلق تجمعات سكنية منظمة بخلاف جماعتي ستي فاضمة أوكايمدن، وهذا ما زاد من إشكالية الهجرة البيجماعية من الجبل (ستي فاضمة وأوكايمدن) نحو قدم الجبل (جماعة أوريكية)، إضافة إلى عامل الهجرة العكسية من مدينة مراكش نحو أوريكية، هذا ما أدى إلى تفاقم الإكراهات التي تواجه هذه الجماعة خاصة فيما يتعلق بعملية التعمير، فلحد الساعة لا يوجد حل جذري (تصميم التهيئة) لتجاوز هذه الإشكالية ومنه استمرار زحف البناء العشوائي على المساحات الخضراء وزيادة تفاقم الأوضاع نحو الأسوأ.

## 2.6. تراجع أهمية الأنشطة الفلاحية بحوض أوريكية

في وقت كان فيه النشاط الفلاحي هو المحدد العام لتنظيم المجال، فإنه في ظل ما يعرفه الحوض من تحولات؛ أحدثت العديد من الأساليب الجديدة في عملية الإنتاج والاستهلاك، نجد الفلاحة لم تعد تشكل المورد الوحيد للمداخيل ولا الانشغال الأول للسكان بوادي أوريكية. فقد تعددت الأنشطة غير الفلاحية الممارسة كإستراتيجيه للتكيف مع ديناميات التحول الاجتماعي والاقتصادي التي يعرفها هذا المجال. هذه الأنشطة صعب الإلمام بها من كل النواحي، فتعدد الأنشطة له عدة أبعاد وعدة أهداف ودواعي، كما يمكن أن نجد فردا واحدا ينتقل بين عدة أنشطة تبعا لمتطلبات سوق الشغل في كل فترة، أو لفهم خاص للقيم الاجتماعية والاقتصادية لكل نشاط<sup>12</sup>.

إن تراجع الفلاحة كنشاط رئيسي لدى أغلب أرباب الأسر بحوض أوريكية، يفسر محدودية الموارد المكتسبة من هذا النشاط الاقتصادي، أو في بعض الأحيان يعتبر تعدد الأنشطة وسيلة لمراكمة الرأسمال ومضاعفة الموارد التكميلية<sup>13</sup>.

وبهدف تلبية الحاجيات الجديدة أصبحت الساكنة مجبرة على أن تستهلك ما لا تنتج تأثرا منها بنمط الحياة الحضرية<sup>14</sup>، مما دفعها إلى تنويع أنشطتها الإنتاجية وتوفير موارد استهلاكية أخرى عن طريق

<sup>12</sup>-مولاي الحسن الفارسي، مرجع سابق، ص 90.

13- Guitouni Abdelkader; (2005): La décentralisation des compagnes du Rif trait majeur des mutations de la région; études spatiales n°2 " mutation des espaces rurales dans les montagnes du Rif marocain", publication de Groupe de Recherche Géographique sur les montagnes de Rif, FLSH de Tétouan, p 232.

14- Bellaoui Ahmed; (2006): Tourisme et système économique des zones de montagne au Maroc, Etat actuel et perspectives d'avenir: Le cas du Haut Atlas de Marrakech; Le tourisme de montagne réalités et perspectives, publication EDIT, LERMA, ERCPT, FLSH Université Cadi Ayyad, Impression El Watanya, Marrakech, p 109.

الاستيراد. نظرا لتطور السكن وعصرنته فقد ظهرت مهن جديدة كالبناء والكهربائي والرصاص ... وعلى طول واد أوريكية، نجد الساكنة لا تتردد في ولوج أنشطة جديدة (مقاهي، محلات تجارية، النجارة وحرف أخرى متعددة ...)، تنضاف إليها فئة أخرى تحولت من خماس أو فلاح إلى عامل؛ وهي فئة تحولت من منتج إلى مستهلك في نفس الوقت. هذه الفئة، حسب وجهة نظر "بيرك berque" حصل لديها هذا التحول بسبب<sup>15</sup>:

- زعزعة ثققتها في العمل الفلاحي الروتيني الذي كان يعتبر شيئا طبيعيا؛
- إذكاء حسها النقدي عن طريق عمليات التحديث؛
- تحقق تقدم على مستوى التقنيات المادية وكذلك على مستوى أنماط العيش.

### 3.6. السياحة أداة تحول مجالية مهمة

من دون شك أن السياحة الجبلية تنمو بشكل كبير، تنتشر وتتركز بمجالات محددة، هذا التركيز يحدث تغيرات مهمة على المجال وعلى الإنسان. فهي ظاهرة جغرافية تغير من وظيفة ومن تنظيم المجال الذي يمارس به النشاط.

ووادي أوريكية لا يخرج قط من هذا الإطار، فهو يستفيد بشكل كبير من الخصائص الطبيعية التي يوفرها للسائح وكذلك من قربه من أهم المدن السياحية بالمغرب (مراكش)، إضافة إلى استفادته كذلك من الخصوصيات المعمارية والثقافية والاجتماعية المشكلة لهوية المنطقة.

لقد أصبحت السياحة عاملا مهما في التنظيم المجالي بحوض أوريكية مؤثرة على الدور الأساسي الذي ظل يلعبه الاقتصاد الفلاحي خلال عقود مضت. هذا التأثير يمكن القول إنه تجاوز درجة المنافسة إلى مستوى أصبحت فيه السياحة النشاط المستحوذ والمحدد العام لتنظيم المجال. هذه الحالة تتجلى على طول وادي أوريكية وبالأخص في محطات أغبالو، ولماس، ستي فاضمة، إضافة إلى المحطة الثلجية أوكايمدن.

فمن جهة أولى، نجد العديد من المدرجات كانت تستغل لإنتاج محاصيل زراعية، يداوم الفلاح بوسائله التقليدية على تهيئتها باستمرار إزاء الانجراف بكل من أغبالو، ولماس وستي فاضمة، أضحت الآن على شكل محطات للاستجمام مهيأة بوسائل حديثة وبشكل يسمح بتوفير مشاهد طبيعية مغرية للسائح. أصبح التنافس بين الفنادق والمطاعم الموجودة بهذا المجال معيارا للرفق بمستوى الخدمات المقدمة، بالإضافة إلى الاعتماد على المشهد الذي يقدمه الموقع، مما يعني تبعا لهذا المبدأ، ومبدأ منطق الريح؛ البحث أكثر عن مواقع مميزة ومغرية للتمكن من استقطاب أكبر للسياح ومضاعفة الأرباح. من جهة أخرى؛ فإن ذروة النشاط السياحي تتزامن مع الفترات الأكثر ضعفا من حيث العمل الفلاحي (الصيف والربيع)، مما ينعكس بشكل مباشر من حيث تحول العمل من الاشتغال في الفلاحة إلى العمل في السياحة<sup>16</sup>.

15- Berque J (1945): Vers la modernisation rurale, B.I.M, n° spécial, Octobre, p 9.

16- السعيد بوجروف (2007): الجبال المغربية أية تهيئة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب تخصص جغرافية التهيئة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، الجزء الثاني، ص 385.

## 7. جماعات الترابية بحوض أوربيكة أي رؤية لتحقيق التنمية الترابية المستدامة؟

برمجت الجماعات الترابية بحوض أوربيكة عدة مشاريع في إطار برنامج العمل الخاص بها وذلك حسب رؤية كل مجلس، تميزت هذه المشاريع بتنوعها وباختلاف مدة إنجازها وتكلفتها المالية، منها مشاريع أنجزت وأخرى لم تنجز، برمج بعضها للإنجاز بشكل فردي وأخرى في إطار شراكة.

الجدول 2: نماذج من المشاريع المبرمجة من طرف الجماعات الترابية بحوض أوربيكة على مدى سنوات 2017 - 2022.

بعض نماذج المشاريع الخاصة بالجماعة الترابية أوربيكة							اسم المشروع
التكلفة الإجمالية	التكلفة المبرمجة خلال السنوات بالدرهم						
	2022	2021	2020	2019	2018	2017	
100.000						100000	اقتناء حاويات الأزيال
1.200.000	X	x	x	X	x		تحديث وتقوية أسطول النظافة
100.000	X	x	x	X			إحداث فضاء للترفيه
1.000.000	X	x	x	X	X	400000	ترصيف المسالك الطرقية الرابطة بين بعض الدواوير والمركز
1.500.000	X	x	x	X	x	300000	فتح وإصلاح المسالك
3.000.000	X	x	x	X	X	500000	تقوية وتوسيع الشبكة الكهربائية
700.000	X	x	x	X	X	200000	تسييج المقابر
5.000.000	X	x	x				إحداث محطة للمعالجة
463.200						463200	حفر آبار بدواوير: اكنسان، ايت الراضي، شعبة الماء ومصرف البرج. تعميق آبار بدواوير: تافزة، الحجل، اكموس، ايت الراضي، الحداد،

بعض نماذج المشاريع الخاصة بالجماعة الترابية أوكايمدن

الفترة المقترحة للإنجاز	التكلفة التقديرية للمشروع بالدرهم	اسم المشروع
2021 - 2017	900 000.00 درهم	. بناء وإصلاح المنشآت الفلاحية (السواقي، صهاريج ...)
2021 - 2018	500 000.00	. إصلاح المسالك الطرقية المؤدية إلى دواوير الجماعة
2021. 2017	600 000.00	. إتمام مشاريع الماء الصالح للشرب وتوسيع شبكة التوزيع
2020 - 2018	في إطار شراكة	. بناء إعدادية بمركز تخفيست
2017	450 000.00	. اقتناء سيارة الإسعاف
2020. 2018	في إطار شراكة	. إحداث ملعب للقرب بمركز تخفيست
2020 - 2018	100 000.00	تأطير وتكوين الجمعيات والتعاونيات
2021. 2017	200 000.00	. إصلاح وتوسيع الإنارة العمومية
2018. 2017	800000	. إنجاز مشروع الصرف الصحي وإحداث محطة لمعالجة المياه العادمة بمركز أوكايمدن
برنامج توقي للفترة 2021 - 2019	400000	. إعادة هيكلة المركز التجاري

المصدر: الجماعتين الترابيتين أوربيكة وأوكايمدن، 2017.

من خلال ملاحظة وتحليل المشاريع المسطرة من طرف الجماعات الترابية بحوض أوريكية في برامج عملها اتضح أن جل هذه المشاريع تهتم بالأساس قطاعي التجهيز والبيئة، كحفر أبار وتعميق أخرى بمجموعة من الدواوير، تبليط بعض المسالك الطرقية، تسييج بعض المقابر وما يحمله ذلك من استغلال للجانب العاطفي والروحي للسكان المحلية، الاهتمام بالإنارة العمومية... إلخ. على العموم يمكن القول بأن تشكيلة "المشاريع" المسطرة من طرف جل مجالس الجماعات الترابية بأوريكية يغيب فيها مفهوم الاستثمار الاقتصادي لتعزيز وتأمين الموارد الترابية وتحقيق التنمية الترابية المستدامة.

إن المجالس الجماعية بأوريكية ركزت بالأساس على بعض التدخلات التقليدية تطمح من خلالها إلى استمالة السكان المحليين لربح رهان الانتخابات مستغلين في ذلك حاجتهم الملحة لأبسط متطلبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية. عدم دراية أغلب السكان المحليين بتلك الأدوار التنموية الكبرى التي خولت للجماعات الترابية اقتصاديا، اجتماعيا، وثقافيا جعلهم يقبلون بمثل هذه التدخلات المحدودة الأثر الاقتصادي والاجتماعي والمجالي.

إن التدبير الجماعي بحوض أوريكية رهين بالعنصر البشري باعتباره الأداة الضرورية والفاعلة في ميدان التدبير المحلي، لكن استنادا إلى معطيات المقابلات مع رؤساء الجماعات الترابية بحوض أوريكية مفادها أن عددا من المنتخبين داخل المجالس الجماعية لا يتجاوز مستواهم المرحلة الابتدائية وفئة أخرى بدون مستوى دراسي، هذا ما ساهم في جعل التدبير الترابي ضعيفا من حيث إعداد وتنزيل المشاريع ذات الأهمية في مجال التنمية الترابية المستدامة. كما أن رهان بعض المنتخبين من دخول غمار التدبير والتسيير الجماعي هو الوصول إلى السلطة دون امتلاك أية رؤية استراتيجية مستقبلية قوامها تنمية المجتمع، وهذا ما زاد من ضعف التدبير والتسيير الجماعي وساهم في حدة التهميش والإقصاء.

## 8. المجتمع المدني والتعاونيات بين الرهان التنموي وتعدد الإكراهات

عرف المجال الجبلي لأوريكية في الآونة الأخيرة عدة تحولات أهمها تلك الناتجة عن ارتباط العلاقة بينه وبين المدينة، والانفتاح على النشاط السياحي وتطوير الفلاحة من خلال تبني تقنيات واستراتيجيات جديدة وتغيير النمط القديم "الرعيوزراعي نحو الاقتصاد التسويقي"، والقيام بعدة محاولات للتجديد والابتكار للتكيف مع الواقع المعاش، فأصبحت حياة السكان والفاعلين منفتحة على الخارج وتغيرت العادات الاستهلاكية والمتطلبات اليومية، مما أدى إلى فك تلك الروابط العاطفية القوية التي كانت تربط الساكنة بالأرض، وبالتالي بروز نظام اقتصادي واجتماعي جديد مخالف تماما لما كان سائدا فيما مضى.

لعب الفاعلون الترابيون بالتراب المحلي بجماعات حوض أوريكية دورا مهما في التحولات التي شهدتها المنطقة، تعد جمعيات المجتمع المدني والتعاونيات من أبرز هؤلاء الفاعلين، تتجلى مساهماتهم في تشكيل وتكوين الديناميات الحالية من خلال تدخلاتهم ووجهات النظر والرؤى والأهداف المختلفة.

### 1.8. الإجراءات المتخذة من طرف التعاونيات والجمعيات لتأمين وتسويق الموارد الترابية

سعت التعاونيات والجمعيات إلى اتخاذ عدة إجراءات لتأمين وتسويق الموارد الترابية للمساهمة في تحقيق التنمية الترابية المستدامة، ومنه تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للسكان المحلية خاصة المنخرطون في صفوفها.

### الجدول 3: نماذج من التعاونيات والجمعيات المشتغلة في مجال تثمين وتسويق الموارد الترابية بأوريكة

التعاونية أو الجمعية	الإجراءات المتخذة للتثمين
تعاونية حوض أوريكة لإنتاج وتسويق زيت الزيتون (جماعة أوريكة)	. الانخراط في المجموعة ذات النفع الاقتصادي "زيوت واد أوريكة" سنة 2011 والمتواجد مقرها بطريق تمازوزت؛ . توعية الفلاحين للانخراط في صفوفها قصد الاهتمام أكثر بالطرق العصرية لإنتاج زيت الزيتون؛ . تقديم الدعم اللازم للفلاحين من معدات ودورات تكوينية متنوعة قصد الرفع من كمية الإنتاج وتحسين الجودة؛ . برمجة مشاريع مستقبلية على رأسها تسويق زيت الزيتون ومشتقاته داخل منطقة أوريكة والنواحي، وأن تكون عملية الإنتاج والتعبئة والتغليف محليا.
تعاونية أزغار السببلي جمع وتسويق الحليب (جماعة أوريكة)	. توفير المواد الأولية بتكلفة أقل منذ سنة 1999 بغية تقريب الخدمات من الفلاحين وتشجيعهم على الإنتاج؛ . بناء مخزن للأعلاف بدوار الحداد أوريكة سنة 2000 لتوفير ظروف ملائمة للتخزين؛ . بناء مقر جديد للتعاونية لتجميع الحليب بدوار أيت تشاويت سنة 2011، وجعله وحدة للتصنيع مستقبلا؛ . تزويد الفلاحين بالأبقار من النوع الجيد سنة 2007 للرفع من كميات إنتاج الحليب، إضافة إلى وحدة متنقلة للتلقيح خلال نفس السنة؛ . السعي مستقبلا إلى إنشاء ضيعة فلاحية نموذجية بأوريكة وتصنيع الحليب ومشتقاته وتسويقه؛ إضافة إلى اقتناء شاحنات لتوزيع الأعلاف على الفلاحين.
تعاونية تيفاوين نوسكاور لإنتاج الزريبة التقليدية (جماعة ستي فاضمة)	. دورة تكوينية بالرباط حول كيفية التصدير مقدمة من طرف وزارة الصناعة بالرباط سنة 2015؛ . تكوين في كيفية عمل الزخارف من طرف تعاونية أنو سنة 2017 المتواجد مقرها ببوزنيقة؛ . تكوين في كيفية تطوير المنتج من طرف مؤسسة "كرياتيف Creative" سنة 2016؛ . تكوين في كيفية تسيير أمور التعاونية مقدم من طرف الجماعة الترابية لأزرو سنة 2015؛ . البحث عن تكوينات مستقبلية في فهم وضبط طرق التديير والتسيير لما يكتسيه هذا الجانب من أهمية كبرى.
تعاونية أبوغلو لإنتاج الحلويات والكسكس التقليدي (جماعة أوريكة)	. تغليب وتغليف المنتجات وإظهارها في أبهى حلة؛ . المشاركة في مؤتمر الأطراف cop 22 سنة 2016 بدعم من مؤسسة الأطلس الكبير؛ . المشاركة في مهرجان الجوز بأسني سنة 2017؛ . برمجت التعاونية في مخططها المستقبلي؛ التسويق خارج المنطقة، وإنشاء شركات مع تعاونيات من جميع أنحاء البلاد، وفتح فروع أخرى للرفع من كميات الإنتاج.
تعاونية أوكايمدن لتربية النحل (جماعة أوكايمدن)	. جعل العسل يتجاوز ذلك الدور التقليدي المتمثل في الإنتاج والبيع بطرق بسيطة إلى تعبئته وتغليفه وإظهار خصوصياته المحلية؛ . دورات تكوينية في إطار اكتساب تقنيات جديدة في مجال تربية النحل ما بين 2014 . 2015؛ . المشاركة في مهرجان الجوز بجماعة أسني سنة 2016؛ . المشاركة في مهرجان تحناوت سنة 2014؛ . التفكير مستقبلا في إنشاء وحدة للتصنيع بهدف إنتاج عصير التفاح وزيت الجوز، وربط هذه المنتجات المحلية بالسياحة.
تعاونية بوسنة الفلاحية لتربية النحل وإنتاج العسل (جماعة أوكايمدن)	. تغليب وتغليف المنتجات وإظهارها في أبهى حلة؛ . المشاركة في مهرجان أوكايمدن للصناعة التقليدية أيام 10 و11 غشت 2017؛ . المشاركة في مهرجان الجوز بأسني أيام 13 و14 و15 أكتوبر 2017؛ . المشاركة في مهرجان تولايت بجماعة أوريكة 17 و18 و19 و20 غشت 2017؛ . تسعى تعاونية بوسنة بدورها إلى إرفاق العسل مع إنتاج زيت الجوز نظرا لكون جماعة أوكايمدن تتوفر على أعداد مهمة من أشجار الجوز التي يمكن استغلالها والاستفادة منها في هذا الاتجاه؛ . من بين المشاريع المستقبلية المبرمجة من طرف التعاونية؛ الرغبة في تجهيز مقرها بأحدث التقنيات لإظهاره في أبهى حلة بهدف الحصول على علامة الجودة من طرف وزارة الفلاحة؛

وضع استراتيجيات مستقبلية تمكن من نقل خلايا النحل لمناطق مختلفة خارج تراب جماعة أوكايمدن ليتمكن النحل من الاستفادة من الظروف الطبيعية لإنتاج العسل بجميع أنواعه (مختلف الأزهار والأعشاب).	
تكوين في كيفية التدبير والتسيير الذي أشرفت عليه جماعة ستي فاضمة؛ تكوين آخر في كيفية إنتاج المرابي والخل من تأطير جمعية منتدى الكفاءات للبيئة والتنمية المستدامة المتواجد مقرها بالرباط.	تعاونية أملوكي للمنتجات الفلاحية (جماعة ستي فاضمة)
الشروع في تقنين عمليات استخراج وإنتاج الألواح الصخرية وأحجار البناء؛ التمكن من إقناع العديد من منتجي الألواح الصخرية للانخراط في التعاونية.	تعاونية أدرار أوكايمدن لاستخراج الألواح الصخرية (جماعة أوكايمدن)
انخراط التعاونية في مجموعة ذات النفع الاقتصادي "GIE" "VITARRGAN" تعبئة زيت الأركان وتغليفه؛ وإظهار خصوصياته؛ مما يكسبه قيمة مضافة لدى السياح المتوافدين على أوريكة.	تعاونية مرجانة لإنتاج وتسويق زيت الأركان (جماعة أوريكة)
تأطير المدربين العاملين بالمحطة الثلجية لأوكايمدن لتفادي بعض التصادمات فيما بينهم؛ تكوين أبطال في رياضة التزلج على الجليد وخلق طاقات شابة قادرة على المنافسة في بطولات عالمية؛ تنظيم بطولات محلية بهدف تشجيع الشباب على ممارسة هذه الرياضة؛ المساهمة في تنظيم المحطة لإعطائها صورة نموذجية تشرف المنطقة؛ وضع برمجة مستقبلية لخلق شراكات دولية مع الجهات المعنية من أجل تنظيم بطولات عالمية.	جمعية أوكايمدن للتزلج ورياضات الجبل (جماعة أوكايمدن)
توفير المادة الأولية والموارد المالية والتقنية الكافية لتسهيل عملية الإنتاج؛ البحث الدائم عن الأسواق الجديدة التي بإمكانها توفير أجواء أكثر ملائمة لعرض المنتج؛ وضع تصور مستقبلي يروم إلى إنشاء مركب خاص بالمهنيين لفرض الوجود وإيجاد آليات جديدة ومبتكرة للتسويق في أفضل الظروف على الصعيد المحلي والوطني ولما لا الدولي.	جمعية أنرار لصناعة الخزف والفخار (جماعة أوريكة)

المصدر: العمل الميداني، مقابلات مع التعاونيات والجمعيات، 2018.

يبين الجدول أعلاه (رقم 5) أهم الجهودات المبذولة من لدن التعاونيات والجمعيات النشيطة في مجال الاستثمار بالموارد الترابية والتنمية المستدامة داخل جماعات حوض أوريكة، إذ تم الوقوف على مدى جسامة المسؤولية التي خولت لهم لتحقيق ما لم تستطع المجالس الجماعية تحقيقه. وبفضل هذه التدخلات أصبحت المنطقة تعرف نوعا من الاهتمام بمواردها الترابية والتوجه نحو تثمينها بغرض خلق دينامية اقتصادية واجتماعية من شأنها تحسين الأوضاع الحالية.

لقد أبانت التعاونيات والجمعيات بحوض أوريكة عن إرادتها القوية في أداء أدوارها التنموية وترجمتها إلى مشاريع على أرض الواقع رغم قلة الإمكانيات المتاحة لها، إذ أنها سخرت كل الوسائل الممكنة في سبيل الترويج لمنتجاتها من خلال تعليبها وتغليفها والمشاركة بها في مختلف المهرجانات المحلية والوطنية بغية التعريف بالتعاونية أو الجمعية، وربط علاقات جديدة لتقوية حظوظها في مجال التسويق واكتساب المزيد من التجارب المهنية، وفي نفس السياق تم تجميع العديد من الفلاحين والمهنيين في إطار هذه التعاونيات والجمعيات، إضافة إلى الانخراط في المجموعات ذات النفع الاقتصادي واتحاد الجمعيات؛ لتوحيد كلمتهم والتمكن من قوة اتخاذ القرار، كما تمت كذلك الاستفادة من مجموعة من التكوينات بمختلف أصنافها؛ هدفها الأساس هو تقوية قدرات الموارد البشرية قصد تأهيلها للقيام بأدوارها على أحسن وجه.

## 2.8. الشركات المبرمة بين التعاونيات والجمعيات مع مختلف الفاعلين الترابيين

سعت جمعيات المجتمع المدني والتعاونيات إلى عقد مجموعة من الشركات على عدة مستويات بهدف توفير الإمكانيات اللازمة لدعم مسارها التنموي وتحسين ظروف اشتغالها. يبين الجدول أسفله (رقم: 4) أهم الشركات المبرمة بين الجمعيات والتعاونيات محليا، جهويا، وطنيا ودوليا.

الجدول 4: أمثلة عن الشركاء الذين تتعامل معهم التعاونيات والجمعيات

الشركات	محلية	جهوية	وطنية	دولية
تعاونية حوض أوربيكة لإنتاج وتسويق زيت الزيتون			مخطط المغرب الأخضر. المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي بمراكش	
تعاونية أزغار السببتي لجمع وتسويق الحليب	الفلاحون المنخرطون		شركة علف تانسيفت، وشركة الحليب سنطرال	
تعاونية تيفاوين نوسكاور لإنتاج الزربية التقليدية			تعاونية أنو ببولنيقة	
تعاونية أبوغلو لإنتاج الحلويات والكسكس التقليدي	الجماعة الترابية أوربيكة، ومؤسسة الأطلس الكبير بمراكش			
تعاونية أوكايمدن لتربية النحل		مخطط المغرب الأخضر		
تعاونية بوسنة الفلاحية لتربية النحل وإنتاج العسل				
تعاونية أملوكي للمنتجات الفلاحية	الجماعة الترابية ستي فاضمة			
تعاونية أدرار أوكايمدن لاستخراج الألواح الصخرية			المنذوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر	
تعاونية مرجانة لإنتاج وتسويق زيت الأركان			وكالة التنمية الفلاحية "L'ADA"	المنظمة العالمية التابعة للأمم المتحدة، تحت اسم "ONIDO"
جمعية أوكايمدن للتزلق ورياضات الجبل	الجماعة الترابية لأوكايمدن فيدرالية أوكايمدن للتنمية والرياضة والبيئة		الجامعة الملكية لرياضة التزلق والرياضات الجبلية	
جمعية أنرار لصناعة الخزف والفخار	جمعية أنرار للتنمية	غرفة الصناعة التقليدية بمراكش		

المصدر: العمل الميداني، مقابلات مع التعاونيات والجمعيات، 2018.

من خلال الجدول أعلاه (رقم: 4) يتضح أن الجمعيات والتعاونيات استطاعت خلق عدة شركات مع مختلف الفاعلين المحليين، الجهويين، الوطنيين والدوليين، قصد الانفتاح أكثر على الخارج للاستفادة من الإمكانيات والمساعدات المادية والمعنوية المقدمة من طرفهم لتعزيز التدخلات المحلية وجعل العمل التنموي أكثر فاعلية؛ لأن شبكة العلاقات بين الشركاء والفاعلين تؤثر بشكل كبير على النتائج؛ إذ أنه كلما كانت الروابط قوية اقتصاديا، اجتماعيا، مجاليا أو مجتمعة فيما بينها إلا وكان واقع الحال أفضل.

### 3.8. تسببت عدة مشاكل وإكراهات في عرقلة المسار التنموي للتعاونيات والجمعيات بحوض أوربيكة

عرف المسار التنموي للتعاونيات والجمعيات تحديات مختلفة باختلاف أسبابها وتأثيراتها مما أدى إلى مواجهة مجموعة من الصعوبات في تنزيل مشاريعها كاملة على أرض الواقع وبالتالي عرقلة مسارها التنموي.

#### الجدول 5: أبرز المشاكل والإكراهات التي واجهتها التعاونيات والجمعيات بحوض أوربيكة

طبيعة المشاكل	التعاونية أو الجمعية
وجود عراقيل في عملية التسويق ومشاكل في عملية الشحن والتخزين؛ المنافسة من طرف الأشخاص المتطفلين على الميدان وبعض أصحاب المعاصر المخلين بالجودة وتلويث البيئة.	تعاونية حوض أوربيكة لإنتاج وتسويق زيت الزيتون
غياب الدعم المالي الكافي؛ زحف العمران على الأراضي الفلاحية؛ ارتفاع تكلفة إنتاج الحليب وانخفاض أرباح جمعه وتسويقه.	تعاونية أزغار السبيطي لجمع وتسويق الحليب
تصادم بعض المنخرطات مع أزواجهن فيما يخص التوفيق بين أشغال المنزل والتعاونية؛ وجود بعض العراقل مع الساكنة نظرا لقلّة وعيهم بالأدوار التنموية للتعاونيات؛ وجود نوع من عدم الرضا على بعض أنواع الرسومات التزيينية المصاحبة لبعض الزراعي.	تعاونية تيفاوين نوسكاور لإنتاج الزربية التقليدية
صعوبة إدماج المرأة المحلية في عمل التعاونية؛ عدم الاستفادة من الدعم الكافي من طرف الجهات المعنية؛ مشاكل في التسويق نظرا لكون التعاونية ما زالت في بدايتها.	تعاونية أبوغلو لإنتاج الحلويات والكسكس التقليدي
الضغوط الممارسة من طرف الجماعة الترابية لأوكايمدن (محاولة تسييس التعاونية)؛ ضعف الإمكانيات المادية والتقنية التي تتوفر عليها التعاونية.	تعاونية أوكايمدن لتربية النحل
ضعف الكفاءات المهنية؛ مما يؤدي إلى عرقلة في التسيير الداخلي للتعاونية؛ إضافة إلى تعقد الإجراءات القانونية في طلبات المشاريع؛ التمويل غير كاف إلى منعدم في بعض الأحيان؛ ومشكل في التسويق نظرا لتقصير مصالح الدولة في هذا القطاع.	تعاونية أموكي للمنتجات الفلاحية
رفض بعض من منتجي الألواح الصخرية الانخراط والعمل في صفوف التعاونية؛ عدم التنزيل الفعلي للشراكة التي وعدت بها المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر مع التعاونية.	تعاونية أدرار أوكايمدن لاستخراج الألواح الصخرية
النقص الحاصل في آليات استخراج زيت الأركان نظرا لارتفاع ثمنها وصعوبة صيانتها؛ إكراهات في التسويق الجيد لزيت الأركان الأصلي؛ وذلك راجع للمنافسة غير الشريفة من طرف المحلات التي تباع زيت الأركان المغشوش.	تعاونية مرجانة لإنتاج وتسويق زيت الأركان
غياب الدعم المادي الكافي؛ صعوبات على مستوى التنظيم (قلة وعي الزوار بهذه الرياضة)؛ صعوبة تطبيق البرامج المسطرة مع الشركاء نظرا لعدم انتظام التساقطات الثلجية.	جمعية أوكايمدن للترحلق ورياضات الجبل
قلة المادة الخام والموارد المالية؛ عدم توفر الآليات الضرورية التي تتطلبها المهنة؛ ضعف التنسيق والتواصل بين المهنيين والجهات المعنية بالصناعة التقليدية، والقطاعات الاقتصادية عامة داخل منطقة أوربيكة.	جمعية أنرار لصناعة الخزف والفخار

المصدر: العمل الميداني، مقابلات مع التعاونيات والجمعيات، 2018.

رغم المجهودات المبذولة من لدن الفاعلين للنهوض بالأوضاع التنموية بالجماعات الترابية لحوض أوريكية؛ إلا أنها ما زالت تعاني من مشاكل وإكراهات عدة تحول دون تحقيق أهدافها بالشكل التام، وعلى رأس هذه المشاكل والإكراهات:

- ✓ ضعف قدرات العنصر البشري، إذ أن أغلب الفاعلين بجماعات حوض أوريكية ليست لهم القدرة على اقتراح مشاريع تنموية تتلاءم مع اختصاصاتهم بشكل فعال، حتى ولو تمت مساعدتهم من طرف جهات معينة وبرمجت لهم خطط للعمل فإنهم لا يحققون نتائج جيدة بالشكل المطلوب وذلك بسبب عدم التمكن من مساندة ومواجهة مختلف التطورات التي يعرفها التراب؛
- ✓ تغليب المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة بسبب الصراعات الضيقة؛
- ✓ ضعف التمويل الذي يكاد ينعدم في كثير من الحالات، إذ أن العديد من التعاونيات والجمعيات لا تستفيد من أي دعم مما يؤدي إلى ضعف الخدمات المقدمة؛
- ✓ يعتبر مشكل التسويق بدوره من أكبر التحديات التي يعاني منها المنتج المحلي بالمناطق الجبلية عامة وبحوض أوريكية خاصة، بدءاً من الفلاح أو الصانع التقليدي إلى مختلف الإطارات المهنية الأخرى التي تهتم بتثمين المنتج المحلي. إن الفاعلين رغم المجهودات الكبيرة التي بذلوا لإنتاج منتج معين فإنهم في النهاية يضطرمون بالواقع غير المشجع على تسويق ما تم إنتاجه؛
- ✓ صعوبة إنتاج أفكار جديدة من شأنها الإبداع والابتكار في طرق تقديم وتزليل المشاريع.

## 9. بعض مقترحات الحلول الممكن اعتمادها لتأهيل الفاعلين المحليين وتعزيز دورهم في تحقيق التنمية الترابية المستدامة بالجماعات الترابية لحوض أوريكية

### 1.9. تنظيم الجماعات الترابية دورات تكوينية مستمرة في تقوية قدرات الفاعلين الترابيين لتمكينهم من حمل مشعل التنمية الترابية المستدامة

تعتبر الموارد البشرية عنصراً مهماً في المنافسة بين الأمم ومختلف الكيانات الترابية، إذ أصبح تأهيلها يكتسي بعداً استراتيجياً باعتباره الحلقة الأساس في رسم المسيرة التنموية لأي بلد، لذلك من الضروري تقوية قدرات هذه الموارد البشرية عن طريق تنظيم المزيد من الدورات التكوينية الفعالة للمنتخبين والجمعيات والتعاونيات، من أجل تحسين قدراتهم في تدير وتسيير الشأن المحلي في أحسن الظروف.

إذن يمكن القول إن آفاق التنمية الترابية المستدامة بالمنطقة تعتمد بشكل كبير على طبيعة البرامج والمشاريع التي يتم إعدادها من طرف مختلف الفاعلين الترابيين سواء في الحاضر أو المستقبل، فمن المؤكد إذا ما أقدم الفاعلون على إطلاق برامج عمل ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية واكولوجية هادفة، وإذا ما نجحوا في بلورة سياسة تنموية ملائمة تأخذ بعين الاعتبار الإخفاقات السابقة وخصوصيات الظرفية الراهنة وتحديات المستقبل، فإن الآفاق المستقبلية للمنطقة ستكون واعدة، ومنه فإن نجاح المسلسل التنموي رهين بمدى قدرات الموارد البشرية التي حول لها تدير وتسيير الشأن المحلي.

يأتي مقترح مشروع تقوية قدرات الفاعلين داخل تراب الجماعات الترابية بحوض أوريكية في إطار التحولات السياسية والترابية التي يعرفها العالم بشكل عام والمغرب بشكل خاص الذي انخرط بدوره في هذه التغييرات بتبنيه لسياسة اللاتمركز الإداري. لكن ضعف قدرات الفاعلين العاملين في إطار التسيير

والتدبير داخل تراب هذه الجماعات الترابية المذكورة أدى إلى فشل معظم المخططات والبرامج المتبناة من طرفهم.

يهدف برنامج تقوية قدرات الفاعلين داخل تراب الجماعات الترابية بحوض أوربيكة بشكل عام إلى النهوض بقدرات نسيج الفاعلين والارتقاء بمستواهم ترابيا نحو المهنية والاحترافية. لأنه على الرغم من وجود بعض الكفاءات ببعض الجماعات الترابية والجمعيات والتعاونيات، إلا أن فئة مهمة من مكوناتها ذات مستوى تعليمي وتجربة تنموية محدودة. كما يروم هذا المشروع إلى مواكبة الدينامية التنموية التي تعرفها بلادنا وذلك عبر تطوير مهارات الفاعلين بإدارة الجماعات الترابية وجمعيات المجتمع المدني والتعاونيات والفاعلين الخواص وتمكينهم من اكتساب معارف وخبرات تساهم في تحسين أدائهم المهني وجعلهم شريكا في مجال التنمية الترابية. وبالتالي المساهمة في تحسين الخدمات المقدمة من طرف هؤلاء الفاعلين وتعزيز مشاركتهم في الحياة السوسيو-اقتصادية والثقافية مع ضرورة احترام مؤشرات الملاءمة والفعالية والكفاءة والأثر والاستدامة. ومن الهدف العام يمكن أن تتفرع مجموعة من الأهداف الخاصة على الشكل التالي:

- تقوية قدرات الفاعلين في مجال التواصل والترافع وآليات التدبير المالي والقانوني؛
- الرفع من مستوى الخدمات المعلوماتية وطرق التسويق الترابي لدى الفاعلين؛
- تمكين الفاعلين من تملك المهارات الحياتية، عن طريق تنظيم تكوينات مستمرة في هذا الجانب؛
- تطوير الحكامة وطرق التدبير لدى الفاعلين ونشر ثقافة الجودة والتميز في صفوفهم.

## 2.9. اعتماد الفاعلين على الابتكار الترابي كاستراتيجية تنموية لإعادة الاعتبار للتراب المحلي

يعمل الابتكار الترابي على خلق أفكار جديدة لم تكن موجودة من قبل وذلك من خلال إعادة تنظيم مختلف الأشكال السياسية والإدارية والترابية، وتطوير المنطق والسياقات والاستراتيجيات والوسائل والمقاربات التي يحتاجها الواقع المحلي من أجل مسايرة التغيرات المستمرة التي تعرفها المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، وبالتالي تحقيق نتائج تنموية جيدة.

لكن الطرق المؤدية إلى الابتكار والتحديث متباينة بين الترابيات وفقا للخصائص المحلية، وهذا التفسير يبين سبب احتمال عدم وجود استراتيجية متفردة صالحة في السياقات المختلفة، بل لا بد من اعتماد استراتيجيات متعددة حسب خصوصية كل سياق ترابي. ومنه يمكن تحقيق الابتكار الترابي من خلال اقتراح ثلاثة نماذج حسب الإمكانيات المعرفية للفاعلين النشيطين بالتراب المعني بالدراسة وحسب قدرتهم على ابتكار أفكار إبداعية. وتتمثل النماذج المقترحة للابتكار على الشكل التالي:

**أ) النموذج الأول:** يمكن الوصول إلى الابتكار الترابي من خلال التحول من المعرفة العلمية المحلية إلى تطبيق ابتكاري. وجود علاقات تعاونية مكثفة بين الفاعلين المحليين، علاقات في إنتاج المعرفة والبحث العلمي لتطوير الكفاءة والقدرة على إنتاج أفكار محلية وبلورتها على شكل مشاريع إبداعية<sup>17</sup>.

17- Camagni R and Capello R. (2002): "Milieux Innovateurs and Collective Learning: From Concepts to Measurement", in Acs Z.J, de Groot H.L.F, Nijkamp P. (eds.), The Emergence of the Knowledge Economy, Springer, Berlin, pp 15-46.

**ب) النموذج الثاني:** العمل على اكتساب المعرفة الأساسية من الخارج وربطها بالديريات المحلية من أجل الابتكار محليا. أي أن الفاعل المحلي يفتح على التكامل بين اكتساب المعرفة والأفكار الإبداعية من طرف جهات خارجية رائدة وربطها بالمعرفة والأفكار الداخلية واستثمار ذلك في إنتاج نموذج ابتكاري محلي يراعي الخصوصية المحلية للتراب<sup>18</sup>.

**ج) النموذج الثالث:** العمل على اكتساب الابتكار الخارجي المقلد بدرجات مختلفة من الإبداع المحلي؛ أي أن الفاعل المحلي يفتح على تجارب خارجية لنماذج ابتكارية ناجحة فيقلد ذلك النموذج الابتكاري الذي سبق اعتماده في تراب مشابه لكن مع ضرورة تكيف هذا النموذج المقلد مع الخصوصية المحلية بشكل يتناسب مع الأهداف المراد تحقيقها. هذا هو أكثر النماذج الابتكارية المناسبة للتبني في المناطق الفقيرة من حيث الانتاج المعرفي وتوليد الابتكار، وتعتبر الجاذبية الترابية الشرط المسبق لهذه الترابيات من أجل استقطاب الابتكار الخارجي، كذلك وجود سوق نهائي كبير (البحث عن الأسواق) و/أو التنافسية على كفاءة الفاعلين (البحث عن الكفاءة)، يعتبران شرطين مسبقين لجذب الاستثمار الأجنبي الذي يحمل معه مجموعة من الأفكار الإبداعية لتنمية التراب<sup>19</sup>.

هذه النماذج الابتكارية التي تطرقنا إليها هي نتيجة لظروف السياقات الترابية المحددة التي تدعم نموذجا ابتكاريا أكثر من غيره أي الرغبة في نموذج مبتكر بحد ذاته نظرا لملاءمته للخصوصيات المحلية أكثر من أي نموذج آخر. وتعد التقبلية الترابية<sup>20</sup> ضرورة لاكتساب المعرفة محليا وإعطاء القدرة على فهم المعرفة القادمة من الخارج: مثلا التكامل بين منطقة وأخرى وتبادل الكفاءات المشتركة فيما بينها. ويعد الإبداع الترابي كذلك شرطا لا غنى عنه بالنسبة لمجال ترابي ما لاستغلال المعرفة الخارجية من أجل إطلاق عمليات الابتكار الداخلية مدفوعة بعملية استكشاف ريادة الأعمال. أيضا الجاذبية الترابية شرط محلي أساسي لاستقطاب الابتكار من الخارج. ولكي يتم اعتماد نموذج ابتكاري مناسب لا بد من الأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية:

. **الفاعلون بالتراب:** تحديد الفاعلين داخل التراب كأطراف فاعلة جماعية مكلفة بتبني عمليات الابتكار والمعرفة عبر الترابيات؛

. **المرور عبر مراحل الابتكار:** المعرفة / الابتكار / والأداء؛ الابتكار يبدأ من مصدر المعرفة والتي يتم نقلها إلى فاعلين آخرين (محليا أو بين الترابيات) وبعد ذلك يتم تحويلها إلى أفكار ابتكارية وإبداعية مما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية والأداء الاقتصادي وتحسين الأوضاع الاجتماعية؛

18- Foray D, David P and Hall B (2009): "Smart Specialisation - the Concept", Knowledge Economists Policy Brief, n 9.

-Foray D (2009): "Understanding Smart Specialisation", in Pontikakis D, Kyriakou D and van Bavel R. (eds.), The Question of R&D Specialisation, JRC, European Commission, Directorat General for Research, Brussels, pp 19-28.

19- Dunning J (2009): "Location and the Multinational Enterprise: John Dunning's Thoughts on Receiving the Journal of International Business Studies 2008 Decade Award", Journal of International Business Studies, voln 40, n 1, pp 20-34.

20- أن يكون الفاعلين بالتراب قادرين على استيعاب المعرفة القادمة من خارج التراب المحلي مع قابلية استثمار هذه المعرفة في إعداد وتنزيل المشاريع الترابية.

. الظروف الترابية للتفاعل المحلي: لا يقوم الفاعلون المحليون بالابتكار بمعزل عن غيرهم، بحيث يجب النظر إلى الابتكار كعملية جماعية يشارك فيها فاعلون آخرون بالإضافة إلى عدد من الكيانات الأخرى مثل الجامعات ومراكز البحث والهيئات الحكومية وما إلى ذلك<sup>21</sup>. إن سلوك هذه العوامل وطبيعتها المحددة للعلاقات فيما بينها يكون لها تأثير حاسم على الطريقة التي تعمل بها عملية الابتكار.

. الظروف الترابية للمعرفة ونشر الابتكار بين الترابيات: إبراز الظروف التي تضمن تفاعل التراب مع الترابيات الأخرى وجذب المعرفة والابتكار غير الموجودين محليا. ولإنجاح هذه العملية يمكن الاعتماد على "تأثيرات القرب"، مثل مزايا القرب المكاني بين الترابيات، وكذلك القرب الثقافي والمعرفي مفيد للغاية لفهم التفاعل بين الترابيات وتقريب التعاون والتضامن فيما بينها.

### 3.9. دعم جهود الفاعلين المحليين من أجل إنجاز عملية تئمين الموارد الترابية

لا بد من تقديم الدعم المناسب للفاعل الترابي المحلي من خلال تعزيز جهوده المبذولة للرفي بها نحو الأفضل وذلك من خلال:

- ✓ فتح باب التمويل بالنسبة لمقترحات المشاريع التي تتوفر فيها معايير النجاح والمقدمة من طرف الفاعلين المحليين في إطار تئمين الموارد الترابية التي تزخر بها المنطقة؛
- ✓ مساعدة الفاعلين المحليين على تسويق إنتاجهم من خلال إنشاء سوق محلية وتوفير إمكانية الانفتاح على الأسواق الوطنية والدولية وتفعيل التسويق الإلكتروني وتأهيل مهاراتهم في هذا الجانب؛
- ✓ القيام بتشخيص ميداني مستمر لمختلف المشاكل والإكراهات التي تعيق عمل الفاعلين المحليين وتحول دون تحقق تنمية التراب المحلي للجماعات الترابية بحوض أوربيكة كلما دعت الضرورة إلى ذلك، واستثمار نتائج الدراسات السابقة في هذا الجانب. يهدف هذا التشخيص إلى بلورة الحلول المناسبة وبالتالي تدير الموارد الترابية بشكل معقلن؛
- ✓ تفعيل دور الباحثين الجامعيين في إنجاز المقاربة الترابية من خلال النزول إلى الميدان ومشاركة تجربتهم العلمية مع الفاعلين المحليين ومدعمهم بالاستراتيجيات والآليات التي توصلوا إليها من خلال دراساتهم العلمية؛
- ✓ العمل على تحقيق التقارب بين مختلف الفاعلين المتدخلين في بناء المشاريع التنموية ومختلف الأنشطة السوسيو-اقتصادية والثقافية خاصة تلك التي تربطها علاقة بالتنظيم الترابي وتئمين موارده وما لذلك من دور في تحقيق التنمية الترابية المستدامة؛
- ✓ تشكيل لجنة علمية لوضع رؤية مستقبلية في خدمة الفاعلين المحليين ولفت انتباههم للاهتمام بتجديد وتنظيم المجال الترابي وجعل موارده أداة تنموية فعالة تستجيب لتطلعات الساكنة وتحسين ظروفهم المعيشية مما سيساهم أكثر في تشجيع أبناء المنطقة المدروسة على الاستثمار بهذا التراب وخلق المزيد من فرص الشغل وبالتالي تحسين الأوضاع السوسيو-اقتصادية للمجتمع.

<sup>21</sup>-Dosi G (1982): "Technological Paradigms and Technological Trajectories: a Suggested Interpretation of the Determinants and Directions of Technical Change", Research Policy, Vol 11, pp 147-162.

-Nelson R. and Winter S. (1977): "In Search of a Useful Theory of Innovation", Research Policy, vol 6, pp 36-76.

## المناقشة

توفر المجالات الجبلية غطاء نباتيا متنوعا وموارد مائية ومعدنية مهمة، إضافة إلى دورها الكبير في الحفاظ على التوازنات البيئية، لذلك يلزمها اهتمام خاص ومكانة خاصة في السياسات العمومية، لكن واقع الحال يخبرنا بعكس ذلك، إذ أن هذه المجالات الحيوية تعاني العديد من المشاكل والإكراهات، وهي في حاجة ماسة لتحرك فعلي وجاد من طرف مختلف الفاعلين المتدخلين في تدبير شؤونها من أجل إعطائها المكانة التي تستحقها.

تتجلى أهمية الجماعات الترابية بالمجال الجبلي بحوض أوربيكة كفاعل ترابي في اعتبارها عنصرا أساسيا لتنمية التراب المحلي اعتمادا على المقاربة الترابية التشاركية بين مختلف المتدخلين، والعمل على تسخير جميع الإمكانيات والترافع على المشاريع لتنمية التراب المحلي في شتى المجالات انطلاقا من الصلاحيات التي أسندت للجماعات الترابية؛ سواء من خلال الاختصاصات الذاتية أو المشتركة أو المنقولة.

استطاعت الجماعات الترابية بالتراب المحلي المدروس أن ترمج مجموعة من المشاريع وعملت على تنزيلها في أرض الواقع، لكن رغم ذلك اتضح أن تلك المشاريع لم ترقَ بعد إلى المستوى المطلوب. ومنه فلا بد من إعادة النظر في هذا الجانب مع ضرورة العمل على تأهيل القائمين بشؤون هذه الجماعات الترابية لإعداد برامج تنموية أكثر ملاءمة لخصوصيات وحاجيات التراب من أجل تجاوز المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهتها، وجعل الجانب التنموي فوق كل اعتبار. كما يجب خلق شراكات وطنية ودولية من أجل اكتساب المزيد من التجارب واستقطاب مختلف المساعدات والاستثمارات التي ستمكن من التخطيط الجيد لتنزيل المشاريع التنموية، وبالتالي تحسين الظروف المعيشية للسكان.

تمكنت جمعيات المجتمع المدني والتعاونيات بجماعات حوض أوربيكة من تنزيل مجموعة من المشاريع التي ساهمت في إظهار بوادر التنمية، إلا أن محدودية إمكانياتها يعكس الحاجة الماسة لتأهيل عناصر هذا الفاعل الترابي، ليضطلع أكثر بأدواره الجديدة التي أصبح بإمكانه القيام بها خاصة في البعد البيئي والتأهيل الاقتصادي والاجتماعي. ويمثل التكوين المستمر في كيفية التدبير والتسيير وإنجاز المشاريع والدعم المادي أهم دعائم تقوية دور المجتمع المدني بجماعات حوض أوربيكة لكي يكون الفاعل الجماعي بهذا التراب له من الكفاءة ما يخول له قيادة مسيرة التنمية الترابية وخلق دينامية اقتصادية تعود بالنفع على الساكنة المحلية وتحقيق الأهداف المرجوة.

من خلال نتائج البحث وبالرجوع إلى الإشكالية المدروسة والفرضيات، اتضح لنا جليا أن التراب المدروس يتميز بتعدد تشكيلة الفاعلين وتعدد تدخلاتهم ونوع العلاقة التي تربطهم ببعضهم البعض، وأن استراتيجياتهم ومشاريعهم تبقى محدودة لم ترق بعد لتطلعات السياسة التنموية ببلادنا التي تعتبر الفاعل الترابي المحلي الركيزة الأساس لتنمية المجتمع. كما أن أزمة الوعي التنموي والصراعات وتضارب المصالح ما زالت تشكل العائق الأكبر لتحريك عجلة التنمية الترابية المستدامة داخل المجتمع الأوربيكي.

## خاتمة:

يعتبر الفاعلون الترابيون الحلقة الأساس لتنمية أي تراب لذلك تم التوجه نحو المقاربة الترابية أو المقاربة بالفاعل وإشراك السكان في اتخاذ القرار وتسيير أمورهم المحلية بواسطة ممثلين لمصالحهم همهم الوحيد هو العمل على تسخير جميع إمكانياتهم لتنمية التراب المحلي في شتى المجالات.

تعد الجماعات الترابية فاعلا محوريا في تنمية التراب المحلي نظرا للصلاحيات الموسعة التي أسندت لها من طرف الدولة، لذلك وجب عليها تبني المقاربة الترابية والتنسيق بين مختلف المتدخلين في الشأن المحلي، مع ضرورة إشراك السكان في اتخاذ القرار وتسيير أمورهم والعمل على تسخير جميع الإمكانيات لتنمية التراب في شتى المجالات.

أصبحت الجمعيات والتعاونيات قوة مساهمة بشكل كبير في تنمية التراب المحلي إذ أنهم استطاعوا تحقيق العديد من الأهداف التي لم تستطع مؤسسات الدولة المركزية لوحدها تحقيقها، لكن ما زال ينتظرهم المزيد من العمل لتجاوز العديد من المشاكل الداخلية والخارجية والرفع من جهودهم في سبيل خلق شركات وطنية ودولية من أجل اكتساب التجارب واستقطاب المساعدات والاستثمارات التي ستمكنهم من تنزيل مشاريعهم التنموية على أرض الواقع بكيفية أكثر فعالية وبالتالي تحسين الظروف المعيشية للسكان.

بدأ الفاعل الترابي بجماعات حوض أوربيكة، في رسم معالم النجاح على الرغم من أن العملية ما زالت في بداياتها، الشيء الذي بات يستلزم بالأساس التركيز على التديير التكاملي والتنسيق بين مختلف الفاعلين الترابيين قصد تبادل التجارب والخبرات ومساعدة بعضهم البعض لتجاوز التعثرات التي تواجه عملية التثمين والابتكار والتنمية الترابية، والعمل على ربح الرهان من خلال تبني مجموعة من الآليات والوسائل الناجعة، لأنه إذا استمر الوضع على تبني المقاربة القطاعية والفردانية فإن النتيجة ستكون عبارة عن تضارب للمصالح وتأزم للأوضاع أكثر فأكثر وبالتالي التقليص من فرص عقلانية استغلال الموارد وجلب الاستثمار.

على الرغم من المجهودات الكبيرة التي قامت بها الوزارات الوصية في إطار تأهيل الفاعلين الترابيين إلا أنه من الضروري بذل المزيد من المجهودات للرفع من حجم الشركات التي تربطها بهم لكي تنسجم تدخلات الفاعل المحلي مع التوجه التنموي العام للدولة، والتمكن من استغلال الفرص المتاحة لرسم خريطة تنموية مندمجة واضحة الأهداف. كذلك من الواجب على الفاعلين الترابيين المحليين العمل بكل جهد لتطوير مهاراتهم وقدراتهم في مختلف المجالات للتمكن من إبداع وابتكار أفكار جديدة نابعة من البيئة المحلية والمحافظة على خصوصيتها ومسايرة تطورات العولمة، إضافة إلى إحياء روح التعاون والتضامن، ومنه القدرة على تحقيق نتائج تنموية إيجابية.

## المراجع باللغة العربية

- أبودرار مصطفى (2018): بحث لنيل شهادة الإجازة في الجغرافيا، تثمين الموارد الترابية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة، دراسة حالة حوض أوريكمة، جامعة القاضي عياض، مراكش.
- الحسني المصطفى (2009): "إشكالية التنمية الترابية بالمغرب، نموذج جهة دكالة عبدة"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب جغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.
- الناصري محمد (2003): الجبال المغربية، "مركزيتها . هامشيتها . تنميتها"، منشورات وزارة الثقافة المغربية الرباط.
- الفارسي مولاي الحسن (2008): تحولات السكن وتنظيم المجال الجبلي بوادي أوريكمة، دراسات مجالية العدد 5، سلسلة ندوات ومناظرات، مجموعة البحث حول التدبير الجهوي والتنمية الترابية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض، مراكش.
- بوجروف السعيد (2012): "الجهة والجهوية، أي مشروع لأي تراب؟"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.
- بوجروف السعيد (2007.2006): الجبال المغربية أية تهيئة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب تخصص جغرافية التهيئة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، الجزء الثاني.
- مديرية إعداد التراب الوطني، (2000): الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، خلاصة تركيبية.

## المراجع باللغة الأجنبية

- Anthony Tchékémian (2004): Entre démarches de qualité et diversification, une ressource territoriale à l'épreuve des faits, CERMOSEM – La notion de ressource territoriale.
- AYDALOT Philippe, (1982): «Economie régionale et urbaine», Paris, Economica.
- Bellaoui Ahmed (2006): Tourisme et système économique des zones de montagne au Maroc, Etat actuel et perspectives d'avenir: Le cas du Haut Atlas de Marrakech; Le tourisme de montagne réalités et perspectives, publication EDIT, LERMA, ERCPT, FLSH Université Cadi Ayyad, Impression El Watanya, Marrakech.
- Berque J (1945): Vers la modernisation rurale, B.I.M, n° spécial, Octobre.
- Camagni R and Capello R (2002): "Milieux Innovateurs and Collective Learning: From Concepts to Measurement", in Acs Z.J., de Groot H.L.F., Nijkamp P. (eds.), The Emergence of the Knowledge Economy, Springer, Berlin.
- Cantwell J (2009): "Location and Multinational Enterprise", Journal of International Business Studies, vol. 40, n 1.
- CARLES Joseph, «Gouvernance territoriale», [http://fr.wikipedia.org/wiki/gouvernance\\_territoriale](http://fr.wikipedia.org/wiki/gouvernance_territoriale).
- Jean-Pierre et autres (2001): «Itinéraires et développement» INRA.
- Dosi G (1982): Technological Paradigms and Technological Trajectories a Suggested Interpretation of the Determinants and Directions of Technical Change", Research Policy, Vol. 11.

- Dunning J (2001): “The Eclectic (OLI) Paradigm of International Production: Past, Present and Future”, International Journal of the Economics of Business, vol 8, n 2.
- Dunning J (2009): Location and the Multinational Enterprise: John Dunning is Thoughts on Receiving the Journal of International Business Studies 2008 Decade Award, Journal of International Business Studies, vol 40, n 1.
- Foray D (2009): Understanding Smart Specialisation, in Pontikakis D, Kyriakou D and van Bavel R. (eds.), The Question of R&D Specialisation, JRC, European Commission, Directorat General for Research, Brussels.
- Foray D, David P and Hall B (2009): “Smart Specialisation - the Concept”, Knowledge Economists Policy Brief, n 9.
- GIRAUT Frédéric, VANIER Martin, «Plaidoyer pour la complexité territoriale, in Utopie pour le territoire, L'Aube, Paris.
- Guitouni Abdelkader (2005): La déruralisation des compagnes du Rif trait majeur des mutations de la région; études spatiales n°2, mutation des espaces rurales dans les montagnes du Rif marocain, publication de Groupe de Recherche Géographique sur les montagnes de Rif, FLSH de Tétouan.
- GUY DI Méo (1998): Géographie sociale et territoire, Ed Nathan, Paris.
- Nelson R and Winter S (1977): In Search of a Useful Theory of Innovation, Research Policy, vol 16.

## **La recomposition et l'émergence des territoires de labellisation : Quelle gouvernance territoriale ? Cas de la commune d'Asni- Province d'Al Haouz**

**Wafaa BENHSAIN et Salima SALHI**

Doctorantes/ Université Cadi Ayyad- Université d'Angers/  
Maroc- France

### **Résumé**

De nos jours, la production des biens et des services dans les territoires ne permet pas de maintenir le processus de la mondialisation, la concurrence et la compétitivité locale ainsi que globale. Ces territoires précités notamment la commune d'Asni adoptent la labellisation comme moyen permettant de créer une dynamique territoriale afin d'améliorer la position concurrentielle de leurs territoires et valoriser leurs facteurs d'attractivité. L'intervention de l'ensemble des acteurs faisant partie du système territorial est nécessaire, en donnant une dimension symbolique et patrimoniale aux ressources. La présence de l'ensemble des acteurs pousse à s'interroger sur la nature de leur relation avec les dynamiques précitées dans la commune d'Asni concernant la labellisation dont sa capacité et sa gouvernance territoriale se mesurent à travers l'analyse des politiques d'une part et des dynamiques d'acteurs d'une autre part.

**Les mots clés :** Recomposition, Gouvernance Territoriale, Compétitivité, Labellisation, Politiques publiques.

### **Abstract**

Today, the production of goods and services in the territories does not allow to maintain the process of globalization, competition and local and global competitiveness. These territories, notably the commune of Asni, adopt the labeling as a means to create a territorial dynamic in order to improve the competitive position of their territories and to enhance their attractiveness factors. The intervention of all the actors who are part of the territorial system is necessary, giving a symbolic and patrimonial dimension to resources. The presence of all the actors leads us to question the nature of their relationship with the above-mentioned dynamics in the municipality of Asni concerning the labeling of which its capacity and its territorial governance, through the analysis of policies on the one hand and the dynamics of actors on the other hand.

**Key words:** Recomposition, Territorial Governance, Competitiveness, Labeling, Public policies.

## Introduction

Les exigences de la mondialisation sont de plus en plus complexes et en constante évolution, faisant exploser les repères traditionnels, les bornages administratifs et la cohésion interne. Les territoires sont cependant soumis à des pressions qui se manifestent par des conflits surgissant ou apparaissent et des contradictions d'intérêt (Lombard et al, 2006). Manifestée par la recomposition territoriale et l'émergence de nouveaux territoires (Velasco-Graciet, 2009), la mondialisation impose au territoire des nouvelles règles de développement afin de s'adapter au changement, notamment, le processus de développement territorial (Dumont, 2002; Campagne et Pecqueur, 2014; Coutinho et Al, 2015 ; Medeiros, 2020 ) consistant à valoriser la spécificité d'un territoire pour assurer sa compétitivité durablement à travers les projets de territoire par la construction et l'amélioration des performances de l'action publique à plusieurs niveaux , la prise en compte des ressources du territoire dans la recherche d'une cohérence d'ensemble, l'implication des acteurs et des institutions, l'intégration des secteurs d'activité dans une logique de coopération avec les autres territoires et l'articulation avec les politiques régionales, nationales et globales ( Lacquement et Chevalier, 2016).

Dans ce cadre, les territoires adoptent la labellisation qui, selon Tebbaa Ouidad et Boujrout Said (2019), doit démontrer leurs capacités à produire des projets territoriaux tout en permettant la promotion de la culture patrimoniale et l'ancrage des ressources dans les territoires locaux. Elle doit également créer une dynamique afin d'améliorer la position concurrentielle des territoires et valoriser ses ressources tout en participant au développement territorial.

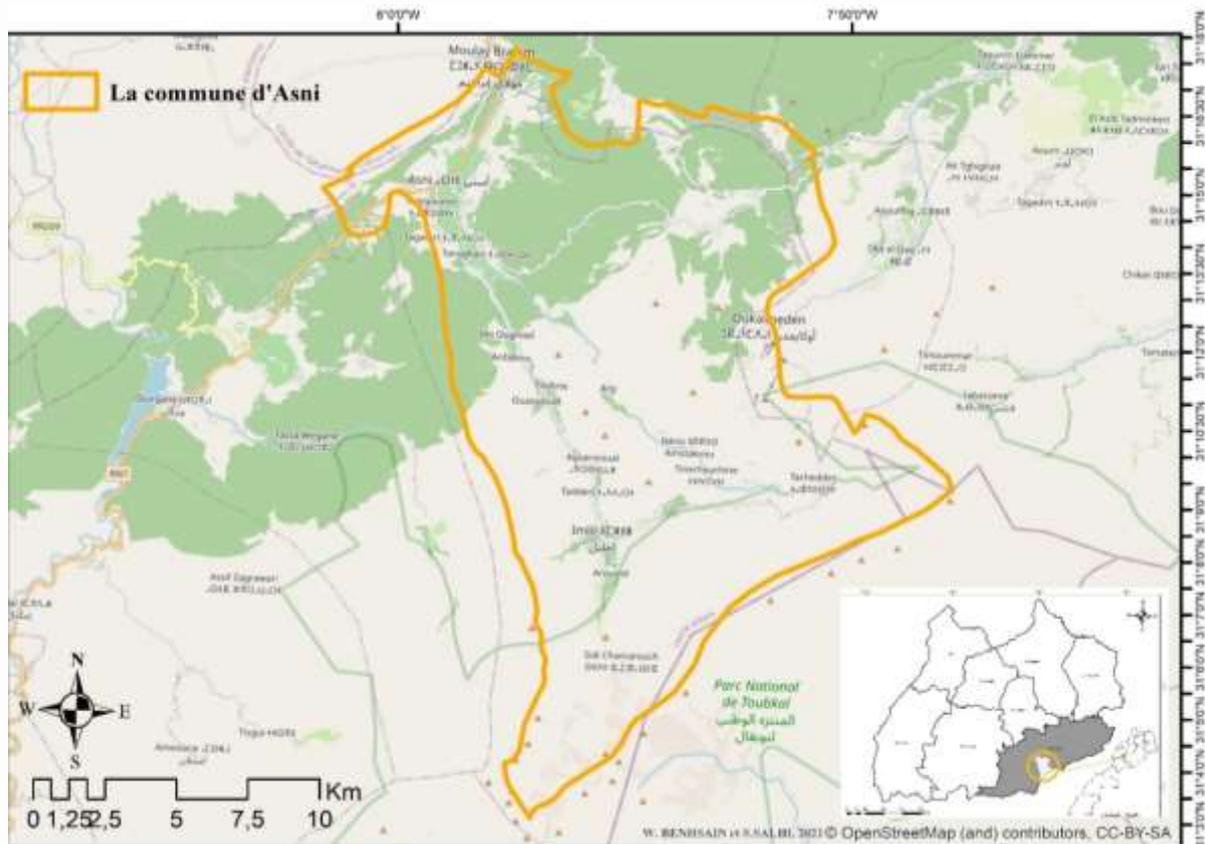
Pour cela, les acteurs de la commune d'Asni dans la province Al-Haouz, région Marrakech-Safi (une des douze régions du Maroc), ont opté pour la labellisation qui selon Valérie Colombe (2017), les incite à la fois à améliorer leur compétence et à s'engager dans des actions collectives et territoriales. Ces dernières ne sont pas des phénomènes naturels ou automatiques, elles nécessitent des efforts de la part des politiques publiques et de l'ensemble des acteurs du territoire. Ajoutant à cela que l'action collective est un problème décisif pour les sociétés (Crozier et Friedberg, 1977). Aussi pour comprendre les problèmes et les difficultés de cette action collective en participant à l'émergence et à la recomposition dues à la labellisation dans la commune d'Asni. Cet article se propose d'examiner la nature des relations entre les acteurs en s'inscrivant dans le cadre de l'émergence et la recomposition des territoires de labellisation par sa capacité et sa gouvernance territoriale, et l'analyse des autres facteurs interdépendants à savoir les politiques publiques et les dynamiques d'acteurs.

Ces facteurs ont fait l'objet d'une méthode qualitative et approche par acteur mise en œuvre par un guide d'entretien semi-directifs avec les personnes influentes de la commune d'Asni et les responsables chargés de labellisation au niveau central et régional. Permettant de recueillir des informations sur le jeu d'acteur, les formes d'organisation collective, les relations entre les acteurs eux même, les actions réalisées et le soutien des politiques publiques dans le système de labellisation.

## 1. Asni un territoire en perpétuelle recomposition

La commune d'Asni se situe dans le haut Atlas occidental à la province d'Al-Haouz dans la région de Marrakech-Safi à environ 64km de Marrakech et à 17 kilomètres de Tahannaout (Carte 1). Elle s'étend sur une superficie de 204 km<sup>2</sup> jusqu'à Imlil et sa population locale est homogène, elle se compose en majorité de la population de la tribu berbère de Rhiraya qui est un grand groupe de Massoud dans le Haut Atlas depuis le XII<sup>ème</sup> siècle (Pascon, 1977) en plus des populations amazighophones et arabophones provenant des zones géographiques proches de la commune. Ce qui a permis à ce territoire d'avoir des recompositions identitaires, ethniques et aussi religieuses. Ladite population locale a connu également d'autres recompositions dues à l'adaptation à un environnement difficile, dont la dégradation des ressources, la sécheresse, l'érosion etc.

Carte 1 : Localisation de la commune d'Asni



Source : W. BENHSAIN et S. SALHI, 2021.

En effet, le territoire d'Asni, comme la majorité des territoires ruraux du Maroc, a connu le mode de gestion traditionnel et coutumier qui prévalait avant la période coloniale. Cette gestion témoigne d'une tradition forte de coopération et de solidarité - Les Jemaâs - sous forme d'une décentralisation primaire, répondaient plus à un concept oriental de la consanguinité qu'au concept de la territorialité, de telle sorte que les collectivités locales sont organisées sur une base tribale et leurs limites géographique sont situées là où s'arrête le lien de consanguinité entre les membres de la tribu (N.B. De Lavergne, 1991). Dès son indépendance en 1956, le Maroc a connu plusieurs recompositions politiques et territoriales, et même si le Maroc a amorcé des politiques de décentralisation et de régionalisation depuis 1960, la dualité du Maroc utile et du Maroc inutile de l'époque du protectorat reste toujours d'actualité.

La commune d'Asni faisant partie des territoires "du Maroc inutile", qui ont toujours souffert de l'exclusion et la marginalisation depuis la période coloniale au Maroc (BOUJROUF, 1996, 2010) et sont souvent considérés comme des espaces en retard en termes de développement (ADERGHAL et Al, 2019). Ce qui a nécessité la mise en œuvre de la régionalisation avancée, lancée en 2010, renforcée un an plus tard par la nouvelle constitution qui a inauguré une nouvelle étape vers une réelle autonomie locale. Dans ce cadre et pour renforcer cette régionalisation avancée, des lois organiques relatives aux collectivités territoriales ont vu le jour en 2015 dont les objectifs principaux sont l'encadrement des compétences des collectivités territoriales, la constitutionnalisation du caractère décentralisé du Royaume et la consécration de la régionalisation avancée comme fondement de l'organisation territoriale ainsi que la libre gestion administrative. Trois ans plus tard et afin d'apporter un soutien à la régionalisation avancée et à l'accompagnement de cette politique de décentralisation, la charte de la déconcentration a vu le jour en 2018 et qui avait pour objectif la mise en place au niveau local des services déconcentrés de l'administration centrale et des services déconcentrés de l'Etat qui assurent la coordination de l'action des services déconcentrés et l'accompagnement de l'organisation territoriale décentralisée. Certes, le développement territorial est désormais tributaire de la manière dont les acteurs décentralisés et déconcentrés gouvernent leurs territoires. D'où qu'aujourd'hui, la commune d'Asni est autonome en matière de recherche de financement et de développement de projets qui traitent des problématiques territoriales pour en faire de véritable levier de développement. Pour cela, il faut que les acteurs territoriaux œuvrent ensemble dans la limite des compétences légales et de moyens financiers mis à leur disposition.

Pour ce qui est du développement, de l'aménagement et la préservation des espèces endémiques du territoire marocain en général et de la commune d'Asni en particulier, le Maroc à travers ses organes notamment la Direction Régionale des Eaux et Forêts et de la Lutte Contre la Désertification, a défini des stratégies et des orientations pour conserver la biodiversité, maintenir la disponibilité et la qualité de l'eau et préserver les richesses naturelles de ces territoires à travers la création des aires protégées.

Cette décision de création des aires protégées a donné naissance au Parc national du Toubkal (PNT) dont Asni fait partie suite à un arrêté viziriel du 19 janvier 1942. Ce dernier abrite les plus hautes altitudes, notamment le mont Toubkal 4167m (le plus haut sommet en Afrique du nord et du monde Arabe). Par cette création du parc national, Asni a connu une recomposition nouvelle d'un territoire dit ordinaire (Boyer, 2014) à un autre protégé et contrôlé avec des stratégies imposées du haut vers le bas « top down ». Mais celle du parc national avait créé chez la population locale d'Asni un sentiment de mépris envers la Direction Régionale des Eaux et Forêts et de la Lutte Contre la Désertification du Haut Atlas, entraînant ainsi une désobéissance des ordres donnés par ces derniers ce qui a permis la création d'un champ de lutte entre eux.

Devant cette situation de non confiance de la population locale dans l'organe précité qui a longtemps joué le rôle du « policier », l'Etat a créé des Organismes du Développement Forestier (ODF) fonctionnant selon une approche participative qui englobe les élus, la société civile et les représentants des départements administratifs. Ainsi, les projets seront fixés d'une manière participative en fonction de la demande des représentants des douars et la réglementation ne sera plus imposée etc. Il est à signaler que ces ODF sont toujours en phase de préparation.

## 2. Asni un territoire de transformation de la vision de l'agriculture

La commune d'Asni est caractérisée par une diversification de l'activité économique dont l'agriculture reste l'activité économique dominante. Elle est connue par ses champs en terrasses à flanc de montagne pour la culture de l'orge, le seigle, les courgettes, les oignons, les pommes de terre, les carottes, et ce en fonction de l'altitude, l'orientation, la place disponibles et l'eau. Cette dernière est acheminée dans un canal d'irrigation à flanc de montagne, dont la construction et l'entretien sont généralement difficiles. Sa répartition entre les villageois obéit à des règles strictes. Le labour est assuré par l'utilisation de moyens rudimentaires à savoir la pioche (aguelzim) ou la charrue tirée par la mule ou l'âne.

Près des villages on trouve les cultures des noix, des cerises, des pommes et d'amande en plus des olives dans les plaines pendant la période où le climat est doux. Au début, la population d'Asni a opté pour une culture vivrière transformée ensuite en culture à la fois commerciale et vivrière. En effet, la récolte des fruits constitue une source de revenu pour les villageois, leur permettant l'achat du sucre, du thé au souk hebdomadaire ainsi que les autres matières de première nécessité dont ils ont besoin. Aussi plusieurs agriculteurs s'occupent en plus de l'élevage de quelques chèvres et moutons et parfois une ou deux vaches. De ce fait, l'élevage est considéré comme une source de revenus supplémentaires.

Avec le temps et le développement des espaces agricoles, la commune d'Asni a connu un début de spécialisation dans le but de devenir compétitive territorialement. On entend par la compétitivité territoriale, la capacité des territoires à s'intégrer dans le réseau mondial caractérisé par la concurrence et l'innovation, tout en étant connectés aux centres économiques globaux (EL ALAMI, 2019), ce qui a poussé les acteurs des territoires à développer des stratégies de labellisation, surtout qu'elle permet à leur territoire de devenir attractif (Florent, 2011 ; Saïdi et Fagnoni, 2018) et aussi compétitif (Aderghal et Al, 2017). Pour que la commune d'Asni relève ces défis de la mondialisation, elle a adopté le label bio Maroc afin de cibler le marché bio et deux Signes Distinctif d'Origine et de Qualité (SDOQ) qui relève de la loi n° 025-06 promulguée par le dahir n°1-08-56 du 23 mai 2008, dont la vision de produire la qualité et participer au développement rural. Les signes en question est le label Indication Géographique Protégée (IGP) noix de l'atlas Haouz Marrakech et IGP pomme de l'haouz.

Avec l'émergence de ladite labellisation, Asni a connu une nouvelle recomposition autre que la vision commerciale et vivrière pour une autre vision systémique suite à l'écoconception. Cette dernière est définie selon la norme internationale ISO 14062 comme le fait d'intégrer les aspects environnementaux dans la conception des produits. Ce qui constitue un challenge pour le territoire d'Asni qui transforme les modes de gestion des territoires et donne naissance à d'autres recompositions qui sont à l'origine de l'émergence de nouvelle mode de gouvernance et de dynamique d'acteur qui induisent au bouleversement des mécanismes de gestion collective des ressources, de la vie sociale et des hiérarchies sociales etc.

### 3. Territoire de labellisation vers l'absence d'une gouvernance du label

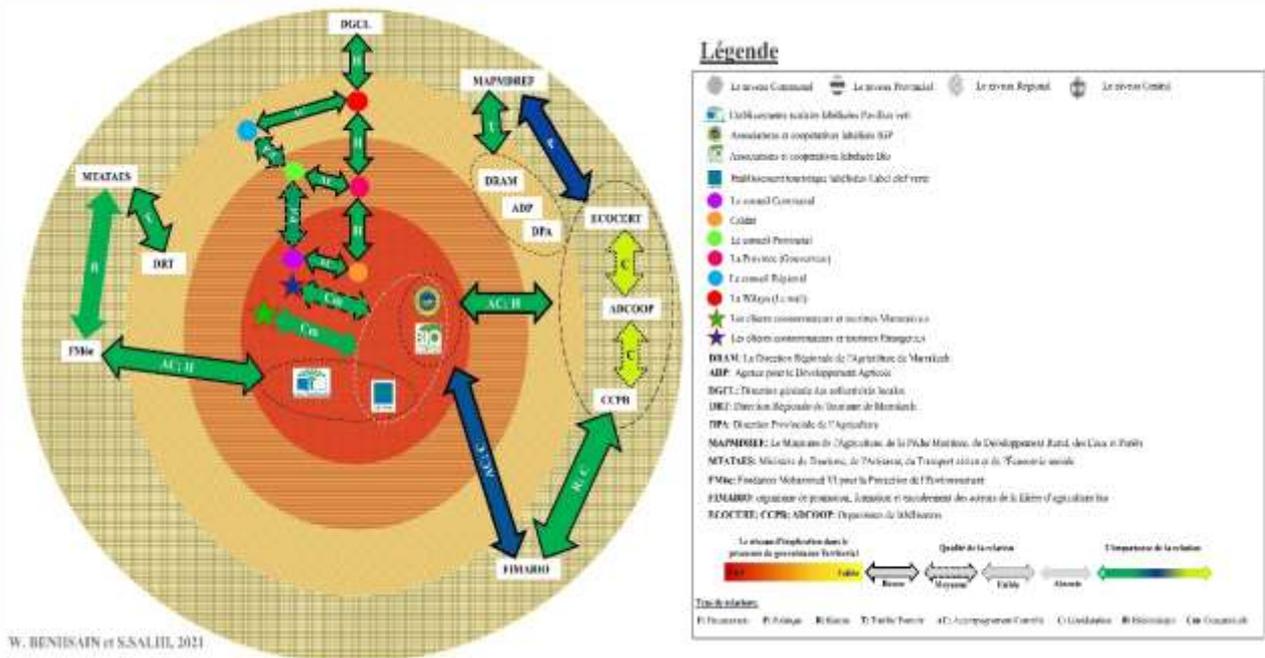
Le processus de labellisation dans la commune d'Asni est un processus complexe avec d'une part des multi-acteurs et d'autre part des multi-enjeux. Mais sa complexité émane de son appropriation par les acteurs locaux, et de sa continuité dans l'espace-temps, ce qui a été prouvé par les acteurs chargés de la labellisation des différentes institutions au niveau central. Ces derniers ont déclaré que «ils sont très dynamiques durant la phase de la prise de connaissance de la labellisation, mais lors de la phase de la mise en application de la certification, c'est là où les problèmes apparaissent ; les acteurs locaux, régionaux et provinciaux ne veulent pas supporter les charges des projets de labellisation et n'investissent pas dans cette démarche, ils attendent l'aide financière de l'Etat pour le lancement des marchés en question » (Extrait d'un entretien avec un acteur au niveau central).

La labellisation dans la commune d'Asni est donc limitée seulement aux élites locales. Ailleurs, ce sont les paysans aisés, les entreprises privées, les gros producteurs ou alors les multinationales, qui peuvent se procurer ces labels, qui coûtent généralement très cher. On peut déduire de ce fait la dominance de l'approche compétitive et sélective au lieu de l'approche inclusive. Cette approche compétitive est également appelée distributive ou gagnant-perdant. Selon Léa Sébastien et Christian Brodhag : c'est une approche où nous trouvons des acteurs forts et d'autres faibles, Les premiers obtiennent la meilleure part du gâteau, alors que les seconds ne se trouvent pas dans une position de négociateur pour imposer leurs choix et leurs valeurs morales, et défendre leurs intérêts (Léa Sébastien et Christian Brodhag, 2004). Dans ce processus de labellisation dans la commune d'Asni, les producteurs des produits et services ainsi que les paysans démunis sont considérés comme des acteurs faibles, qui selon Mari Oiry Varacca, sont soumis à la logique du marché labellisé qui repose essentiellement sur la valorisation de savoirs qui n'est pas le leur. Sachant que la majorité des paysans démunis sont analphabètes, et le nombre de formations possibles au sujet de labellisation est insignifiant, ce qui les rend incapables de s'adapter et restent marginalisés. Cependant, pour les acteurs forts à Asni, la labellisation renforce leur domination et renforce les rapports de force tout en accentuant les inégalités sociales.

La labellisation à Asni, n'est pas une appropriation collective, elle est considérée comme un processus excluant les acteurs faibles. Ce processus, exclut également les consommateurs pauvres vu que le prix final d'une production labellisée est généralement plus élevé que celles non labellisées en créant selon Michael Heller, Rebecca Eisenberg et Gille Allaire un « phénomène d'anti commun » A noter que de nombreuses études sur les labels de qualité ( Sempls et Vandercammen, 2009 ; BELMOUSS, 2016 ; Boujrouf et Al, Varacca, Ouhna et Al, 2019) ont montré que la majorité des consommateurs marocains ne sont pas très sensibles aux labels à l'exception de quelques professionnels et scientifiques (El Bakkouri et al. 2016). La prise en considération de la population s'avère absente dans les stratégies menées par l'Etat dans la labellisation.

La labellisation actuelle à la commune d'Asni va disparaître car elle ne s'inscrit pas en continuité dans l'espace-temps à cause de l'émergence continue des nouveaux labels et partant elle permet la recomposition du territoire en question. Cette recomposition dépend davantage d'une mauvaise ou une absence de gouvernance du label, parce que la gouvernance, surtout la bonne, se construit par et pour les acteurs qui se l'approprient (F. Leloup 2005) alors que dans le cas d'Asni, il n'y a pas d'amélioration dans les rôles de l'Etat classique qui intervient d'une manière hiérarchique, à cause de l'absence d'une volonté locale. Or, la notion de gouvernance par les labels s'identifie comme révélatrice des logiques verticales et horizontales de l'action publique locale (Béal et Al, 2015) alors que la labellisation à Asni exclut les acteurs démunis ainsi que les consommateurs marocains (Figure 1).

Figure 2: La relation inter acteur au sein de la commune d'Asni au tour de la labellisation



Source : W. BENHSAIN et S. SALHI, 2021

## Conclusion

La commune d'Asni est un territoire en perpétuelle recomposition. Elle a connu des recompositions identitaires, ethniques et religieuses, et qui sont des recompositions dues à l'adaptation de la population locale à un environnement difficile et des recompositions politiques et territoriales. Elle a aussi connu une recomposition de son territoire « ordinaire » pour un autre protégé comme elle a connu des recompositions entre la vision d'agriculture vivrière à une autre vision systémique d'écoconception du produit à l'aide de l'émergence de la labellisation.

Les conditions liées à la qualité à Asni, s'imposent indirectement aux producteurs des biens et des services, non seulement dans l'agriculture avec les labels bio Maroc, IGP noix de l'atlas Haouz Marrakech IGP pomme de l'haouz, dans le tourisme à travers le label clef verte, mais aussi dans l'éducation à travers le label pavillon vert. Ces labels précités, constituent un outil pertinent de confiance et de qualité pour la compétitivité territoriale pour être à la hauteur des défis de la mondialisation. Ces labels n'émanent pas d'un choix stratégique collectif mais plutôt d'un choix de renforcement de la domination et des rapports de force tout en accentuant les inégalités. Il est à signaler aussi que l'appropriation de ces labels par les acteurs locaux dépend de l'intervention de l'administration d'une part pour le lancement des marchés et l'émergence continue des nouveaux labels d'autre part, ce qui confirme que ladite labellisation ne s'inscrit pas en continuité espace-temps.

Le succès de la labellisation au sein d'un territoire n'est pas uniquement celui de réaliser la qualité mais aussi informer sur la qualité vérifiable sur la base des normes et des cahiers de charge. Elle nécessite selon Vincent Béal, Renaud Epstein et Gilles Pinson une gouvernance qui révèle des logiques à la fois verticales et horizontales. La labellisation à Asni est complexe, multi-acteurs et multi-enjeux, et elle ne permet pas la recomposition de réseau de ces acteurs comme elle n'aide pas à une quelconque amélioration dans les rôles de l'Etat classique qui exclut les acteurs démunis et les consommateurs locaux qui sont ou non informés de l'existence de ces labels.

En outre, la labellisation oblige les producteurs à s'adapter aux stratégies, aux normes et aux critères définis et dictés au niveau central par l'administration selon sa propre perception du concept de la qualité au moment où la décentralisation s'affirme de plus en plus, d'où la nécessité de revoir la notion de la labellisation avec tous ses concepts ou chercher les moyens nécessaires pour renforcer et généraliser la décentralisation de la labellisation au sein des territoires locaux marocains. De même, il faut réfléchir sur les politiques adéquates pour développer la production des biens et services, par la création des grandes surfaces et la multiplication des coopératives notamment dans l'agriculture, le tourisme, l'artisanat, etc. et surtout le développement de la formation au profit des différents acteurs locaux.

## Bibliographie

- Aderghal Mohammed et al (2017), *“L'ancrage territorial des spécificités : regards croisés sur les arrière-pays méditerranéens.”* Hespéris, Tamuda 52 : 357-381.
- Béal Vincent et al (2015), *“La circulation croisée. Modèles, labels et bonnes pratiques dans les rapports centre-périphérie”*, In *“Gouvernement et action publique”*, 4 (3), 103-127p.
- Belmouss Khadija. (2016), *“La responsabilité sociétale dans les entreprises Marocaines : Quels effets sur la relation client”*, In *“Revue marocaine en management et marketing”*. 14p
- Boujrouf Saïd. (1996), *“La montagne dans la politique d'aménagement du territoire du Maroc”*, In *“Revue de géographie alpine”*, tome 84, n°4, 37-50p.
- Boujrouf Saïd, (2014), *« Ressources patrimoniales et développement des territoires touristiques dans le Haut Atlas et les régions sud du Maroc »*, Journal of Alpine Research | Revue de géographie alpine [En ligne], 102-1 | 2014, mis en ligne le 17 juin 2014
- Boujrouf et al (2019), *“Les visions et référentiels des politiques de développement territorial dans l'arganaie : retour sur 10 ans d'initiatives et de projets”*, In *“congres international du 10 au 11 Décembre à agadir”*, 257-261p
- Christophe Sempels et Marc Vandercammen. (2009), *“Oser le marketing durable, concilier marketing et développement durable”*, 201p.
- De Mari Oiry Varacca. (2019), *“Montagnards dans la mondialisation : Réseau diasporiques et mobilisation sociales dans l'Atlas (Maroc), les highlands (écosse) et les alpes françaises”*, “Presses universitaires de Grenoble”, 235p.
- El alami Driss, (2019), *“La gouvernance des Clusters et dynamique des territoires en Europe. Quel enseignement pour le Maroc ?”*, In *“Revue Internationale des Sciences de Gestion”* ISSN: 2665-7473 « Numéro 3 : Avril 2019 / Volume 2 : numéro 2 », 699- 722p.
- El Bakkouriet al. (2016), *“Étude de l'effet de la connaissance du label de qualité et de l'origine sur la qualité perçue par les consommateurs au Maroc cas de l'IGP Argane”*, In *“Moroccan journal of business studies”*, 17p.
- Élise Temple-Boyer. (2014), *“Des méthodologies à repenser pour qualifier et analyser les territoires et les paysages ordinaires, Association AGF”*, In *“Bulletin de l'association de géographes français”*, 91-1, Les paysages ordinaires, 18p.
- Erhard Friedberg et Michel Crozier, (1977), *“L'acteur et le système, Edition du seuil”*, In *“development, Regional Studies”*, 500p.
- Gilles Allaire, (1995), *“Croissance et crise en agriculture, Théorie de la régulation, L'état des savoirs.”* 341-349p.
- Gilles Allaire, (2016), *“Que signifie le « développement » de l'Agriculture Biologique ?”*, In *“Innovations Agronomiques, INRA”*, 1-17p.
- Pierre Campagne et Bernard Pecqueur. (2014), *“Le développement territorial : une réponse émergente à la mondialisation”*. In *“Paris (France) : Charles Léopold Mayer”*. 268 p.

- Gérard-François Dumont. (2002), “*La mondialisation et le développement local. D’Entremont Alban, Lizarraga Lezúun Maria Ángeles, Pons Izquierdo Juan José, Recalde Zaratiegui Lucio*”, In “Homenaje a Manuel Ferrer Regales, Eunsa”, 84-313-1967-4. ffhal-01537689f, pp.809-839.
- Guillaume Lacquement et Pascal Chevalier. (2016), “*Capital territorial et développement des territoires locaux, enjeux théoriques et méthodologiques de la transposition d’un concept de l’économie territoriale à l’analyse géographique*”, “In *Annales de géographie*”, 711, 490-518.
- Heller Michael et Eisenberg Rebecca. (1998), “*Can patents deter innovation? The anticommons*”, In “*Biomedical research. Science*” 280 (5364), 698-701p.
- Léa Sébastien. Christian Brodhag, (2004), “*A la recherche de la dimension sociale du développement durable*”, In “*Association DD&T*”, 22p.
- Leloup et al .(2005) : “*La gouvernance territoriale comme nouveau mode de coordination territoriale*”, In “*Géographie, économie, société*”, (Vol. 7), DOI : 10.3166/ges.7.321-331, p. 321-332.
- Luc Florent. (2011), “*L’utilisation du label UNESCO dans la communication touristique Entre choix et contrainte*”, In “*Téoros*” 12p.
- Lombard et al (2006), “*La mondialisation côté Sud. Acteurs et territoires*”, In “*Paris, IRD*”, 496 p. (ISBN 2-7099-1602-9).
- Medeiros Eduardo, (2020), “*Globalization, planning and local economic development*”, In “*Regional Studies*”, 54:12, 1788-1789, DOI: 10.1080/00343404.2020.1805424
- Nicolas Brejon de Lavergnée (1991), “*Politiques d’aménagement du territoire au Maroc*”, In “*Paris: Edition l’Harmattan*”. Pp. 271.
- Ouhna, Laila et Amine, Meryem Alaoui. (2019), “*Place des labels qualité dans le marketing des produits de terroir. International*”, In “*Journal of Innovation and Applied Studies* ”. 11p
- Pascon Paul. (1977), “*Le Haouz de Marrakech*”, In “*Ed. Marocaines et international*”, Rabat. 2 Tomes.
- Pereira Ribeiro Coutinho et al (2015), “*Local development in the context of territoriality face to globalization*”, In “*International Conference on Technologies for Sustainable Development (ICTSD)*”, pp. 1-4.
- Saidi Abderrahman et Edith Fagnoni. (2018), “*Le tourisme en tant que levier de développement territorial au Maroc : le cas du management de la destination de la médina de Tétouan inscrite sur la liste du patrimoine mondial de l’UNESCO*”, In “*Revue du Contrôle de la Comptabilité et de l’Audit*”, 24p
- Tebbaa Ouidad et Boujrouf Said. (2019), “*Patrimonialisation et label Géoparc : pour quel modèle de développement au Sud ? Cas du Maroc*”, In “*girault y. (dir.) les géoparcs mondiaux UNESCO : une mise en tension entre développement des territoires et mise en valeur du patrimoine*”. Iste éditions, Londres, 285p- 105-120pp.
- Valerie Colomb. (2017), “*De l’influence du développement durable sur les labels des villes*”, 35-38p.
- Velasco-Graciet Hélène. (2009), “*Territoires, mobilités et sociétés : Contradictions géographiques et enjeux pour la géographie*”. In “*Pessac : Maison des Sciences de l’Homme d’Aquitaine*”, ISBN : 9782858924974. DOI, 350 p.

# Processus de patrimonialisation dans la province d'Al Haouz : État des lieux et perspectives

**Abderrahim Ait Ben Aalla et Lahoucine Amzil**

FLSH, Université Mohamed V, Rabat

## Résumé

Située dans le Haut Atlas Occidental, la Province d'Al Haouz est un territoire au passé glorieux et illustre. Son histoire est très riche et date des époques les plus reculées. Al Haouz est connu entre autres, d'être le berceau de l'empire Almohade, avec sa majestueuse mosquée de Tinnel, érigée au fond de la vallée de Nfis. Cette province est riche d'un patrimoine culturel et naturel inestimable. Ce patrimoine a rapidement attiré l'attention des autorités du Protectorat (1912-1956), par sa richesse, sa diversité et son originalité. Cette attention s'est traduite par des mesures de préservation et de sauvegarde (arrêtés et Dahirs). Ces mesures avaient déclenché un processus de patrimonialisation dans la région qui a visé la protection et la sauvegarde de son patrimoine.

Ce processus a permis la protection de nombreux éléments patrimoniaux, malgré la disparition ou la dégradation d'autres. Quasi inactif, après l'indépendance, ce processus s'active de nouveau aujourd'hui dans la province d'Al Haouz et la préservation du patrimoine suscite l'intérêt de nouveaux acteurs. La richesse patrimoniale de la province est exposée aujourd'hui, à de nombreux défis et menaces et à des enjeux plus complexes et globaux. Sa protection, sa valorisation et son intégration dans le développement sont primordiales.

**Mots clés :** Patrimoine, Patrimonialisation, la province Al Haouz, Préservation, Acteurs.

## Abstract:

Located in the Western High Atlas, the Province of Al Haouz, is a territory with a glorious and illustrious past. Its history is very rich and dates back to very long time ago. It is known to be the cradle of the Almohad Empire, with their majestic Tinnel mosque, erecting at the bottom of the valley of Nfis. This province is rich with an invaluable cultural and natural heritage. This heritage quickly attracted the attention of the authorities of the Protectorate (1912-1956), for its richness, diversity and originality. This attention has resulted preservation and safeguard measures (Laws and Dahirs). These measures were the beginning of the initiation of the process of patrimonialization in the region, which aimed to protect and safeguard its heritage.

This process allowed protecting many heritage elements, although the disappearance or degradation of others. Almost inactive, after independence, this process has become active today in the province of Al Haouz, and heritage preservation has aroused the interest of new actors. The rich heritage of the province is exposed today to many challenges and threats and to more complex and global issues. Its protection, enhancement and integration into development stay necessary.

**Keywords:** Heritage, Patrimonialization, High Atlas, Al Haouz province, Preservation, Actors

## Introduction

La province d'Al Haouz qui forme la partie Est du Haut Atlas, communément appelée "le Haut Atlas de Marrakech", se distingue par une histoire très riche et un passé glorieux, peuplée depuis la nuit des temps comme le témoigne le grand nombre des gravures rupestres qui se dispersent tout au long de cette montagne. Elle est connue pour être le berceau de l'empire magistral des Almohades, que des traces encore monumentales le témoignent à l'instar de la mosquée emblématique de Tinmel, échappée à la démolition des forces mérinides de toute la ville de Tinmel. La sédentarisation lointaine de l'Homme dans le Haut Atlas, face aux aléas naturels contraignants, a laissé un héritage précieux qui constitue aujourd'hui une richesse patrimoniale inestimable dans ce massif montagneux. Ce massif traversé par différentes vallées et plateaux, qui constituent des zones d'habitat et de vie des populations aux confluent des oueds et des forêts de chêne vert. Ces populations ont produit au fil de l'histoire une culture riche, diversifiée et singulière ; composée d'architecture, monuments, vestiges archéologiques, savoir-faire, paysages, pratiques sociales, traditions et coutumes aux quels s'ajoute une richesse naturelle fierté de la zone.

À l'arrivée du protectorat français au Maroc, il a vite constaté la grandeur de la richesse culturelle du pays et de son importance. La crainte de sa dégradation voire sa disparition ont poussé à l'instauration des mesures de protection et de sauvegarde. C'est ainsi la première loi concernant le patrimoine était promulguée au Maroc dès 1913 sous le régime du protectorat. Alors c'était le début de ce que l'on appelle aujourd'hui le processus de patrimonialisation. Ainsi, des éléments culturels, naturels et paysagers ont été l'objet d'inscription et de classement par arrêtés, décrets ou dahirs.

Dans cette partie du Haut Atlas, la patrimonialisation recouvre à la fois la nature et la culture. Les autorités du protectorat ont déclenché le processus de patrimonialisation dans cette zone en mettant l'accent sur la composante culturelle. C'est ainsi que les vestiges de la mosquée de Tinmel dans le Haut Nfis ont été classés par Dahir du 31 décembre 1924. Cependant, c'est dans les années 1940 que le Parc National de Toubkal (PNTb) a été créé, (premier parc naturel au Maroc avant même la naissance des parcs en France), puis se succèdent les inscriptions des sites et leur classement au niveau national.

Différents processus de patrimonialisation ont été impulsés dans le massif de Toubkal, pendant plusieurs années. On assiste à une patrimonialisation selon un processus étatique et centralisé imposé en premier lieu par les autorités du protectorat, et après l'indépendance par l'État marocain.

Michel Vernières écrit que «L'amorce d'un tel processus de patrimonialisation peut se dérouler de deux manières. D'une part, elle peut provenir d'initiatives extérieures au territoire où se situe le patrimoine, qu'il s'agisse d'initiatives d'organisations étrangères, internationales comme non gouvernementales, ou d'administrations et d'ONG nationales. Mais elle peut aussi être issue de l'action de groupes ou de collectivités locales»<sup>1</sup>.

Ce n'est que dans les dernières années qu'on assiste à une patrimonialisation par le bas ou ascendante. Ce type de patrimonialisation est déclenché par de nouveaux acteurs tels que les chercheurs scientifiques, les touristes, les émigrés, les associations et les coopératives locales. Ces acteurs s'intéressent aux nouveaux domaines tels que l'agroalimentaire, l'artisanat et sites archéologiques.

Cet article trace l'histoire de la patrimonialisation dans la province d'Al Haouz (Haut Atlas), en dressant un inventaire des éléments patrimonialisés, leur importance et leur état des lieux. Ainsi on

<sup>1</sup>-VERNIÈRES M, *le patrimoine: une ressource pour le développement, Épargne sans frontière* « Techniques Financières et Développement » 2015/1 n° 118 | pages 7 à 20.



La province d'Al Haouz compte actuellement trois Pachaliks, cinq Cercles, dix-huit Caïdats et deux Annexes administratives. Au niveau de découpage communal, elle compte trois communes urbaines (municipalités) et 37 communes rurales. (Voir la carte ci-dessus)

## 1.2. Al Haouz : Dominance des reliefs et territoire accidenté

Le territoire de la province est constitué de la plaine dite « Haouz » et de chaînes montagneuses<sup>2</sup> (74% de la superficie de la province) dont l'altitude varie entre 1000 et 4167 mètres (Toubkal le point culminant du

Maroc et de l'Afrique du Nord) et de plateaux. L'espace géographique de la province se divise en trois zones (Bellaoui 1989).

**La zone du Piémont (Dir) :** Cet espace se situe entre la plaine du Haouz et la montagne atlasique. Cette zone, dont l'altitude est de 600 à 1 000 m, est marquée par : des pentes variables entre 5 et 30% ; des terrains agricoles soumis à l'érosion hydrique ; une vocation agro-pastorale à base de céréales, oliviers, amandiers et un élevage extensif.

**La zone des moyennes vallées :** d'une altitude qui varie entre 1 000 et 1 200 m ; elle est formée de crêtes et de collines de faible altitude à l'intérieur desquelles s'intercalent de petites cuvettes.

**La zone des hautes vallées :** d'une altitude allant à plus de 1 200 m, elle est constituée essentiellement de hauts plateaux permo-triasiques. Elle alterne des vallées encaissées et des vallées relativement évasées qui se transforment par endroits en petits bassins intramontagnards. Elle est constituée en grande partie de sommets massifs granitiques rhyolitiques, calcaire ou gréseux qui dépasse 3 000 m (4 165 m pour le Toubkal qui est le point le plus élevé du Maroc)

## 1.3. Aléas climatiques déterminants

La richesse de l'espace géographique de la province d'Al Haouz se traduit par la diversité du climat, même si celui-ci demeure en général froid et aride dans la plaine, caractérisé par des précipitations relativement faibles et des températures modérées à élevées, variant fortement d'une saison à l'autre. En revanche, la zone montagneuse connaît un climat plus humide, des précipitations moyennes, des tempêtes ainsi que des précipitations neigeuses.

Le climat est subhumide à hiver froid, il est marqué par l'irrégularité des précipitations et leur variabilité selon un gradient décroissant du Sud au Nord. Il y a deux périodes pluviales, la première en automne, la deuxième en hiver et au début du printemps. Les précipitations sont souvent neigeuses en montagne.

---

<sup>2</sup>-Jean Dresch a nommé le Massif du Toubkal. Ces habitants, les Chleuhs l'appellent Adrar n'Dern qui peut signifier "la montagne gémissante". Elle contient un grand nombre de cimes dépassant les 3500 m, que la neige ne quitte jamais jusqu'aux périodes récentes. Ce mur naturel sépare Marrakech du Maroc présaharien.

## 2. Patrimoine et patrimonialisation dans la province d'Al Haouz

### 2.1. Patrimoine et patrimonialisation : contexte et définition

#### 2.1.1 Le patrimoine

L'Unesco définit le patrimoine comme étant « L'héritage du passé dont nous profitons aujourd'hui et que nous transmettons aux générations à venir. Nos patrimoines culturels et naturels sont deux sources irremplaçables de vie et d'inspiration »<sup>3</sup>.

La législation marocaine dans son projet de loi sur le patrimoine distingue trois catégories. Le Patrimoine culturel national s'étend à tous les biens culturels mobiliers, immobiliers et immatériels, par nature ou par destination, et (...) légués par les générations passées, de la préhistoire à nos jours et représentant un intérêt pour la civilisation nationale ou universelle. Alors que le patrimoine naturel national s'étend à tout site ou monument, généré par la nature, ou zone ou formation naturelle ainsi que toute composante de la nature et du paysage qui revêt un caractère exceptionnel ; et enfin le patrimoine mixte s'entend du patrimoine culturel et patrimoine naturel dans leur interdépendance.

Pour l'anthropologue marocain Ahmed Skounti, parlant du patrimoine marocain «Le patrimoine culturel marocain est donc constitué par l'ensemble des biens ou des valeurs matériels ou immatériels, modestes ou élaborés, comprenant des objets, des techniques, des savoir-faire, des arts, des connaissances, des croyances, des traditions, etc. qui nous ont été légués par nos ancêtres et que nous préservons pour les transmettre aux générations futures»<sup>4</sup>

#### 2.1.2 Le processus de patrimonialisation

Le processus de patrimonialisation est un fait contemporain nourri par le développement de la mondialisation (DiMeo 2007)<sup>5</sup>, et des changements profonds que connaissent les sociétés d'aujourd'hui (Skounti, 2010).

La patrimonialisation comme processus de construction du patrimoine passe par plusieurs étapes<sup>6</sup> « le processus complexe de production sociale du patrimoine qui commence par l'acquisition de la conscience patrimoniale, se manifeste, ensuite, par la réglementation du domaine pour finir dans les actions concrètes de classification et de protection du patrimoine » (Potop Lazea 2010).

Le phénomène de la **patrimonialisation** désigne donc ce processus de création, de fabrication et de réinvention du patrimoine.

La patrimonialisation concernait, auparavant, essentiellement des objets ou éléments d'envergure, de prestigieux monuments et les pratiques emblématiques des sociétés. Aujourd'hui, le phénomène de patrimonialisation s'est élargi pour atteindre aussi le "petit patrimoine". Mais d'une manière intense, ce que l'on appelle aujourd'hui le patrimoine "vivant" ; les produits agroalimentaires aux

<sup>3</sup>-Site Unesco : <https://whc.unesco.org/fr/apropos/> . Voir la Convention pour la protection du patrimoine mondial, culturel et naturel, 1972 sur le site UNESCO: <https://whc.unesco.org/fr/apropos/>

<sup>4</sup>-Skounti A., *Le Miroir Brisé. Essai sur le Patrimoine Culturel Marocain*, Prologues. Revue Maghrébine du Livre, 2004, 29/30 : 37-46.

<sup>5</sup>-La patrimonialisation n'est donc nullement neutre. De manière tout aussi générale, on observera qu'elle repose sur une conception occidentale, linéaire et ouverte du temps qui est largement celle de la modernité européenne.

<sup>6</sup>-Voir aussi François H., Hirczak M., Senil N., *Territoire et patrimoine : la co-construction d'une dynamique et de ses ressources*, Revue d'Économie Régionale et Urbaine, 2006, n° 5, p 683-700.

quels sont attribués des signes de qualité (AOP, IGP, LA). Actuellement, la patrimonialisation de l'alimentaire se développe rapidement dans le monde.

### 2.1.3 Le Haut Atlas : un haut lieu du patrimoine

Historiquement, cette partie du Haut Atlas (La province d'Al Haouz) a été occupée par les Masmudas qui constituent l'un des trois grands ensembles tribaux berbères du Maroc. Par la suite cette montagne a donné naissance à l'empire Almohade, et qui a gouverné un territoire vaste qui s'étendant du Maroc, le Grand Sahara à l'Andalousie.

Les vallées qui traversent cette montagne constituent l'espace d'habitat où les groupements humains sont installés depuis longtemps. La zone semble connaître la présence de l'activité humaine depuis la préhistoire. Les transhumants des époques préhistoriques ont laissé des traces bien visibles sur le paysage, sous forme d'art figuratif ou schématique gravé sur les dalles rocheuses des plateaux du Haut Atlas<sup>7</sup>.

Au fil des siècles l'interaction entre l'Homme et la nature a produit une culture authentique riche et diversifiée, qui forme aujourd'hui l'identité de cette montagne «Au Maroc le Haut-Atlas de Marrakech constitue un patrimoine naturel et paysager exceptionnel et varié. Il se définit par son expression physique et par son identité culturelle»<sup>8</sup>. Connu par sa nature exceptionnelle, sa culture authentique et ancestrale, le Haut Atlas se dresse prestigieusement comme un haut lieu du patrimoine au Maroc. Les éléments naturels, culturels et paysagers dont regorge ce vaste territoire, sont dignes de la préservation et la sauvegarde de cette richesse inestimable.

L'importance monumentale des éléments naturels et culturels de la province d'Al Haouz, ont suscités l'attention des autorités du protectorat dès son arrivée dans la zone. On estime que cette attention est alimentée par les recherches scientifiques menées par des chercheurs français dans la région, surtout l'éminent historien Henri Terrasse, qui est devenu l'inspecteur des monuments historiques, des médinas et des sites classés du Maroc, Jean Malhomme spécialiste des gravures rupestre qui a le mérite de révéler le site rupestre de l'Oukaïmeden et du Yagour, et d'autres comme Henri Basset, Jacques Berque, Jean Dresch, Paul Pascon entre autres.

## 2.2 Le processus de patrimonialisation pendant l'époque du protectorat français

Le processus de patrimonialisation au Maroc, au sens actuel de la notion, est né avec les autorités du protectorat français, qui ont rapidement pris conscience de la richesse naturelle et la diversité culturelle du Maroc et du Haut Atlas.

Essentiellement du Haut, le processus de patrimonialisation dans le Haut Atlas a touché les éléments culturels que naturels. Les vallées de Nfis, de Ghyghaia et de l'Ourika disposent du plus grand nombre de sites patrimonialisés. En revanche, quelques sites sont ambigus et manquent de précision, ainsi que les critères de leurs classements. Les raisons du classement sont très vagues et ne sont pas précisées dans les Dahirs ou arrêtés de classement.

### 2.2.1 Les monuments et vestiges

Les monuments et les vestiges de la vallée N'fis sont les premiers éléments du patrimoine de la région qui ont suscité l'intérêt des autorités du protectorat. Ainsi dès son arrivée, des enquêtes ont

<sup>7</sup>-Voir, a ce sujet, les travaux de : Jean Malhomme, André Simoneau, George Souville, Susan Searight, Alain Rodrigue, Abdelhadi Ewague.

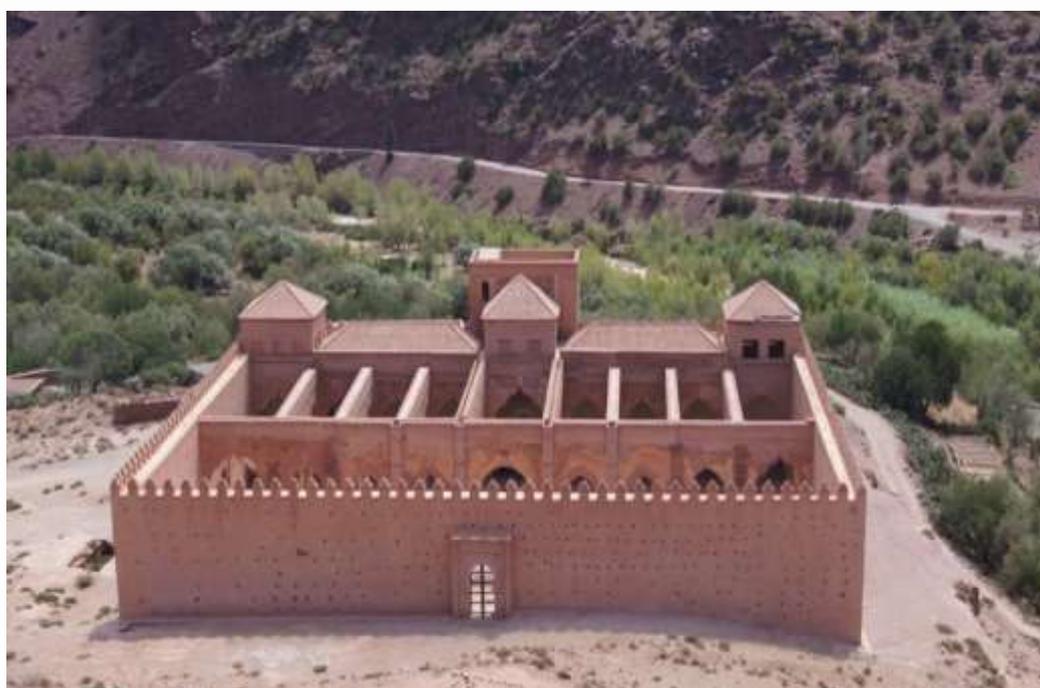
<sup>8</sup>-GEBRATI F, *La mobilisation territoriale des acteurs du développement local dans le Haut-Atlas Occidental*, Thèse de doctorat, Université Joseph Fourier, 2004, Grenoble, 352 p.

été ordonné en vue de classement des sites, ruines et monuments au Maroc et dans le Haut atlas de Marrakech. Dans l'actuelle province d'Al Haouz les autorités du protectorat ont procédé au classement d'un nombre important de monuments et de vestiges. Ils sont tous localisés dans la haute vallée de Nfiss au sein de la tribu de Goundafa, ce qui pose des questionnements pour ce choix sélectif "non justifié" de classer des monuments et laisser d'autres (classement de la mosquée de Tinmel et négliger les Kasbahs et autres mosquées et zaouïas dans la région). Ainsi d'autres monuments et sites dans la province d'Al Haouz n'ont pas été l'objet de classement à l'instar de la forteresse de Tasghuimout datée de l'époque des Almoravides, le mausolée de Moulay Brahim très connu par son moussem annuel.

Sites	Année	Commune	Caractéristiques
Pont Oued N'fis	1922	Lalla Takerkoust	Vieux pont sur oued N'fiss à 34 km sur la route Marrakech- Amizmiz.
Ruines de la mosquée de Tinmel	1924	Taalat n Yacoub	La mosquée de Tinmel, restaurée et inscrite sur la liste présentative du patrimoine mondial UNESCO et sur la liste du patrimoine musulman de l'ISESCO
Kechla Aoukechtin	1934	Taalat n Yacoub	Ruine de XIIe siècle sur le plateau qui domine Tinmel
Ruines de divers monuments, dans le site de Tinmel	1935	Taalat n Yacoub	Le reste de la muraille de Tinmel, le Cimetière, Aourir n Tidaf et aourir n Tbal

Source : Recherche bibliographie et travail du terrain, 2019

Figure 1 : La Mosquée de Tinmel : site emblématique de la province



Source : Auteur, 2017

### 2.2.2 Les sites d'intérêt particulier

À l'époque, ces sites ont présenté des caractéristiques singulières par leur architecture, Kasbahs, terrasses, petits monuments (moulin, pressoirs, mosquées, culture en terrasses...) et par l'intérêt paysager qu'ils présentaient à cette époque de l'histoire du Haut Atlas. De nos jours ces sites ont subi des changements "brutaux" sur tous les niveaux et ont perdu une grande partie de leur authenticité et leur spécificité.

Sites	Année	Commune	Caractéristiques
Site de la vallée de l'Oued R'dat	1943	Sidi Rahal Tazart Zarkten	Ce site regroupe culture et nature, Zaouia, architecture typique, faune et flore importantes au long du Oued.
Site Asni	1944	Asni	Architecture vernaculaire typique, petit patrimoine, richesse floristique et faunistique intéressante.
Site Arremd	1944	Asni	Site de Haute Altitude, habitat et tradition typiques de montagne.
Site Tachdirt	1944	Asni	Site de Haute Altitude, habitat et tradition typique de la haute montagne.
Site de l'Ourika	1944	Ourika	Architecture traditionnelle, site naturel traversé par l'Oued Ourika.
Site de la zaouia de Setti-Fatma	1949	Setti-Fatma	Site religieux (zaouia), moussem annuel, site naturel et cascades...
Site de Tahannaoute	1944	Tahannaout	Architecture vernaculaire, métiers et savoir-faire.
Site de Timichi	1949	Setti-Fatma	Architecture typique, paysage de la haute montagne.
Pierres gravées du Site de l'Oukaimden	1951	Oukaimden	Site d'art rupestre, Agdal, Transhumance, site écologique du premier rang.

Source : Recherche bibliographique et travail du terrain, 2019

### 2.2.3 Les sites naturels

La province d'Al Haouz dans le Haut Atlas Occidental, et la première zone au Maroc qui a connu la création d'un parc national, suite à la tenue du 9ème Congrès de l'Institut des Hautes Études Marocaines, portant sur la haute montagne, en 1937. Créé par arrêté viziriel le 19 janvier 1942 sur une superficie de 36 000 hectares, le Parc National de Toubkal fut établi dans cette région du Haut Atlas, une des régions les plus riches en biodiversité.

Les objectifs de sa création résidaient dans la volonté de préserver les massifs montagneux les plus élevés de l'Afrique du Nord, pour leurs caractéristiques floristiques, faunistiques, géologiques, paysagères et leurs potentialités touristiques. La conservation de la nature, plus spécialement les espèces animales et végétales menacées de disparition, et sa réhabilitation étaient aussi le principal souci à l'époque de sa création (Ouhammou 2005). Mais aussi la préservation de la richesse culturelle et le mode de vie de la montagne. Dans son plan de gestion trois missions sont assignées au PNTb9 : la conservation de la biodiversité de haute montagne et développement de la recherche

<sup>9</sup><https://parc-national-toubkal.ma/>

scientifique, l'appui socio-économique et contribution au développement durable de la région, et la sensibilisation et éducation à l'environnement.

Le parc National du Toubkal est le seul et unique site naturel classé dans le Haut Atlas de Marrakech pendant l'époque du protectorat. Il est le premier parc naturel du Maroc. Ce parc abrite le sommet le plus haut de l'Afrique du Nord, le Jbel de Toubkal qui culmine à 4165 m d'altitude, ainsi plusieurs sommets dépassant les 3500 m. il s'étale sur les deux provinces d'Al Haouz et de Taroudant. Aujourd'hui, la zone cœur du PNTb (le parc à proprement dit) s'étend sur une superficie de plus de 39 350 hectares.

Sites	Année	Commune	Principales mesures
<b>Parc de National Toubkal</b>	1942	Asni, Oukaimden, Setti Fatma, Ouirgane, Ijoukak, Imgdal	Sont Interdit : Toute action qui pourra nuire à l'écosystème du parc; Les activités agrosylvo-pastorales, minières, de chasse, de pêche, la sylviculture, la construction d'ouvrages d'intérêt public. Les habitants autour du parc ont les droits d'usage : Le ramassage de bois mort Le pâturage La culture au niveau des azibs.

Source : Recherche bibliographique et travail du terrain, 2019

## 2.3 La patrimonialisation après l'indépendance : un processus lent

### 2.3.1 Le patrimoine naturel de la province d'Al Haouz

Après l'indépendance le processus de patrimonialisation s'est presque arrêté, il faut attendre jusqu'aux années quatre-vingt avec la loi 22-80 du 25 décembre 1980 relative à la conservation des monuments historiques et des sites, des inscriptions, des objets d'art et d'antiquité. Malgré cette loi le rythme de classement est tellement freiné « Après l'Indépendance, la cadence des classements s'est sérieusement ralentie pour reprendre à partir des années 2000» (Skounti 2010). Le classement et l'inscription des sites dans le Haut Atlas ont été arrêtés, malgré qu'il y avait à l'époque un grand nombre de sites et de monuments dignes de classement comme les kasbahs des grands caïds du Haut Atlas (Glaoui, Ouiriki, Goundafi, Souktani...). Des chefs d'œuvre architecturaux prestigieux<sup>10</sup>, que la plupart ont disparu aujourd'hui. Le facteur politique n'est-il pas à l'origine de la disparition de ce patrimoine ?

La dynamique de classement ne démarre que vers les années 2000 avec le classement d'un nombre de sites naturels, puis culturels.

Les sites naturels sont constitués de Sites d'Intérêt Biologique et Écologique (SIBE) du Haut Atlas de Marrakech. Ses SIBE créés suite à l'étude « des Aires Protégées du Maroc » de 1995. Les SIBE sont des sites représentatifs sur le plan bioécologique de cette zone et un indicateur de biodiversité

<sup>10</sup>-Plusieurs écrivains se sont intéressés à ces Kasbahs et plusieurs livres en traitent. Citons en particulier : MONTAGNE, R, Villages et kasbas berbères. Paris : Lib. Félix Alcan,1930. TERRASSE, H. Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis. Paris : Ed. Des Horizons de France,1938. MAJORELLE, J. Les kasbahs de l'Atlas. Paris: Meyniel,1930. MAZIERES M.de et GOULVEN J. Les Kasbahs du Haut Atlas, La Vie Marocaine,1932 i, p93.

élevée. Ils abritent de nombreuses espèces végétales et animales endémiques, rares et menacées d'extinction.

Sites	Année	Commune	Caractéristiques
<b>Aghbar</b>	-	Aghbar	Présence d'un écosystème à Cyprès de l'Atlas : original et unique pour le Maroc (espèce endémique).
<b>Assif N'Ourzane</b>	-	Ouirgane	Torrent froid de haute altitude. Pelouses de montagne, cascades. Flore et faune diverses (Mouflon à manchettes)
<b>Assif Aït Mizane</b>	-	Asni	Un des cours d'eau les plus naturels du Maroc Torrent de montagne aux eaux fraîches Flore de Haute montagne : <i>Bellis annua</i> , <i>Carex halleriana</i> , <i>Vulpia geniculata</i> <i>Cystopteris</i> <i>Geranium p.</i> , <i>auriculata</i> ,... Faune : Deux oiseaux abondants ; le Cincle plongeur la Bergeronnette des ruisseaux. Plus de 40 espèces aquatiques d'invertébrés.
<b>Assif Rerhaya</b>	-	Asni	Cours d'eau permanents en amont d'Asni Flore et faune important, forêt importante. Culture des terrasses sur le lit de l'Oued

Source : Recherche bibliographique et travail du terrain, 2019

### 2.3.2 Le patrimoine culturel

Après l'indépendance le processus d'inscription et de classement est freiné dans tout le Maroc. Surtout dans le volet culturel. Dans la province d'Al haouz, le premier site culturel qui va être l'objet d'une inscription puis de classement est le site d'Aghmat; les vestiges archéologiques du Hammam d'Aghmat (BO n° 5532). Le deuxième élément est la danse de Taskiwine inscrite en 2017 sur la Liste du patrimoine immatériel nécessitant une sauvegarde urgente de l'Unesco.

#### a. Le site d'Aghmat<sup>11</sup>

Située au pied du Haut Atlas à 30 kilomètres au Sud de la ville de Marrakech, Aghmat est un site du Maroc médiéval. Elle est connue de nos jours sous le nom de Joumâa d'Aghmat, Elle est particulièrement célèbre par le mausolée d'al Mouâtamid Ibn Abbad. La ville historique d'Aghmat est considérée comme l'une des plus importantes cités de l'Occident musulman durant le Haut Moyen-âge. Les Almoravides se sont servis de la ville pour s'installer provisoirement avant la prise de la capitale Marrakech en 1062. Aghmat se présente aujourd'hui comme un immense gisement archéologique enfoui sous les champs.

<sup>11</sup>Pour plus d'écrits sur le site d'Aghmat voir : <https://ucd-ma.academia.edu/FILIABDALLAH/Papers>. A noter aussi que ce site est classé grâce aux efforts de la fondation Aghmat.

Sites	Année	Commune	Caractéristiques
Vestiges de Hammam Aghmat	2007	Aghmat	Hammam médiéval; le plus grand du Maghreb Extrême et autres vestiges découverts récemment.

Source : **Recherche bibliographique et travail du terrain, 2019**

### b. La danse de Taskiwine

La danse du Taskwin, est une danse martiale ancestrale du Haut Atlas. Elle est présentée de plus dans le versant Sud du Haut Atlas (province de Taroudant), mais aussi dans le versant Nord dans les zones limitrophes, l'Aghbar, l'Erdouz et Amizmiz. Dans le territoire d'Aghbar, cette danse est pratiquée encore à nos jours et les troupes sont invitées aux fêtes et divers festivals de la province d'Al Haouz et Marrakech. Avant d'être inscrite sur la Liste de l'Unesco, la danse de Taskiwine est inscrite et classée patrimoine national.

Élément	Année	Commune	Caractéristiques
La danse Taskwin	2017	Aghbar Amizmiz Erdouz	Danse martiale typique du Haut Atlas Occidental avec un habillement spécifique, des gestes particuliers et une chorégraphie et des rythmes singuliers.

Source : **Recherche bibliographique et travail du terrain, 2019**

La province d'Al Haouz renferme un patrimoine culturel immatériel singulier et original dont on peut citer : la mascarade de Bilmawen, la danse d'Ahouach (très répandue dans la région), la musique des Rwaïs, l'art culinaire, le savoir-faire artisanal, les jeux...etc. Ce patrimoine est encore délaissé et ne bénéficie d'aucune protection institutionnelle. Malgré sa grande richesse, sa diversité et son poids économique.

## 3 Le processus de patrimonialisation aujourd'hui : nouveaux acteurs, nouveaux domaines

### 3.1 Les nouveaux acteurs de la patrimonialisation

Actuellement le processus de patrimonialisation a pris des ampleurs et des dimensions très diverses dans la province. L'État n'est plus le seul acteur de la patrimonialisation. D'autres acteurs entrent sur scène tels que les scientifiques et la société civile. Ainsi que ce processus touche d'autres domaines comme l'agroalimentaire.

#### 3.1.1 Apports et reconnaissance des scientifiques

Les scientifiques, spécialistes chacun dans son champ disciplinaire, constituent un acteur important du processus de patrimonialisation. Ils jouent un rôle important dans l'identification des objets "patrimoines", montrent leur importance et attirent l'attention autour de ces objets et éléments. Par leur pouvoir d'influence, les scientifiques font connaître les éléments "patrimoines" et évoquent l'intérêt des autres acteurs. Dans le Haut Atlas, le rôle des scientifiques était important dans la révélation de plusieurs sites et éléments<sup>12</sup> patrimoniaux et de leur classement au niveau national.

<sup>12</sup>-Henri Terrasse pour la mosquée de Tinmel, Malhomme pour les gravures de l'Okaimden.

Aujourd'hui encore les scientifiques déploient des efforts pour la préservation du système agropastoral de l'Agdal dans le Haut Atlas, les sites rupestres du Yagour, les sites archéologiques (Aghmat, Tasghuimout), ainsi que des programmes successifs de recherche sont lancés autour de cette montagne atlasique, des colloques et des journées d'études sont organisées pour attirer l'attention sur le patrimoine inestimable du Haut Atlas.

#### - **L'agropastoralisme et le système des Agdals**

Le système agropastoral et les Agdals du Haut Atlas ont été l'objet de plusieurs études et recherches académiques par les chercheurs de différentes disciplines (archéologues, géographe, sociologue, anthropologues, écologistes...). En 2003 un programme de recherche sur les Agdals<sup>13</sup> nommé : «Les Agdals du Haut Atlas marocain : Biodiversité et gestion communautaire de l'accès aux ressources forestières et pastorales» a été lancé par l'IRD en collaboration avec l'université Cadi Ayyad et un ouvrage a été publié à cette occasion.

#### - **Les gravures rupestres du Yagour et de l'Oukaimden**

Gabriel Camps a écrit «Le Haut Atlas marocain est l'un des grands centres d'art rupestre protohistorique des pays riverains de la Méditerranée occidentale, sur les dalles gréseuses des trois grands sites principaux de l'Oukaimden, du Yagour et du Rat furent reconnus des milliers de pétroglyphes»<sup>14</sup>. Les gravures rupestres du Haut Atlas Occidental ont suscité plusieurs recherches<sup>15</sup> et études depuis le début du siècle dernier. Les deux grands sites très connus ; l'Oukaimden et le Yagour se situent au niveau de la province d'Al Haouz, respectivement dans la commune de l'Oukaimden et de Tighdiouine.

Le site de l'Oukaimden est à une altitude de 2700 m. Ce plateau de haute montagne abrite la première station de ski au Maroc. Il est le premier site d'art rupestre connu dans la province d'Al Haouz. Il a été classé patrimoine national en 1951.

Le Yagour est un vaste plateau de presque 7 000 hectares, perché entre 2000 et 2 700 mètres d'altitude dans le Haut-Atlas (Auclair L et al. 2013). Situé dans la haute vallée du Zat et dominée par la pyramide de l'Adrar Meltsen (3 597 m). Le site rupestre de Yagour est le plus important du Haut Atlas (Ewague et Al. 2018) et le plus riche en gravures, il contient des milliers de gravures de différents thèmes, anciens de 4000 ans. C'est un haut lieu du patrimoine dans le Haut Atlas (Boujrouf et al. 2019). Malgré sa grande importance ce site n'est pas encore inscrit ni classé au patrimoine national. La commune de Tighdiouine mène des efforts afin de classer ce site pour sa protection et sa sauvegarde en vue de sa valorisation durable et son intégration dans le développement local.

<sup>13</sup>-Le programme Agdal (2003-2007). « Les Agdals du Haut-Atlas. Biodiversité et gestion communautaire de l'accès aux ressources forestières et pastorales », objet d'un partenariat scientifique entre l'université Cadi Ayyad de Marrakech (faculté des sciences Semlalia, Laboratoire d'écologie végétale) et l'IRD (LPED-R151, Équipe « Usages », Marseille, France), avec le soutien financier de l'Institut français de la biodiversité (IFB).

<sup>14</sup>-G Camps, R. Chenorkian et H. Lhote, « Armes », Encyclopédie berbère [En ligne], 6 | 1989, document A272, mis en ligne le 01 décembre 2012, consulté le 12 octobre 2020.

<sup>15</sup>-On cite les principaux chercheurs : Jean Malhomme de 1950 à sa mort. André Simoneau de 1965 à 1977, Alain Rodrigue, depuis 1987, avec notamment son ouvrage important de 1999, Abdelhadi Ewague de 2003.

### 3.1.2 La société civile

La société civile détient, aujourd'hui un rôle important dans la préservation du patrimoine et le processus de patrimonialisation. Ce nouvel acteur est très dynamique dans la province d'Al Haouz. Des ONG internationales, des associations locales, des coopératives sont toutes dynamiques et participent à grande échelle au processus de patrimonialisation dans la région. La fondation d'Aghmat, fondée par des archéologues et passionnés d'histoire, qui organise des fouilles annuelles dans le site d'Aghmat est l'acteur principal qui a demandé l'inscription puis le classement de ce site comme patrimoine national.

Dans la vallée du Zat des associations s'inscrivent dans un projet global en vue du classement des vastes stations de gravures rupestres du plateau du Yagour. Partout dans la province des associations créent et organisent des festivals d'Ahouach, d'artisanat et de la mascarade de Bilamwen.

L'association Traga à Erguita (province de Traoudant) a réussi le projet du classement de la danse de Taskwine sur la liste de l'UNESCO. Ce projet a concerné trois communes de la province d'Al Haouz à savoir Aghbar, Amizmiz et Erdouz.

Les coopératives jouent un rôle important dans la valorisation du patrimoine culturel et naturel. A travers le territoire de la province, des coopératives dans le domaine de l'artisanat et de la valorisation des PAM s'activent et créent une dynamique importante dans ses domaines.

## 3.2 La patrimonialisation des produits de terroirs agricoles : une pratique récente à Al Haouz

La patrimonialisation des produits de terroirs est très récente dans le monde. Au Maroc la labellisation des produits de terroir a été retenue dans le cadre de la stratégie du « Plan Maroc Vert » (notamment son pilier II), adoptée par le Maroc en avril 2008, afin de relancer l'économie du secteur agricole. La loi relative aux signes distinctifs d'origine et de qualité (SDOQ) distingue trois signes distincts : les Indications Géographiques (IGP), les Appellations d'Origine (AO) ou Appellation d'Origine Protégée (AOP) et les Labels Agricoles (LB). La promulgation de cette loi a déclenché le processus de la patrimonialisation des produits dits de terroir, qui depuis, a pris une grande ampleur au Maroc. Ainsi les premiers processus de patrimonialisation de l'alimentaire au Maroc ont concernés l'arganier et l'olivier, deux ans après que le Maroc se dote de son cadre juridique approprié<sup>16</sup>. C'est au sud du Maroc que la première Indication Géographique (IG) est reconnue en 2010. Grâce à la demande de plusieurs coopératives de la région Sous Massa-Draâ, qui sont regroupées et demandent l'obtention de l'IG «Argan» pour l'arganier. Alors que le premier AOP est celui de l'huile d'olive et qui a concerné « l'huile d'olive Tyaout-Chiadma » dans la région d'Essaouira, porté par la coopération de Tayout. Et depuis, le nombre de labellisation ne cesse d'augmenter dans le pays<sup>17</sup>.

La province d'Al Haouz, est riche en produits de terroirs agricoles d'une grande importance locale, régionale voire nationale. On distingue essentiellement ; l'olivier qui représente le premier arbre fruitier dans la région, le noyer, le pommier, le caroubier, les PAM...etc.

Le processus de labellisation des produits agricoles dans la province d'Al Haouz a été initié par un ensemble de coopératives agricoles qui sont regroupées sous des Groupements d'Intérêt

<sup>16</sup> Dahir n° 1-08-56 du 23 mai 2008 portant promulgation de la loi n° 25-06 relative aux signes distinctifs d'origine et de qualité des denrées alimentaires et des produits agricoles et halieutiques. Bulletin Officiel (BO) n° 5040 du 19 juin 2008.

<sup>17</sup> Actuellement plus de 66 produits ont été labélisés par un SDOQ au Maroc.

Économique (GIE), qui ont procédé à la demande de labellisation de leurs produits. Jusqu'à aujourd'hui, seul le secteur de l'arboriculture fait l'objet de labellisation. La province compte aujourd'hui cinq labellisations dans le secteur d'huile d'olive, la pomme, et la noix. Ainsi on distingue une Appellation d'Origine Protégée (AOP), trois Indications Géographiques Protégées (IGP) et un label agricole (LA).

Le premier signe distinctif d'origine et de qualité (SDOQ) dans la province est l'Appellation d'Origine Protégée «Huile d'Olive Vierge Extra Aghmat Aylane» datée de 2015<sup>18</sup>. Ainsi le tableau ci-dessus présente les différentes labellisations dans la province d'Al Haouz.

### Les produits arboricoles labélisés dans la province d'Al Haouz

Produits labélisés	Nome de l'appellation	Année	L'aire géographique concernée
Huile d'olive	Huile d'olive vierge extra aghmat aylane	2015	Ourika, Aghmat et Tamazouzt
	Huile d'olive d'amizmiz	2018	Ouzguita, Lalla Takrkous, Sidi Badhaj Ouled Mtaa, Tizguine, Dar Jamaa, Amizmiz et Amghras
	Huile d'olive al alfiya	2018	Ait Faska, Ait Ourir et Tidili Mesfioua
Noix	Noix de l'atlas haouz marrakech	2019	Ait Hkim, Zrakten, Tighadouine Azgour, Anougal, Amaghras, Sti Fatma, Oukaimeden, Asni, Ouirgane, Imgdal, Ijoukak, Talat N'Yacoub, Ighil et Aghbar
Pommes	Pomme du haouz	2020	Anougal, Azegour, Oukaimden, Setti Fatma, Ighil, Talat N'Yqoub, Ouirgane, Asni, Ijoukak, Aghbar et Imgdal.

Source : recherche bibliographie et travail du terrain, 2019

La labellisation de ses produits est passée par plusieurs étapes et elle a suivi un processus administratif et juridique long et complexe. Au début, ce sont des coopératives qui se sont rassemblées pour constituer un GIE autour d'un même produit. Ces GIE profitent des financements, des formations et de l'accompagnement, pour réussir leur intégration et toucher le plus grand nombre possible d'agriculteurs dans la région. Mais le grand souci de ses groupements reste la commercialisation de leurs produits sur le marché.

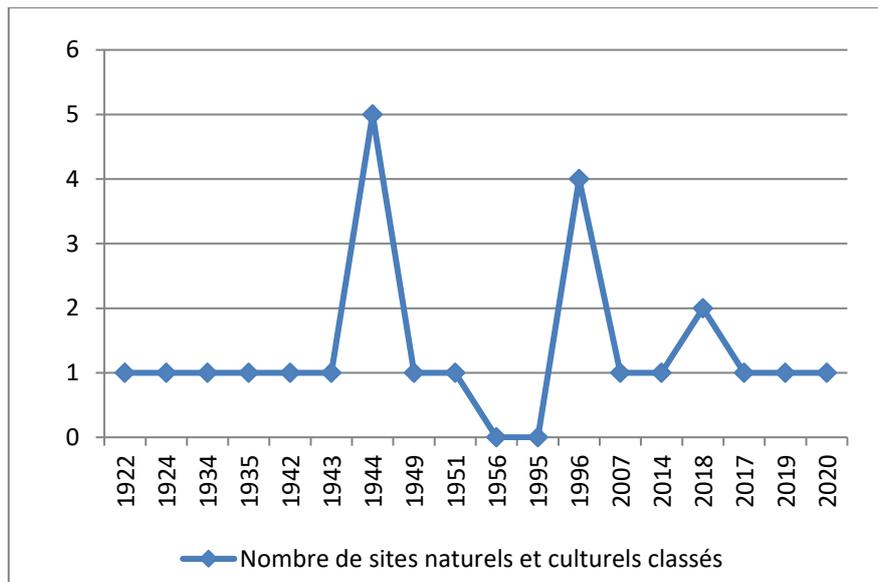
## Conclusion

De par son histoire et sa géographie, la province d'Al Haouz est considérée comme un lieu crucial en matière du patrimoine naturel et culturel au Maroc, par son potentiel matériel et immatériel, elle constitue une partie importante de la richesse patrimoniale du pays. Malgré qu'elle ait connu des formes de patrimonialisation depuis la longue histoire de son peuplement (Agdals).

L'arrivée du protectorat français a marqué le début d'une patrimonialisation institutionnelle. Ce processus a pris de l'ampleur, puis s'arrête totalement après l'indépendance pour reprendre lentement après les années 90. Ce graphique montre l'évolution du processus de patrimonialisation dans la province.

<sup>18</sup>-Inscrit au Registre National des Indications Géographiques et Appellations d'Origine tenu par l'OMPIC à la date de 01/07/2015

Figure 3 : Évolution du nombre des sites classés dans la province d'Al Haouz



Source : élaboration personnelle basée sur la recherche bibliographique, 2019

La reconnaissance institutionnelle du patrimoine comme tel, est très importante au niveau du regard que les autres acteurs portent sur ces éléments reconnus. Le mouvement associatif est, du reste, un acteur majeur dans la revitalisation de certaines formes et expressions culturelles lors des festivals, de manifestations, de fêtes communautaires (par exemple fête du Nouvel An amazighe (berbère), célébrée par plusieurs associations le 13 janvier de chaque année). A ce mouvement s'ajoute la montée forte des coopératives qui participent fortement à la valorisation économique du patrimoine et des spécificités locales.

Par ailleurs, la préservation et la valorisation se limite surtout aux éléments du patrimoine les plus "immédiatement" rentables (poterie, tissage, plantes aromatiques...). Alors que d'autres éléments se dégradent rapidement comme l'architecture vernaculaire en pierre et en pisé, les traditions du mariage, l'habillement, mais aussi beaucoup de métiers comme la vannerie, la forgerie, le travail de la pierre, le bâtier, la médecine traditionnelle, etc.

## Bibliographie

- Amahan Ali (1998), *Mutations sociales dans le Haut Atlas : les Ghoujdama*, Edition Maison des Sciences de l'Homme, Paris.
- Amahan Ali Cambazard- Amahan C (1999), *Arrêts sur les sites*, Edition le Fennec, Casablanca.
- Bellaoui Ali (1989), *Les Pays de l'Adrar n Dern. Étude géographique du Haut Atlas de Marrakech*, Thèse d'Etat de Géographie - Aménagement, Université de Tours, France.
- Berriane Mohamed (2010), *Patrimoine et patrimonialisation au Maroc*, Hespéris-Tamuda, vol XLV.
- Berriane Mohamed et al (2015), *Les patrimoines ruraux au Maroc : Un nouveau produit des mobilités contemporaines ?* Revue GéoDév.ma, V3.
- Boujrouf Said et al (2019), *Trésors vivants, biens communs et mise en tourisme de l'Agdal de Yagour dans la Vallée du Zat - Haut Atlas Occidental Maroc*, in Maghreb - Machrek, n° 240.
- Boujrouf Said (2004), *Patrimonialisation de la montagne au Maroc : le rôle du tourisme en question*, SAIGH BOUSTA (dir), *Communication interculturelle, patrimoine et tourisme*, Marrakech.

- Choay Françoise (2007), *l'Allégorie du patrimoine*, édition du seuil, nouvelle édition revue et corrigé (en).
- Clifford Jeams (2007), *Expositions, Patrimoine et Réappropriations Mémoires en Alaska*, in Octave Debray & Laurier Turgeon, *Objets et Mémoires*, Paris, Edi. MSH et Québec, Presses de l'Université de Laval, pp.92-124.
- Davallon Jean (2006), *Le don du patrimoine : Une approche communicationnelle de la patrimonialisation*, Herme science-Lavoisier, Paris.
- Di Méo Guy (2007), *Processus de patrimonialisation et construction des territoires*, Colloque : Patrimoine et industrie en Poitou-Charentes, connaître pour valoriser, Poitiers-Châtelleraut, France.
- Gebrati Fatima (2004), *La mobilisation territoriale des acteurs du développement local dans le Haut-Atlas Occidental*, Thèse de doctorat, Université Joseph Fourier, Grenoble.e
- Hugus François et al, (2006), *Territoire et patrimoine : la co-construction d'une dynamique et de ses ressources*, Revue d'Économie Régionale et Urbaine, n° 5, pp. 683-700.
- Ouhammou Ahmed (2005), *Flore et végétation du Parc National de Toubkal (Haut-Atlas de Marrakech, Maroc): typologie, écologie et conservation*, thèse de Doctorat d'État Es. Sciences (Option: Écologie Végétale), Université Cadi Ayyad, Maroc.
- Potop Lazea Andrea (2010), *Pour une approche anthropologique des monuments historiques et de la patrimonialisation. Le cas de la Roumanie après 1989*, thèse de doctorat, Uni bordeaux II.
- Skounti Ahmed (2010), *De la patrimonialisation. Comment et quand les choses deviennent-elles des patrimoines?* in, Hesperis-Tamuda, Vol XL.
- Skounti Ahmed (2004), *Le Miroir Bris, Essai sur le Patrimoine Culturel Marocain*, Prologues. Revue Maghrébine du Livre (Casablanca), 29/30.
- Vernières Michel (2015), *Le patrimoine : une ressource pour le développement, Épargne sans frontière*, Techniques Financières et Développement, n° 118 | pages 7 à 20.
- Ministère d'Etat chargé des affaires culturelles monuments et sites classés, *Textes législatifs et réglementaires*, volume II 1934-1974. (Consulté à la maison de la culture de Marrakech).
- Ministère de l'Agriculture, HCEFLCD (2018), *Plan d'aménagement et de gestion du Parc National de Toubkal: Mission III - Plan d'aménagement et de gestion et programmes d'actions.*

# La contribution de l'économie sociale et solidaire dans le développement territorial

## Cas des coopératives de la commune de Tahannaout

**BENICHOU Hiba et SHIMI Ayoub**

Doctorants/ Université Cadi Ayyad / Marrakech

### RÉSUMÉ

Notre article essaye de donner plus d'intérêt à la problématique du secteur de l'économie sociale et solidaire comme outil du développement territorial et dispositif de lutte contre la vulnérabilité socio-économique à travers une étude réalisée auprès des structures de l'économie sociale et solidaire. Plus précisément, nous allons aborder le cas du modèle coopératif au niveau du territoire de la commune de Tahannaout, en mesurant leur impact sur le développement territorial et tout en proposant une synthèse d'une étude empirique en essayant de vérifier s'il y a effectivement un impact de leurs actions sur l'amélioration des conditions de vie dans leur territoire.

Ainsi, malgré la persistance de certaines difficultés organisationnelles, les coopératives établissent de nouvelles pratiques de développement qui favorisent la cohésion et la mobilisation sociales. Aussi, la maîtrise du territoire et de ses ressources par les communautés rapporte l'idée d'une gestion locale qui serait apte à intégrer à la fois les savoirs traditionnels et modernes tout en inscrivant les initiatives locales dans une démarche de durabilité. Nos analyses des résultats obtenus prouvent que le renforcement des capacités des dirigeants et des adhérents des coopératives, l'accompagnement et l'assistance financière et logistique ainsi que la création des réseaux ou unions des coopératives et l'intégration de toutes les composantes du territoire sont essentiels (ses ressources, son histoire, ses populations). Cette nouvelle injection des projets d'ESS permet d'opérer une gouvernance territoriale gage de développement territorial grâce à une économie locale durable.

**Mots clés** : Economie sociale et solidaire, développement territorial, coopératives, commune de Tahannaout

### Abstract

This paper attempts to pay more attention to the issue of social and solidarity economy as a tool for territorial development and as a framework for combating socio-economic vulnerability, through a case study of cooperatives as a model at the territory of Tahannaout town, with the aim of measuring its impact on territorial development, and at the same time we will try to see whether there is an impact of these projects on improving the standard of living in the territory. Despite the persistence of some certain organizational difficulties, cooperatives are establishing new practices in the service of development and the promotion of social mobilization and cohesion. Besides, the communities taking control over a territory and its resources reflects the ability of local management to integrate both traditional and modern knowledge through the involvement of local initiatives in a sustainable approach.

The results obtained through this article prove that strengthening the abilities of the leaders and members in cooperatives, in addition to financial and logistical support and assistance as well as the creation of cooperative networks or cooperative unions and integrating all the components of the territory (its resources, history, and population) are necessary to achieve territorial development. Consequently, the new incorporation of social and solidarity economy projects makes it possible to ensuring governance and territorial development thanks to a sustainable local economy.

**Keywords** : Social and solidarity economy, territorial development, cooperatives, Tahannaout town

## Introduction

L'économie sociale et solidaire est considérée comme acteur économique, par opposition aux modèles économiques traditionnels qui ne visent qu'à maximiser la rentabilité économique à court terme. La primauté de la rentabilité sociale fait des entreprises d'économie sociale et solidaire un levier pour développer les territoires et surmonter les éventuels problèmes économiques, sociaux, environnementaux, de gouvernance et d'aménagement. Les coopératives, en tant que structures de production chargées de fournir des produits ou des services à leurs membres, en sont l'un des piliers aux côtés des associations et des organismes d'entraide. Ce partenariat vise à maintenir un certain équilibre entre efficacité économique et développement social par l'intégration dans une économie pluraliste, par la démocratie, l'accompagnement et la gouvernance sociale.

Le mouvement coopératif apparaît comme le meilleur moyen de sécuriser les liens économiques et territoriaux, et donc de favoriser le développement humain. C'est un outil de promotion d'une culture de partenariat socio-économique. Elle est perçue comme un partenaire potentiel avec lequel les autorités locales peuvent s'associer pour poursuivre et satisfaire des objectifs d'intérêt général, qu'il s'agisse de favoriser la cohésion sociale, de favoriser l'intégration des personnes en situation d'exclusion et de pauvreté, ou de maintenir les conditions socio-économiques en milieu urbain. Les coopératives apportent une contribution importante à l'économie, à la mobilisation des ressources et à la stimulation des investissements, tout en promouvant la pleine participation de tous au développement économique et social.

Donc, en tant que forme puissante de solidarité humaine, les coopératives favorisent d'une part la création de richesses et leur répartition plus équitable, ce qui bénéficie leurs membres et leur communauté, d'autre part, les coopératives sont des espaces d'insertion sociale pour les membres. Cette capacité des coopératives d'imbriquer l'économique dans le social est reconnue pour tous les pays, quel que soit leur niveau de développement.<sup>1</sup>

Ce travail portant sur une expérience au sein des coopératives à Tahannaout. Pour ce faire, il semble important d'évoquer la particularité et l'importance que revêt l'ESS dans le développement territorial au Maroc à travers la coopération. Il nous a donc semblé intéressant d'engager un travail de recherche autour de cette thématique afin d'élucider le rôle que revêt l'économie sociale et solidaire dans le développement territorial à travers un exemple du modèle coopératif marocain dans le développement durable et ce pour le cas des coopératives de Tahannaout.

---

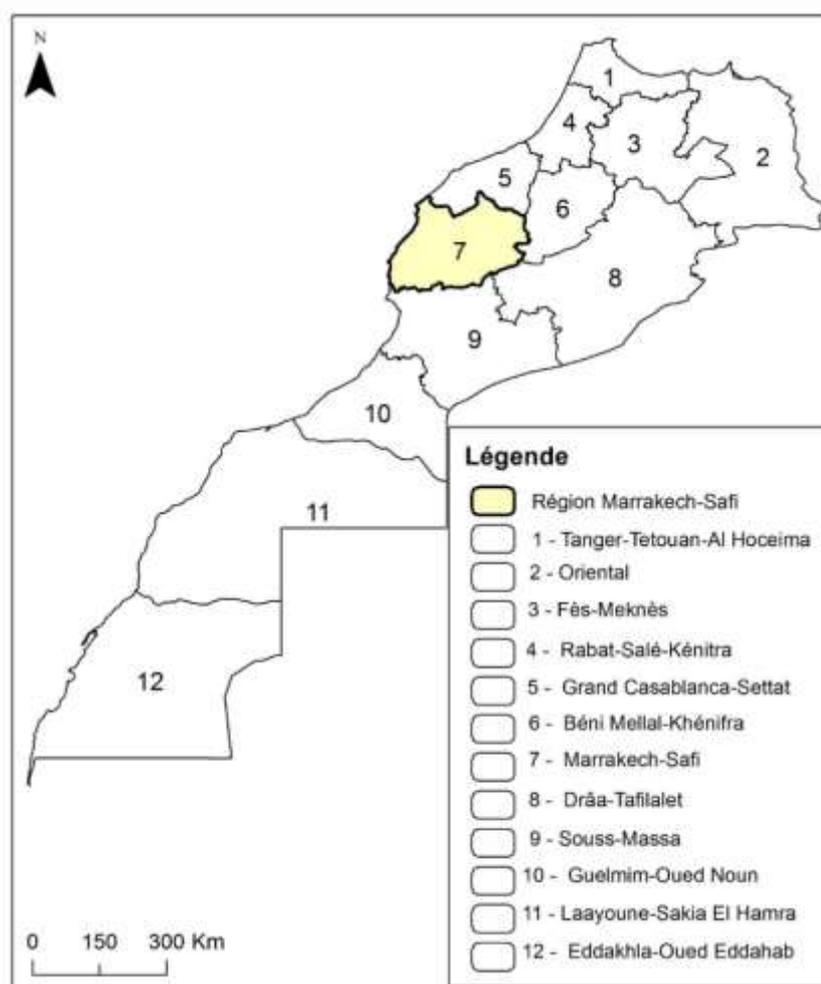
<sup>1</sup> L'Organisation internationale du Travail est l'institution chargée au niveau mondial d'élaborer et de superviser les normes internationales du travail. C'est la seule agence des Nations Unies dotée d'une structure tripartite qui rassemble des représentants des gouvernements, des employeurs et des travailleurs, pour élaborer ensemble des politiques et des programmes et promouvoir le travail décent pour tous. Cette spécificité confère à l'OIT un avantage pour intégrer les connaissances du « terrain » sur le travail et l'emploi

## 1. Présentation de la commune de Tahannaout

### 1.1 Prospection de la commune d'étude

Situé au nord du continent africain, le Maroc se dote d'un nouveau découpage territorial, annoncé par le projet de régionalisation avancée de 2011. Il compte désormais 12 régions, 45 provinces et 26 préfectures (Carte 1). La région de Marrakech-Safi est l'une des 12 régions du Maroc instituées en 2015. Elle se situe au centre du pays, et englobe une partie du Haut Atlas. Sa capitale est Marrakech. Sa superficie est de 31 160 km<sup>2</sup>, ce qui représente 4,5 % du territoire national, pour une population de 3 102 652 habitants. La région comprend une préfecture et sept provinces dont celle d'Al HAOUZ (Carte 2) qui se situe au sud-est de la région et couvre une superficie de 6 612 km<sup>2</sup>.<sup>2</sup>

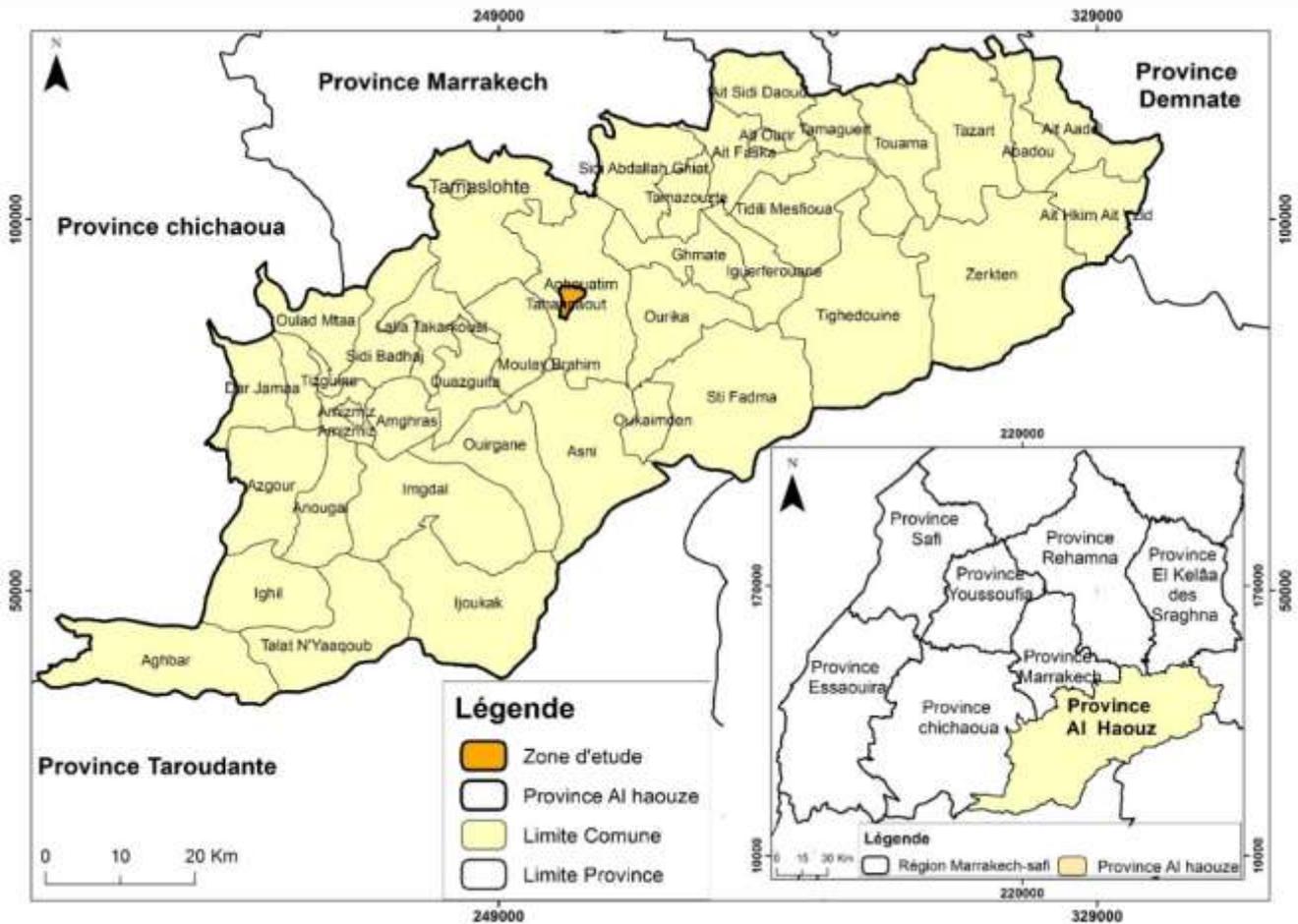
Carte 1: **Découpage administratif des régions du Maroc**



Source : **BENICHOU H. et SHIMI A.**, 2021

<sup>2</sup> Haut-commissariat au Plan, *Note sur les premiers résultats du Recensement Général de la Population et de l'Habitat 2014*

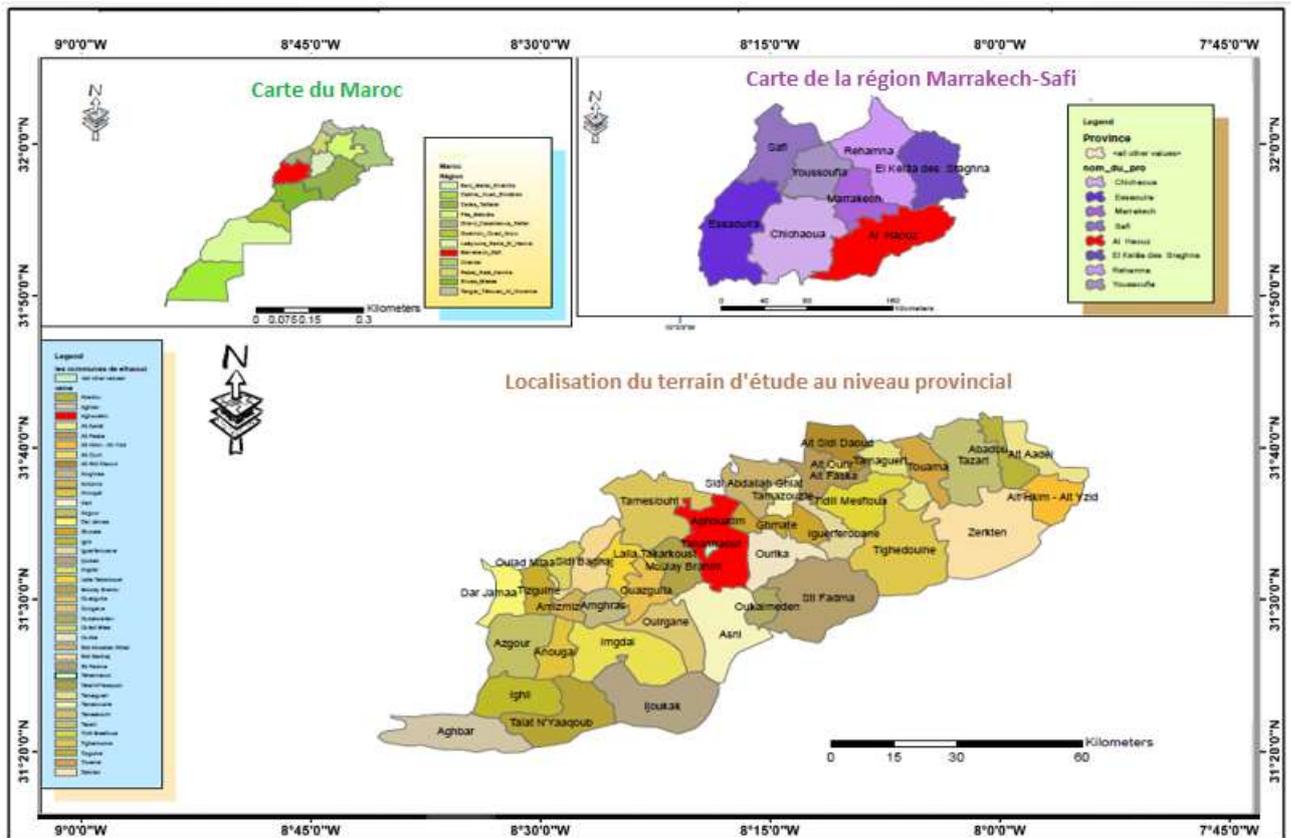
Carte 2: Répartition des communes dans la Province d'AL HAOUZ



Source : BENICHOU H. et SHIMI A., 2021

Selon la liste des cercles, des caïdats et des communes de 2008, telle que modifiée en 2010, puis en 2014. La province d'Al Haouz est composée de 40 communes, dont 3 communes urbaines (ou municipalités) : Tahannaout (notre zone d'étude), Aït Ourir et Amizmiz. Les 37 communes rurales restantes sont rattachées à 18 caïdats, eux-mêmes rattachés à 5 cercles dont celui de Tahannaout.

Carte 3: Localisation du terrain d'étude : Commune de Tahannaout



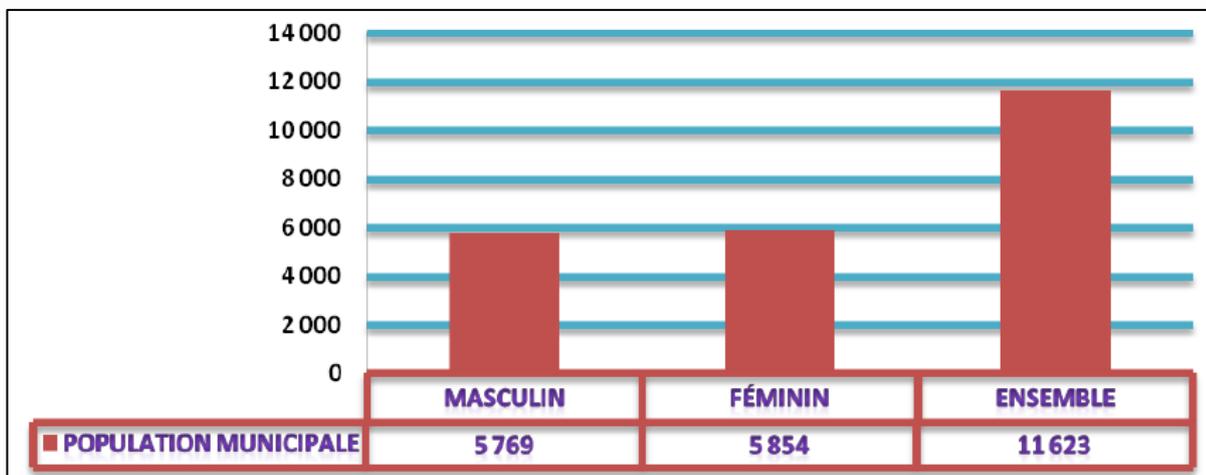
Source : **BENICHOU H. et SHIMI A., 2021**

Le choix de notre zone d'étude a été lié à la nature du sujet visant à analyser le concept de l'économie sociale et solidaire en tant qu'outils pour le développement territorial. Il s'agit de Tahannaout, une commune rurale marocaine située au centre de la province d'Al Haouz, dans la région de Marrakech-Safi, et se voit délimitée au nord, au sud à l'est et à l'ouest par le commune rurale d'Aghouatim. Elle couvre une superficie de 14 Km<sup>2</sup> sur laquelle vivent 11 623 habitants, 5 769 masculins et 5 854 féminins soit une densité 470 hab/Km<sup>2</sup>.<sup>3</sup>

<sup>3</sup> Recensement général de la population et de l'habitat au Maroc, 2014.

## 1.2 Aspects démographiques, socio-culturels et situation économique

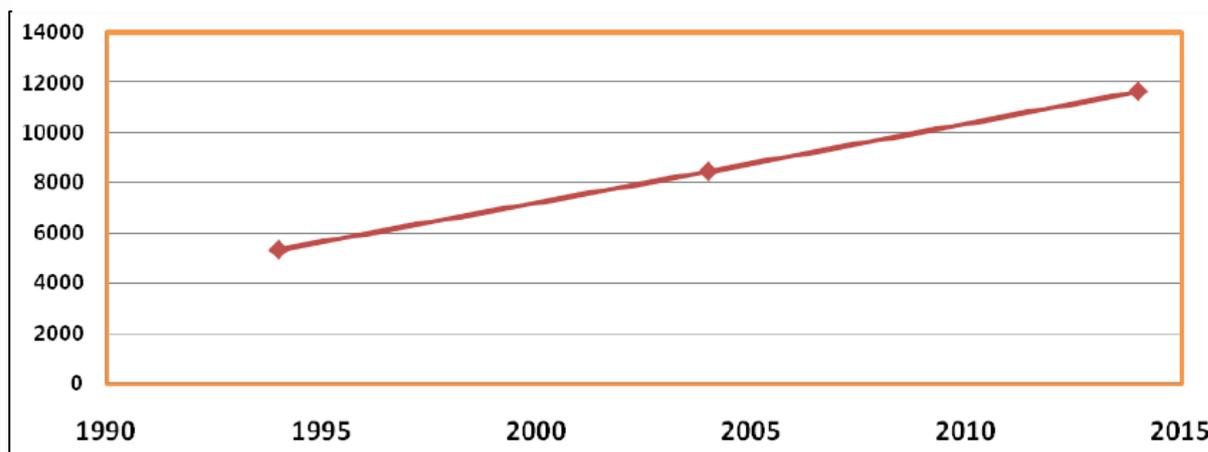
Figure 1 : Répartition de la population communale selon le sexe



Source : Plan d'action communal 2017-2020

La population totale de la commune de Tahannaout selon le dernier recensement de 2014 compte 11 623 habitants, réparties par sexe, à 5 769 hommes et 5 854 femmes, avec une densité de population de 745 personnes par kilomètre carré contre 119 personnes par kilomètre carré en 2004, et avec un taux de fécondité synthétique fixé à 3,42. Le nombre de familles est de 2 684 familles, un nombre prédisposé à l'augmentation en raison de l'impact de la vague de migration inverse, (exode urbain) favorisée par la situation géographique de la commune, qui n'est qu'à environ 30 km de la ville de Marrakech.

Figure 2 : Evolution de la population de la commune de Tahannaout entre 1994 et 2014

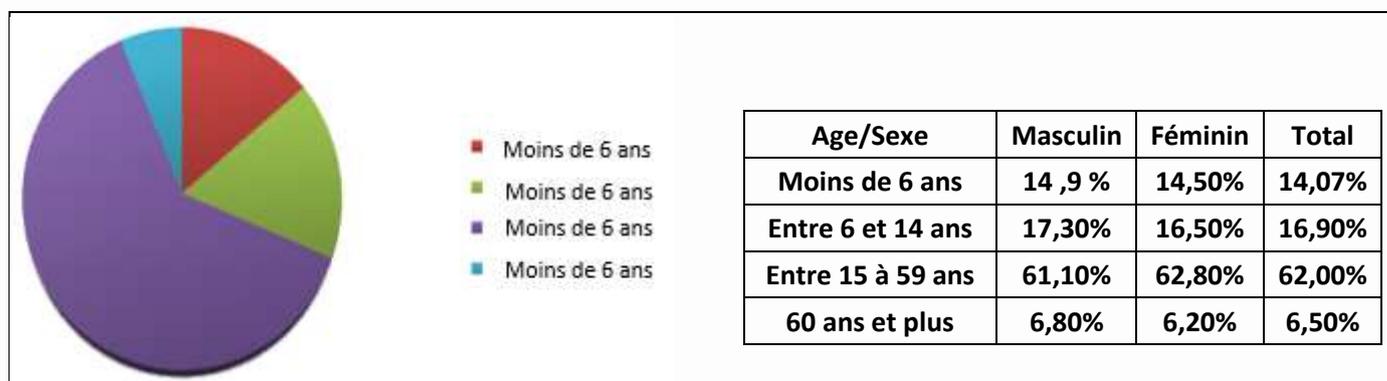


Source : Plan d'action communal 2017-2020

Selon les statistiques, la population de la commune de Tahannaout a augmenté sur les trois périodes, 1994, 2004 à 2014 soit à un rythme croissant. Le taux d'accroissement annuel moyen a augmenté de 1,29% sur la première période et à 0,74 % sur la deuxième période. Mais à partir de 2014, la commune a connu une transition radicale. En effet, comme déjà précitée, Tahannaout comptait 11623 habitants, soit une densité forte de 820 habitants par Km<sup>2</sup>. Ceci est supérieur à la

densité de population moyenne observée sur l'ensemble de la province d'Al Haouz, qui est d'environ 20 habitants/ Km<sup>2</sup>.

Figure 3 : Répartition de la population selon l'âge et le sexe



Source : Donnés du Plan d'action communal 2017-2020

Il est important aussi de noter que la population de Tahannaout est relativement jeune. Dans l'ensemble, la tranche d'âge entre 15 à 59 ans est la dominante. Elle représente 60% de la population, d'où nous pouvons remarquer que ce chiffre est plus élevé que celui enregistré au niveau national (31,2%). La proportion de la population âgée de 60 ans et plus compte 6.5% (la moyenne enregistrée au niveau de la province de Al HAOUZ est de 6,7 %).

Les caractéristiques économiques de notre commune d'étude-Tahannaout- sont très diversifiées, elles couvrent plusieurs situations professionnelles, dont 3.46 est le taux des employeurs, 19.89 est le taux des individus ayant une profession indépendante, avec un taux représentatif de salariés qui compte 73.01.

Tableau 1: Taux d'activité et situation professionnelle

Situation professionnelle	Masculin	Féminin	Taux net d'activité par situation professionnelle
Employeur	3.70	2.41	3.46
Indépendant	22.06	10.56	19.89
Salarié	70.53	83.71	73.01
Aide-familial	0.42	0.90	0.51
Apprenti	0.73	0.15	0.62
Collaborateur ou partenaire	2.27	1.66	2.16
Taux net d'activité	76.38	20.04	47.76

Source : Donnés du Plan d'action communal 2017-2020

L'économie locale repose principalement sur 3 secteurs. En premier lieu l'agriculture et l'élevage qui sont les activités économiques les plus dominantes, notamment dans les quartiers populaires.

Le système de production local est historiquement riche, l'existence de grandes et de petites exploitations basées de plus en plus sur les cultures peu consommatrices d'eau ; l'olivier, les céréales, amandier... En deuxième lieu vient le secteur commercial, qui est ainsi très important, notamment dans le centre de la commune par la présence d'un souk hebdomadaire, des boutiques commerciales, mais qui souffre des anomalies organisationnelles et la présence de secteur informel.

Les coopératives dans cette commune sont au nombre de sept, un chiffre très insatisfaisant bien qu'elles peuvent constituer une très bonne source de développement économique et sociale vu les différentes potentialités et opportunité qu'a cette commune. A travers ces petites organisations de

l'économie sociale et solidaire, la population peut bénéficier de ses richesses, les distribuer d'une façon égalitaire et réaliser par conséquent une inclusion sociale qui assurera en premier temps une égalité entre les deux sexes et une évolution des indicateurs de développement humain dans notre terrain d'étude.

Enfin, le secteur du tourisme qui présente pour la population une autre source de revenu et étant considéré un levier du développement local de la commune de Tahannaout : A l'instar de la province d'AL Haouz, la commune de Tahannaout dispose d'un important potentiel paysager : les montagnes, des oueds, piste de randonnée pédestre, la vallée d'Oued Ghighaya, les monuments historiques qui peuvent constituer des sites d'intérêt touristique qui pourraient servir de base pour le développement de l'activité économique du territoire.

## **2. Economie sociale et solidaire, Acteurs et gouvernance comme principaux piliers du développement local**

### **2.1 Acteurs locaux de la commune de TAHANNAOUT**

L'action publique est marquée par une forte volonté et implication du conseil communal avec une dynamique partenariale importante pour le développement de la commune

- **L'institution communale :**

Le conseil communal est considéré comme la locomotive de la dynamique des acteurs locaux autour des différentes questions liées au développement territorial. L'intervention du conseil est très présente. Un certain nombre d'actions pourrait également être pris en charge par le tissu associatif. La Commune dispose d'un potentiel important en matière de ressources humaines qu'il importe de valoriser et de dynamiser afin de résoudre certains problèmes d'organisation.

Un effort important a été réalisé en matière d'informatisation des services. L'administration recherchera une plus grande optimalisation de son fonctionnement, l'habitant devant être un « client » avant d'être un administré.

Malgré l'existence d'un plan d'action communal, la politique d'investissement reste très faible voire absente dans les secteurs générateurs de recettes propres. La totalité des investissements est destinée aux investissements socioculturels, techniques et administratifs, en sachant que ces projets sont par nature faiblement rentables.

L'administration mettra en œuvre sa mission et sa vision par une stratégie claire, orientée vers les parties prenantes (tous ceux qui sont concerné par les activités de l'administration, les clients /citoyens, le personnel, les acteurs locaux...).

- **Les acteurs sociaux :**

A coter des acteurs publics locaux, qui travaillent sans une coordination bien réfléchi avec la commune, et le secteur privé qui se voit indifférent aux atouts du territoire, le tissu associatif est assez développé. La majorité des associations locales œuvrent dans le développement local et d'autres dans le domaine socioéducatif, culturel et sportif. Néanmoins, ce tissu organisationnel manque de dynamisme et connaît des problèmes qui nécessitent d'être résolus pour accompagner le développement de la commune.

Une intervention concentrée et baptisée en matière d'accompagnement et de renforcement des capacités d'acteurs constitue une nécessité cruciale afin de créer une dynamique pour un développement territorial bien réfléchi.

- **Les acteurs publics et privés / Partenariat :**

Les partenariats au niveau de la commune Tahannaout sont très forts : Une dizaine de projets ont été financés dans le cadre de ces coopérations. L'enjeu global réside de renforcer à avenir des partenariats pour créer de nouvelles sources de financement pour les projets programmés. Les services extérieurs doivent être intégrés à cet effort collectif pour assurer un développement équilibré et durable de la commune de Tahannaout

## 2.2 Les coopératives comme élément sociétal structurant du développement local

- **Présentation des coopératives**

Le nombre total de personnes qui travaillent au niveau des coopératives de Tahannaout est de 559 Adhérents. Ce chiffre ne représente que 4.8% par rapport au nombre total de la population de notre commune d'étude (11326 habitants).

Tableau 2: **Présentation des coopératives de la commune de Tahannaout**

Nom de la coopérative	Coopérative féminine	Secteur d'activité	Répartition des adhérents selon le sexe		Total
			Hommes	Femmes	
<b>ELFARSSIA</b>	Non	Agriculture	107	11	118
<b>RIMAL ELHAOUZ</b>		Exploitation des carrières	42	0	42
<b>Haut Atlas pour les plantes aromatiques</b>		Plantes Aromatiques	115	31	146
<b>Coopérative agricole pour la production et la commercialisation du miel</b>		Agriculture	94	8	102
<b>AFOULKI</b>	Oui	Artisanat	0	97	97
<b>AFRAE pour l'huile d'Argan</b>		Argan	0	34	34
<b>IFASSEN</b>		Artisanat	0	20	20
			358	201	559
			64.04 %	35.95%	

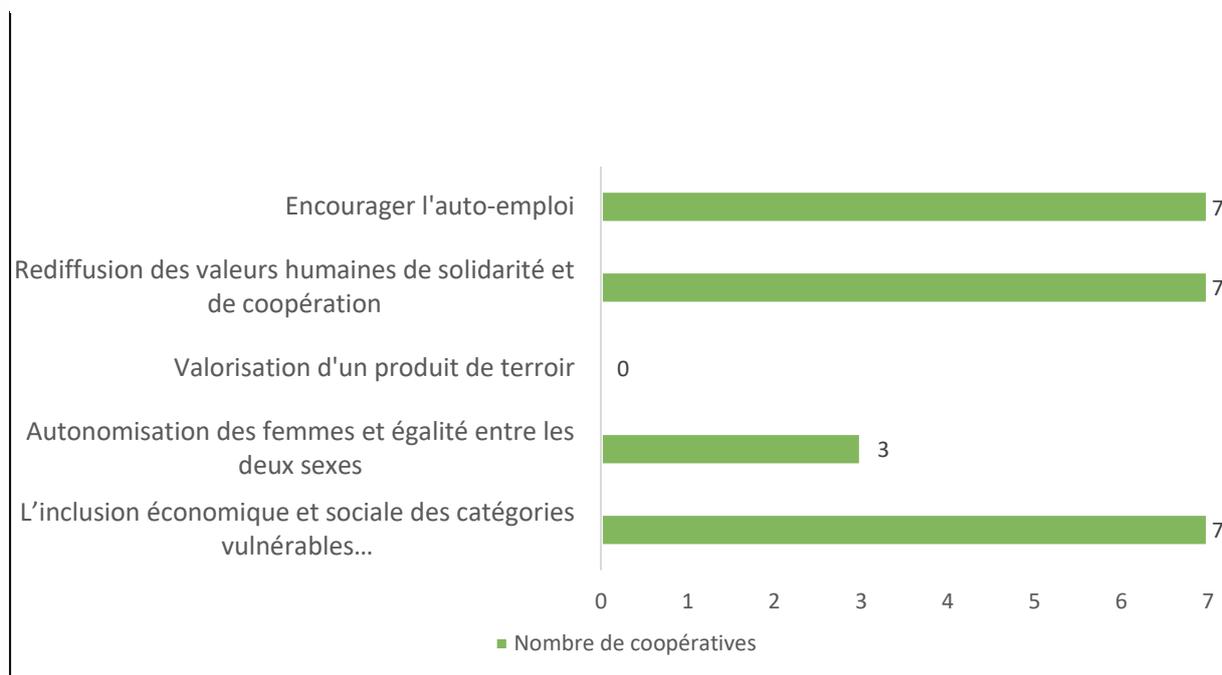
Source : **Données de l'enquête, 2021**

La faiblesse de ce nombre s'explique par le nombre insuffisant de ce genre d'organisations de l'ESS. Elle peut être aussi expliquée par la taille, généralement, réduite des locaux, ou même l'absence de ces derniers pour la plupart des coopératives (recours au travail dans les ménages), dont l'essentiel des activités sont couvertes par les adhérents.

Une remarque à caractère social que nous avons relevée, et que malgré la faible représentativité des femmes en totalité, le pourcentage des coopératives féminines qui est de 42.9% est tout près de celles adressées aux deux sexes 57.1%.

- **Contribution des coopératives au développement local**

Figure 4 : **Forme de contribution des coopératives au développement de la commune de Tahannaout**



Source : **Données de l'enquête, 2021**

Le diagramme ci-dessus nous indique que les coopératives étudiées contribuent essentiellement dans le développement de la commune de Tahannaout à travers l'inclusion économique et sociale des catégories vulnérables telles que les personnes en situation de handicap, personnes analphabètes, jeunes diplômés en chômage... etc, ainsi qu'en encourageant l'auto-emploi au niveau local, rediffusion des valeurs humaines de solidarité et de coopération, suivi enfin par l'autonomisation des femmes et la sensibilisation à l'égalité entre les deux sexes.

Nous pouvons remarquer qu'aucun interviewé n'a indiqué la valorisation d'un produit de terroir ; ceci pourra être expliqué par la méconnaissance des potentialités de la commune, les contraintes dues au nouveau découpage communal en 2009 ou la complexité du territoire.

### 3. Le tissu coopératif : Les défis, les contraintes, le rôle et les perspectives de développement

#### 3.1 Les défis et contraintes des coopératifs à Tahannaout

**Tableau 3: Les quatre principaux éléments susceptibles de renforcer la pérennité et le développement des coopératives**

Les quatre principaux éléments susceptibles de renforcer la pérennité et le développement des coopératives

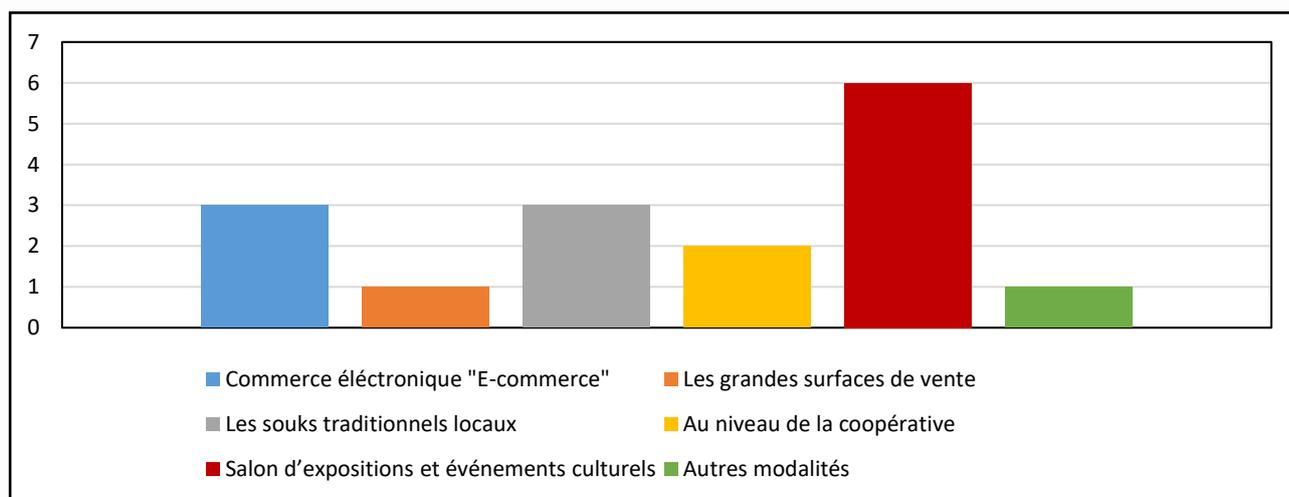
<b>1<sup>er</sup> élément</b>	Le soutien technique pour une bonne gouvernance
<b>2<sup>ème</sup> élément</b>	Une formation et un coaching continu pour les adhérents
<b>3<sup>ème</sup> élément</b>	Recherche d'autres financeurs et partenaires
<b>4<sup>ème</sup> élément</b>	Médiatisation et publicité par différents outils

Source : **Données de l'enquête, 2021**

Nous avons précédemment évoqué les contraintes dont les coopératives souffrent ; et qui sont généralement liées au financement, à la complexité des procédures de subvention, à la bonne gestion et gouvernance de ces organisations à côté des difficultés liées à l'insuffisance de l'encadrement et d'accompagnement... etc.

De ce fait, nous avons interrogé les 4 principaux éléments qui peuvent renforcer la pérennité des coopératives. Nos interviewés estiment tous que le soutien technique pour une bonne gouvernance, une formation et un coaching continu pour les adhérents, la recherche d'autres financeurs et partenaires et la médiatisation et publicité par différents outils sont les principaux piliers pour que la pérennité de tels projets soit forte.

**Figure 5 : Modalités de commercialisation**

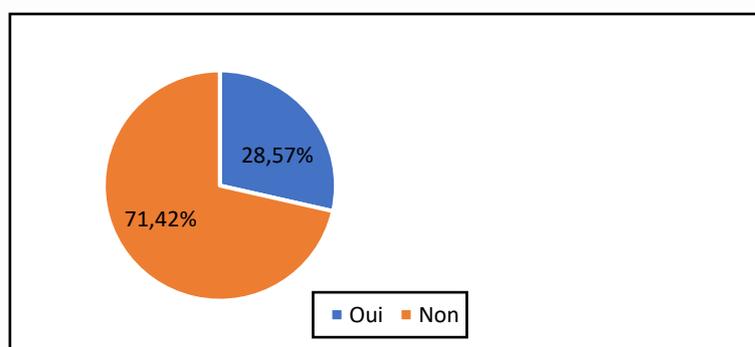


Source : **Données de l'enquête, 2021**

Le diagramme représente le nombre de coopératives pour chaque modalité de commercialisation. Nous pouvons remarquer que la modalité la plus utilisée est la commercialisation à travers les salons

d'expositions et les événements culturels, suivie par les souks traditionnels locaux et le E-commerce, puis au niveau de la coopérative même, et enfin viennent les grandes surfaces de vente. Le recours accru aux salons d'exposition et événements culturels plus que les autres modalités qui peuvent être plus rapides et efficaces peut s'expliquer par la méconnaissance des nouvelles techniques de commercialisation en ligne ou les procédures à suivre afin de signer un contrat avec les grandes surfaces de vente. Nous remarquons aussi que les coopératives ayant une plus grande étendue de reconnaissance (à l'échelle nationale, régionale et provinciale) sont les mêmes utilisant des modalités plus développées

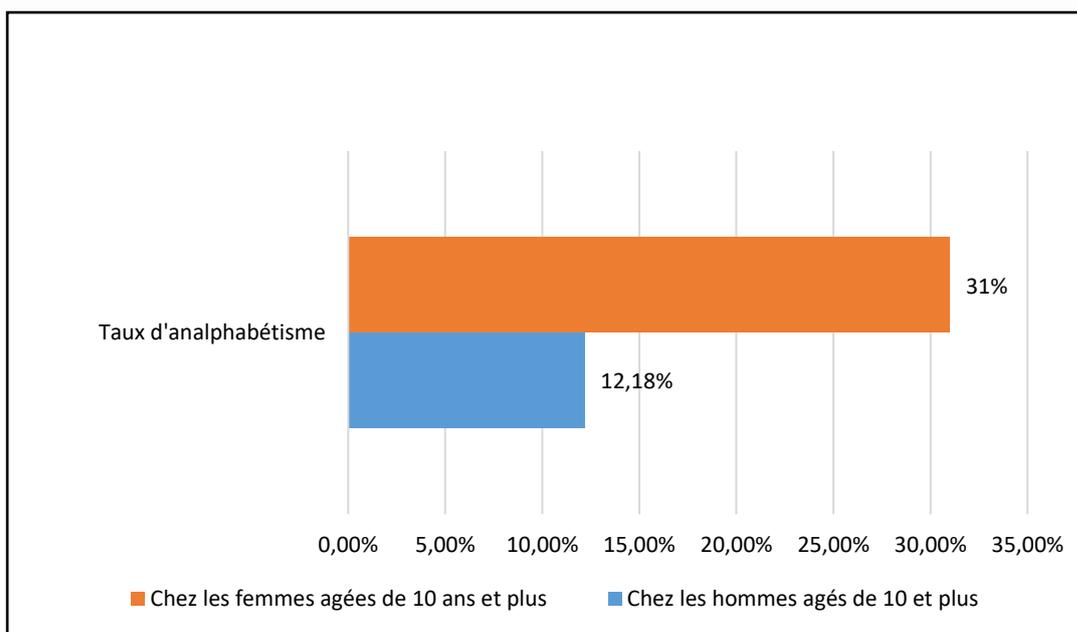
Figure 6 : **Pourcentage des coopératives ayant une idée sur la plate-forme "COOPSCLUB"**



Source : **Données de l'enquête, 2021**

La représentation graphique montre que 71.42% des répondants n'ont aucune idée concernant la plateforme COOPSCLUB, créée par l'Agence de Développement Social. Elle est dédiée à l'économie sociale et solidaire, créatrice d'emplois permanents pour les coopératives, et surtout génératrice de revenus. Elle donne aux coopératives l'opportunité de communiquer avec leurs clients au bon moment, à la bonne fréquence et avec des offres personnalisées pour les fidéliser et ainsi assurer des achats répétitifs afin d'augmenter leur profit et par conséquent avoir la capacité de contribuer au développement socio-économique de leur territoire. L'utilisation des outils développés de commercialisation permet non seulement d'optimiser le profit mais aussi de construire une image de marque pour sa coopérative, ses produits de terroir et son territoire, ce qui servira par la suite d'avoir une plus large communauté et une plus vaste étendue.

Figure 7 : Taux d'analphabétisme de la population âgée de 10 et plus selon l'âge et le sexe



Source : Données du Plan d'action communal 2017-2020

Le taux d'analphabétisme de la population âgée de 10 ans et plus est de 21,71% et le taux d'analphabétisme des hommes adultes est de 10 ans et plus 12,18%, tandis que le taux d'analphabétisme chez les femmes âgées de 10 ans et plus est de 31%.

Il est clair que ce phénomène est exacerbé principalement chez les femmes, ce qui est un taux élevé en dépit d'être inférieur à celui enregistré au niveau régional, et nécessite donc beaucoup d'efforts pour le combattre par la création de nouveaux établissements d'enseignement, la mobilisation de transport scolaire vers les zones reculées, le soutien aux programmes d'alphabétisation en assurant sa continuité et en intégrant plus la fille dans le système éducatif.

### 3.2 Rôles et perspectives de développement

La concrétisation de la place des coopératives dans le développement du territoire de notre étude a imposé la création d'indicateurs qui permettent d'évaluer, sur les plans économique et social et environnemental, les contributions de ces entreprises sociales. La collecte des informations s'est faite à partir d'une série de questions adressées aux membres du bureau des coopératives qui représentent de façon stratifiée l'échantillon étudié.

Dans la même perspective, nous avons approché l'étude de cas par des indicateurs qui portent essentiellement sur: l'évolution du nombre des coopératives dans notre zone d'étude, le rôle joué par les coopératives en faveur de la collectivité territoriale, le pourcentage de contribution des coopératives à l'emploi dans la commune, la participation des femmes dans le secteur coopératif, les types de partenariats, le taux de participation des coopératives à un réseau, union ou fédération et l'étendue de reconnaissance de ces coopératives. L'analyse des résultats que nous avons exposés dans ce travail transmet plusieurs éclairages sur le rôle de l'ESS dans le développement territorial, ses enjeux et ses défis.

L'enquête effectuée à travers les questionnaires auprès de ces coopératives ont révélé une connaissance et de compréhension assez satisfaisante du travail coopératif parmi les individus interviewés. En ce qui concerne l'objectif de création des coopératives, il n'était pas seulement,

lié au souci du lucre et du profit, mais aussi à celui de la contribution au développement de leur territoire. Sinon, les activités coopératives risquent souvent d'être délaissées sous prétextes matériels.

En plus, l'activité des OESS, peut donc se dissoudre rapidement en raison de l'absence de réseau, unions ou fédérations. Les coopératives peuvent à leur présence se servir de leurs membres et renforcer le mouvement coopératif en travaillant ensemble à travers différentes structures locales, nationales, régionales et internationales (coopération entre les coopératives). En Outre, il semble évident que les subventions, en particulier le soutien financier aux coopératives locales, ne pourra pas aboutir à la réussite souhaitée, tant que la plupart de ces organisations ne se caractérisent pas par une grande activité et une bonne vitalité à d'autres échelles autre que locales. En d'autres termes, le manque d'appui et la faible coordination entre ces organisations et les différents acteurs concernés (les opérateurs publics et privés), sont des facteurs qui empêchent encore la réalisation adéquate des objectifs prévus.

A cet égard, et en plus de suivre les recommandations du conseil économique, social et environnemental, il faut réadapter le mécanisme de revitalisation de l'économie sociale et solidaire à travers la création de coopératives efficaces pour la production et la commercialisation intelligentes des produits surtout du terroir, afin de gagner une reconnaissance de ce secteur de l'économie sociale et solidaire en général et des coopératives étudiées en particuliers au niveau local, provincial, régional, national et international.

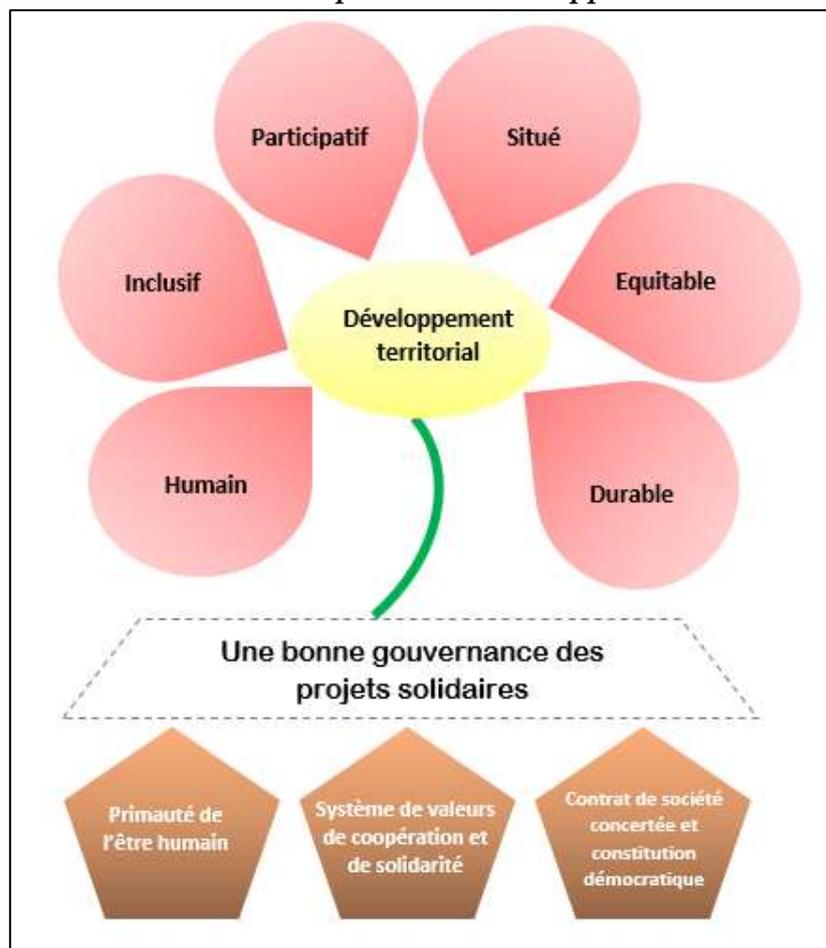
Ceci donnera un coup de fouet grâce au renforcement et la mise en place d'un système de gouvernance national et régional qui pourra dynamiser et accompagner le développement du secteur et accroître sa croissance ; accompagner et articuler le développement des acteurs du secteur aux politiques économiques et les grands chantiers du pays.

En effet, l'ESS est un moyen d'auto-emploi pour la population locale en général, ayant spécifiquement un grand impact positif sur les personnes en situation de vulnérabilité. Mais la taille, souvent petites, de ses organisations ne permet d'embaucher que peu d'adhérents. En revanche, les OESS sont un moyen de résorption du secteur informel qui permet à toute catégorie sociale de s'organiser et de bénéficier des avantages des coopératives. En outre, la prise en considération de l'importance d'un développement qui soit durable, respectueux de l'Homme et de l'environnement.

Les acteurs publics doivent œuvrer pour la création de GIE, de PTCE ou de fédérations des OESS afin d'en dégager des synergies et d'encourager le partage de l'information et des moyens. Dans ce sens, la création des CRESS, comme principal interlocuteur de l'ESS dans la région, peut y jouer un rôle déterminant.

De plus, l'actualisation du cadre juridique régissant les OESS, d'une façon continue, permet au secteur de s'adapter aux changements. Dans ce sens, la promulgation d'une Loi cadre qui délimite le champ de l'ESS et la distingue des autres secteurs contribuera, sans doute, à mieux cerner ses problèmes, D'autres parts, la simplification et la transparence des processus de subventions qui doivent être basés sur des critères objectifs communs loin de tout clientélisme ne peut que renforcer la crédibilité, la compétitivité et la rentabilité des OESS.

Schéma : **Racines et pétales du développement territorial**



Source : **BENICHOU H. et SHIMI A.,**

Le développement territorial ne doit pas négliger l'Homme qui doit être au centre de toutes préoccupations. L'Etat doit négocier une formule pour généraliser la couverture sociale des adhérents des entreprises sociales. Dans cette optique, les mutuelles communautaires pourront constituer une solution pour combler le vide laissé par les systèmes de sécurité sociale existants.

Par ailleurs, Les OEES sont l'acteur principal de la démocratie directe dite participative, deux lois dans ce sens viennent d'être promulguées. Cette étape peut évidemment repositionner le rôle de l'ESS, surtout sa composante coopérative, dans le développement territorial. En d'autres termes, il s'agit pour l'ESS de dépasser l'apport en tant que ressource, pour être actrice d'un projet de développement, de passer de l'action sectorielle à l'impact « transversal » (développement global du territoire), de l'intérêt collectif des initiatives à l'intérêt général, du court terme au long terme, de la réponse aux besoins immédiats à l'ambition d'un projet de développement du poids sur le terrain à l'influence sur l'action publique et la gouvernance territoriale.

## CONCLUSION

Au terme de cet article qui a ciblé l'apport au développement territorial des coopératives de la commune de Tahannaout, une image générale s'est clarifiée, laissant apparaître un ensemble d'atouts et problèmes de l'ESS dans le territoire d'étude. D'abord, les coopératives sont généralement de petite taille, elles constituent surtout un moyen d'auto-emploi, leurs capacités d'embauche d'autres adhérents sont limitées. Ensuite, le manque de moyens financiers menace leur pérennité et ne leur permet pas de devenir des projets sociaux ayant impact très fort en faveur du territoire, malgré leurs bonnes fois.

En outre, les relations des coopératives avec les collectivités territoriales sont marquées généralement par la méfiance, ces organisations ne constituent que rarement une force propositionnelle de projets de développement du territoire. Néanmoins, ces coopératives peuvent contribuer à la valorisation des ressources territoriales, ce qui est le contraire dans notre cas d'étude vu que la totalité des coopératives travaillent sur des produits qui ne sont pas qualifiés « de terroir ». Elles constituent un moyen d'émancipation de la femme par la garantie d'une indépendance financière et un gain de confiance en soi.

De plus, ces organisations concourent à la mobilisation de toutes les catégories socio économiquement vulnérables, à la résorption du secteur informel et à la mutualisation des moyens de production. Ceci dit, ces informations qui ont le mérite d'éclairer le domaine coopératif et ses enjeux territoriaux dans la commune de Tahannaout et qui peuvent, toutefois, être généralisées suivant deux dimensions.

La première dimension concerne les autres formes d'OESS, car même si cette étude s'est concentrée sur les coopératives, ses résultats peuvent être étendus sur les associations, les mutuelles ou les fondations. Les points de convergence entre les différentes formes d'entreprises sociales ne manquent pas. Ces organisations ont les mêmes principes, les mêmes finalités et les mêmes problèmes.

La deuxième dimension, concerne les territoires similaires, qui ont des caractéristiques qui ressemblent à ceux de la commune de Tahannaout. En effet, plusieurs territoires, notamment de la province d'Al Haouz, présentent des caractéristiques économiques, sociales et géographiques voisines à celles de la commune. Ce qui permet de généraliser les résultats, les analyses et les recommandations de notre étude sur les OESS de ces territoires.

## Références bibliographiques :

- Attouch Hicham, « *Economie solidaire et développement humain territorial* », 2011 REMCOOP n°1, ODECO, pp69-79, MAROC.
- Bailly Antoine et al., « *Introduction à la géographie humaine* », Masson, Paris, 1982.
- Bernard Eme "Gouvernance territoriale et mouvements d'économie sociale et solidaire." Revue internationale de l'économie sociale 296 (2005) : 42-55. DOI : 10.7202/1021861ar
- Bernard Enjolras "Économies sociale et solidaire et régimes de gouvernance". Revue internationale de l'économie sociale 296 (2005): 56-69. DOI : 10.7202/ 1021862ar
- Saïd Boujrouf. *Innovation et recomposition territoriale au Maroc. Une mise en perspective géo-historique*. Rencontres scientifiques franco-Sud-Africaines de l'innovation territoriale, 2002, Grenoble - Avignon, France.
- Boujrouf Saïd, *Ressources patrimoniales et développement des territoires touristiques dans le Haut Atlas et les régions sud du Maroc*, 2014
- Boujrouf Saïd et al. « *Trésors vivants, biens communs et mise en tourisme de l'Agdal de Yagour dans la Vallée du Zat-Haut Atlas Occidental Maroc* ». Maghreb-Machrek, 2019, no 2, p. 11-26.
- Colletis Gabriel et Al. *Économie sociale et solidaire, territoires et proximité*. Revue internationale de l'économie sociale: Recma, 2005, no 296, p. 8-25.
- Dardory mohammed, « *les coopératives au Maroc : évolution et répartition* », 2011, ODECO, RABAT.
- Denieuil Pierre-Noël. « *Développement social, local et territorial : repères thématiques et bibliographiques sur le cas français*. Mondes en développement », 2008, no 2, p. 113-130.
- Diop Amadou, 2009, *Développement local, gouvernance territoriale - Enjeux et perspectives*, Ed. Karthala, 230p.
- Gumuchian Hervé et Al. « *Initiation à la recherche en géographie : aménagement, développement territorial, environnement* ». PUM, 2000.
- Itçaina Xavier. « *Économie sociale, territoire et politique en Europe du Sud* », Pôle Sud, vol. 31, no. 2, 2009, pp. 5-8.
- Itçaina Xavier, « *Économie sociale, territoire et politique en Europe du Sud* ». Pôle Sud, 2009, no 2, p. 5-8.
- Jacques Defoumy « *L'actualité de l'économie sociale : des repères historiques, conceptuels et prospectifs* », Revue Interventions économiques, 2005
- Jambe Jean-Pierre, « *Territoires apprenants : esquisses pour le développement local du XXIème siècle* », Paris, L'Harmattan, 2001, p.35
- Jean Hillier et al., « *Trois essais sur le rôle de l'innovation sociale dans le développement territorial* », Géographie, économie, société 2004/2 (Vol. 6),
- Jean-François Draperi, « *L'économie sociale et solidaire face aux nouvelles attentes de la société* ». Revue internationale de l'économie sociale : recma, 2001, no 281, p. 5-14.
- Kamdem Emmanuel, « *réponse à la crise à travers l'entreprenariat coopératif et la création d'emplois décents en Afrique* » conférence à la chambre de commerce et de l'industrie de rabat, Réseau marocain d'économie sociale et solidaire REMESS, 2010
- Lévesque Benoît et Lajeunesse-Crevier François, « *Innovations et transformations sociales dans le développement économique et le développement social : approches théoriques et politiques publiques* ». Québec : CRISES, 2005.
- Nadine Richez-Battesti, « *Rencontres régionales de l'économie sociale et solidaire, « les enjeux de l'économie sociale et solidaire* », 6 décembre 2005, Paris
- Pecqueur Bernard. « *Le développement territorial : une nouvelle approche des processus de développement pour les économies du Sud* ». 2005.
- Yahya yahyaoui et hachmi Bentahar, « *évolution historique de l'économie solidaire* », 2011